

منشورات اتحاد



القاهرة

مجلة المؤرخ العربى

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

المحتويات

صفحة

٧	كلمة الافتتاح
٩	كلمة التحرير
	د. سامى عبد الفتاح محمد شحاته
١١	التجنيد المحلى فى مصر فى العصر الرومانى
	د. رعمانى بلقاسم
٤١	روما وسياسة الرومنة فى شمال إفريقيا (بلاد المغرب نموذجاً)
	د. فائزة صالح سجينى
٥٧	ثورة القسطنطينية الشعبية عام ٦٠٢ م
	د. فرج الله أحمد يوسف
٨٣	التأثيرات الثقافية الأجنبية فى الممالك العربية قبل الإسلام
	د. خالد حسين محمود
	جوانب من التسامح وقضايا العيش المشترك
١٢٥	بين اليهود والمسلمين فى المغرب الأدنى
	د. عبدالله بن محمد حيدر
١٧٣	علماء بلاد المغرب والأندلس الذين جاؤوا مكة المكرمة
	د. حوتية محمد
٢١٣	الطرق الصوفية بإقليم توات وغرب إفريقيا خلال القرنين ١٨-١٩
	د. محفوظ رموم
٢٣١	سوق العمل أو الوظائف الإدارية والعلمية فى الجزائر خلال العهد العثمانى

د. عبد العزيز شهبي

سياسة الاستعمار الفرنسي تجاه الطرق الصوفية بالجزائر في القرن ١٩ ٢٤٧

د. نعيمه عبدالله بن دهيش

عصر السلطان عبد الحميد الثاني وأسباب سقوط الدولة العثمانية ٢٦٣

مقلاتي عبدالله

مؤتمر طنجة المغاربي ومسألة الوحدة والتضامن مع الثورة الجزائرية ٣٠٧

د. نعمة حسن محمد

سباق التسليح البحري بين ألمانيا وبريطانيا قبيل الحرب العالمية الأولى ٣٣١

د. سامي عبد الفتاح محمد شحاته

التجنيد المحلي في مصر في العصر الروماني

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Bakhril.com>

تقديم:

يتناول موضوع هذا البحث دراسة التجنيد المحلي في مصر من الاحتلال الروماني ٣٠ ق.م. حتى عصر الإمبراطور سبتيموس سيفيروس، وأهمية هذا الموضوع تنبع من أهمية مصر ذاتها ثم بكونها أهم ولايات الإمبراطورية الرومانية، وإحدى الجبهات الرئيسية لقوات الجيش الروماني، ولقد أدرك أغسطس أهمية موقع مصر الاستراتيجي وسهولة الدفاع عنه كما تأكد من أهميتها كمستودع للقمح لا غناء عنه لإطعام الشعب الروماني، وكذلك كمورد للثروة والمال لا بد منه لتدعيم الخزنة التي نضبت من جراء الحروب الأهلية، بالإضافة إلى كثافة سكانها، لذا فقد حرص أغسطس على تأمينها من الوقوع في يد الخصوم والشائعين، وإلى جانب الاحتياطات الأخرى التي اتخذها، فإنه وضع فيها من الفرق الرومانية (*Legiones*) والقوات المساعدة (*auxilia*) أكثر مما تقتضيه حاجة الدفاع عنها.

فماذا كان انعكاس ذلك على التجنيد اعملى في مصر؟ وكيف كان يتم الالتحاق بص صفوف الجيش الروماني؟ وهل كانت الفرصة مواتية لكل فئات وطبقات السكان في مصر للانضمام إلى هذا الجيش؟ وما هو أصل هذه الفرق الرومانية؟ ومن أين كان يتم دعمها بالتجندين؟ وما هي أهم مراحل تطور التجنيد في مصر؟

وهذه الدراسة هي محاولة من خلال دراسة وتحليل الوثائق المدونة باليونانية واللاتينية، للإجابة عن هذه الأسئلة وإلقاء الضوء على بعض جوانب هذه المؤسسة العسكرية لما لها من أهمية كبيرة في تاريخ مصر في العصر الروماني.

إجراءات التجنيد

الالتحاق بص صفوف الجيش الروماني (*exercitus*) والقيام بالخدمة العسكرية (*στρατεύεσθαι-militare*)^(١) يبدأ بأحد الإجراءات الذي أشارت إليه الوثائق الرديئة ببعض المصطلحات مثل (*probatio*)، وتعني الاختبار أو التحقق أو الإثبات، أو عبارات وردت بهذا المعنى في بعض الوثائق الرديئة مثل (*tirones probatio voluntarii*)^(٢) وتعني التسجيل للمتجندين اختياريًا، ويقابل في اليونانية مصطلح (*ἐπικρισις*) الفحص العسكري، وهو إجراء ذو طبيعة عسكرية يجب على الفرد بمقتضاه التقدم بطلب مكتوب للفحص والتسجيل في الفرع ووحدات الجيش الروماني، كما يتعين عليه المثول بنفسه أمام الوالي ومعه المستندات (*δικαιώματα*) الدالة على وضعه القانوني وموطنه وعمره وكل ما يثبت أهليته للخدمة العسكرية، كما كان يصطحب معه ثلاثة أشخاص كشهود لضمان هويته.^(٣)

وعملية الفحص وتسجيل المتقدمين للخدمة العسكرية كانت تخضع لإشراف حاكم مصر الذي كان يسيطر على القوات العسكرية في مصر ببطرة مباشرة بحكم تيممه بسلطة الـ (*imperium*) وهذه السلطة تتضمن سلطات وصلاحيات أخرى لم يكن في وسع هذا الوالي أن يدير الشؤون العسكرية أو يقوم بالحروب أو يقود الجيوش بدونه، وكان الحاكم يمارسها كما يمارسها حاكم الولاية الإمبراطورية بطريق التفويض من الإمبراطور.^(٤)

ويقوم هذا الحاكم في مدينة الإسكندرية — مقر القيادة العسكرية — بفحص المتقدمين من الشباب للخدمة العسكرية والموافقة على صلاحياتهم وتسجيلهم في وحدات الجيش، يسطح

ذلك من الخطاب اشرور باللاتينية^(٤٥) والذي أرسله والى مصر مينوكيوس ايثاوس الى قائد الكتيبة الثالثة الأيتورية ويدعى كيلسيانوس، العام السادس من حكم الإمبراطور تراجان وجاء فيه: "صديقى العزيز تحياتي، أعط أوامرك بأن الجندين الستة الذين قمت أنا بفحصهم وقبولهم، يتم تسجيلهم في الكتيبة التى تحت قيادتك وذلك اعتباراً من التاسع عشر من شهر فبراير".^(٤٦)

ويرفق الحاكم طى هذا الخطاب بياناً بأسمائهم وأعمارهم وأوصافهم، ويتبين أن أصغرهم سناً كان يبلغ ٢١ عاماً وأكبرهم كان ٢٥ عاماً، ومتوسط أعمارهم ٢٢ عاماً وشهرين. وفي نهاية الخطاب (سطر ٢٤-٣٩) يوجد تاريخ تسلم الخطاب وحفظه، ثم توقيع سكرتير الكتيبة بأن أصل الخطاب تم حفظه في أرشيف الكتيبة. L. 30: in tabulario cohortis.

وثيقة أخرى^(٤٧) تتضمن مجلداً لقوة الكتيبة الأولى الأغسطية التى كانت تعسكر في مواجهة مدينة أبولونوبوليس الكبرى (أدلى) منذ عام ١٣٩ م. ويتضح من هذا السجل أن الحاكم سمرونوس ليرليس كان قد خضع أمامه للفحص العسكرى تسعة من الجندين اختياريّاً وصدق على تسجيلهم في هذه الكتيبة.

LL. 28-30: tirones prob(a)ti voluntari a Sempronio Liberalae praefecto Aegypti viiii,

وبعد أن يخضع الجندون للفحص العسكرى أمام الحاكم الذى يقرر قبولهم وتسجيلهم (*scribere or referre*)^(٤٨) في وحدات الجيش، يلى ذلك الأمر بإيداع الدعم والمخصصات المقررة لهم فتضمن إحدى البرديات^(٤٩) أيضاً أصدره لوجيكتوس لوجيوس من الكتيبة الأولى اللوسيتانية، سرية يتولى قيادتها تيوليوس أنه تسلم مبلغ أربعمئة وثلاثة وعشرين ديناراً قضياً قيمة إيداعات لصالح مجتدين من آسيا وعددهم عشرون مجتداً.

LL.5-7: *ὑπὲρ δημοσίου τ[ράνων] Ἀσ[ιανῶν] διατριβούτων ἐν τῇ κεντυρία ἀνδρῶν εἴκοσι.*

وإيضال آخر في نفس الوثيقة (سطر ٩-١٤) بمبلغ مائتين والثين وثلاثين ديناراً تم إيداعه في هذه الكتيبة لصالح سبعة عشر مجتداً من آسيا يتمتعون للسرية التى يتولى قيادتها كريسكيتوس ثم التاريخ: العام الحادى والعشرون من عصر الإمبراطور تراجانوس.

ولم يقتصر إخضاع التجنيد أعلى لسلطة وإشراف الحاكم بل إن مجرد انتقال أحد الجنود من وحدة إلى أخرى أو من فرع إلى آخر كان يخضع أيضا لإشراف الحاكم، ففي رسالة خاصة من باورانياس^(١١) يتضح أن ابنه الذي كان يخدم في إحدى الفرق العسكرية في الإسكندرية لم يرغب في الخدمة في هذه الفرقة، ويريد الانتقال إلى إحدى فصائل الفرسان المربطة في فقط (ربما لقرها من محل إقامة أسرته)، لذلك سافر الأب إلى الإسكندرية، واستخدم الكثير من الطرق والوسائل^(١٢) حتى تم نقله أخيرا إلى فصيلة الفرسان في فقط.

LL.9-11: κατελθὼν εἰς Ἀλεξανδρείαν πολλὰ
ἀφορμαῖς ἐχρησάμην ἄχρι οὗ [ὑ]μετενέχθη εἰς τὴν
Κόπτου εἰλάν.

ويبدو أن هذا الأب نجح في مسعاه وبالتالي خضع ابنه للفحص العسكري أمام الحاكم، إذ نستدل على ذلك من أن النص يذكر أن الحاكم نفسه هبجه أيضا أجازة محددة قبل أن يصل إلى وحدته العسكرية المشغل إليها في فقط (Coptos).

وفي بعض الأحيان كان الحاكم ينيب عنه أحد كبار القادة العسكريين مثل قادة الفرق أو فصائل الفرسان أو الأسطول للقيام بمثل هذه المهام^(١٣)، فعلى سبيل المثال يتبين من وثيقة أخرى^(١٤) أنه تم نقل جندي يدعى أسيدوروس من كتبة الفرسان إلى الأسطول بعد أن خضع للفحص العسكري أمام قائد أسطول الإسكندرية نيابة عن الحاكم.

ولضمان ضبط عملية الفحص والتسجيل في أفرع الجيش الروماني تذكر المادة رقم ٥٥ من مقنة الإيديولوجوس أنه "إذا أدى مصري الخدمة العسكرية في فرقة رومانية دون أن يكتشف أمره، فإنه بعد تسريحه يعود إلى حالته الأولى بوصفه مصرياً، والحال بالمثل بالنسبة لمن التحقوا بسلاح الأجندفين، فإنهم عقب تسريحهم يعودون إلى حالتهم القديمة، على أن يستثنى من ذلك فقط الذين ينتمون إلى الأسطول المربط في ميسينوم".^(١٥)

وهي بالتالي توجه التحذير للمصريين من اعتراف أية مخالفات في هذا الشأن واتباع أساليب غير قانونية للانضمام إلى هذه الفرق الرومانية أو غيرها وانتحال الصفات واغتصاب حقوق المواطنة الرومانية، في الوقت الذي لم يكن مسموحاً للمصري الالتحاق بإحدى الفرق ما لم يكن قد منح من قبل المواطنة الرومانية، وهذا أمر كان غير المثال.^(١٦)

الشروط والقواعد التنظيمية للتجنيد

والسؤال هنا هل الاغتراف في صفوف الجيش الروماني كان مباحا لجميع طبقات وفئات السكان في مصر؟ يختلف الوضع إذا ما كان الأمر يتعلق بالخدمة العسكرية في الفرق الرومانية (*Legiones*) أو القوات المساعدة (*auxilia*) والأسطول (*classicae*) كذلك الوضع القانوني للمتقدم للتجنيد يمثل عنصراً هاماً وحاسماً.

أولاً: فبالنسبة للتسجيل في الفرق العسكرية كان لا يسمح للعبيد ولا الغريرين (المعتقلين) الانضمام إليها ويستبعد كذلك الأجانب (*peregrini*) والمصريون باعتبارهم من وجهة نظر القانون الروماني يدخلون ضمن الأجانب، ولأن الفرق الرومانية كانت تكون كقاعدة عامة من الجنود الرومان الذين يتمتعون بالمواطنة الرومانية^(١٦) سواء داخل إيطاليا أو المقيمين في ولايات الإمبراطورية أو من المناطق التي يمنح سكانها الجنسية الرومانية (*civitas romana*) فإنه في مصر يكون مسموحاً لفئات معينة الالتحاق بالفرق العسكرية الرومانية وهي كالتالي:

أ — المواطنون الرومان، الذين استقروا في مصر وأخذت أعدادهم تزايد تدريجياً وكانت تضم من حضروا للعمل في إدارة الولاية أو للاستفادة من النشاط التجاري والمالي، وانضم إليهم عدد كبير من الذين اكتسبوا المواطنة الرومانية عن طريق الخدمة العسكرية في الجيش، وكذلك عدد من طبقة الإسكندرانيين الذين استطاعوا الحصول على المواطنة الرومانية فهؤلاء جميعاً مهما كان أصلهم والطريقة التي حصلوا بها على المواطنة الرومانية كانوا يمثلون طبقة المواطنين الرومان في مصر.^(١٧)

ب — مواطنو المدن الإغريقية، إذ كان يسمح لهم بالخدمة العسكرية في الفرق الرومانية، وكانوا يتحولون بمجرد تسجيلهم في هذه الفرق إلى مواطنين رومان^(١٨) فتحتوى وثيقة بردية على عقد وكالة أصدرها جندي يدعى جايوس يوليوس سالتورنيوس لطرف آخر من أوكسيرينخوس، تبين منها أن جايوس كان لا زال في الخدمة العسكرية ومسجل في الفرقة ديوطاروس الثانية والعشرين وحصل على المواطنة الرومانية وبجمل اسماً رومانياً، وكان قبل الخدمة العسكرية مواطناً سكندري وكان يدعى بطليموس بن بطليموس.^(١٩)

كذلك ماركوس أوريليوس أزيدوروس جندي التحق عام ١٦٨ م. بالفرقة الثانية تراجانال — الكتبية الخامسة، سرية تحت قيادة سيفيروس وتم تسريحه عام ١٩٤، وقبل انضمامه إلى هذه الفرقة كان مواطناً سكندرياً.^(٢٠)

ج — المولدون في المعسكر (*καστροῦσις=castris*) كان يسمح لهم أيضاً بالخدمة في الفرق، وهم أبناء الجنود الذين تزوجوا زوجاً غير شرعي لمخالفتهم قاعدة حظر الزواج على الجنود أثناء الخدمة العسكرية، وثكنوا من تكوين عائلات في كل شئ عدا الناحية القانونية، وسكنوا في مناطق تحت وتطورت حول المعسكرات والفلاع أو بالقرب منها وأصبحت أشبه بقواصي المدن، لذا فكثير من جنود الفرق لم يذكروا اسم مدينة أو ولاية، وإنما مصطلح "ex castris"^(٢١) كموطن (*origo*) لهم.

ومثالاً لهذه الفئة بوضحه نقش نيكوبوليس^(٢٢) الذي يتضمن أسماء بعض الجنود الذين التحقوا بالخدمة العسكرية في الفرقة الثانية تريبانا، الكتيبة الخامسة، عام ١٦٨م. وكانوا أصلاً من مواليد المعسكرات ومنهم:

— ماركوس جابينوس أمونيائوس بن ماركوس من مواليد المعسكر "castris" من عائلة (أى سرية) تحت قيادة كيلير.

— تيوس أوريليوس جايومونيائوس بن تيوس من مواليد المعسكر "castris" سرية تحت قيادة فلافيوس فلبسيانوس.

— جايوس بومبيوس سرتوس بن جايوس، من مواليد المعسكر "castris" من سرية تحت قيادة سيفيروس.

د — الفئة الرابعة "peregrini" من غير الرومان أى الأجانب وتكون فقط في الظروف الاضطرابية أو الأوقات الحرجة، يوضح ذلك بريدة^(٢٣) تم تحريرها في قيصرية بفلسطين تتضمن التماساً من اثنين وعشرين من الجنود المسرحين من أصل مصري كانوا قد بدأوا خدمتهم العسكرية في أسطول ميسينوم وبعد فصرة تم نقلهم إلى فرقة فريجنسيس العاشرة (*X Fretensis Legio*) طبقاً لقرار الإمبراطور هادريانوس، وبعد تسريحهم يطلبون في هذا الالتماس من حاكم قيصرية اعطائهم وثيقة رسمية تفيد أنه تم تسريحهم عن طريقه من الفرقة ذاتها، وليس من الأسطول، وحتى يمكنهم بعد العودة، الاستناد عليها والإفادة منها عند الضرورة.

L. 10-12: ut ex affirmatione tua appareat
nos ex eadem legione missos esse non ex

classe, ut possit rebus necessariis subscriptio
tua instrumenti causa nobis prodesse.

هكذا فإن هؤلاء الجنود وهم أصلاً لا يتمتعون بالمواطنة الرومانية ولكن بعد أن تم ضمهم إلى هذه الفرقة العسكرية أصبحوا يتمتعون بحقوق المواطنة، ولذلك يطلبون من حاكم قيصرية الذي يخضعون لسلطته العسكرية وأشرف على تسريحهم أن يعطيهم وثيقة رسمية تثبت تسريحهم من هذه الفرقة ومن ثم تمتعهم بالمواطنة الرومانية وتضمن لهم ما يترتب عليها من حقوق وكذلك المنح والمكافآت الأخرى بمناسبة تسريحهم، وحتى يمكنهم تفاذي ما قد يظهر مستقبلاً من لبس أو مشاكل عند عودهم إلى مصر.

وهذه الحالة النادرة حيث تم إلحاق عناصر غير رومانية "*peregrini*" إلى فرقة رومانية "*Legio*" يقتضى قرار الإمبراطور هادريانوس، ارتبطت فيما يبدو بطروف تجدد الإضطرابات والصدام المسلح بين الرومان واليهود في فلسطين ومصر.^(١١)

كانت هذه هي الشرائح أو الفئات الأربع التي يسمح لأفرادها بالجند والخدمة في الفرق العسكرية الرومانية، ولقد أدرك أغسطس أهمية مصر وأنها من أكثر الولايات كثافة في السكان وأوفرها ثراء وإنتاجاً في القمح لذا فقد وضع فيها ما لا يقل عن ثلاث فرق عسكرية بالإضافة إلى القوات المساعدة؛ فيذكر استرابون^(١٢) أنه يوجد في مصر ثلاث فرق عسكرية، إحداها في المدينة (الإسكندرية) والأخريان داخل البلاد. وتوجد غير هذه تسع كتائب رومانية ثلاث منها في المدينة وثلاث على الحدود الأثيوبية (النوبة) في سويني (أسوان) وثلاث في باقي البلاد، وهناك أيضاً ثلاث فصائل من الفرسان موزعة بالمثل على المراكز الحيوية*.

فما هو أصل هذه الفرق ؟ وما هي الأقاليم والولايات التي ينتمي إليها أفراد هذه الفرق العسكرية ؟ ومن أين كان يتم دعمها بالجندين؟.

أصل هذه الفرق التي خدمت في مصر لا يعرف عنها سوى القليل لأن الموجود من لوائح الجنود قليل جداً، ومع ذلك تتضمن إحدى الدراسات الحديثة بعض الجداول والاحصاءات^(١٣) وتحليلها يمكن الخروج بالملاحظات التالية:

١ — إن وجود الجنود من أصل إيطالي يمثل نسبة ليست بالكبيرة فيتضح من وثيقة بردية ترجع إلى القرن الأول الميلادي أن نسبتهم كانت ١٤,٢% من عدد الجنود في المصدر

ذاته^(٢٧)، وفي القرن الثاني كانت ١١.٣% من عدد الجنود طغاً لنقش نيقيبوليس الذي عثر عليه بالقرب من الإسكندرية.^(٢٨)

٢ — وجود نسبة كبيرة من الجنود الذين ترجع أصولهم إلى آسيا الصغرى — خاصة جالاتيا (Galatia) — في القرن الأول بعد الميلاد وكانت نسبتهم ٤.٠% من عدد الجنود حسب ما ورد بمصدرين اثنين يرجعان إلى هذا القرن.^(٢٩) أما في القرن الثاني هبطت نسبتهم إلى ٢.٥% من عدد الجنود وترجع أصولهم إلى بيشية (Bithymia)^(٣٠)

٣ — إن التجيد اخلى بما في ذلك أبناء المعسكرات (ex castris) ثبت ومؤكدة منذ فترة مبكرة ترجع إلى عهد أغسطس، وشهد هذا التجيد اخلى زيادة كبيرة بمرور الوقت، ففي القرن الأول كانت نسبة المخدمين محلياً حوالي ٢٥% من عدد الجنود في المصدر ذاته،^(٣١) وارتفعت هذه النسبة إلى ٧٧.٥% في النصف الثاني من القرن الثاني^(٣٢)

٤ — إن وجود الجنود السوريين أمر وارد ومتوقع نظراً لغرب مصر ومجاورتها لسورية، وكانت نسبتهم ٢١.٥% من عدد الجنود حسب مصدر من القرن الأول،^(٣٣) وتراجعت هذه النسبة إلى ١٤% حسب مصدرين من القرن الثاني^(٣٤)

٥ — وأخيراً وجود جنود من إفريقية نسبة ١١.٢% في القرن الأول،^(٣٥) ولكن هذه النسبة ترفع ارتفاعاً كبيراً ووصلت إلى ٦٧% حوالي منتصف القرن الثاني كما يتضح من أحد النقوش الذي يرجع إلى عام ١٥٧م.^(٣٦) وهذه الزيادة الكبيرة في النسبة المثوبة يمكن تفسيرها بأن هذا النقش يحتوي على إهداء مقدم إلى الإمبراطور أنطونيوس بيوس من مجموعة من الجنود وعددهم ١٣٢ جندي بمناسبة انتهاء خدمتهم العسكرية وتسريحهم عام ١٥٧م. ومن الفرقة الثانية تراجايا التي كانت تعسكر في نيقيبوليس ضاحية الإسكندرية، وهذا يعني أنه قد تم تجييدهم حوالي عام ١٣٢م. وفي أثناء حكم الإمبراطور هادريان وهي الفترة التي عاصرت أحداث اليهود وتدايعاتها،^(٣٧) لذا قرر هذا الإمبراطور فيما يبدو ضم بعض قسوات الفرقة الثالثة الإغسطية، التي كانت مرابطة معظم الوقت في ولاية إفريقية، إلى الفرقة الثانية تراجايا بالإسكندرية. وربما يدعم هذا التفسير أن النسبة المثوبة هؤلاء الجنود من ولاية إفريقية تعود ثانية إلى المهبط حتى تصل إلى ٥% من عدد الجنود في نفس من نهاية القرن الثاني بعد الميلاد.^(٣٨)

ثانياً: أما القوات المساعدة (*auxilia*) فكانت تتألف من كتائب المشاة (*cohortes*) وفصائل الفرسان (*alae*) كل منها تضم إما ٥٠٠ أو ١٠٠٠ جندي تحت إمرة قائد (*perfectus*) مجدين غالباً من بين سكان الولايات عبر المواطنين (*peregrini*)، وكانت بعض هذه الكتائب تنظم مشاة وخيالة وتعرف باسم (*cohortes equitales*).^(٣٩)

ويذكر ريكارد الستون أن التجنيد في القوات المساعدة لا يوجد بمشابهة قاعدة واضحة ومحددة في كل الولايات، التي احتفظت كل منها بأصلها المحلي والمميز، بل كان يتم تجنيد هذه القوات بشروط وأعداد تختلف من حالة إلى أخرى.^(٤٠)

ومنذ عصر أغسطس أصبحت القوات المساعدة جزءاً هاماً من الحماية الرومانية في مصر، وكانت توجد منها تسع كتائب (*cohortes*) وثلاث وحدات فرسان (*alae*)، ثلاث من الكتائب النصف عسكريت عدد ميسبي (أسوان) لحدية الحدود الجنوبية وثلاث أخرى في الإسكندرية، والكتائب الثلاث المسقة توزعت في وحدات صغيرة على النقاط الاستراتيجية في مختلف نواحي البلاد. كذلك الأمر أيضاً بالنسبة لوحدات الفرسان الثلاث.^(٤١) واعتمد النظام الروماني على بشر القوات في مختلف أقاليم مصر في العسكرية المحصنة وفي المراكز الأقل أهمية، وتغير تشكيل الكتائب والوحدات خلال القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد بالإضافة أو بالنقل أو بالإلغاء.^(٤٢)

ومع ذلك يمكن حصر عدد من الوحدات — من خلال البرديات — عسكريت في مناطق استراتيجية في جنوب البلاد أحياناً كحمايات وفي أحيان أخرى أثناء قيامها بمهام خاصة، ومثال على ذلك الكتبة الاغسطية الأولى التي عسكريت في عام ١٣٩ م. عبر النهر تجاه ابولونوبوليس (*Apollonopolis*) في مصر العليا ونراها بعد ٢٥ عاماً في نفس المكان بقوة إجمالية عددها ٥٠٥ جندي منها ٣٦٣ من المشاة و ١١٤ من الفرسان و ١٩ راكبي الجمال و ٦ من صباط برتبة الكينتوريون (قائد مائة) و ٣ برتبة الديكيريون (قائد مربعة).^(٤٣)

وتوضح الوثائق الرديئة أن كثيراً من المجندين في القوات المسلحة المساعدة (*auxilia*) ينتمون إلى عواصم الأقاليم المصرية (*metropoleis*)، وترجع أصولهم إلى طبقة الإغريق الذين استوطنوا مصر أثناء العصر البطلمي، وأبرم الكثير منهم عقود زواج مشترك مع المصريين.^(٤٤)

ويدور أن الجيش كان مجالاً جذاباً للأفراد متواضعي الحال الذين كان يمكن أن يدفع بهم إلى التطور والنجاح^(١٨) وبمذكر تاربيشلاج أن الخاضعين لضريبة الرأس (λαογραφούμενοι) كان يمكنهم أن يلتحقوا بالخدمة العسكرية أيضاً في صفوف القوات المساعدة^(١٩) التي كانت مدة الخدمة فيها ٢٥ عاماً، وبعد أن ينتهي الجيود من خدمتهم العسكرية بما يرضى قادهم يحصلون على التسريح المشرف (*missio honesta*) بصحة وسمعة وقانونية، فعلى سبيل المثال يبين من إحدى الوثائق البردية^(٢٠) أن الجدي المسرح فالتريوس كليميس أعلن أنه خدم في الكتيبة الثانية الإيتورية، وعرض عطافاً باللاتينية من باكتوموس ماحوس، الوالي السابق، يوضح أنه بعد أدائه الخدمة العسكرية في الكتيبة المذكورة عالية حصل على التسريح القانوني.

L. 8-13: ὁ προγεγραμμένος οὐετρανὸς δηλώσας καυτὸν

ἐστρατεῦσθαι ἐν σπειρῃ β' Ἰτυραιὼν ἐπεδείξεν

Πακτουμήσιου Μαγνὸυ τοῦ ἡγεμονεύσαντος ἐπιστολὴν Ῥωμαϊκὴν δι' ἧς ἐδηλοῦτο στρατεῦσ-αμενον αὐτὸν ἐν τῇ προγεγραμμένῃ σπειρῇ νομίμῃ ἀπολεικεί ἀπολεῖσθαι

هكذا يتضح أن اخذكم كان يشرف على تسريح احواد، ويصدق على منحهم التسريح المشرف عند اكتمال مدة الخدمة العسكرية^(٢١) لكن منهم تعافاً للألمحة التي يخدمون فيها، ويترب على هذا التسريح المشرف مع الجدي المسرح أو الخمارب (*veteranus*) الحمية الرومانية هو وابنائها بالإضافة إلى حق الرواح الشرعي (*ius conubii*)، في صورة شهادة أو دبلومة تؤكد الوضع القانوني الجديد، وهذه الدبلومات العسكرية (*diplomata militaria*) كانت تصدر بمقتضى مراسيم إمبراطورية (*constitutiones*)، وتسمح للجيود (غير الرومان) المسرحين (*veterani*) من القوات المساعدة (*auxilia*) بعد خدمة مدتها ٢٥ عاماً، والمسرحين من الأسطول (*classis*) بعد ٢٦ عاماً.^(٢٢)

وأخذ الرأي العام يتقبل الخدمة العسكرية في القوات المساعدة أكثر من الفرق، ولكن بدأ يظهر اتجاه عام لا يتقيد بالشروط المرعية عند تجنيد الأفراد في الفرق العسكرية؛ فأخذت الفرق تسجل شباباً من بيئات متواضعة بشكل متزايد، بينما القوات المساعدة تسجل مواطنين رومان أكثر فأكثر، ونتيجة ذلك أصبح هناك تقارب لتربجي لكلا النوعين من القوات العسكرية ومرار الوقت لم يعد هناك فرق يذكر بين الخدمة في الفرق والخدمة في القوات المساعدة^(٢٣)

ثالثاً. ويحتل الأسطول المرتبة الثانية في الأهمية بعد قوات الجيش البرية، وبعد أن أعاد أغسطس تنظيم القوات البحرية كان الهدف الحقيقي منها هو أن تكون بمثابة قوة دفاعية ضد أعمال القرصنة والقيام بأعمال الحراسة والفيل وحفظ الأمن في البحار بشكل عام، وأصبحت قاعدة الأسطول (classis) الرئيسيتان تقعان في رافينا (Ravenna) لتأمين البحر الأدرياتيكي وميسنوم لتأمين البحر التيراني.^(٥٦)

وكان يتم تجنيد رجال البحرية (classarii) من الأحاب من مختلف الولايات، وكذلك قليل من العبيد الذين تم تحريرهم قبل تسجيلهم في الأسطول — وهي حالة استثنائية عكس القاعدة — واشترك أيضاً المواطنون الرومان ويرجع ذلك إلى عصر أغسطس، وشغلوا الرتب الكبيرة كما استندت القيادة العليا للأسطول إلى قادة من طبقة الفرسان الرومانية.^(٥٧)

وتوضح الوثائق البوذية^(٥٨) أن الشباب المصري، التحقوا بصفوف القوات البحرية، ورسائلهم الشخصية إلى أفراد أسرهم في مصر، تساعد في إلقاء الضوء على ظروف تجنيدهم وعملهم بالوحدات البحرية المختلفة. فابون من إسماعيل شدد حديث في أسطول ميسنوم يرسل إلى والده في فيلادلفيا^(٥٩) ببحره بأنه حصل على اسم "أنتونيوس ماكسيموس"، وتم إلحاقه بوحدة "النيوتكا".

LL. 22-24: ἐστὶ [δε] μοῦ ὄνομα Ἀντωνίου

Μάξιμος. ἐρρωσθαι σε εὐχομαι. κεντυρία) Ἀθηνοικῇ.

واسم الوحدة في الأسطول هو اسم السفينة التي يخدم الجندي ضمن طاقمها^(٦٠) وأرسل هذا الجندي بعد ذلك بفترة رسالة أخرى يتصحح فيها أنه تروح وأحب ابناً^(٦١).

ورسالة أخرى من محمد حديث بأسطول ميسنوم يدعى أبولاريوس إلى والدته في كورنيس^(٦٢).

يلمح فيها سلامة وصوله إلى روما وأنه لم يتم تسجيله في وحدته البحرية، لأنه لم يصل بعد إلى ميسنوم عندما كان يكتب لها هذه الرسالة. ويفهم من ذلك أن قائد الأسطول هو الذي يتولى توزيع وتسجيل المخدمين على الوحدات البحرية التابعة للأسطول.

ويبدو أن الأمر اقتضى بناء أساطيل إقليمية لتتوسع رقعة الإمبراطورية الرومانية وازدياد أعدادها، فالقمح الذي كان ينقل بحراً من الإسكندرية كانت تقوم بحراسته سفن أسطول

الإسكندرية، وترجع أول إشارة إلى "الأسطول السكندري العظيم" إلى عصر كاليغولا (٣٧-٤١ م)^(٥٨)، ولكن لا بد أن هذا الأسطول كان موجوداً منذ عصر أغسطس كإسطول روماني إقليمي بالإضافة إلى الأسطولين الرئيسيين في ميسنوم وراينا بإيطاليا، والأرجح أن النواة الأولى لهذا الأسطول السكندري تكونت من سفن كليوباترا السابقة التي لم تصطم في معركة اكتيوم، وقد ضم هذا الأسطول سفناً حديثة طويلة وسريعة مجهزة بمقواطع، وتولى قيادته ضباط من طبقة الفرسان أيضاً.^(٥٩)

وتتضمن وثيقة بردية أن كلاوديوس تيرتيانوس المجد في أسطول الإسكندرية أرسل إلى والده في كرانيس يخبره عن المرض الذي كان يعاني منه على ظهر السفينة، إلا أنه أصبح قادراً على أن يرسل إلى والده بعض الأدوات من الإسكندرية^(٦٠) وما لم تكن مغلفة في كراتيس، وهذه الوثيقة تنتمي لأرشيف "ميريانوس" الذي تم اكتشافه في أحد منازل كرانيس ويتضح منه أن هذا المجد أرسل إلى والده تسع رسائل بحرية بالإغريقية وست رسائل باللاتينية، وكتابه الأخيرة يشوهم بعض الأخطاء وما مؤثرات وتداخلات إغريقية مما يوحى بأن لغته الأصلية هي اللغة الإغريقية^(٦١).

وتحتوي بردية أخرى^(٦٢) على رسالة من روما بعثها أيريبابوس إلى أخيه يخبره بوصوله إلى الأراضي الإيطالية يوم السادس من شهر أيب، ولم يتم تفريغ الشحنة حتى اليوم الثامن عشر من نفس الشهر، ووصل إلى روما في اليوم الخامس والعشرين من نفس الشهر، ومنذ ذلك وهم يتوقعون يومياً تسريحهم، وحتى ذلك اليوم لم يتم تسريح أى شخص من أسطول القمح.

LL. 14-15: ὥστε ἕως σήμερον μηδένα

ἀπολελύσθαι τῶν μετὰ σίτου.

يتبين إذن أن أسطول الإسكندرية الذي كان يشارك في صيانة الأمن ومراقبة البحار قد انتصب اهتمامه بصفة خاصة على حراسة السفن التي تحمل القمح وشحنات العلال من مصر إلى إيطاليا، وكذلك فإن جنود الأسطول من الأجانب (*peregrini*) كانوا يحصلون على الاسم الثلاثي منذ عام ٦٩ م. وبعد أداء خدمتهم العسكرية (*militia*) التي تمتد إلى ٢٦ عاماً يحصلون على الدبلومات التي تمنحهم المواطنة الرومانية.^(٦٣)

ومخصوص حجم مشاركة كل من الولايات في تعبئة حدود الأسطول الروماني، تكسر الصعوبة في ندرة المصادر والإحصاءات الدقيقة التي كان يمكن التوصل إليها في هذه المسألة ومع ذلك يحاول أحد الباحثين ترتيب الولايات طبقاً للزيادة العددية للبحارة المجندين من كل منها، حسب ما تسمح به المصادر المتاحة والقوائم الحديثة، وهي كالتالي. أن البحارة على سفن أسطول ميسوم تم تحييدهم من: مصر، آسيا، تراشيا، سردينيا، سورية، دلتانيا، أفريقية، اليونان، إيطاليا، كورسيكا. والبحارة على سفن أسطول رافيا تم تحييدهم من دالتانيا، سورية، مصر، بانونيا، كورسيكا، سردينيا، آسيا، إيطاليا، اليونان.^(٩١)

يتبين إذن مدى مساهمة مصر في دعم الأسطول الروماني بالمجندين، هذا غير "أسطول الإسكندرية" *στόλου Σεβαστοῦ 'Αλεξανδρείνου* الأقليمي الذي من المحتمل تم دعمه أيضاً بعدد كبير من المجندين المصريين كما توحي بذلك الوثائق القديمة التي سبق عرض جانب منها.

مراحل تطور التجنيد:

كانت تلك هي الإجراءات والقواعد التنظيمية لتجنيد في مصر ودعم الأفرع الرئيسية للجيش الروماني:

الفرق والقوات المساعدة والأسطول بالمجندين من مصر، ومع أن التجنيد انغلى ممة من سمات الجيوش الرومانية في الولايات المختلفة إلا أنه بدأ في مصر في وقت سابق،^(٩٢) وينسب إلى الإمبراطور هادريان (٩١٧-١٣٨ م.) إحداث نقلة نوعية بشأن هذا التجنيد في مصر، فمعه عهد هذا الإمبراطور اتجهت سياسة الأباطرة إلى تعبئة جنود الخيامات الرومانية في الولايات من أهلها بعد أن ظلت على مدى قرن ونصف مصرفة إلى تعبئة هؤلاء الجود من خارج الولاية.^(٩٣)

ويبدو أن تطوراً واسعاً بدأ منذ بداية القرن الثاني الميلادي للتحوّل من التجنيد الإقليمي إلى إلى التجنيد انغلي، ولكن الإمبراطور تراجان (٩٨-١١٧ م.) اتخذ سياسة معارضة لهذا الاتجاه، وحاول أن يعتمد على إيطاليا لدعم فرق الجيش بالمجندين ثانية وقدم المساعدات والقروض

للفئات التي كانت في حاجة إليها والتي كان يعتمد عليها في تعبئة المجدين، إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل، لذا فالإمبراطور هادريان عندما تولى السلطة أعطى دفعة قوية للتجديد اأغلى،^(٧٧) وفي هذا السياق يمكن فهم الدوافع والظروف الخطة بقرار الإمبراطور هادريان عام ١١٩ (٧٨) والصادر في شكل فتوى كتابية إلى والي مصر كوتوس وأمبوس مارتياليس، يسمح حقاً قانونياً للأبناء غير الشرعيين للجنود الذين تولوا خلال خدمتهم العسكرية دون أن يتركوا وصية — بأن يرثوا آبائهم.

LL. 20-28: ὅνπερ τοιγαροῦν τ[ρόπ]ον οὐκ εἰσιν νόμιμοι

κληρο [νόμ]οι τῶν ἑαυτῶν πατέρων οἱ τῷ [τ]ῆς

στρατείας χρόνῃ ἀνακλημφθέντες, ὁμῶς κατοχῇ [ν]

ὑ[πα]ρχόντων ἐξ ἐκείνου τοῦ μέ[ρ]ους τοῦ διατάγ-ματος οὐ καὶ ἰ τοῖς πρὸς [γ]ένους συγγενέσι δ.δοταία τεύεσθαι δυνασθαι καὶ α ὑτοῦς κρε[ιν]ω.

وذلك لأن زواج الجنود أثناء الخدمة العسكرية غير شرعي — حسب القانون الروماني — مما يترتب عليه عدم شرعية ما ينتج عنه من أبناء، الذين كانوا ينفذون بتألي الحق الشرعي في موارث آبائهم.

وتاريخ هذا القرار (١١٩ م) قريب بل يتصل بتواضع حرب أو ثورة اليهود عام ١١٤—١١٧ م. وقيام الجيش الروماني بالقضاء عليها، و نتج عن ذلك خسائر في الأرواح والممتلكات وموت أعداد ليست قليلة من جنود الجيش الروماني ونقص في صفوفه.^(٧٩) ويبدو أن المقصود بهذا القرار كان هو تحقيق هدفين:

الأول أن يوفر هذا القرار أساساً قانونياً لحقوق الأبناء غير الشرعيين في تركات آبائهم من الجنود الذين ماتوا خلال خدمتهم العسكرية، واصعاً بذلك حداً لمشاكل وقضايا الميراث في مثل هذه الحالة،^(٧٧) ومشجعاً هؤلاء الأبناء وغيرهم من الشباب على الانتحاق بصفوف الجيش الروماني بعد أن شكل هذا القرار دعماً مادياً ومعنوياً لهم.

والثاني أن يدعم سياسة الإمبراطور هادريانوس الجديدة بخصوص التجديد اأغلى والعمل على زيادة الإقبال على الإنضمام إلى الجيش وتعويض ما حدث له من نقص في الأعداد.

ويبدو أن هذه السياسة أتت بشمارها؛ فهذا القرار شجع بالفعل أعداداً كبيرة من أبناء الجنود الذين عاشوا بالقرب من المعسكرات (*ex castris*) على الانضمام إلى الخدمة العسكرية يوضح ذلك الأدلة التي ترجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني والقرن الثالث بعد الميلاد.^(٧٦) ويذكر نيكاني لويس^(٧٧) أنه منذ منتصف القرن الثاني الميلادي تزايد بين الجنود المسرحين في مصر عدد أولئك الذين يتمنون إلى المدن المختلفة داخل البلاد والذين وجدوا الوسيلة للحصول على المواطنة الرومانية من خلال التحاقهم بالخدمة العسكرية.

وبعد عهد هادريانوس يبدو أنه كان على كل ولاية أن تزود نفسها بما يلزمها من المجندين^(٧٨) خاصة بعد أن تم تخفيف شروط الوضع القانوني للمتقدمين للتجنيد، كما أصبح في استطاعة الشخص الفقير الانضمام إلى صفوف الجيش^(٧٩) وكان معنى ذلك بالنسبة لكثير من المجندين إحراز تقدم كبير في المستوى الاجتماعي والاقتصادي. ووفقاً لما ذكرته الوثائق البردية فإن الجنود المسرحين كانوا — مع مواطني المدن الإغريقية خاصة الإسكندرية — هم الملاك الرئيسيون للأراضي الخاصة. فمن النوائم الصربية في كراسس سابقوم ولقي ترجع إلى عام ١٧١-١٧٣ بعد الميلاد، بين أن الجنود المسرحين كان عددهم كبيراً في هذه المنطقة ويمثلون نسبة كبيرة من ملاك الأراضي فيها (٥٥٪ من مجموع من ٥ إلى ١٥ أورو)، ويمكن تفسير ذلك إما بأن التجنيد كان مكثفاً في هذه المنطقة أو بأن توزيع الأراضي على الجنود كان شائعاً فيها.^(٨٠) وهم عادة يستقرون بجوار الأراضي المملوكة لهم بل يتجهون مثل غيرهم من متوسطي وصغار الملاك — إلى استئجار أراضي خاصة أو مملوكة للدولة.^(٨١)

وتحتوي الوثائق البردية على غمادح جنود مسرحين خلال هذه الفترة التاريخية (النصف الثاني من القرن الثاني م) احتلوا مكانة هامة في مجتمعاتهم الجديدة التي احتاروها لإقامتهم وكونوا عائلات وأصابوا الثروات، ومنهم جايوس يوليوس نجر جدي مسرح من كتيبة الفرسان وأمتلك هو وأسرته الأراضي والشارل في كراتس وكير كسوحا.^(٨٢) ويظلموس ويدعى أيضاً دوسكودوس من الجنود المسرحين في أوسينوى

LL. 2: οἱ ἀπὸ τοῦ Ἀρσινόειτου οὐβεραινοί

وأمتلك وأفراد أسرته إقطاعاً من الأراضي والشارل في أرسينوى وليادلفيا.^(٨٣) كما أنه كان أحد مستأجري الأراضي الإمبراطورية الميثاقية^(٨٤)

مرحلة هامة أخرى لتطور التجديد المحلي في مصر بدأت في عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (١٩٣-٢١١ م) الذي اعتبر الجيش هو جوهر السلطة والحكم ومصدرها في كافة أنحاء الإمبراطورية، ومن ثم أعطى جنوده وضعاً متميزاً فبدأ بذلك عهد الاوتوقراطية العسكرية، ولم يسر أنه كان مديناً إلى جنوده في الحلوس على العرش وفي هزيمة منافسيه (نيجر والينوس) في الحكم، ولهذا كان يثق في جنوده ويحرص على الاحتفاظ بولائهم كهدف أساسي له.^(٨١)

ومعتمداً على خبرته الطويلة، قام الإمبراطور سيفيروس بعدد من الإصلاحات الإدارية والعسكرية، وفتح باب التطوع للتجنيد أمام الجميع في كثير من ولايات الإمبراطورية، خاصة أن فترة حكمه البالغة ثمانية عشرة عاماً لم ينتشر السلام سوى في ست منها فقط، وبالتالي عانت الإمبراطورية وولاياتها من جراء هذه الحروب،^(٨٢) ويبدو أن الإقبال على التجديد في مصر شهد زيادة واضحة لبعض الاعتبارات التي حققت الأشخاص على الاصصام لصقوف الجيش وهي:

١ — أن الإمبراطور سيفيروس عمل على زيادة رواتب الجنود بدت مقدار الثلث،^(٨٣) وراود من الامتيازات والمكافآت التي تمنح لجنود المسرحين. كما فتح أمامهم أبواب الوظائف المدنية والإدارية.^(٨٤)

٢ — أنه رفع الحظر المفروض على زواج الجنود خلال خدمتهم العسكرية، عام ١٩٧ م. وعمل على الاعتراف بشرعية الأبناء الذين يولدون من هذا الزواج، كما سمح للجنود المتزوجين بحق الإقامة مع عائلاتهم بالقرب من المناطق التي تعسكر فيها القوات التابعة لها.^(٨٥)

٣ — أنه أحيا سياسة الأباطرة الأول بإشياء المستعمرات ومنح الجنود المسرحين الذين استقروا عليها قطعاً من الأراضي يطلق عليها *κωλυναια*^(٨٦) فوليقة بردية أصابها بعض التلف وترجع إلى عام ٢٠٠ ميلادية،^(٨٧) تتضمن التماساً من جندي مسرح مسرحياً يدعى يوليوس فليزيوس إلى الوالي لأنه تعرض لأعمال عف قام بها جندي مسرح آخر ماركوس أوريليوس نيفروس، ويضيف في التماسه قائلاً: "أنتى بفصل مولانا وكرمهم الواضح نحو الجنود المسرحين، تم منحى قطعة أرض *κωλυναια* بالقرب من قرية كيركيسوخا في قسم هيراكليديس في أقليم أرمينوى، وعلى هذه الأرض — ومها أحصل على نفقات معيشتي، ولقد انفقت كثيراً على القاعة التي بواسطتها أرى الحفول و —، كما زودتها بالأدوات — ولكن نيفروس السابق ذكره

بكل غرور — (دون احترام لهيبتكم) — ارتكبت كثيراً من أعمال العنف تجاه استقرار الجنود المسرحين وتوطيدهم [وإلى هنا ينتهي النص].

يبدو إذن أن سياسة الإمبراطور سيفيروس كانت ترمى إلى منح الأراضي للجنود المسرحين ليستقروا عليها مكافأة على خدمتهم العسكرية في الجيش الروماني^(٨٧) كذلك العمل نحو إصلاح الأراضي البور وزيادة رقعة الأراضي المدرعة في مصر عن طريق منحها هؤلاء الجنود لاستثمار جهودهم ومدحراقم فيها. لأنها عادة ما تكون من الأراضي البور والمهجورة وتحتاج بعض النفقات لاستعادة قوتها على الإنتاج

وإذا لم يحصل الجندي المسرح على قطعة أرض كان يمكنه بما يحصل عليه من المكافأة في نهاية الخدمة العسكرية وماقى مدحراته الأخرى شراء ما يريده من الأراضي الزراعية والعقارات المحتلفة، خاصة أن الجنود حصو على "حور ومنح ومكافآت صحية في عهد الأمباطوريين سيفيروس وكاراكالا".^(٨٨)

فتوضح [حدى الوثائق البردية^{٨٩} حتى ترجع إلى عام ٢٠١ م أن حابوس يوليوس ديوجينيس جندي من فرقة تراجانوس الثانية اشترى قطعة من الأراضي التي تم مصادرتها ثم أصبحت تابعة لخرابة الدولة، وكانت مساحتها أربعة ونصف أرورة، وقد ديوجينيس بشرائها في مراد عام طيفاً لأوامر المدير الإمبراطوري أوربيوس فينيكس، ووصل سعر الأرورة ٨٠٠ دراهمة وسدد هذا الجندي — عن طريق البنك — الثمن مضافاً إليه الضرائب الأخرى وكان المبلغ الأجمالي ١٤٩٦ دراهمة.

هذه الأرض يبدو أنها كانت على درجة عالية من الحصوبة وأن الإدارة الرومانية، كثيراً ما تجد صعوبة في وجود مستأجرين لها فتضحه إلى بيعها في مراد عنى هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى كانت تعمل بذلك على قينة القرصة لتكون طبقة من ملاك الأراضي يستطيعون اليهودي بأعباء المناصب البلدية.^(٩٠)

ويبدو أن امتلاك قطعة من الأراضي الزراعية كان مطلباً عزيزاً ينتطع إليه عدد كبير من الجنود المسرحين وأمثلاً يسعون إلى تحقيقه، ويمكن الاستدلال من إحدى البرديات^(٩١) التي ترجع إلى عام ٢١٧ بعد الميلاد على هذا التوجه القوي إلى امتلاك واستثمار الأراضي الزراعية من

جانب الجيش سواء أثناء خدمتهم العسكرية أو بعد تسريحهم منها، فتحتوى هذه البردية على بيان بأسماء ملاك الأراضي في قرية فيلادلفيا قام بإعداده سكرتير القرية، ويتضمن هذا البيان ١٦٧ اسماً لمؤلاء الملاك المقيمين في القرية، منهم ٢٠ من الجنود المسرحين، و ١١ من الجنود، وبالتالي فإن العدد الإجمالي يكون ٣١ وهذه نسبة عالية تقارب ٢٠% من مجموع ملاك الأراضي الخاصة في زمان هذه القرية.

ويبدو أن الإصلاحات العسكرية التي قام بها الإمبراطور سبغوروس جعلت الجنود على ثقة من منحهم في نهاية مدة خدمتهم قطعاً من الأراضي أو مكافآت جيدة من المال تكفيهم لشراء قطعة أرض ولإقامة المسكن اللازم لتكوين أسرة لهم، وعلى ذلك أظهر كثير من الأفراد رغبهم في الالتحاق بصغوف الجيش، ففي رسالة شخصية^(٩٢) من سيده "إيزيس" إلى والدها في فيلادلفيا في القيام بخبرها بسلامة وصولها إلى الإسكندرية ثم تضيف قائلة:

"إذا كان آيوني يريد الانضمام إلى الجيش دعني أتي (إلى هنا) فجميع يلتحقون بالجيش"

LL. 9-10: καὶ ἐὰν θελήσῃ Αἰῶν στρατεύσασθαι,
ἐρχέσθω· στρατεύονται γὰρ πάντες.

تدل هذه العبارة إذن على وجود زيادة في الإقبال على التحيد والامتيازات والحوافز التي تنتظر المجندين كان لابد أن تكون مغرية ومن ثم فإن الالتحاق بصغوف الجيش كان بوابة المرور إلى طبقة الرأسماليين الزراعيين في القرى والأقاليم المصرية.

الهوامش

(١) وردت هذه الكلمة بصيغتها المتعلقة في عدة الإبيدولوجوس

BGU., V. 1210=Gnom. Art. 35,55,56,111, P. Oxy., 1666, III cent. AD.

(2) BGU., 696. 1-28, P. Oxy., 1022, W. Chr., 453, P. Oxy., 1451, 175 A.D., Introd. P. 152, Phil., Ep., x, 30.

(٣) لوحد مجموعة متنوعة من النصوص وثائق وشرائع اجتماعية متعددة والغدا منها البات وصيغة اجتماعية يرتب عليها النصح بمقولي وامبارات بعضها، والنصح العسكري تمكن أن ينصح له الحدود والحدود للبرجون أكثر من مرة ولكل منها هدف معين. أنظر:

P.Oxy., 1451; Introd. P. 150, BGU., 143, Sel. pap., 315, S.B., 9228, 160 A.D., O.W. Reinmuth, The Prefect of Egypt from Augustus to Diocletian, Leipzig, 1935, P. 123; A.C. Johnson, Roman Egypt, An Economic Survey of Ancient Rome, ed. By T. Frank, vol. 2, Baltimore, (1936), p. 249-251, C. Nelson, Status Declarations in Roman Egypt, BASP., 19, (1979), p. 44-45.

فاروق القاضي، "لواطون الرومان في مصر في نهرين لأرب والى الميلادين"، مجلة مركز الدراسات القومية،

الجلد الخامس، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٨٣ حسن الإبراري وحسن يوسف، تاريخ مصر

الاجتماعي والاقتصادي في عصر الرومان، القاهرة ٢٠٠٤، ص ٩٤ ومبدع

(٤) See Ulp., Dig., I, 17, 1, H. Last, "The Praefectus Aegypti and his Powers" J.E.A., 40, 1954, pp. 68-73, A.H.M. Jones, "Procurators and provinces in the Early Principate", Studies in Roman Government and Law, Basil Blackwell, Oxford, 1969, pp. 121 ff.

عبد المنعم أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأورق البردية، دار النهضة، القاهرة، ١٩٦٥،

ص ١٧٦-١٧٧

(٥) P. Oxy. 1022=Sel. Pap., 421, 103 A.D.

(٦) Ibid. LL: [C.] Minucius Italo [s] Celsiano suo sal[u]tem. Tirones sexs probatos a me in coh[orte] cui praees in numeros referri iube ex xi kalendas Martias:

وهذه الكنية كانت ترابط في أوكتوبيرجوس حوالي نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني. أنظر

J. Lesquier, L'Armée Romaine d'Egypte d'Auguste à Diocletien, Mem. IFAO., L. XLf, (1918), p. 91.

(٧) B.G.U., 696=Sel. Pap., 401, 156 A.D.

(٨) أبحاث بعض الوثائق البردية إلى التسجيل باللفظ.

"Scribere" in P. Mich., VII, 432, L. 10 and "referre" in P. Oxy., 1022=Sel. Pap. 421, L. 6.

(٩) P.S.I., 1063, L.L. 1-14, 117 A.D.

(١٠) P.Oxy., 1666, III Cent. A.D.

(١١) كان يتم الاستعانة أحياناً ببعض الشخصيات لمساعدة في حل هذه المشاكل ولذا كذا أصحابا لدى المستقلين،

لدى رسالة باللاتينية إلى قائد إحدى الطرق العسكرية من صاحب آخر يسدكي فيها 4 commendarare L. أحمد

أصفهانه لدى عبد القادر من أجل أن يحظى بالقبول وبإعجاز للهمة التي يسعى من أجلها. أنظر

Sel. Pap., 322. 2nd cent. A.D.

(¹²) See P. Oxy., 1451, Introd., P. 150.

(¹³) B G U., 142=W. Chr., 455

(¹⁴) Gnom., pt. 55.

Εάν αἰγυπτί[ο]ς λαθὼν στρατεύσῃται(ι ἐ)ν λεηῶνι, ἀπολυθ[ε]ις
[εἰ]ς τὸ
Αἰγυπτίον[υ] τάγμα ἀποκαθίστα(ι) ὁμοίως δὲ καὶ οἱ ἐκ [τοῦ] ἑρε-
τικού ἀπ[ο]λυθέντες ἀποκαθίστανται πλὴν μόνων τῶ[υ] ἐκ
Μησινῶν [σ]τόλου.

(¹⁵) R. Taubenschlag, The Law of Greco-Roman Egypt in the light of the Papyri, 332 B.C.- 640 A.D. 2nd ed., Warszawa, 1955, p. 475.

ولكى على، مقلة الإيدولوجى، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٢٥

(¹⁶) Yana le Bohec, The Imperia. Roman Army. Translated by Raphael Bate, routedge, London and New York, 2001, p. 87 ; R. Taubenschlag, op. cit., 621, J. Barm, Three Fayum Papyri, Chr d. Eg 24, 1949, p 296ff, No. 2.

والفر. هـ. لفرس بل، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى، راحة و صدقة عبد العظيم أحمد عطى، دار
الهيئة العربية، بيروت، ١٩٧٣، ص ٩٢ والفراش، سيد أحمد الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الساسي
والطندارى، ط ٢، دار النهضة العربية، القاهرة (١٩٩٩)، ص ٩٩

(١٧) مصطفى العبادى، ارجع لى، ص ٢٠٧-٢٠٨ قرون ثمانى، ارجع لى، ص ٧٣-٧٧، فوزى
مكاوى، الشرق الأدنى في عصرى الفيلسوفين، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٧٥-٢٧٦

(¹⁸) N Lewis, Life in Egypt under Roman Rule, Clarendon Press, Oxford (1983), p 27-28.

جورجيف هرون، دوميت ديبيل، اسوله وانوساب في مصر، ترجمه فواد الدعا، مراجعة وكية طيسزادة،
دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٢٥، مصطفى العبادى، ارجع لى، ص
٢١٠.

(¹⁹) LL. 27-29.

Γαίος Τουλίου Σαβινιανός στρατηγός λεγεωνός δευτέρας καὶ εἰκοστής κεντέρας
βίου Σεουήρου οὐ δυνάμενος τὸν εἰς τὴν χώραν
ἀναπλῶν ποιήσασθαι διὰ τὸ ἐν στρατείᾳ εἶναι συγίστημι τὸν ἡλε- υθ
ερωμένον ἐπ'
ἐμοῦ πρὶν τῆς στρατείας τότε χρηματίσθω
Πτολεμαῖος Πτολεμαίου Φυλαξίθαλάσσιος ὁ καὶ Ἰαλθεσιεύς

(²⁰) CIL. III, 6580.

(²¹) See: CIL. III, 6627, 6580; P.Oxy., 1471, 81 A.D.L. 5, Danny, D and Nicholas, P.
Hadrian's Empire when Rome Ruled the World, Hodder, Great Britain, (2005), p. 157,
Richard Alston, Soldier and Society in Roman Egypt, Routledge, London and New York,
(1995), p. 40.

مصطفى العبادى، ارجع لى، ص ٢٠٥، وهامش رقم ٣، ص ٢٠٦ بشرى إلى أبو غو، من نصف الخمسين في
الفرقة الرومانية الثالثة الأوغسطية يذكرون أهم من مواليد العسكريات

(²²) CIL, III, 6580.

(²³) P S I., 1026, Col. C, IL 9-33, 150 A D; see: O.W. Reinmuth, op. cit. p. 123; N. Lewis, op. cit. p. 21.

(٢٤) عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق الرديئة، دار النهضة، القاهرة (١٩٦٥)، ص ١٩٠ وما بعدها.

(²⁵) Strabo XVII, 1, 12.

(²⁶) Yann Le Bohec, The Imperial Roman Army, Translated by Raphael Bate, Routledge, London and New York, (2001), pp 78ff; tables, No. 16; 19; 30.

(²⁷) BGU, IV, 1083, before 41 A.D.

(²⁸) Musée d' Alexandrie, inv No. 2577 ed. by Abdulatif A. Aly, "A Latin Inscription from Nicopolis", Ann. Fac. Arts, Ain-Shams Univ, III, (1955)" pp. 113-146.

(²⁹) CIL, III, 6627; BGU, IV, 1083.

(³⁰) CIL, III, 6580, 194 A D; A. A. Aly, A Latin Inscription from Nicopolis.

(³¹) CIL, III, 6627, Augustus age.

(³²) CIL III, 6580.

(³³) BGU, IV, 1083.

(³⁴) A. A. Aly, A Latin Inscription from Nicopolis, CIL, III, 6580.

(³⁵) BGU, IV, 1083.

(³⁶) Musée d' Alexandrie, inv No. 2577, 157 A D.

(³⁷) Yann, op. cit. p. 87; O.W. Reinmuth, p. 126.

(³⁸) CIL, III, 6580.

(³⁹) See for example: Sel. Pop., No. 401, 156 A. D.; P. Mich., III, 159, 41-68 A.D.; R. Alston, op. cit., pp. 21-22; R. Taubenschlag, op. cit. p. 621.

هد إندوس بل، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ترجمة عبد اللطيف أحمد علي، ط ٢، بيروت، ١٩٧٣، هامش ٢.

(⁴⁰) R. Alston, op. cit. p. 21; see also Yann Le Bohec, op. cit. p. 93.

(⁴¹) Strabo, XVII, 1, 12.

(٤٢) هوسرد، د. فاليل، المرجع السابق، ص ٣٣٤، وعن إجمال عدد القوات العسكرية في مصر، يرى عبد اللطيف أحمد علي، أنه من المسير تقدير عدد جود الجيش الرومان في مصر في وقت معين، ولكن لسببه يرى أنه لم يسرد في ١٧ ألف أو ١٨ ألف بعد عام ٢٣ م، على أن غيره من العلماء يعتقد استناداً إلى الوثائق المكتشفة حديثاً أنه كان يزيد على هذا العدد، وأنه كان يوجد بمصر وحدات عسكرية أخرى لم يذكرها استرابون، انظر عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية، ص ٤٥-٤٦، وهد إندوس بل، المرجع السابق، ص ٩٢، هامش ٣.

ويذكر مصطلحي العبادي، أن إجمالي العدد في عصر أغسطس ٢٢,٨٠٠، ثم خفض ١٦,٧٠٠ في عصر نيروس، ثم خفض أخيراً في القرن الثاني إلى ١١,٦٠٠ حدى، مصطلحي العبادي، الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، دار المعرفة العلمية، ١٩٩٩، ص ١٥٩ ويرى ويكارد السنون بعد دراسته لبعض القنوش، أن العدد الإجمالي قبل عام ٢٣ كان حوالي ٢١,٠٠٠ وفي عام ٨٣ كان ١٥,٠٠٠، وفي عهد تراحيان كان ١٦,٥٠٠ وفي القرن الثاني كان حوالي ١٢,٠٠٠ حدى. R. Alston, op. cit. p. 32.

(٢٣) BGU., 696^{se} Sel. Pap., 401, 165 A.D.

(٢٤) See P. Fouad I, 21, 63 A.D., 28, 59 A.D., BGU., 180, 172 A.D., Sel. Pap., 315, 188 A.D.: 85, 189-194 A.D., R. Taubenschlag, op. cit., p. 105, N. Lewis, op. cit. p. 20.

(٢٥) Danny, D. and Nicholas, P., op. cit. p. 157

(٢٦) R. Taubenschlag, op. cit. p. 621.

(٢٧) Sel. Pap., 315, 188 A.D.

(٢٨) See P. Oxy., 39, 52 A.D.

حيث يتضمن تسريحاً بسبب مرض عضوي لبعض يدعى أريفلون بن ديسيبوس من أكسيونفوس الذي التحق بالخدمة العسكرية، ولكنه لم يستكمل مدة خدمته بسبب إصابته بمرض عذمة عدسة العين وقصر النظر، لذا تم تسريحه من الخدمة العسكرية بواسطة الزاوي بعد أن حصل أمامه للفحص العسكري في الإسكندرية

L. 5-6 ἀπελύθη [τ]ο [να]ου Θιερργιλίου

Καπίτων[ος] του ηγεμονος

L. 11: ἐπεκρίθη (η) ἐν Ἀλεξανδ (ρεία).

(٢٩) See Berger, Encyclopedia Dictionary of Roman Law. Tran. Amer. Phil. Soc., vol. 43, Part 2, 1953, S.V. *Diploma Militare*. O.W. Reinmuth, op. cit. p. 124-5, H. Nesselhauf, *Diplomata Militaria* CIL., XVI, 1936. R. Taubenschlag, op. cit. p. 621.

وعند اللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة، بيروت ١٩٧٠، ص ١١٧-١١٨، وهامشي ٣. حيث يذكر أن الجنود المسرحين من الفرق الرومانية (*Legiones*) فلم تغير العادة على منحهم براءات عسكرية بعد عشرين عاماً من الخدمة حيث أنهم في الأصل رومان لأنه لم يكن يحق في الفرق سوى الرومان وإذا كان قد عرما على عدد قليل جداً من البراءات العسكرية المنوطة بجنود الفرق، فإنما قد منحت لهم في ظروف استثنائية أو غير عادية^{٣٠}.

(٣٠) See Yann Le Bohec, op. cit. p. 93: 98

(٣١) دونالد دادلي، حصار روما، ترجمة جميل يواكيم وفاروق فريد، مراحمة محمد عفيف عطاف، دار قسعة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٩، ص ٢٢٤-٢٢٥ م ب تشارلز رورت، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة مصري عبده حرجس، مراحمة محمد عفيف عطاف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص ٥٣

(٣٢) Yann Le Bohec, op. cit. p. 101.

(٣٣) BGU., 423, 27^{se} Sel. Pap., 112, 113, 2nd cent. A.D.; P.W. Pestman, *The New Papyrological Primer*. E. J. Brill, Leiden, New York, 1990. No. 38, 39: 50; P. Mich., 8, 468: 491, II cent. A.D.; O.Oxy., 1451, 175 A.D.; Itrod.

(³⁴) BGU., 423, = Sel. Pap., 112, 2nd cent. A.D.

(³⁵) P.W. Pestman, op. cit. No. 39, n. 24.

(³⁶) BGU . 2. 632.

(³⁷) P. Mich., 491 = Sel. Pap., 111 2nd cent. A.D.

(³⁸) Philon, in Flac., 163.

وأشارت وثيقة بردية إليه باسم "اسطول الإسكندرية الإمبراطوري" أنظر.

P.Oxy., 1451, 175 A.D., l. 14

ἐπάρχου στόλου Σεβαστοῦ Ἀλεξανδρίνου

(٥٩) ج. هوسون و. د. غاليل، المرجع السابق، ص ٣٢٧-٣٢٨.

(⁴⁰) P. W. Pestman, op. cit., No. 38, early 2nd cent. A.D.

(⁴¹) R. W. Davies, "The Enlistment of Claudius Terentianus", B.A.S.P., 10, 1973, pp. 21-25.

(⁴²) Sel. Pap., 113, II or III cent. A.D.

(⁴³) Yann Le Bohec, op. cit. p. 64

(⁴⁴) Ibid., Table 30 in p. 101.

(٦٥) ج. هوسون، المرجع السابق، ص ٣٣٥

(⁴⁶) N. Lewis, op. cit., p. 20.

مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى فتح العرب، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٠٣، وفاروق القاضى،

المرجع السابق، ص ٧٧

(⁴⁷) Yann Le Bohec, op. cit. p. 81.

(⁴⁸) BGU. 140 Sel. Pap., 213, 119 A.D.; P.W. Pestman, op. cit., p. 138; R. Taubenschlag, "The Imperial Constitutions in Papyri", J.J.P., vol. VI, 1952, p. 141.

(٦٩) عبد النظيم أحمد على، مصر والإمبراطورية الرومانية، دار النهضة، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٩٠-٢١١.

والصادر والمراجع التي أشار إليها. وعن السياسة القانونية لحادريان وإصلاحاته، أنظر

Fritz Pringsheim, "The Legal Policy and Reforms of Hadrian" J.R.S., 24, 1934, pp. 141-53.

(⁷⁰) See P. Mich. III, 159, 41-68 A.D., Mitters, Christ., No. 372, 117 A.D. = P.W. Pestman op. cit., No. 28; Lesquier, J., op. cit., pp. 268-70.

(⁷¹) Yann Le Bohec, op. cit. p. 82; and table 19 in P. 86; R. Alston, op. cit., p. 40.

(⁷²) N. Lewis, op. cit., p. 21.

(٧٣) م. روستنغرف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الإحصاء والاقتصادى، ترجمة زكى على، محمد سليم سام،

القاهرة ١٩٥٧، ص ١٨٦

(⁷⁴) Danny and Nicholas, op. cit., p. 160-161.

(75) P. Mich. IV, Pt. I, Tax Rolls form Karanis ed. H.C. Youtie, Ann Arbor, 1936, Nos. 223-225;

هوسون وفانيل، المرجع السابق، ص ٣٤٢.

(76) P. Mich., 225, 174 A D.; 428, 154 A.D.; S.B., 7427; P. Mich., 364, 385, 386, 422-426, S.B., 7360; 7361; P. Oxy., 62, 4595.

(77) P. Mich. 174, P. Wisc., 33, 34, B.G.U., 1896; P.S.I., 877.

(78) P. Wisc., 34; P. Mich., 174.

(79) P. Wisc., 34., L. 3-4.

(٨٠) سيد أحمد الناصري، المرجع السابق، ٣١٦-٣١٧. وتضمن بردية نشرت حديثاً في مجموعة نوكرينجوس نصي على رسالة من أحد الأباطرة (روما سيموس سيفروس) إلى الإسكندرانيين يطلبهم بمرالته هم، بعد أن تم تعبهم إمبراطوراً بواسطة الجنود الشجعان (γενναίοι).

P.Oxy., 4592, L. 6-7 Κεχη[ι]ποτον[ι]μενος] μεν
αυτοκράτωρ υπο των γενναίωντα[ι] (ων) στρατιωτων.

(٨١) م. روستوف، المرجع السابق، ٤٧٦-٤٧٧. سيد أحمد الناصري، المرجع السابق، ص ٣٢٢.

(82) See N. Lewis, op. cit., p. 21, Yann Le Bohec, op. cit., p. 219.

حيث يذكر الباحث الأخير أن ذات إحدى ذ في عهد الإمبراطور ووهبات إلى ٣٠٠ دينار سنوياً، وفي عهد الإمبراطور سيفروس حو في عام ١٩٣، نرح مثله ثلاث أرقام ٤٠٠، ٤٥٠، ٥٠٠ دينار سنوياً، وأنه يستدل الرقم الأوسط.

(٨٣) هيلي سيل المثال أوريليوس كالوريوس أبوليني، بعد خدمته العسكرية في أحد الفرق الرومانية، وتسريحه تم تعبته في منصب لشرف هي الإيديولوجوس. بعد عام ٢٠٩ ميلادية. راجع:

IGRR I, 1107, CIG II, 3751; P.R. Swamey, The Ptolemaic and Roman Idioslogos, Toronto, 1970, pp. 129-130.

(84) Yann Le Bohec., op. cit., p. 81;

وسيد أحمد الناصري، المرجع السابق، ص ٣١٨.

(85) See A.H. Johnson, op. cit., p. 673.

(86) W. Chr., No. 461, 200 A D.; A.H. Johnson, op. cit., No. 413, p. 680.

(٨٧) هذا آتبه سياسة الظلة الأوائل بخصوص مع الجنود اليونانيين أراضي ليقبوا عليها ويمشون من رهبانها باستثمارها بطريقةهم الخاصة وقت السلم. أنظر محمود إبراهيم السعد، تاريخ وحضارة مصر في العصر البطلمي، القاهرة ٢٠٠٩، ص ٨٤.

(88) N. Lewis, "So diers Permitted to own Provincial Land", BASP., 17, 1980, p. 148.

(89) BGL 156-W Chr 175; A H Johnson, op. cit., No 97, 201 A D.

(٨٩) محمد فهمي عبد البقي، "الوضع القانوني للأراضي في مصر في عصر الرومان حتى القرن الرابع الميلادي"،

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد السادس والثلاثون، ١٩٨٩، ص ٢٥-٢٦.

(٩٠) P. Yale, 79, 217 A.D. see J. Oates, "Philadelphia in The Fayum during the Roman Empire", XI Cong. Int. Pap., Milano, 1966, p. 454 ff.

و فاروق اللاص، لواطون الرومان في مصر في القرنين الأول والثاني الميلاديين، مركز الدراسات البردية، المجلد

الخاص، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٧٨-٧٩.

(٩١) BGU, 1680 = Sel. psp., 134, 3rd Cent. A.D.

ARCHIVE

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١ - المصادر الأدبية:

- Philo, in Flaccum, 163.
- Pliny The Younger, Epistulae, x, 30.
- Strabo, XVIII, I, 12.
- Ulpian, Digesta, I. 17. 1.

٢ - النقوش:

C.I.L. = Corpus Inscriptionum Latinarum.

C.I.G. = A. Boeckh, Corpus Inscriptionum Graecarum.

- I.G.R.R. = Inscriptiones Graecae ad res Romanas pertinentes (R. Cagnat).

٣ - الوثائق البردية

- BGU, Aegyptische Urkunden aus den Königlich Preussischen Museen zu Berlin, Griechische Urkunden, Berlin, 9 Vols. (1875-2065).

- P. Fay., Fayum Towns and their Papyri, ed B. P. Grenfell, A. S. Hunt and D. G. Hogarth. London (1900).

- P. Fouad, Les Papyrus Fouad I. Ed. A. Bataille, O. Gueraud, P. Jouguet, N.

- Lewis, H. Marrou, J. Scherer and W. G. Waddell. Cairo (1939).

- P. Mich., Michigan Papyri, 11 Vols. Each Volume has a sub-title of its own, 193-1971.

- P. Oxy., The Oxyrhynchus Papyri. Published by the Egypt Exploration Society in Greco-Roman Memoirs-London ed. B. P. Grenfell, A. S. Hunt and others, 72 Vols (1898-2008).

- P. Ryl., Catalogue of the Greek and Latin Papyri in the John Rylands Library, Manchester, ed. A. S. Hunt, A. C. Johnson and others, 4 Vols (1911-1952).

- PSI, Papyri greci e Latini (Pubblicazione della Società Italiana per la ricerca dei Papi greci e latini in Egitto) Florence. Ed. Vitelli and M/ Norsa. 15 Vols (1912-2008).

- P. Tebt., The Tebtunis Papyri. ed B. P. Grenfell, A. S. Hunt and other. 4 Vols. (1905-1976).

- P. Wisc., the Wisconsin Papyri I, ed. P. J. Sijpesteijn, Leiden, 1967. (Pap. Lugd. Bat. XVI)

- P. Yale., Yale Papyri in the Beinecke Rare book and Manuscript Library vol. I ed. J.F. Oates, A.E. Samuel and C.E. Welles, New Haven and Toronto, 1967.

- S.B., Sammelbuch griechischer Urkunden aus Aegypten, Collection of documentary Papyri, Ostrac, inscriptions published in Journals or unindexed Catalogues, Begun by F. Preisigke 26 Vols (1912-2006).

- Sel. Pap., Select Papyri, London and Cambridge ed. A. S. Hunt and C. C. Edgar 3 vols (1932-1942).

ثانياً: المراجع والدوريات الحديثة

١ - المراجع الأجنبية

- A. A. Aly, A latin Inscription from Nicopolis. Ann Fac. Art-Shams Univ. III, 1955, pp. 113-149.

- Barns, J., Three Fayum Papyri, chr. D. Eg. 24, 1949, p. 296, No. 2.

- Berger, Encyclopedic Dictionary of Roman Law, Tran. Amer. Phil. Soc., vol. 43, Part 2, 1953.

- Danny, D. and Nicholas, P., Hadrian's Empire when Rome Ruled the World, Hodder, Great Britan, (2005).

- Davies, R. W., "The Enlistment of Claudius Terentianus", B.A.S.P., 10, 1973, pp. 21-25

- Fritz Pringsheim, "The Legal Policy and Reforms of Hadrian" J.R.S., 24, 1934, pp. 141-53.

- Johnson, A.C., Roman Egypt to The Reign of Diocletian, An Economic Survey of Ancient Rome, ed. By T. Frank, vol. 2, Baltimore, (1936).

- Jones, A.H.M., "Procurators and prefects in the Early Principate", Studies in Roman Government And Law, Basil Blackwell, Oxford, 1960, pp. 115-125.

- H. Last, H., "The Praefectus Aegypti and his Powers" J.E.A., 40, 1954, pp. 68-73.

- Lesquier, J., L'Armée Romaine d'Egypte d'Auguste à Diocletien, Mem. IFAO., L. XLI, (1918).

- Naphtali Lewis, *Life in Egypt under Roman Rule*, Clarendon Press, Oxford. (1983).
- "Soldiers Permitted to own Provincial Land", *BASP*, 17, 1980, p. 143-148.
- Nelson, C., *Status Declarations in Roman Egypt*, *BASP*, 19, (1979), p 13-45.
- Oates, J., "Philadelphia in The Fayum during the Roman Empire", *XI Cong. Int. Pap.*, Milano, 1966.
- Pestman, P.W., *The New Papyrological Primer*, E. J. Brill, Leiden, New York, 1990.
- Reinmuth, O.W., *The Prefect of Egypt from Augustus to Diocletian*, Leipzig, 1935.
- Richardd Alston, *Soldier and Society in Roman Egypt*, Routledge, London and New York, (1995).
- Swarney, P.R., *The Ptolemaic and Roman Idologies*, Toronto, 1970.
- Taubenschlag, R., *The Law of Greco Roman Egypt in the light of the Papyri, 332 B.C.- 640 A.D 2nd ed.* Warszawa, 1955.
- .. "The Imperial Constitutions in Papyri", *J.J.P.*, vol. VI, 1952, p. 121-142.
- Yann le Bohec, *The Imperial Roman Army*, Translated by Raphaël Bate, routedge, London and New York, 2001.

٢ - المراجع العربية:

- إيليرس - بل، *مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي*، ترجمة وإضافة عبد النطف أحمد على، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣.
- تشارلزورث، ب، *الإمبراطورية الرومانية*، ترجمة: رمزي عبده جرجس، مراجعة: محمد صقر حفاضة، افيتة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.
- حسن الإيباري وحسين يوسف، *تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في عصر الرومان*، القاهرة ٢٠٠٤.
- دونالد دادلي، *حصارة روما*، ترجمة: جميل بواقيم وفاروق فريد، مراجعة: محمد صقر خماجة، دار قصة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٩.

— دوستوف، م.، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادى، ترجمة: ذكى على، محمد سليم سالم، القاهرة ١٩٥٧.

— زكى على، مقلة الإيديولوجوس، القاهرة، ١٩٩٨.

— سيد أحمد الباصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والخصارى، ط ٢، دار النهضة العربية، القاهرة (١٩٩١).

— عبد الطيف أحمد على، مصادر التاريخ الرومانى، دار النهضة، بيروت ١٩٧٠.

— _____، مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية، دار النهضة، القاهرة (١٩٦٥).

— فاروق القاضى، "المواطنون الرومان فى مصر فى القربى الأول والثانى الميلاديين"، مجلة مركز الدراسات البردية، أحمد احمدسى، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٨.

— محمد فهمى عبد الباقى، "الوضع القانونى للأراضى فى مصر فى عصر الرومان حتى القرن الرابع الميلادى"، الجمعية المصرية لدراسات التاريخية، أحمد السادس والثلاثون، ١٩٨٩.

— محمود إبراهيم السعسى، تاريخ وحضارة مصر فى العصر البطلمى، القاهرة ٢٠٠٦.

— مصطفى المبادى، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى، القاهرة، ١٩٦٦.

— مصطفى المعبادى، الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطورى ومصر الرومانية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩.

— جونييف هوسون، دومنيك فاليل، الدولة والمؤسسات فى مصر، ترجمة: فؤاد الدهان، مراجعة: زكية طبويزة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥.

روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا (بلاد المغرب نموذجا)

بعد تدمير قرطاجة سنة ١٤٦ ق م ونحوها إلى ولاية رومانية أصبحت منطقة المغرب في أيدي الرومان، رغم ذلك لم يكن من السهل تحقيق احتلاله المنطقة، فلقد واجهت الرومان ثورات ومقاومات عديدة في مختلف أنحاء المنطقة. إلا أن الرومان أكملوا مسيطرتهم بتحقيق انتصارات على المقاومات وشرعوا في تحقيق قذنة المنطقة، وفي استكمال سياسة الإخضاع العسكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي أو ما يعرف بسياسة الرومنة

١ - السياسة الإدارية الرومانية في بلاد المغرب ودورها في سياسة الرومنة:

يجمع المؤرخون على أن الاحتلال الروماني لبلاد المغرب غمز منذ البداية بالتدرج والبطء، وبالتدرج نفسه التسمت به الإدارة الرومانية وأجهزتها في المنطقة في إطار تحويل الأنظمة الإدارية المغربية إلى أنظمة رومانية خالصة، والواضح أن السياسة الرومانية الإدارية تميزت في

بدايتها بالمرونة^(١)، وهي ضرورة تطلبتها التطورات السياسية الإدارية والعسكرية في كل مناطق الإمبراطورية، واقتضتها ضرورة تحقيق أهداف روما في بلاد المغرب، وهسي الأهداف التي تتمحور حول تكثيف الجهود لتثبيت السيطرة الرومانية، وبالتالي تمهيد وتثبيت القسيّة المغربية لتفعل الحصار الروماني بمختلف مظاهرها، أي قبول السكان لسياسة الرومة. ويرى عدد من المؤرخين أن أبرز وجوه المرونة الرومانية في هذا الميدان تكمن فيما يلي.

أ - اللامركزية الإدارية:

وتتمثل في عدم جعل مدينة مغربية خاصة للرومان تتمركز فيها السلطة الإدارية لكل المنطقة المغربية، وتحت سلطة مسؤول روماني واحد، وبالتالي اعتماد سياسة تقسيم المنطقة الخاصة إلى وحدات دائرية (مقاطعات) لكن معبى منطقة مستقلة وربطها بإدارة روما المركزية المباشرة. وهذا التقسيم تتضح أهدافه في أنه يمكن حكمهم من السيطرة عليها، وكذلك جمع الحماية المجتمعة وحماية المنتجات الزراعية وتصديرها إلى الرومان كذلك تسهيل عملية إحصاء العاصر الوطنية الثائرة على الرومان. إصالة إلى ذلك فإنه كان لهذه التجربة صلاحيات واسعة للحكم لاتخاذ الإجراءات السريعة والرائعة دون اللجوء إلى السلطة المركزية في روما. وكذلك فإن صغر مساحة الولاية كان يساعد الحاكم على معرفة كل دقائقها وعن كتب في شتى المجالات.

ويتضح من قراءة بسيطة لهذا النظام الروماني مدى حذر روما الشديد من تعرض مصالحها لأي خطر في هذه المناطق البعيدة عنها سواء كان خطراً محلياً وطنياً ضد مصالحها، أو خطر من قبل ولاية روما الطموحين في الانفراد بالسلطة في المنطقة المغربية، وبالتالي فهذه التجزئة كانت تهدف إلى ضرب طموح هؤلاء الحكام في التمرد ضد السلطة المركزية ورفضاً لاستقلال الجاليات الرومانية بأي مقاطعة^(٢).

ب - المناطق المدنية والمناطق العسكرية:

يلاحظ أن الرومان قد قسموا بلاد المغرب إلى نوعين من المناطق الإدارية وذلك حسب مدى توغل الفرد الروماني بها، ودرجة خصوص السكان لهذا النوع.

فالنوع الأول يتمثل في المناطق الأكثر أمناً وهدوءاً لأنه مضى على احتلالها زمن طويل و
في هذه المناطق يستبعد قيام أي ثورة ضدها فهي ذات حكم مدني تحت سلطة حاكم يتمتع
بالمصونية في مجلس الشيوخ . ولقد تمتع إقليم قرطاجنة بهذه الصفة المدنية ثم منقطعة نوميديا
الشرقية عندما تم تحويلها إلى ولاية رومانية جديدة لسنة ٤٦ ق.م.^(٤١)

لكن المناطق التي كانت نشطة عسكرياً ضد الاستعمار الروماني، فإنها تطلبت وجود نشاط
عسكري روماني، فاعتبرت مناطق عسكرية أو ولايات إمبراطورية كما عرفت خلال العهد
الإمبراطوري، ويشرف على هذه المناطق ضباط كبار يهيئهم الإمبراطور مباشرة دون مجلس
الشيوخ، وعارسون عملهم بتعليمات الإمبراطور.^(٤٢)

ويلاحظ أنه عندما تستولي الإدارة العسكرية نشاطها بالمنطقة أي عندما يسود الأمن
والاستقرار وتضعف الحركات الثورية الوطنية يتم إحلال الإدارة المدنية مكان الإدارة
العسكرية وبذلك يتضح دور سياسة التقسيم والعمل العسكري في تجسيد الرومنة في المنطقة
المغربية.

والظاهر أن هذه السياسة الإدارية المدنية والعسكرية تعود إلى يوليوس قيصر نفسه حيث
ظهرت في العهد الإمبراطوري بخلاف عند إعلانه عن إنشاء الولاية الإفريقية الجديدة في نوميديا
بعد نجاحه في الحرب الإفريقية^(٤٣)، عرض أن يصمم إلى ولاية إفريقية القديمة لأنه يظهر أن
نوميديا في نظره كانت تشكل منطقة غير آمنة ومن الضروري أن تعزل معزولة عن الولاية
القديمة التي سارت فيها سياسة الرومنة بشكل واسع، وحتى لا تصلها آثار الثورة الوطنية التي
كان حلفاء "يوبيا" يقومون بها . ويظهر أن سبب عداء قيصر للولاية القديمة يعود إلى المؤلف
الذي اتخذته حاليتها والسلطة الرومانية تجاهه أثناء حملته عليها، لذلك كان حزيناً ومرتاباً بها
ورأى ضرورة الفصل بينهما^(٤٤).

ولقد عين قيصر (Caesar) القائد "سالوست" لأن يكون على رأس الولاية الجديدة
وذلك نظراً لعداء "سالوست" الكبير لأتباع "بومبي" ومجلس الشيوخ، ودفاعه المستميت عن
الحرب القيصري و دوره في حملة قيصر على إفريقيا.

وبعد القضاء على ثورة "أرابيون" الوطنية ثبت قيصر أسس المستعمرات الإقطاعية التي
كافأها قيصر رجال "سيتوس" في نوميديا ليحسد بذلك سياسة الرومنة وبسبب ذلك انتقلت
حدود روما إلى ما وراء نوميديا غرباً^(٤٥).

وبالتالي كان هذا التقسيم الإداري قبصري الأصل، والهدف المبدئي منه هو تنظيم أساليب أكثر إيجابية لأهداف الرومان في المرحلة الأولى ويمكن مقارنتها بما حدث في كل من نوميديا وموريطانيا.^(٩٠)

ج - إفريقية البروقنصلية:

تتمثل في المنطقة التي ورثها الرومان عن القرطاجيين عام ١٤٦ ق م حيث كان نظامها مدنيا من المرحلة الأولى و النشاط العسكري كان فيها قليلا والسبب الذي جنب هذه المنطقة الإدارة العسكرية هو أن قرطاجنة كانت تتمتع في العهد القرطاجي بسلطة مدنية تعود الناس عليها فاستفاد منها الرومان كما استفادوا من الحضارة القرطاجية،^(٩١) إضافة إلى تغير الوضع السياسي بعد سقوط قرطاجنة ووقوف بعض المدد المستقلة إلى جانب الرومان كل ذلك أدى إلى تفكك عنصر الوحدة والتفكك القرطاجي معربي مما جعل الرومان يطمسوا إلى الإدارة المدنية لرومنة المنطقة بالمسيح.

ويؤكد المؤرخون أن نوميديا حليفة الرومان كانت الحامي الخلفي لولاية الرومانية حيث اعترفت روما بالأراضي القرطاجية التي صمها ممكة نوميديا إليها قبل سقوط قرطاجنة، خاصة وأن تلك المناطق الجبلية الصحراوية موطنا لقبائل يصعب انقيادها لسيطرة أجنبية فهي لا تعرف الاستقرار، ويصف أحد المؤرخين أن المملكة النوميديّة كانت أشبه بمنطقة عسكرية بالنسبة للولاية الرومانية وأن ملوكها الأوائل قاموا بتمهيد المنطقة لمستقبل كانوا مجهلون هويته لعدم وصول الرؤية العيدة لديهم حيث ساد جو سياسي مشحون بالظغائن، فاعتزوا الولاء للرومان أسلوبا وحيدا للمحافظة على المملكة النوميديّة وهو الأسلوب الذي جنب الرومان مشاكل كثيرة وعاد عليهم بفوائد سياسية واقتصادية عديدة.^(٩٢)

د - موريتانيا وازدواجية الإدارة فيها:

لقد ضم يوليوس قيصر نوميديا (Numidia) رسميا للممتلكات الرومانية سنة ٤٦ ق م وأصبح الملك الموريتاني، " بوكوس الثاني" حليفا للرومان الذين حققوا بذلك مكسبا إقليميا نحو الغرب وتسامح قيصر مع " بوكوس الثاني" بضمه الجزء الغربي من نوميديا، كما كالم على

دوره في حرب ليهو الإفريقية. واستمر بوكوس على نفس النهج الموالي للحزب القيصري إلى وفاته سنة ٣٣ ق.م، وبذلك قدم خدمات كبرى لمصالح روما منها حماية ظهر للولاية الجديدة. ويلاحظ أنه بعد وفاة بوكوس الثاني تم ضم المملكة الموريتانية مدة ٨٠ سنوات تحت الإدارة العسكرية بأمر من "أوكتافيوس" ليتراجع عن ذلك سنة ٢٥ ق.م عندما نصب "يوبا الثاني" ملكا على موريتانيا الموسعة والممتدة من حدود الولاية الجديدة إلى المحيط الأطلسي. ولم يعمل يوبا الثاني إلا على مساعدة لتغلغل الفوذ الرومان في موريتانيا بصورة أكثر مما كان عليه في نوميديا وبذلك استأنف "يوبا الثاني" مهمة "بوكوس الثاني" لكن بجذبة أكثر وإرادة أقوى لتحييد سياسة الرومنة، وتدل على مخلفات الملك "يوبا الثاني" وخليفته "بظلموس" (Ptolemaeus) في عاصمة الملكة شرشال (CAESARIA)^(١١).

والواضح أن دور "يوبا الثاني" قد حدد النعجة للموريتانية للرومان في جميع الميادين بل اعتبر "يوبا الثاني" مسؤولا أمام الإمبراطور على المصالح الإدارية والاقتصادية والعسكرية والرومانية في مملكته في حين كانت في عهد "بوكوس الثاني" نعية سياسية أكثر منها عسكرية أو اقتصادية.

وبذلك فإن موريتانيا (Mauretania) شهدت حكما مزدوجا بين ٣٣ ق.م - ٤٠ ق.م، فالحكم العسكري دام ثمان سنوات (٨٠)، وألحقت فيه بأملاك الإمبراطورية، والحكم المدني فظهر تحت عنوان المملكة الموريتانية امتد إلى نهاية "بظلموس" عام ٤٠ م حيث أعلن بعد ذلك الإمبراطور "كلوديوس" (Claudius) عن الفصل بين موريتانيا القيصرية وطعة، وأن كلا منهما منح ولاية إمبراطورية مستقلة عن الأخرى وذلك عام ٤٢ م وبذلك ظلت موريتانيا ضمن المقاطعات العسكرية التي يتولى أمرها الإمبراطور وحده إلى نهاية العهد الإمبراطوري الأول عام ٢٨٤ م^(١٢).

والراجع لدى المؤرخين أن إطالة عمر الإدارة العسكرية في موريتانيا مرده إلى صعوبة التحكم في المنطقة وأن الحكام المحليين لم يتركزوا من التمهيد للاستعمار الروماني الكامل، ويعمل المؤرخون ذلك بالحروب التي فرضها سكان السهول العليا "الجزائرية" والمرتفعات المغربية على الرومان مما فرض عليهم إبقاء الإدارة العسكرية إلى زمن متأخر^(١٣) بل إن

تراجع الليمس "المستعمرات الحدودية" (LIMES) الروماني شمالا إلى بحالة الطوارئ التي كان عليها الرومان أمام ضغط قبائل السهول والجلال إضافة إلى فقر المنطقة زراعيا.

ولقد لجأ حكام موريتانيا الرومان إلى أسلوب التحالف مع القبائل للمحدود لتروء خطرهما، وقد دلت على ذلك نقوش "وليلي" (VOLUBILIS) التي احتفظت بصوصى اتفاقيات مسايلة مع قبائل "البقات" (BOCATES) ^(١٥) والتي سكنت الحواف الجنوبية للمستعمرات الرومانية في السهول الداخلية. وعموماً لم يتجاوز التوسع الروماني في موريتانيا السهول الخصبة والسفوح الجبلية والمضارب المطنة عليها وهي المناطق الغنية زراعيا، وبما مدن وقرى مغربية قديمة.

٢ - السياسة الاجتماعية الرومانية في بلاد المغرب ودورها في سياسة الرومنة:

بملاحظ أن القوانين الاجتماعية الرومانية لسكان الولايات فمت على مبدأ الطبقة الاجتماعية، وعلى مبدأ عصري يجعل الإنسان الروماني في المرتبة الأولى بين مختلف الأجناس البشرية. ولقد صُحِّح مع ذلك لمختلف اعتمعات بالاندماج والارتقاء التشريحي وفق شروط معينة ووفق القوانين المتعقبة بدرجات المواطنة لتصل إلى درجة المواطنين الأصليين، رغم ذلك فالباحثون يؤكدون أن غموصا كبيرا يكتنف الحقوق والواجبات المتعارضة يوما من طرف المتتمتعين بصفة الرومنة والمؤكد قلة المعلومات المتعلقة بوضعية المتغاربة الاجتماعية في أواخر العهد الجمهوري وبداية العهد الإمبراطوري، فالتشريع الإداري الروماني لم يبرر لبلاد المغرب إلا في القرن الثالث الميلادي ذلك أن المهديين المذكورين لم يكن بهم أباطرة من إفريقيا إلا التزود بالمسجلات الزراعية، ودعم الاستقرار والأمن في إيطاليا وولاياتها الأخرى وبالتالي ثركت هذه الأمور الاجتماعية المغربية للحكام المحليين الذين اشغلوا بمجمع الثروة ليس إلا. ^(١٦)

ويذكر المؤرخون أن الأباطرة اهتموا بالطبقة الارستقراطية المغربية وشجعوا الاندماج في الوضع الجديد، وبالتالي تسمية النائر الروماني في المغرب مما أدى إلى ظهور طبقة أرستقراطية في المدن اشتهرت بولائها للرومان، وارتباطها المصلي معهم. أما الأغلبية فكانت تعيش على هامش حياة المجتمع الارستقراطي، وأبرز مثال على ذلك يتضح في أنه عشية سقوط قرطاجنة

سنة ١٤٦ ق.م لم تتم اللجة التشريعية المكلفة بهذه الولاية إلا بتحديد الولاية وتصب الحكام ووصع ترتيبات لعلاقة الولاية بالمدن الحرة الخليفة، وتنظيم الجباية^(١٧) وهي أمور ذات طابع استعمالي.

وهكذا ظل السكان عرضة لتصرفات الحكام الحرة حيث ألهم كثيرا ما أساءوا للسكان بدافع الخرص على الثراء السريع^(١٨) لأن السلطة المركزية بروما لم تمنح الحكام صلاحيات تشريعية. وهذا يدل على أن التشريعات الرومانية لم تكن قنم كثيرا بقضايا الشعوب الخاصة لها، اهتمامها بالشعب الروماني ومتطلباته وذلك رغم ضخامة التشريع الروماني في العالم فسوان حفظ شعوب المستعمرات منها كان ضئيلا.

ولستيج أنه ما عدا المنتخبين بصفة رومانية أو مواطنة لآتينية فإن جميع الشعوب الخاضعة للرومان في إيطاليا أو حارحها تعد في وصبة الأجانب الذين يخضعون لإدابة وإرادة الحكام الرومان في المعاملة والتسير وعلى هذا الموال كانت وصبة المغاربة خاصة خضلال قسرة التوسعات. ويلاحظ المؤرخون أن أهم عامل حرم المغربة من الحصول على حقوق مدنية تمكهم من التلرح نحو الحصول على إحدى صفي المواطنة الرومانية هو أن الذين لا يملكون أراضي من سكان الولايات يعدون في وصبة الأجانب وبالتالي كانت ملكية الأرض شرط أساسي للاندماج وباستثناء أراضي المدن الحرة فإن أغلب أراضي المنطقة كانت ملكا لكبار الملاك حيث يعددهم "بلينيوس الصغير" (Plinius Minor) بأن بأنهم كانوا فقط ستة ملاك يستحوذون على تراب إفريقيا في عهد الإمبراطور "نيرون"^(١٩).

وفي كل الأحوال فإن المغاربة بعضهم مهزومون بسب مشاركتهم في الحرب ضد روما، أو محاربون أجانب لم يشاركوا في الحرب فاعتبروا تابعين وأرضهم ملكا للشعب الروماني المتصر. وفي الحالتين لم يحصل المغربي على حقوقه المدنية ومن التسميات التي أطلقوها على المغاربة الخاصعين للإدارة الرومانية اسم "ستينديار" (STIPENDIAE) والتي اشتقت من ضريبة التعويضات الحربية التي يدفعها المملوون للرومان وبذلك طُعمت صفة المهزوم على المغاربة.

والواضح أن الولايات الجديدة الرومانية تمتعت باستقلال ذاتي وربطت زعماءها بعلاقات تحالف وحسن جوار^(٢٠)، ثم تمتعت باب الارتقاء الاجتماعي لأعيان ووجهاء المقاربة وبالتالي الحصول على صفة المواطنة الرومانية مقابل الولاء وخدمة مصالح روما. وكثيرا ما حصلوا على ألقاب رومانية وكل ذلك يندرج في إطار دعم سياسة الرومنة ونشر الرومنة ونشر رسالة روما الحضارية^(٢١) حيث لم تستفد الأغلبية الغربية من هذه الامتيازات ويلاحظ حوليان ذلك قائلا: "اعتمدت روما على ارستقراطية البلديات لتوطيد استعمارها لبلاد البربر مس دون أن تكثرت بالجماعات البربرية"^(٢٢).

وكذلك الجديدة فقد كانت مدخلا للمقاربة للحصول على صفة المواطنة لكن نظرا لطول مدتها ومحدودية قدرة الجيش الروماني على الاستيعاب، وحب المقاربة للحرية ورفضهم الخضوع جعل عناصر قبيلة مهم تدخل الجيش انظمي الروماني عكس الفرق المساعدة التي لا تخضع لهذه الشروط ولا تستفد بهذه الحقوق.

ويمكن حصر وضعية المقاربة بعد الاحتلال الروماني في

١- سكان الأرياف الغربية تدخل ضمن الحدود الرومانية يعيشون في وضع الأعداء الخاصين. وتجارهم داخل منشآت عسكرية رومانية حدودية (Limes) أو الحصون والقلاع و مستعمرات قدماء الجلود فكان بعضهم على اتصال بالرومان والبعض الآخر انزل في الجبال طلبا للحرية ورفضا للانتماء الروماني وشكلت هذه المناطق معقلا للثورة ضد الرومان.

٢ - سكان مهادنون سواء كانوا داخل الأقاليم الرومانية أو على حدودها فهم ارتبطوا مع روما بمعاملات سلم أو تحالف لتضعهم العسكري أمام روما.

٣- الفئة الأرستقراطية وهي سكان المدن الذين حصلوا على أراضي وعقارات فكانت قابلة للترويض والانتماء في الحياة الاجتماعية الجديدة، والارتقاء الاجتماعي لتبسط نفوذ روما في المنطقة^(٢٣) وأزاد عدد هذه الفئة أكثر خاصة بعد التشريعات الجديدة التي فتحت المجال واسعا لنزول سكان الولايات في المجتمع الروماني.

- السياسة الاستيطانية الرومانية في بلاد المغرب ودورها في سياسة الرومنة.

يؤكد المهتمون بدراسة الاستعمار الروماني في بلاد المغرب على الارتباط الوثيق بين هذا الاستعمار واستغلال الأرض، ويتأكد ذلك بالتواجد الكثيف للاستعمار الروماني في المناطق الزراعية الداخلية والساحلية، وما رافق ذلك من اعتناء بالشاطر الزراعي وظهور مدن زراعية داخلية مزدهرة الاقتصاد في الزراعة والتجارة، بل إن ازدهار الريف المغربي يعود، بحسب رأي عدد من الباحثين إلى كثافة الشاطر الزراعي الذي قام به الاستعمار الروماني في هذا المجال، وهو الاهتمام الذي جسده ظاهرة الاستيطان والعمران التي طبعت سياسة الرومان بطابع استعلائي.

وهنا لا يمكن التغاضي عن الاهتمام القرطاجي والمغرب بالنشاط الاقتصادي الملاحسي، والحضاري قبل الاستعمار الروماني الذي اتخذ من المدن الفلاحية القرطاجية والمغربية نواة للمستعمرات والمدن الرومانية بعد ذلك.^(٢١)

والمؤكد لدى المؤرخين أن الرومان لم يفتحوا أبواب الاستيطان ببلاد المغرب أمام الفلاحين الرومان واللاتين قبل عام ٢٣ ق.م. وهي السنة التي شكل فيها النائب الشمسي "جسابوس جراكوس" (G. Gracchus) من إقاع مجلس الشيوخ (SENATUS) بإنشاء أول مستعمرة رومانية بالقليم قرطاجة لايو ٦٠٠٠ من الملاحين الرومان في إطار المشاريع الإصلاحية التي تقدم بها هذا النائب^(٢٢). والواضح أن سياسة الاستيطان المظم لدى الرومان لم تنل الاهتمام الكامل في المنطقة المغربية، وذلك نظرا لتركيز سياسة الجمهورية الرومانية على تحقيق أمن المنطقة و به تضمن استمرار مصالح روما ببلاد المغرب، وتوفير الأوضاع التي تسمح بالاستغلال الجيد ثمرات المغرب الزراعية.

ولنلاحظ أن الرومان حاولوا الحفاظ على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والحضارية للمنطقة النابعة للرومان ببلاد المغرب ورغم ذلك فالمؤكد أن مجلس الشيوخ الروماني كان متحفظا في سياسته الإفرقية خاصة سياسة مشاريع الاستيطان مثل مشروع "جراكوس" وهذا التحفظ يتركز على سياسة التحالف مع الإمارات والممالك المحلية عن ضم تلك الممالك قبل قبضة كل الظروف لمنع أي فشل^(٢٣). من ذلك أن روما رغم انتصارها على يوحورطة (Iugartha) وتحصيتها الحسمة في هذه الحرب إلا أنها لم تعد حدودها على المملكة الوميلية

المهزومة رغم توفر أغلب شروط الظلم. وهذا ربما يفسر موقف مجلس الشيوخ، إضافة إلى تحكم الظروف الداحلة للسياسة الرومانية المقررة من قبل الشيوخ في المجال الحارحي. ويلاحظ أن عنصر الفلاحة جذب بقوة الرومان إلى الأرض فهي الأساس الذي تقوم عليه حركة الاستيطان وبالتالي يتمكن الفلاحون من استغلال أراضيهم بأنفسهم مباشرة دون الاعتماد على نظام الوكالة. (٢٧)

وزيادة على ذلك فإن وجود جموع الفلاحين الرومان في الأرض المغربية كان بإمكانه إيجاد بيئة اجتماعية رومانية تؤثر وتجذب الإنسان المغربي، وهو عامل هام في تجسيد الرومة بمدعم ويوسع سياسة الاستيطان الروماني.

والواضح أن هذه السياسة علاقة وطيدة بأوضاع روما الاقتصادية والاجتماعية. ويؤكد المؤرخون أن أهم مشكل دفع مجلس الشيوخ إلى تبني مشاريع الإصلاح الزراعي، وإنشاء المستعمرات خارج الوطن هي مشاكل صغار الفلاحين، ذلك أن الريف الإيطالي تعمر بشكل واضح باستحواذ الملاك الكبار على الممتلكات الزراعية وتنافس الممتلكات الصغيرة لحساب الملكيات الكبرى. (٢٨) وكان اندفاع الفلاحين الصغار نحو روما طبا للتمش واستغناء الملاك عنهم لحصولهم على أعداد كبيرة من العبيد تتبعه التوسعات العسكرية وبأقل تكلفة، وأمام فشل الإصلاحات الأولى بسبب قوة التيار المنتفع بالأراضي الذي أدى بحياة صاحبها تيرينوس جراكوس (Tiberius Gracchus) سنة ١٣٢ ق.م، فإن أحاده "جايوس" أحيا الفكرة من جديد، لكن بشكل آخر وهي نقل الرومان والإيطاليين إلى أراضي الولايات الرومانية وتنظيمها في شكل مستعمرات زراعية وبذلك ساهم "كايوس" في حركات التوسعات الكبرى للاستعمار الروماني على حساب الشعوب الخاضعة لهم. وبالتالي استراحت روما من الحسب السياسي والاجتماعي الخائض وقد كانت مستعمرة قرطاجة إحدى أهم المستعمرات التي استفاد من أراضيها ٦٠٠٠ مستوطن روماني وزع على كل منهم ما يعادل ٥٠ هكتاراً للمستعمر الواحد. (٢٩)

ورغم فشل أنصار هذا النهج الإصلاحى الزراعي في روما ونجاح التيار المعارض لهم من كبار الملاك الذين مارسوا شتى أنواع الصلوة على المستوطنين الرومان ببلاد المغرب لكسب

بتخلوها عن الأراضي التي وزعت عليهم لأغلبهم ظل متمسك بها. ولكن هذه الحركة الإصلاحية و سياسة الاستيطان الخارجي قد اتخذت أطواراً أخرى بحيث "بولبوس قيصر" إلى الحكم بعد انتصاره على أعدائه في إفريقيا، إذ أصبحت هذه السياسة سياسة رسمية، وتجلت في أمره ببناء مدينة رومانية على تراب قرطاجة "الملعون" معلناً بذلك عن حركة استعمارية جديدة، تجلت أكثر في خروجه عن سياسة التحفظ التي ميرت قرارات مجلس الشيوخ الروماني في استعمار إفريقيا، بحيث أمر "قيصر" ببناء خمسة أو ستة مستعمرات على إقليم قرطاجة وعلى الحدود الموميدية بدءاً من سنة ٣٦ ق.م، حتى بعد مقتل قيصر، وتم توسيع مساحة إفريقيا الرومانية حيث أصبحت تعرف باسم "إفريقيا القديمة" على حساب مملكة نوميديا التي ألحقت بالملكيات الرومانية والتي أطلق عليه اسم "إفريقيا الجديدة" وشملت الأراضي القرطاجية التي سيطر عليها خلفاء "مسيبسا" ثم إقطاعية "مسيبوس" شمال نوميديا^(٣٠)

وبذلك وضع "قيصر" حزاماً وقائياً من المستعمرات لحماية الولاية القديمة وتعد إقطاعية المرتقة "السيبان" أصحهم مشروع استعماري بهذه "قيصر"، ذلك أنهم وسعوا حدود إقطاعية على حساب أراضي المدينة غارون نحو مكينة (RUSITICAD) وميلة (MILEV) والقل (CHULLU) أي شمال وشرق وجنوب مرسى^(٣١)

ورغم ذلك اعتبر المؤرخون هذه الإقطاعية أنها خرجت عن طابع المستعمرات الرومانية. ذلك لأن مهمة هؤلاء المرتقة بحكم مواقعهم الحلي القنط إحصاء السكان والسهوض بالشايط السياسي والاقتصادي للإقطاعية وبالتالي لعبوا دوراً هاماً في سياسة الرومنة.

والواقع أن المؤرخين يؤكدون أن ولايتي إفريقيا قد استوعبت الكثير من المعمرين - الحدود المستوطنين - نظراً لأهميتها الزراعية التي غيرت بها الولاياتان، بل عد ذلك تعبيراً عن سخاء القيصر لجوده المحلصين لذلك حاد عليهم هذه الأراضي الخصبة.

إن المتبع لسياسة الاستيطان الرومانية ببلاد المغرب يجد أنها شهدت توفيقاً نسبياً بعد مقتل القيصر إلى غاية حكم "أوكتافيوس أوغسطس" أي عام ٢٩ ق.م وهي السنة التي تعوق فيها على حصومه وبدأ حركة الاستيطان من جديد بإرساله ٣٠٠٠ جندي من بلاد كيمستوطنين جدد إلى إقليم قرطاجة ثم إلى سواحل نوميديا الموريتاني، بحيث ظهرت مستعمرات رومانية

جديدة على طول هذا الساحل من المحيط الأطلسي إلى خليج سرت. ولقد قررها بعض المؤرخين بما لا يقل عن ٣٥ مستعمرة زهيدة على مستعمرات أنشئت في شرق نوميديا وفي الولاية القديمة. (٣٢)

ولقد ورد أغلبها في كتاب "بليوس الكبير باسم" موريتانيا الموسعة"، وتعود معظمها إلى الإمبراطورية أغسطس الذي ركز على إنشاء مدينة رومانية على أنقاض المدينة "البونية" مع الاحتفاظ بالاسم البوني لما له من سمعة كبيرة ولتل حضاري أكسب قرطاجة احترامها، وتقديرا لدى الرومان. وهدف أغسطس من هذا العمل هو إرجاع للمدينة قوتها وإشباعها الحضاري لكن على أساس المنبع الروماني، وبذلك تعكس قرطاجة الرومنة حضارة روما بذلك تعمل على تغلغلها في الوسط المغربي المتأثر حضارة قرطاجة القديمة ذلت المنبع الشرقي السامي، وهذه السياسة يحدد أغسطس سياسة الرومة في بلاد المغرب عمليا (٣٣)

والملفت للاهتمام أنه أزال عدة مدن مغربية قديمة سواء كانت في إقليم الولاية الرومانية أو إقليم الممالك المغربية، في حين اتبع سياسة التنبؤ والاستمارة تجاه المدن التي قبلت الاندماج في الحضارة الرومانية الوليدة ومثال ذلك استمارة سكان مدينة "طجة" حد ملكهم "بوغود" بمساعدة حليف الرومان " بوكوس الثاني" فصح سكان المدينة حقوقا رومانية، ونفس المعاملة لقبقتها " ليكسوس القديمة" (LIXUS) "شالا" (SALA) حصلت على حقوق لاتينية وحقوق مستعمرة رومانية أيام " كلاوديوس" عندما كثر بها العنصر الروماني، كذلك مدينة " ويليلي" العاصمة الثانية للمملكة الموريتانية، وذلك رغم عمقا الجغرافي وأصالتها المغربية فلقد وصلها المد الاستعماري الروماني وأسس بها مستعمرة زراعية رومانية في عهد الإمبراطور " كاليجولا" الذي ألغى المملكة الموريتانية، وبعد ذلك أعلن عن نجاح سياسة " بوبا الثاني وابنه " بطليموس" في إقامة مستعمرات قرب تلك المدينة (٣٤).

رغم ذلك فإنه يظهر وأن السلطات الرومانية قد اتبعت سياسة التردد إزاء القبائل المغربية منها المرونة إزاء قبائل موريتانيا القيصرية للحصول على لقبها والاطمئنان على المستعمرات، وذلك يعكس السياسة الرومانية الحذرة والجلدة، والتي اقتضت بعدم تغيير العلاقة القائمة بين المجتمع المدني والمجتمع الريفي، وبذلك على أراضي تلك القبائل بين أيدي أصحابها رغم ضم ممتلكات " بطليموس" وحاشيته (٣٥).

ولقد مكنت هذه السياسة إلى حد كبير من كبت الحركات الثورية بالمطقة في مهد مثل حركة " إيدمون" (AEDMON) الذي ثار ضد الرومان عقب مقتل "بطليموس" سنة ٤٠م^(٢٦)، بحيث لم يتمكن من تعبئة القبايل المغربية نظرا لما كان يربطها بالسلطة الرومانية من مصالح، ووجود مستعمرات تقدماء الجيود الرومان بالريف المغربي عرفل انتشار الثورات، إضافة إلى حملة أغسطس الكبرى على مورتانيا، وكذا سياسة إنشاء المستعمرات في أراضي الخلفاء ساعدت على تهديد مجتمعات هذه الأخيرة لسياسة الرومة.

وفي نفس الوقت تخلصت روما من مشاكلها الداخلية، ولقد تجلّى رد الفعل الوطني ضد هذه السياسة الرومانية في سلسلة من الاضطرابات لكن كلها انتهت بالفشل أمام قوة إرادة الرومان في تجسيد سياسة الاستيطان عن طريق بناء المستعمرات حول المدن الموريتانية الكبرى مثل "بول" (JUL) (ليصرية)، وسقا (SIGA)، وليني، وطحة، وليكسوس وغيرها، ولم تأت سنة ٤٠م حتى كانت أهم الأراضي الزراعية الموريتانية في حوزة المستعمرين الرومان^(٢٧)، وبذلك ألغيت مملكة مورتانيا، وتم تثبيت سياسة الرومة في بلاد المغرب

الهوامش

- ١ - محمد البشير حسبي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سباسة الرومة ١٤٦ق م - م ٤١٠ م) الطبعة المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - ١٩٨٥، ص ٧٥.
- ٢ - نفس المرجع ص ٧٦، ALBERTINI (E) FAfrique Ro. ١938. P 15 map.n Alger.
- ٣ - محمد البشير حسبي: المرجع السابق ص ٧٦.
- ٤ - نفس المرجع: ص ٧٧.
- ٥ - نفس المرجع. ص ٧٧.
- ٦ - هشام الصلدي، تاريخ الرومان، ج ١، ص ٢٩٧ وكذلك أنظر: عبد المصطفى أحمد عيسى، تاريخ الرومان، ص ٢٧٦-٢٧٧.
- ٧ - محمد البشير حسبي: المرجع السابق ص ٧٧.
- ٨ - شارل أندريه جوليان، تاريخ افريقية الشمالية، ج ١، تعريب كدشك أنظر: عبد المصطفى أحمد عيسى، المرجع السابق، ص ٢٤١-٢٤١.
- ٩ - محمد البشير حسبي: المرجع السابق ص ٧٩.
- ١٠ - شارل أندريه جوليان، المرجع السابق ص ٢٠٤.
- ١١ - محمد البشير حسبي: المرجع السابق ص ١٠٩-١٠٩-٨٠.
- ١٢ - شارل أندريه جوليان: المرجع السابق، ص ١٧٨-٢٠١.
- ١٣ - نفس المرجع: ص ٢٠١.
- ١٤ - AMINE A. BRIGON J. HISTOIRE DU MAROC, P30.
- ١٥ - IBID P32-33 - GSELL 87 ATLES ARCHEOLOGIAUE DE L'ALGERIE TOME2 ET - AMINE OP. CIT.P.33-37.
- ١٦ - ١٧ - محمد البشير حسبي: المرجع السابق ص ٨٨-٨٩.
- ١٨ - ١٩ - نفس المرجع ص ٨٩ وكذلك أنظر GSELL ST H A A. NP 47.
- ٢٠ - ٢١ - GAFROT (F) DICTIONNAIRE LATIN FRANÇAIS P ١479 IBID T6 P48.
- ٢٢ - محمد البشير حسبي المرجع السابق ص ٨٩، محمود إبراهيم السعدي، تاريخ وحضارة الرومان، السنداء الدولية، ط ١، القاهرة ٢٠٠٧، ص ٦١-٦٢.
- ٢٣ - شارل أندريه جوليان: المرجع السابق، ص ٢٠٤.

- ٢٣ - محمد البشير شبيب: المرجع السابق، ص ٩٤ - ٩٥.
- GSELL (ST) ATLAS ARCHEOLOGIQUE DE L'ALGERIE TOME 2 ET AMINE OP. - ٢٤
CIT. T. 7 P57.
- ٢٥ - IBIDEM وكذلك أنظر دارل أدويه حوليات المرجع السابق، ص ١٥٠.
- ٢٦ - ٢٧ - محمد البشير شبيب: المرجع السابق، ص ١١٨.
- ٢٨ - هشام الصعدي: المرجع السابق، ج ١، ص ١٠٤.
- ٢٩ - عبد المطلب محمد علي: المرجع السابق ص ٢٥ وكذلك أنظر هشام الصعدي المرجع السابق ص ٢٥١.
- MESNAGE J) RAN P 37. P101. - ٣٠
- GSELL ST) TS. OP. CIT P 161. - ٣١
- MRSNAGE P J) OP CIT. P 46. - ٣٢
- ٣٣ - محمد البشير شبيب: المرجع السابق، ص ١٣٣ - ١٣٤.
- CARCOPINO J) . LE MAROC ANTIQUE P 171. - ٣٤
- ٣٥ - محمد البشير شبيب: المرجع السابق ص ١٣٥، ١٣٥، ١٣٥.
- ٣٦ - نفس المرجع: ص ٣٥. []
- PONSICHE (J) R A TR P224 - ٣٧

المراجع العربية:

- ١ - محمد البشير الشبي - الاحتلال الروماني لبلاد المغرب - الجزائر - ١٩٨٥
- ٢ - محمد البشير شبي - التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني - الجزائر - ١٩٨٤
- ٣ - محمد البشير الشبي - التوسع الزراعي الروماني وظاهرة البداوة في الجزائر القديمة مجلة التاريخ تصدر عن المركز الوطني للدراسات التاريخية عدد ٢٣ - ١٩٨٤
- ٤ - هشام الصعدي: تاريخ الرومان الجزء الأول، بيروت، ١٩٦٧.
- ٥ - عبد المطلب أحمد علي - التاريخ الروماني وعصر الثورة - القاهرة ١٩٦٧
- ٦ - شارل أسبريه حول تاريخ إفريقيا الشمالية - الجزء الأول - ترجمة محمد مراني تونس - ١٩٦٩

المصادر والمراجع الفرنسية:

- 1- ALBERTINI (EU), L'AFRIQUE ROMAINE - ALGER
- 2- AMINE (A), BRIGNON - HISTOIRE DU MAROC, CASA BLANCA 1968.
- 3- GSELL (ST), ATLAS ARCHÉOLOGIQUE DE L'ALGERIE 2 VOLS ALGER 1911.
- 4- GSELL (ST) HISTOIRE ANCIENNE DE L'AFRIQUE DU NORD 08 TOMES PARIS 1928.
- 5- GAFIOT (F), DICTIONNAIRE LATIN FRANÇAIS - HACHETTE PARIS 1934.
- 6- MENSNAGE (P J) LA ROMANISATION DE L'AFRIQUE DU NORD PARIS 1913.
- 7- CORCOPINE (J) LE MAROC ANTIQUE, PARIS 1948.
- 8- PONSISICH (M) RECHERCHE ARCHEOLOGIQUE A TINGER ET DANS SES REGION, PARIS 1970.

ثورة القسطنطينية الشعبية عام ٦٠٢ م

«ما للأسى أن ترى مدينة اليونان والوفى تتحول إلى بحر من اخلاعات... وكما أن السار الكامة تحت كوم من هشيم لا تحتاج إلا لمحة لتتحول إلى آتون يحرق كل ما حوله، هكذا كانت المدينة التي ربض فيها الشيطان، لم يعوزها إلا من يشعل الفتنة فتحترق وتتحول إلى هشيم»^(١).

تلك كلمات رثاء جاءت على لسان كاتب سيرة القديس السالونيكى ديمتريوس St. Demetrius of Thessaloike أعيد ليلى ١٤ مدينة القسطنطينية وما حل بها من فتنة داخلية وحرب أهلية أنتجت في النهاية ثورة القسطنطينية الشعبية عام ٦٠٢م التي أهدت عصر الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م) وأدنت بميلاد عصر جديد هو عصر الإمبراطور فوكاس (٦٠٢-٦١٠). ويهدف البحث الحالي إلى عرض تفاصيل هذه الثورة وما صاحبها من عف ودموية ظاهرة، خاصة وأن أهميتها تكمن في كونها الثورة الأولى التي تنجح في الإطاحة بالخالس

على العرش البيزنطي. كما يهدف إلي تسليط الضوء على رد الفعل الشعبي، كما عكسه المصادر التاريخية البيزنطية، تجاه سقوط الإمبراطور موريس واعتلاء فocas العرش.

لاشك في أن سوء قدر موريس جعله يرتقي العرش البيزنطي بعد فترة عصية من لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية، فقد ورث عن حستيان وحلفائه إمبراطورية مثقلة بالغموم بعد استنزاف طاقاتها المالية والبشرية طيلة سبعين عاما منصرمة. فذلك الصرح الذي سعى جستنيان جاهدا، ومصحبا بكل طاقات الإمبراطورية، في سبيل إقامته^(١)، وهذه اغارات المصيبة من قبل حلفائه لإيقاظ الإمبراطورية، رغم تفاوت درجات مجاحها وفشلها^(٢) ولا شك أيضا في أن الحروب المتواصلة التي لم تغب عن سماء الإمبراطورية طيلة سبعين عاما، هذا فضلا عن تلك الأموال الطائلة التي دفعتها بمرنطة صاغرة لتكليف الحروب والسلام مع القبائل الجرمانية في الغرب والخطر الفارسي في الشرق واحتبح لفساد السلافية والآفارية بشه حرية البلقان شمالا^(٣). كل هذه الأعباء المالية شكت صمعا شديدا على خزينة الإمبراطورية، وأنتجت من ناحية أخرى فسادا إداريا واضطرابا في السياسات المالية للإمبراطورية.

بالإضافة إلي ذلك كانت هناك حدة من الاستياء العام تجاه السياسات المالية والفساد الإداري، الذي نتج عنه ظهور عصبة من المؤرخين، مرنشيين وحمعي، المصراين المتعصبين الذين شكلوا عبئا ثقيلا على سكان الإمبراطورية من المزارعين والتجار والصناع. ساهم في تقويضه استمرار الصراع المذهبي بين الإمبراطورية وسكان الولايات الشرقية. كما مثلت الرلازل والأربطة والطواعين، التي كان نصب الإمبراطورية مها كبيرا خلال هذه الفترة المرحقة، عاملا إضافيا زاد من حدة السخط الشعبي الذي بات مؤهلا للانفجار في أية لحظة في وجه حكومته التي أظهرت عجزا واصحا في التعامل مع المشكلات والأزمات المتتالية، والأهم في توفير قدر من الأمن لمواطنيها.^(٤)

وجاء موريس ليرتقي عرش إمبراطورية مثقلة بالمشكلات، ورغم ما تقع به من ممول إصلاحية ورغبة في التغيير، إلا أن اهتمامه الإصلاحي انصب على الجيش والإدارة العسكرية^(٥) دون أن يواكب ذلك إصلاح مالي واقتصادي، أو بعبارة أخرى دون محاولة السعي لإيجاد مصادر جديدة للتدخل تعوض عجز موارد الدولة والإلاس الخزانة. وسرعان ما اضطّر موريس

أما كثرة نفقاته العسكرية إلى تخفيف العبء عن الخزانة الإمبراطورية باقتطاع نسبة الربع من مرتبات الجند في عام ٥٨٧م، الأمر الذي أنتج سخط واستياء عارم بين صفوفهم، ولجأ الكثيرون منهم إلى ترك الجندية واللجوء إلى الأديرة والكنائس، مما دفع موريس إلى إصدار مرسوم يحظر فيه قبول الكنائس والأديرة للجنود العرايين، ومن تقليدهم وطائف دينية، مما أدى إلى تصادم البابا جريجوري الأول معه، حيث احتج البابا بشدة على قرار الإمبراطور، ورغم أن هذا القرار لم يدخل حيز التنفيذ، إلا أنه زاد من رصيد الاستياء ضد موريس، وأضاف فئة رجال الدين إلى جانب الجنود في هذا الأمر.^(٧)

على أن المصادر التاريخية البيزنطية تشير إلى أن السخط الشعبي العارم ضد موريس كان بسبب قيام خاقان الأفار عام ٦٠٠م بذيح اثني عشر ألف أسير من الجنود البيزنطيين مسبق أسره أثناء حروبه مع الإمبراطورية في جهة اللقاء، وقد أرسل الخاقان سفارة تعرض لإطلاق سراحهم مقابل قطعة ذهبية لكن حدي، فرفض موريس نحو الخزانة من هذه الأموال، فحفظها الخاقان إلى نصف قطعة ذهب للحي، غير أن موريس أصر على الرفض بالرغم من تدخل أعضاء مجلس الشيوخ لإقناعه بقبول دفع الفدية، وعندئذ عرض الخاقان على موريس إطلاق سراح الجندي بأربعة دراهم^(٨)، لكن الأخير رفض بشدة الفدية، وها ثار غضب الخاقان وأمر بقتل كافة الأسرى البيزنطيين دون رحمة.^(٩)

وتشير الحولية الفصحية Choronicon Paschale إلى أن اعتلاء فوقانس العرش ثم دون مقاومة ووسط ترحيب شعبي كبير، ويبدو أن هذا الترحيب برؤيته الأحداث السابقة على اعتلاء فوقانس العرش، فبعد عن الخسائات السياسية والمصالح الشخصية وتنافس الأحزاب السياسية-الخصر والفرق- نجد على المستوى الشعبي نوعاً من الاستياء تجاه تصرفات موريس في أواخر أيامه وفي هذا الصدد تشير المصادر البيزنطية إلى أن العامل الأساسي في إثارة هذا الاستياء هو رفض موريس دفع المال لقتل الأسرى البيزنطيين لدى خاقان الأفار، فيذكر نيقفور كاليستوس Nicephoros Kallistos أنه عندما "احتاج الخاقان مقدونيا وأسر عدداً لا يحصى من الجنود، وأصبح على مقربة من القسطنطينية، طلب فدية عن كل فرد حيه ذهب ولما استنقل موريس هذا الطلب ومنعه بخله من تلبية، استشاط الرجل غيظاً وقتل آلافاً بمعد

السيف. .. فكرهه جميع الناس وخصبوا عليه وراحوا يكيلون الشاتم له بسبب مصرع هذا العدد الهائل من الأسرى".^(١١) كذلك يشير حازر زوناراس Iouannis Zonaras إلى أن رفض موريس دفع فدية الأسرى جعله "مكروها من الجميع".^(١٢)

وقد عبر ثيوفانس عن رد الفعل الشعبي المستاء من تصرف موريس، بأن روى قصة شخص بارز ممن ارتدى مسوح الرهبان استل سيفاً وراح يحوب شوارع القسطنطينية من الميدان إلى البوابة الذهبية، وهو يهتف أمام الجميع معلناً بأن موت الإمبراطور قد بات وشيكاً وأنه سيفتل بالسيف. كذلك يذكر ثيوفانس أن مكعب موريس كان يسير في ضاحية Karpianos متجهاً إلى كنيسة يوحنا المعمدان للصلاة، فهاجمه حشد من العامة ولقدوه بالحجارة، وكاد الإمبراطور أن يصاب لولا أن ابنه ثيودوسيوس دفع عنه الأذى بجسده، الأمر الذي جعلهما مضطرين إلى العودة لمقصر وأداء الصلاة به. أما العامة فقد أتوا بهتف بشع موريس في هتته والسبوه عبادة سوداء ولجأوا من النوم وأحسوه على حمار وراحوا يظفرون به في شوارع القسطنطينية على ضوء المشاعل، وهم يسبون موريس بأفئط الشاتم ويطلقون صيحات السخرية وهم يقولون: "انظروا موريس، انظروا كيف بدأ". وبالطبع لم يترك موريس الحدث يمر دون عقاب حيث أمر بالقبض عليهم، وتم معاقبة الكثيرين منهم.^(١٣)

ولاشك في أن قتل هذا العدد الضخم من الجنود على يد عاقان الأكار أثار استياء موازيًا بين جنود وضباط الجيش البيزنطي، الذين حملوا هم أيضاً إمبراطورهم مسئولية ما حل بهم، وزاد من حدة هذا الاستياء أنهم رأوا أن قائدهم كومنتيولوس Komentiolus لم يحسن إدارة المعركة مع الأكار وعرضه لهزيمة ساحقة نتج عنها قتل الآلاف منهم، وفرار كومنتيولوس نفسه أثناء المعركة تاركاً إياهم يواجهون نفس المصير. الأمر الذي دفع الجيش إلى إرسال وفد منهم إلى موريس للقصاص من قائدتهم بتهمة الخيانة، وكان قائد المائة الاستراتيجوس فوقس أحد أعضاء هذا الوفد. ويبدو أن النقاش احتد بين فوقس والإمبراطور إلى حد أن اضطر أحد أعضاء مجلس الساتو إلى التدخل بتعنيف فوقس وإلزامه بأدب الحوار مع الإمبراطور.^(١٤) وقد كانت تلك هي المرة الأولى التي يظهر فيها فوقس على مسرح الساحة السياسية، ويبدو أن احتجاده في حضرة الإمبراطور أكسبه شعبية بين أفراد الجيش المنتمين من موريس، وجعلهم

يشعرون بأن فوقاس يمثلهم، أو على أقل تقدير يعبر عن آرائهم ومشاعرهم. ويبدو أن الخاكمة الصورية التي شكلها الإمبراطور خاكمة كومنيولوس، والتي لم تسع عن إدانة واصحة له لمراره من أرض المعركة، زادت من حدة الاستياء ضد موريس، الذي ظهر في أعينهم محاربا إلى جانب الخائن كومنيولوس.^(١١٦)

وزاد من حدة استياء الجيش من تصرفات موريس، أنه عين شقيقه بطرس Petros قائدا للجيش الإمبراطوري في الغرب، بما فيها جهة الدانوب، وعين كومنيولوس رئيسا لفرق الحرس الإمبراطوري المستولة عن حراسة أسوار القسطنطينية بما في ذلك القصر الإمبراطوري نفسه.^(١١٧) وكما يذكر موريش Norwich^{١١٨} أدى تحيز موريس لأقاربه أن عهد إليهم بوظائف تفوق حدود إمكانياتهم، مما جعله يضع على رأس جهازه الإداري رجال أقل كفاءة^(١١٩) ولا شك في أن أيا من بطرس أو سلفه كومنيولوس لم يبل شعبة أو حجة بين أفراد الجيش. وساءهم أكثر إصرار موريس على تصب هؤلاء قادة للجيش. فبطرس عين مرتين رئيسا لجيش الدانوب، المرة الأولى في عام ٥٩٩م ثم سوعات ما عزل عنها ظهر عثره عن إحراز أي تقدم يذكر على هذه الجبهة. لكن موريس لم يمت أن أعداءه نقبوا عنه عام ٦٠٢م.^(١٢٠) ومن ناحية أخرى لم يكن بطرس على نفس شحنة قائد مثل بريسكوس Petros، قائد جيش الدانوب (٥٨٨-٥٩٨م)، وهو القائد الكفء الذي عرف بحب الجند له وبمحسن تصرفه، والذي ظهر عندما ثار الجيش على قرار الإمبراطور بأن يقضي فصل الشتاء على حدود العدو، فقام بريسكوس بتهدئة الجند، واستطاع إقناع الإمبراطور بمحطورة تنفيذ هذا الأمر، مما دفع موريس إلى العزل عن قراره.^(١٢١)

ويبدو أن موريس لم يستغد من تجاربه السابقة، ولم يدرك طبيعة التلزم الذي يملأ صدور أفراد جيشه، حيث أصدر أمرا للجيش المرابط على حدود الدانوب بقضاء شتاء عام ٦٠٢م على الجبهة، وهنا تكرر رفض الجود للأمر، ولكنهم هذه المرة أرسلوا وفدا، كان فوقاس قائدا المائة أحد أعصانه، إلى بطرس قائد الجبهة، وأبلغوه رغبة الجود في قضاء الشتاء مع ذويهم. غير أن بطرس رفض طلبهم وأعلن إصراره على تنفيذ مشيئة الإمبراطور.. فما كان من الجود إلا أن أعلنوا الثورة ورفضوا فوقاس على التروس، وأعلنوا قاندا عليهم، الأمر الذي دفع بطرس

إلى مفارقة ساحة التمرد والإصرار بالعودة إلى القسطنطينية لينهي إلى الإمبراطور خسر تمرد جيش الدانوب.^(١٩)

وبما أن أمر موريس بأن يقضي جيش الدانوب فصل الشتاء على الجبهة هو السبب المباشر والشرارة التي أشعلت نيران الثورة، فلا بد من معرفة المبررات والاعتبارات العسكرية التي دفعت موريس إلى إصدار هذا الأمر. وأحد هذه الاعتبارات ذكرها موريس في مؤلفه العسكري "الاستراتيجون"، إذ يذكر أنه من خلال خبرته الطويلة بقبائل الأقباس والسلاف لاحظ أنها تلجأ في حروبها خلال الصيف إلى الاختباء وراء الأشجار الكثيفة، ومن ثم يصعب على الجيوش البيزنطية كشفهم أو النيل منهم، بينما يتيح لهم هذا الاختفاء مزية إطلاق سهامهم السامة على أعدائهم وإحراق خسائر كبيرة بين جنودهم، أما في فصل الشتاء فإن الصقيع والتلوج والأشجار المحروقة تجعل من السير تعقب آثارهم.^(٢٠) كذلك يرى سبرونينج Browning أن العامل العسكري والتكتيكي كان له اعتباراً في قرار موريس، حيث كانت الحالة على جبهة الدانوب في نفس مستمر، خاصة بعد أن عقد موريس معاهدة صلح مع الفرس عام ٥٩١م، وبالتالي أصبح حل اهتمامه موجهاً لجبهة الدانوب بعد أن آمن حدوده الشرقية.^(٢١)

ويبدو أن الجيش، المتلحز أصلاً من موريس، لم يعر اهتماماً لأية اعتبارات عسكرية قد يكون الإمبراطور قد رعاها عند إصداره هذا القرار، ورأى فقط أن دافع هذا القرار هو رغبة موريس في توفير نفقات جودقم وموغم. وكما يذكر ثيوفلاكتس Theophylact Simocatta أن رفض الجنود الأمر جاء بسبب "الغنائم ذاتها، وإغناك الخيل الشديد، وحشود البرابرة التي تعسكر قبائلهم".^(٢٢) يرى هيجينز Higgins أن الجنود شعروا بأن الإمبراطور يضحى بهم في أرض العدو، ويجعلهم عرصة للهجوم والقتل في أي وقت، وهلاك جسادهم في البرد القارس، وأن ذلك دفعه إلى الاعتقاد بأن حرص موريس على المؤن والنفقات كان أكثر من حرصه على سلامتهم الشخصية.^(٢٣) بينما يلعب نورويش Norwich إلى أن سبب رفض الجنود أمر ظلوا يحاربون مدة ثمانية شهور متواصلة على جبهة الدانوب، وبالتالي فقد بلغ منهم الإجهاد البدني والمادي مبلغه ولأنهم كانوا يدركون أن الغنائم التي أحرزوها لن يصبح لها

قيمة إلا بعد بيعها في الأسواق، وبالتالي فإن بقائهم طيلة الشتاء قد يتلف جانباً كبيراً من هذه الفئات، أو على أقل التقديرات سيخس من قيمتها ويؤخر حصولهم على قيمتها المالية.^(٢٤)

على أية حال، كان ثمود الجند على قرار موريس بمثابة ثورة حقيقية احتاحت العاصمة الإمبراطورية تستهدف الإطاحة بشخص الإمبراطور ذاته، ولاشك في أن هذه الأحداث كانت تمثل لقائد المائة الاستراتيجي فocas فرصة ذهبية لتحقيق طموحه بسالفقر على العرش الإمبراطوري، ولذلك أخذ من اللحظة الأولى لتمرّد جيش الدانوب يترك على الجند وهو ساخن، وراح يخطب في الجند محذراً إياهم من طاعة هذا الإمبراطور الذي أدى بصعفه وتراخيه في حكم البلاد إلى تشجيع العدو وإغرائه بالوثوب على ولايات الإمبراطورية، وأخذ يحثهم بأنه بات على عاتقهم تغيير هذا الوضع وإصلاح التلف الذي حل بالإمبراطوريتهم. وقد لاقت عبارات فocas الثورية صدى لدى نفوس أممات بالعداء والكراهية لموريس، ومن ثم كانوا مؤهلين تماماً للثورة.^(٢٥)

وبمجرد أن علم موريس من أخيه بطرس بأ ثورة جيش الدانوب، أسرع باستدعاء رئيسا حزبي الزرق والحضر ليستعين بهما عن عدد أفراد كل حزب، فسلم سرجيوس Sergius زعيم حزب الحضر لائحة تصم ألفاً وخمسمائة عضو، أما كوزماس Kosmas رئيس الزرق فقد قدم قائمة تضم تسعمائة عضو، فأسد إليهم موريس مهمة حراسة العاصمة، أما الأسوار فقد عهد بحراستها إلى القائد كوميتولوس وجده.^(٢٦) كذلك سعى موريس إلى محاولة تهدئة الجيش الثائر، الذي اتخذ طريق إلى القسطنطينية خلعاً، فأرسل ولدا لاستمالته، غير أن فocas رفض التفاوض مع الوغد، وأرسل من جانبه رسالة إلى ثيودوسيوس الابن الأكبر لموريس يعرض عليه عليه أن يتسلم مقاليد الحكم أو يسلمها إلى صهره جرمانوس Germanus.^(٢٧)

ويرى نورمان بير Norman Baynes أن رسالة فocas إلى ثيودوسيوس تدل على أنه لم يرغب في تغيير نظام الحكم برمه، وأن ثورته كانت موجهة ضد شخص موريس وليست إلى أسرته.^(٢٨) غير أن رسالة فocas ربما كانت تهدف إلى إيقاع الفرقة بين الأسر العائلية الإمبراطورية، وهذا ما حدث بالفعل، فقد تلقى ثيودوسيوس الرسالة أثناء وجوده في رحلة صيد بكاليكراتيا Kallicrateia، ولذلك بمجرد أن علم موريس بأمر رسالة فocas إليه حتى

أمر باستدعائه على الفور. كما أمر باستدعاء جرمانيوس إلى بلاطه صبيحة يوم ٢٣ نوفمبر، وأخبره بالتحريض على هذا التمرد، وعثا حاول جرمانيوس درء الاتهام عن نفسه، لكن موريس أنهى المقابلة بقوله: "دعك من الثورة يا جرمانيوس، ما أطيب الموت بعد السيف"، فادرك جرمانيوس الخطر المحدق به فلتجأ إلى كيسة العلراء، وعندما حاولت قوات موريس إخراجها منها بالقوة، نجح في الفرار إلى كيسة آيا صوفيا، وعندما حاصرها الحشد، لار عامة القسطنطينية وتجمعوا في ساحة الكيسة وهم يسبون موريس ويصفونه بأفبح الصفات.^(٣٩) على أن موقف موريس من جرمانيوس هو العامل الأساسي الذي أثار العامة، بل يمكن اعتباره الشرارة التي فجرت غضبهم، فبالإضافة إلى سياسة موريس الاقتصادية، وموقفه من الأمرى البيزنطيين، أوجدت معاركة التي استمرت نحو عشرين عاما مع الفرس والسلاف والأفار مشكلات مجتمعية كالتيتم والتمل والفقر.^(٤٠)

ويبدو أن رد فعل موريس تجاه جرمانيوس كان خطأ سياسيا قدح في ظل ظروف عصية، إذ أن موقف العامة أثناء حصار الجود كيسة آيا صوفيا أذبح الفرصة لاندلاع الفوضى وتزايدها بدرجة بات موريس عاجزا عن السيطرة عليها، ومن ثم رجد نفسه محاصرا من كافة الجهات، فحش الدانوب يحاصر القسطنطينية من الخارج في معنى حاد لعزله، والعامة في الداخل باتوا قاب قوسين أو أدنى من الثورة العامة. وزاد من تفاقم الأوضاع ترك حزبي الرزق والخصر مهمة حراسة المدينة وانصمامهم للنوار، بحيث راح الجميع يحرقون ويخربون مباني العاصمة.^(٤١)

وقد دل إحراق العامة لمول قسطنطين لاردوس Constantine Lardos ، الوالي البيزنطوري للعاصمة، والذي عينه موريس من قبل فيما على جمع الضرائب في الشرق، أن لورهم كانت في جانب كبير منها ثورة على السياسة المالية لموريس. وقد عبروا عن رفضهم هذه السياسة في شخص لاردوس.^(٤٢) ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي يتور فيها العامة بسبب سياسات موريس الاقتصادية، فقد لاروا قبل في عام ٦٠١ م بسبب انتشار الخاعة في القسطنطينية لنقص كمية القمح الوافدة من مصر والربقية، وهي الخاعة التي كانت آثارها لازالت عالقة في أذهان العامة، وبالتالي كانت ثورة عام ٦٠٢ م فرصة للتصبر عن حبيبهم، خاصة وأنهم شاهدوا

موريس أكثر من مرة بيع حصه القسطنطينية من القمح للحصول على سيولة نقدية لخزانته، وهو ما اضطره إلى وقف المسح الجمالية التي تورع على فقراء العاصمة.^(٣٣)

على أية حال، لقد قدم موريس لحربي الرزق والحضر، بمشاركته إياهما حراسة القسطنطينية أثناء الثورة، سلاحا استخدموه ضده، حقيقة لقد أسند إليهم أمر حراسة العاصمة مرات متكررة قبلا، في عام ٥٨٦م لمواجهة غارات السلاف، وفي عام ٦٠٠م لصدهم هجوم الآفار على القسطنطينية، لكن العدو هذه المرة لم يكن أجنبيا، بل كان الجيش البيزنطي ذاته. وعلى ذلك أتاح لهم موريس نفسه الفرصة للمشاركة الإيجابية في أحداث الثورة. وهذا لا يعني أنه كان لكل حزب من الحزبين دافعه للمشاركة في الثورة، فقد ثار الحضر على موريس بسبب تواجبه في أمر الشكوى التي تقدموا بها ضد قسطنطين لاردوس لعدم سماحه لهم بتعيين حاكموكيس John Krokes ديمارحا رئيسا عليهم بدلا من سرجيوس الديمارح الفعلي، ولذلك شاركوا النعامة في الانتقام من لاردوس^(٣٤)، ويبدو أن هذا الأمر كان له اعسار عند الحضر، حيث ترى بعد تنويع لوقاس إمبراطورا تم تعبد رعتهم بعين كروكيس رئيسا لهم. أما حرب السزق؛ فرغم صمت المصادر عن مشاركتهم في بداية أحداث الثورة، لكنهم سرعان ما انضموا إليهما بغية تنصيب جرماتوس، صهر ثيودوسيوس ابن موريس، على عرش الإمبراطورية.^(٣٥)

وأيا كان الأمر؛ فقد أسهم تطور الأوضاع إلى إحباط موريس وبأسه من أن يجد له مساند في القسطنطينية، وعندما أسقط الأمر في يده، وأدرك أن عليه سرعة الفرار من العاصمة قبل أن يدخل الجيش ويتعد الجميع ضده، فجمع أفراد أسرته والقسطنطين لاردوس ولأزواجهم بالفرار. وعبر أستار الليل، وعلى ساحل مضيق خلقدرونية بالقرب من كنيسة أوتونوموس St. Autonomos، أرسى موريس وأسرته، حيث سرعان ما ثارت الطبيعة عليه أيضا فأرسلت إليه رياح عاتية كادت تقتل بسفينته، ولم يكده يحس منها حتى هاجمه مرض التشنج المفاصل فبات طريق الفراش. وهناك أخذ يبحث عن قوة تعضده في مواجهة الأوضاع المشهورة في القسطنطينية، وكانه غريق يبحث عن طوق للحياة، فلم يجد أمامه غير الجهة الشرقية، حيث لاح النرس له في الأفق كقوة يمكن أن يرتجى مساعدتها، خاصة وأنه يرتبط بهم بمعاهدة تصالح، فأرسل ابنه ثيودوسيوس إلى ملك فارس حمرو بطلب منه الوحدة والمساعدة.^(٣٦)

وهكذا ترك موريس بهروبه الساحرة خصومه السياسيين أو لغوهم من الطامحين إلى السلطة، فأخذ جرماتوس يسمي جهادا للحصول على تأييد الأحزاب، خاصة وأنه اعتبر نفسه المنافس الوحيد لموريس على عرش الإمبراطورية، ولما كانت رسالة فوقاس السالفة الذكر، التي أرسلها إلى ثيودوسيوس وبعبر فيها عن رغبة الجيش الناصر في اعتلاء أي صه أو جرماتوس، وطالما هرب ثيودوسيوس مع أبيه، فقد شعر جرماتوس أنه أقوى المرشحين للعرش، وأن تأييد الجيش له أمر مفروغ منه، وأن ما يتمتع به من نفوذ ومكانة لدى حزب الزرق يجعل تأييد الحزب له محسوم. ولم ينتظر ما ستسفر عنه تطورات الأحداث، بل أخذ يعمل بجد لتحقيق مآربه، ولصمان تأييد القوى السياسية المعارضة في العاصمة، والمقصود بها حزب الخضضر. فأرسل إلى مرجيوس رئيس حزب الخضضر يعرض عليه مبلغا من المال وامتيازات وتكراما مقابل دعم ارتقائه للعرش، وعسلا عرض مرجيوس الأمر على أعضاء حزبه كان الرقص متوقعا. خاصة وأن انتماءات جرماتوس الحزبية ستجعل من حزب الزرق الأقوى سياسيا في حالة وصوله إلى السلطة.^(٣٧)

وبدو أن حرب الخضضر قد حسمت من نجاح جرماتوس في محاربه للاثتار بالعرش، فسل مجموعة من أعضائه ليلًا إلى منطقة ريجيون حيث يمسك فوقاس وحووده، وأعلنوا تأييدهم له وورغتهم في ارتقائه لسترة وطنيو منه الفقه نحو المستورم^(٣٨) وبين هذا الموقف مدى العداوة المتأصلة بين حزبي الزرق والخضضر، وكيف كان كل منهما يعمل من أجل مصلحته الخاصة دون النظر للمصلحة العامة للإمبراطورية، فالخضضر يرفضون جرماتوس رجل السياسة والسناتور، ويفصلون عليه ضابط متواضع مغمور وهكذا؛ ولأول مرة في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، تنح ثورة في الإطاحة بالإمبراطور الجالس على العرش، فسرغم أن هاك ثورات سابقة أشهرها تلك التي اندلعت في عصر جستنيان، إلا أنها لم تنجح فيما بحث فيه ثورة القسطنطينية الشعبية عام ٦٠٢ م.^(٣٩)

وكعادة المجتمع البيزنطي راح يبرر سقوط موريس بأنه نوع من العقاب الإلهي العادل تجاه ما ارتكبه من خطأ في حق الأسرى البيزنطيين، ونسج حول ذلك عددا من النوءات والأساطير شاعت بين طوائفه ورددتها المؤرخون البيزنطيون في كتاباتهم. فشر المصادر البيزنطية إلى أن ثمة إشاعة سرت في شوارع القسطنطينية مفادها أن موريس أوكلت على السقوط على يد شخص

بدأ اسمه بحرف (ϩ) اليوناني، ويعادل في العربية حرف (الفاء) الأمر الذي دفع موريس إلى الشك في صهره البطريك فيليبكوس، فاستدعاه ولم يتركه إلا بعد أن أقسم له الأخير على أنه لم يفكر قط في مثل هذا الأمر.^(١٢٠)

كذلك تشير المصادر إلى حلم رآه موريس حُيل إليه فيه بمشاهدة جمهور غفير من الناس عثمانيين عند البوابة الذهبية تحت أيقونة المسيح الكري و هم يهتفون ضد الملك وسمع صوت صادر من الأيقونة يأمر بحصوره، وما إن حضر حتى سألته الصوت إن كان بفصل التكفير عن ذنبه في حق الأسرى في هذه الحياة أم في الآخرة. فأجاب: "في هذه الحياة سيدي الرحيم". فسمع الصوت يقول: "سلموه إذن إلى فوقاس مع جميع أسرته" وعلمتُ ففرض موريس من نومه مذعورا، وبعد أن استدعى فيليبكوس واعتذر له عن شكوكه الباطلة، سألته إن كان يعرف حديداً اسمه فوقاس. فحزن الأخير بأنه يعرفه، فسأله عن سنه وأخلاقه، فأجاب بأنه شاب وأخلاقه تفراح بين السهور والخبث فقال "إذن حبب، فقاتل"^(١٢١)

ويبدو أن قصة الحلم التي رآها موريس صادرة عن مخيلته، فقد شاعت بين طوائف المجتمع في القسطنطينية بعد إعدام موريس وعلمه بثنائية. وقد أضافه شعب القسطنطينية جروح فوقاس ودمويته التي صلب الكري. وحبها وضح أنه أن أحده موريس مهما بلغت لا يمكن مقارنتها بخطايا فوقاس، ولذلك عمد إلى تفسير ما حدث لموريس بأنه عقاب إلهي عادل على خطيئته في حق الأسرى البيزنطيين، وفي ذات الوقت تكفيرا له. فقد قرر بيقفور كاليسوس Nicephoros Callistus ما خلق بموريس بأن "الله غضب على موريس بسبب هذا الإثم"^(١٢٢).

كذلك؛ رددت المصادر البيزنطية فكرة التكفير عن الخطأ حينما أظهرت موريس في ثوب الادم الراغب في التوبة، فيذكر زوتاراس أن موريس راح يتصرع إلى الله أن يعاقبه على ذنبه في حق الأسرى في هذه الحياة، وطلب من الجميع أن ترفع الصلوات لهذا الغرض^(١٢٣) كذلك يشير كديروس إلى أن الحلم الذي رآه موريس في منامه جاء بعد حملات كثيرة كانت ترفع من أجله^(١٢٤) ولا شك في أن الاعتراف بالخطأ والرغبة في التكفير عنه ارتبطا ارتباطا وثيقا بالمفهوم البيزنطي المسيحي عن فكرة الخلاص. ومن هنا جاءت رواية المصادر البيزنطية أنه في ذات يوم رؤية موريس لذلك الحلم، أرسل إلى القديسين يستشيرهم في هذا الشأن، وجاءته

الإحابة التالية: "لقد قبل الله تداينك ومحكك الخلاص وحملك مع جميع أفراد أسرته مع القديسين، لكك ستفقد ملكك وسط المخاطر والعار".^(٢٥)

وكما صاغت المصادر التاريخية قصة سقوط موريس في قالب التفسير الديني، عمدت أيضا إلى صيغ غايته بذات الطابع، فيذكر زوماراس وكديتوس أنه في ذات الليلة التي سقط فيها موريس "ظهر في السماء مذنب بشكل السيف"^(٢٦)، كذلك تذكر المصادر البيزنطية أنه في ذات اللحظة التي أعدم فيها موريس "أعلنت النماثيل القائمة في المكان المسمى Tychaeus بالإسكندرية، وبصوت أقرب من الصراخ، ما جرى لموريس"^(٢٧). وفي ذات المصدد تذكر هذه المصادر أن رجلا صالحا من السباح السكندريين لدى عودته إلى بيته في منتصف الليل سمع النماثيل تعلن من فوق مذابحها أن موريس قُتل مع ابنائه، وبعد الصباح نقل الجسر إلى ولي المدينة أوغسطاليس Augustalis وأُسقفها بطرس، فأمره بكمه الجسر، وبعد تسعة أيام تأكد صحة ما سمع^(٢٨).

وإذا كانت المصادر البيزنطية قد برزت سقوط موريس في ضوء مفهوم الخطيئة وما يستجلبها من عقاب إلهي عادل، فإن لفواهر الجرافة التي صاحب موته ربما كانت لتؤكد فكرة خلاص موريس من خطيئته، أو ربما أبعد لتنعير عن إصير الذي آلت إليه الأمور بعد سقوطه. وهنا تعكس لنا تلك المصادر صورة شديدة السلبية عن عصر فocas، ولبدأ بالتقرير المؤجز الذي افتتح به البطريك نقفور كتابه "التاريخ المختصر" عن ذلك العصر، والذي جاء فيه: "عقب مقتل موريس، اعتلى فocas، الذي اقترف هذه الجريمة الكسراء، العرش الإمبراطوري، مدعيا أحقيته بالسلطة، مما أدى إلى تدهور أحوال المسيحيين. وكان معروفا للجميع أنه في الوقت الذي كان الفرس يهددون الإمبراطورية الرومانية من الخارج تهديدا خطيرا، كان فocas يقترف تدميرا أسوأ أثرا في الداخل"^(٢٩)، أما كديتوس فيصف بداية عصر فocas بقوله: "عندما اقتحم الحصر البلاط وأحدوا، يهتفون للطاغية، وأوعروا إليه أن يأتي إلى الهيدروم، حرق البطريك قرياقوس Kyriacus والشيوخ لاستقباله، وطلوا منه الحفاظ على الإيمان القويم والدفاع عن الكيسة ضد الوغائين. وأعلنوا فocas إمبراطورا في كيسة يوحنا المعمدان، وسلموا الصوخان لهذا الرجل الشرير الطاغية، وحلت المملكات سالوطن الأيمن، وكانت بداية سلسلة من الكوارث قضت على دولة الرومان".^(٣٠)

وكعادة البيزنطيين راحوا يفسرون ارتفاع فوقاس العرش على أنه عقاب إلهي على ما ارتكبه أيديهم من أخطاء. فقد روي أن أحد الرهبان تساءل قائلاً: لماذا ولي الله على الصاري إمبراطوراً شريراً كهذا، فأجاب الرب لأنه لم يوجد من هو أكثر شرّاً منه على ما استحققت مآثم أهل القسطنطينية.^(٥١) كذلك راح كاتب سيرة القديس ديمتريوس يعبر عن مفهوم العقاب الإلهي لتفسير أحداث هذه الفترة بقوله: "جميعكم تعرفون كم من فنة أثارها الشيطان في المدينة في عهد سعيد الذكر موريس، فاقطعاً دماء الخبسة وررع الحققد في الإمبراطورية بأسرها، حتى لم يكف الأحرار بسفك الدماء في الميادين، بل هاجموا أنازل نفسها وقتلوا من فيها، وكل من لحا إليها من نساء وأطفال ومرضى ليحتسوا بها ألفوا من فوقها أرضاً، وسلب بعضهم بعضاً، الصديق صديقه والجار جاره، كما يفعل البرابرة. وهكذا احتاححت الشيازر الشيطانية جميع الجهات، فبحرلت إلى معارة نصوص، وكما يفسر أخريق استشرت الفتنة، وأعمى الطمع ومار أفسدة جميع الشعوب إلى أن منع المدينة التي يحرسها القديسون".^(٥٢)

كذلك يصف نيقفور كائسوس "علاء فوقاس" تعرض إلى واحد نفسه "قالب قوسين من سدة الحكم، أو كم ركب مركب بلا أية دراية بالحكم"، ووصف مراسم تنويجه بقوله "وسرعان ما استولى الحصر على أسلحة وأحدوه يهتفون بتذعبة إمبراطور، فأرسل فوقاس أحد الأعيان، ويدعى ثيودور^(٥٣)، يستدعي الطريرك وأعيان الشعب. فلما التئم جمعهم في كنيسة القديس يوحنا المعمدان، توحوا النوحش النجس بتناح الملك، وعنى الفور دخل فوقاس المدينة في مركب مهيب وراح يحظر الشعب بالذهب، فغابوا جميعاً عن رشدهم بمحنة تناسك الأمانة".^(٥٤)

ولا ريب في أن الصورة السلبية التي عكستها المصادر البيزنطية عن فوقاس كانت نتاجاً لسياسة الجماعة وسلوكه الدموي الذي بدا ظاهراً للعيان منذ اليوم الأول لوصوله إلى السلطة. وقد عكست المصادر البيزنطية هذا النسوك في الأسلوب الذي انتهجه للانتقام من خصومه السياسيين والشكيل بهم، خاصة أفراد العائلة الملكية المصرية وكبار رجال القصر، فشير إلى هروب موريس مع زوجته لقسطنطينية وأبنائه التسعة فجر يوم الجمعة الثالث والعشرين من نوفمبر، وبعد يومين دخل فوقاس العاصمة عبر البوابة الذهبية Chalke gate دون أدنى مقاومة

بل ووسط قليل الجمع^(٥٥) غير أن ما ذكرته لاحقا من تصرفاته كانت فيما يبدو سببا في إثارة استياء شعبي تجاهه، فقد قبض على موريس وروجه وثامنه من أولاده بالقرب من كهنة القديس St. Autonomus في Praenetus، وتم ذبح موريس أمام مرفأ Eutropius مع ثلاثة من أبنائه المذكور، وتم ذبح أحدهم أمام أعين موريس نفسه وشير المصادر البيزنطية إلى أن موريس تقبل هيبته بشجاعة ورباطة جأش، وأنه راح يردد عبارات عن العدالة الإلهية. أما زوجته قسطنطية فقد أودعها أحد الأديرة إلى حين، ثم أعدها خارج المدينة عند مرفأ Eutropius بـ"مخفوية" مع كل من بقي من سلالتها وسلالة موريس^(٥٦) وكان ذلك في السابع من يونيو ٦٠٣م، وقد اجتمع العامة لمشاهدة جثث القتلى في مضيق علفندونية، أما رؤوسهم فقد حملها الجلود إلى القسطنطينية، حيث مثل بها أمام العامة، الأمر الذي جعل الجميع، رغم كراهيتهم لموريس، يتعاطفون معه وسأسون لمطرفة اسئمة إلى قصى ما فوقاس عليه وعلى أبنائه^(٥٧).

وتروح المصادر سبب تقدم فوقاس على مطاردة موريس وعصامه. في أنه في يوم الاحتفال بتتويج ليونيا زوجة فوقاس، دب حلاف في الخيشرون بن حزقي نروق والحضر، حيث جلس اخضر على المقاعد المحصنة بنروق الأمر الذي أثار غضب الرزق فرصعوا أصواتهم معلنين لفوقاس: "ادهب وتعلم البروتوكول، فموريس لم يمت بعد"^(٥٨) غير أنه من الصعب تصور أن هناك الرزق وحده كان كفيلا بأن يثير ثائرة فوقاس ويدفعه إلى البحث عن موريس وأسرته للتخلص منهم. بل لقد رأى أنه لن يتسنى له توطيد حكمه إلا بعد القضاء على كل من يمت للنظام القديم بصلة، ولذلك أعقب مذبح موريس وروجه وأولاده محزنة أخرى أتى فيها على من تبقى من أقاربه وأعوانه، فقطع رؤوس بطرس قائد جيش الدانوب وشقيق موريس، وكومينولوس قائد الحرس الإمبراطوري، والقائد جورجيوس نائب فيليكوس صهر موريس، والقائد براستيوس مستشار بطرس وصديقه، وقسطنطين لادروس الوالي البرابنوري لعاصمة، أما حرماتوس وفليكوس فقد أحرهما على دخول الديار^(٥٩).

لقد عبر ثيوفلاكت ليموفا عن دموية فوقاس في آخر فقرة من مؤلفه التاريخي بقوله: "في هذه الأيام، حلت الخطيئة على العالم المأهول، فقد كانت الفرصة لكل الشرور العظيمة ساعية،

وكانت الإشاعة الزائفة كفيّلة بأن تجرى بشأنها المذابح، ولم يقتصر الأمر على الأعباء، بل امتدت يد فوقاس لقتل شركائه في الطغوان، وراح يدير المذابح خلفائه التابعين.^(٥٩)

بقيت الإشارة إلى أن فوقاس بعد اغتصابه العرش، أرسل إلى القوى اغتارة يعلن تسلمه السلطة، فأرسل القائد ليلوس Lilius على رأس وفد يحمل بالهدايا إلى خسرو ملك فارس، الذي رفض مقابلة الوفد، واتخذ من قتل موريس ذريعة لنقض معاهدة عام ٥٩٩ م. معلنا أنه لن يحارب الإمبراطورية، بل سيحارب قاتل موريس لينار منه، وعلى ذلك كانت إحدى النتائج المباشرة لثورة عام ٦٠٢ م إشعال الحرب من جديد بين الطرفين.^(٦٠)

وفي الخامس والعشرين من أبريل عام ٦٠٣ م، وصل سفراء فوقاس إلى روما يعملون صورة لقوقاس وروحه ليونثيا، وقد استقبلهم شعب روما بترحاب واحتفال كبيرين، حاملين البحور والشموع، وقادوهو إلى مقر اساتو الروماني، حيث تم الاحتفال للإمبراطور الجديد: "الحياة المديدة للإمبراطور فوقاس وروحه الأوحسان ليونثيا"، ثم سمى البابا جريجوري الأول الوليد البيزنطي رسالة تحمل اسمه لقوقاس.^(٦١)

هكذا، كان ظهور شخصية مثل فوقاس على عرش الإمبراطورية تاحا أفقرته الظروف العصبة التي مرت بها الإمبراطورية منذ عهد جستين (٥٢٧-٥٦٥ م)، فأكثر من ثلاث أرباع قرن من الحروب المتواصلة، أمر أسهم في إهلاك الإمبراطورية وإصابة اقتصاداتها بالشلل، وهو الأمر الذي انعكس على ارتباط مياسات أباطرتها بعد جستين، وألقى بظلاله على الأوضاع الاجتماعية في الإمبراطورية، خاصة مجتمع القسطنطينية. وفي ظل هذه الظروف جاء قوقاس الذي لم يكن له سيرة تذكر، بل ضابط من أصل اجتماعي متواضع، ليحظى بتأييد شعبي حار، وربما كانت أصوله الاجتماعية عاملا أدى إلى ارتباط العامة به. ومن ناحية أخرى، وجد حزبي الخصر والزرق في فوقاس قوة جديدة يمكن أن تحدث تغييرا وتبهي العهد البائد بسلبياته، وتزيل آثار حكم موريس. وربما ظل العامة أيضا أن معاناتهم الاقتصادية والاجتماعية ستزول برواى موريس وحلول فوقاس، الشخص الذي لا ينتمي إلى الأصول الأرستقراطية والأقرب إلى لهم معاناة الفقراء والطبقات الكادحة غير أن ما أظهرته السوات القنبلة التالية أثبتت خيبة أمل الجميع.

ولنختم بتعليق لفتشينكو Levtehinko على أحدث عام ١٩٠٧م، إذ أطلق عليها صفة "الثورة"، واعتبرها صراعا اجتماعيا ونزاعا طبقيا بين العالين والصناع وصغار الحسد من جهة، وبين المقربين من السلطة من كبار الموطعين وأصحاب الثروات من جهة أخرى، ويمرر أنها ثورة فاشنة من منظور النوار أنفسهم، لأن من أتوا به إلى السلطة، أي فوقاس، لم يحرص على تحقيق آمالهم بقدر ما سعى إلى توطيد سلطته فقط.^(١٢)



المواضع

(١) *Vitae Sanctorum, Supplelementum, S. Demetrii Martyr's Acta*, PG 116, cols 1081-1462. esp.col. 1259; ch.79

(٢) هناك دراسات عديدة تناولت حروب سمعان لاسفودادية في الغرب الأوروبي وأوضاع الإمبراطورية في عهده، أجبنا

[Haldon, J., Economy and Administration: How did the Empire work?, in: *Age of Justinian* ed. M Maas, Cambridge, 2006, pp 28-59 ; see, A.D., *The Empire at War*, in: *Age of Justinian*, ed. M Maas, Cambridge, 2006, pp.113-133.

ونظر كذلك محمد شحي الشاعر، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عصر الإمبراطور جوستنيان، القاهرة، ١٩٩٢م؛ محروس عبد القموس سعيد، جوستنيان وسياسة الاسترداد، محسن غير منشور، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م.

(٣) كانت سياسات حميد، سمعان لاسفودادية وسيد، سي يروح مدين الاسراف والقطر، وعادلة إرضاء لعامة ونسبة احتياحات الإمبراطورية سبة ذوي صلاحات عامة جميلة، حرمه على ما شلعه، طرارة الإمبراطورية من أزمة حلقية واضطراب في شرق الاممدي عقب وفاة سمعان عن وضع الإمبراطورية البيزنطية في عهد خلفاء جوستنيان، أنظر:

Turtledove, H N., *The Immediate Successors of Justinian: a study of the Persian problem and a continuity and change in internal secular affairs in the late-Roman Empire during the reigns of Justin II and Tiberius II*, ca. 565-582, unpublished Ph.D. thesis, University of California, 1977.

ناصر عبد الحميد زيدان، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطورين سمعان الثاني وتبريوس (٥٦٥-٥٨٢م)، ماجستير غير منشور، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٤م.

(٤) أدى اجتياح القبائل السلافية ثم الأفارية لشبه جزيرة القوقاز خلال القرن السادس الميلادي إلى تحريك وتدمير مدين وقرى الهند، وبشقي إلى هجرة الكثرين من مواطنيها إلى أماكن أخرى من الامبراطورية، مما أدى إلى مشاكل مالية واجتماعية خطيرة، أنظر:

Alexander, E.M., *Early Slavic invasions and settlements in the Area of Lower Danube in the 6th through the 8th centuries*, unpublished Ph.D. thesis, New York University, 1994, pp.165-173, Curta, F., *Making an early Medieval ETHNIE: the case of the early Slavs (sixth to seventh century A.D.)*, unpublished Ph.D. thesis, Western Michigan University, 1998, pp.162-164, 202-225.

(5) Haldon, J., *Byzantium in the seventh century, the transformation of a culture*, Cambridge, 1990, pp.35-37.

ونظر كتاب "التاريخ السري" *Anekdotai* ليووكوبوس، اندي يقدم نقدا لادعا لمعمر سمعان وسياسة بروكوبوس، التاريخ السري، ترجمة علي ربيع، دمشق، ٢٠٠٣، التاريخ السري ليووكوبوس حياة الإمبراطور سمعان وثيودورا، ترجمة صبري أبو الخير، القاهرة، ٢٠٠١م وعن الأوثان والطوائع خلال هذه الفترة، أنظر

Horden, P. Mediterranean Plague in the age of Justinian, in: Age of Justinian, ed. M. Maas, Cambridge, 2006, pp. 134-160.

(٦) عن إصلاحات موريس العسكرية، أنظر وفاة عبد الحميد محمد، الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م)،

مستشرق غير منشور، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٨م، ص ١٥٨-١٦٠.

(7) Theophylact Simocatta, Historia, CSHB Bonnæ, 1834, 112-118. Eng. Trans. The History of Theophylact Simocatta, trans. Michael & Mary Whitby, Oxford, 1986, 74-75, Theophanes Chronographia, Eng. Trans. The Chronicle of Theophanes the Confessor Byzantine and Near Eastern History A.D. 284-813, trans. C. Mango & R. Scott, Oxford, 1997, p. 398, Higgins, J., Note on the Emperor Maurice's military administration, Analecta Bollandiana 161 (Bruxelles, 1940), p. 398.

يذكر ثيوفانس أن مرسوم موريس كان يلغى جميع حرب الخدي في ثلاثة أقسام متساوية، بحث بتفاصيل لنا من العملات الذهبية، والثالث الثاني من الأسلحة، والأخير من الثلاث أنظر كذلك: ليلي عبد الجواد السماعيل، الدولة البيزنطية في عصر هرقل وعلاقتها بالمسلمين، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٨٧.

(٨) الحية الذهبية البيزنطية يحدد ٧٢ بوميرا Monogram أو غولدى كيك ٥٠ العملة الذهبية البيزنطية، وتساوي البوميرا الواحدة ٢٤ كيراطا keratia. أنظر

Grierson, Ph. Byzantine Coins, Washington D.C. 1999, pp. 57-58. Grierson, Ph. The value of the Solidus in the fifth and sixth centuries. A.D., Journal of Roman Studies 49 (1959), pp. 73-80.

ولعل هذا يقصر سبب غياب هذه على الأسرى البيزنطيين بسبب تلك لبيعة عرضة على موريس

(9) Chronicon Paschale, CSHB Bonnæ, 1832, p. 92. Theophanes, Chronographia, p. 404.

(10) Nicephori Callisti Xanthopuli, Ecclesiasticae Historiae, libri 18. PG 147, col 403.

(11) Ioannis Zonaras, Epitomae Historiarum, libri 8, CSHB, Bonnæ, 1897, p. 193.

(12) Theophanes, Chronographia, p. 408.

كذلك يذكر زونارس أن أحد الزعماء رفع سيفاً وسار من الجبال حتى الزوابة الذهبية وهو يهتف بأن موريس مبسط قريباً بالنسبة

(13) Theophylact Simocatta, Historia, p. 294. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, pp. 213-214, Chronicon Paschale, p. 694.

(14) Theophanes, Chronographia, pp. 403, 407. Sirota, A. V., Byzantium in the seventh century, vol. I, Amsterdam, 1968, p. 44.

يقول ثيوفانس أن موريس هو الذي أمر كومينبولوس بحياة الجيش بسبب عدم التزام الخوذة بالنظام ويقول أيضاً أن الإمبراطور لم يصر اعتماداً للتألفات الموجهة ضد كومينبولوس ويرى استراوس أن امتياع الخوذة والعمامة جاء نتيجة شعورهم بأن موريس لم يرفض امتداد الأسرى بسبب حلو الخوذة بل بسبب كونه الأمر الذي دفعهم إلى الاعتقاد بأنه حريص على المال أكثر من حرصه على نفوس وأرواح جنوده وأن هذا الاعتقاد يؤكد لديهم بعد الموقف السلبي الذي أظهره موريس حيال ما رأوه من حياة من قبل قائدهم كومينبولوس

- (15) Theophylact Simocatta, *Historia*, p 260 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p 214-215, 221.
- (16) Norwich, J J, *Byzantium the early centuries*, New York, 1989, 278
- (17) Theophylact Simocatta, *Historia*, p.260 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.214-215; Theophanes, *Chronographia*, p.409
- (18) Theophylact Simocatta, *Historia*, p 260 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p 179-180
- (19) Theophylact Simocatta, *Historia*, pp 324-325 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p 218-220; Theophanes, *Chronographia*, pp 411-412
- (20) Stratos, *Byzantium*, I, pp 29-30.
- (21) Browning, R., *Byzantium and Bulgaria*, London, 1977, p 37

مجمع القديس بريسكوس في إحرار عدداً من الإنصاريات المتألفة على الأناضول في الفترة بين عامي ٥٩٧-٥٩٩م. وبالرغم من فشل كوستينولوس بعد ذلك في صد هجماتهم، إلا أن وده تغلبوا الذي احتاج حوشهم عام ٦٠١م وما نتج عنه من اضطراهم علقه صبح عزان موريس سرعان ما يقضى مع تسليح وحرارهم بطرس بنش ثلاث صلهم، ونجح في إحرار بعض الإنصاريات، لكنه مع حدود السيادة في جيش الحدود وفر عدد من جنوده إلى الجيش البيزنطي، الأمر الذي دفع الحدود في محاولة ثانية لفتحها حتى يستطيع تصد قوته. وحمل موريس على الجانب الآخر مصر على مواصلة الحرب ولاحقه من السيادة جيش الذي لم يترك له حراً، صرده على أن يواصل الجيش حروبه خلال فصل الشتاء أنظر

- Theophylact Simocatta, *Historia*, pp 307-321 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, pp 216-220, Theophanes, *Chronographia*, p 407
- (22) Theophylact Simocatta, *Historia*, pp 324-325 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.218, Theophanes, *Chronographia*, pp.411-412
- (23) Higgins, Maurice's military administration, pp 445-446
- (24) Norwich, *Byzantium*, pp 275-276.
- (25) Theophylact Simocatta, *Historia*, p 328 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.220; Theophanes, *Chronographia*, p. 412
- (26) Theophylact Simocatta, *Historia*, p 327 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p 220 Theophanes, *Chronographia*, p 412
- (27) Theophylact Simocatta, *Historia*, p 329 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.221, Theophanes, *Chronographia*, p 412
- كان كوستينولوس هو تيودوروس، وكان عضو مجلس السناو وعرف بولعه الشديد بالعلوم والآداب، ويبدو أنه كان ينشئ إلى حرب الزرق.
- (28) Baynes, N., *The Successors of Justinian*, in *Cambridge Medieval History* vol II, pp.263-301, 281-282.
- (29) Theophylact Simocatta, *Historia*, p 330-331. Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p 223, Theophanes, *Chronographia*, p 412-413, Nicephoros Callistus, *Ecclasiasticae Historiae*, col 406

(٣٠) وفاة عبد الحميد، الإمبراطور موريس، من ١٦٢-١٦٣.

(31) Theophylact Simocatta, Historia, p.330-331 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.221-223, Theophanes, Chronographia, p. 413, Nicephoros Callistus, Ecclesiasticae Historiae, col.406

(32) Theophylact Simocatta, Historia, p.330-331 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.223, Theophanes, Chronographia, p. 413, Nicephoros Callistus, op. cit., col.406

(٣٣) يذكر ثيوفلاكت ثيموفلا أن هذا المرد كان بسبب اغارة وقصص الماء الذي حل بالقسطنطينية في شتاء هذا العام، ويعزو أنه ربما كان موريس يحتفل بعيد الميلاد بين الناس في كنيسة آيا صوفيا، فاج العامة ضد الإمبراطور وطالبوه بالخروج بصراخ وأصوات عالية، وهاجموه عليه بالنسب والشتم، وتطور الأمر إلى قتله بالحجارة، وكانوا يصلون إليه لولا تدخل فرقة الحرس الإمبراطوري، حيث انقروا حوله حتى أخرجوه من الكنيسة وهرب موريس إلى كنيسة القديراء التي نفع في حي بالشرقاى حيث يلهم الثرقى، وهذا يشير إلى أن متوحي الشعب كانوا من حزب المعسر

Theophylact Simocatta, Historia, p.321-323 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.215-216.

وفاته عبد الحميد، الإمبراطور موريس، من ٥٧

(٣٤) قلص ثيوفانس حرب المعسر وحده بالشركة في حرق ميل لاندوس، سببا في بحد ثيوفلاكت مشاركة أي من الحزبين في ذلك.

Theophylact Simocatta, Historia, p.330-331 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.223, Theophanes, Chronographia, p.413.

(35) History of Theophylact Simocatta, p.224, Statist. Opusculum, I, pp.46-48

(36) Theophylact Simocatta, Historia, p.346 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.223-224, Theophanes, Chronographia, p.413

(37) Theophylact Simocatta, Historia, p.346 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.224; Theophanes, Chronographia, p.413.

(38) Theophylact Simocatta, Historia, p.346-347 Eng. Trans. History of Theophylact Simocatta, p.224-225, Theophanes, Chronographia, p.413

(٣٩) عن ثورة عصر جستنيان، أسفر وأقت عبد الحميد، الثورة الشعبية في القسطنطينية سنة ٥٣٢م، بحث منشور في كتاب برنطة بين الفكر والدين والسياسة، لغار، ١٩٩٧م، من ١٩٩-٢٤٩

(40) Theophanes, Chronographia, pp.410; Zonaras, Epitomae Historiarum, pp.193-194

(41) Theophanes, Chronographia, pp.410-411, Zonaras, Epitomae Historiarum, pp.194-195

بذكر كيرلسوس عن قصة الختم، وإن اختلف بعض الشئ في تفاصيله، فيشير إلى أن هذا الختم جاء بعد صلوات كثيرة كانت تُرفع من أجل موريس، وأنه خُبل إليه بأنه بلغ أمام القنوة المسيح وعقد كبير من الأسرى يوجهون إليه الإلحاحات

Georgi Cedreni Historiarum Compendium, CSHB, I, Bonnæ, 1838, p.704.

أما ليفور كالستوس فقد أشار إلى قصة الختم بإيجاز بقوله: «فاجع في المدينة أن المسيح ظهر له في الحلم وأبعده أنه أمسى تحت راحة فوكاس وما لبث موريس من موته، استدعى صهره فيليكوس من السجن، حيث كذب بقتلى من

الخوفين لأولين في اسمه على العرش ولذلك سجد ثم سأنه إن كان يعرف فركس هذا، فأجابه نعم فسأله عن أحلافه، ولما علم أنه حيان قال: إن كان حيا جينا فهو لا يحاله قتل*.

Nicephoros Callistus, Ecclesiasticae Historiae, col 403

(42) Nicephoros Callistus, Ecclesiasticae Historiae, col 403

(43) Zonaras, Epitomae Historiarum, p 193

(44) Cedrenus, Historiarum Compendium, p 704.

(45) Theophanes, Chronographia, pp 410-411, Cedrenus, Historiarum Compendium, p 704, Zonaras, Epitomae Historiarum, p 193

(46) Cedrenus, Historiarum Compendium, p 704, Zonaras, Epitomae Historiarum, p 193

(47) History of Theophylact Simocatta, p 231, Nicephoros Callistus, Ecclesiasticae Historiae, col 411

(48) History of Theophylact Simocatta, pp.231-232, Cedrenus, Historiarum Compendium, p.710

(49) Nikephoros Patriarch of Constantinople, Secret History, trans. C. Mango, Washington, D.C., 1990, P 35

البيزنطية للفرق، التاريخ المحمر، ترجمة حسن عبد الهادي الشير، دار بيعة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٥٧.

(50) Cedrenus, Historiarum Compendium, p 716

وأظهر كذلك. History of Theophylact Simocatta, p 225, Theophanes, Chronographia, p 413

(51) Varsi, Sacrorum Conciliorum Romanae Aedificae, p 613

(52) S. Demetrii Martyris Acta, cols.1262-1263.

(٥٣) بيعة كل من ثيوفلاكت سيموقا وثيوفانس بالـ secretis، كما يعني أنه كان سكرتيرا لثيوفانس وكذلك لسه

History of Theophylact Simocatta, p 225, Theophanes, Chronographia, p 413.

(54) Nicephoros Callistus, Ecclesiasticae Historiae, col 407.

لا شك في أن ثيوفانس باستدعائه أعضاء مجلس السنانو وزجال الدين وعلى رأسهم البيزنطيك وأنصار الشعب كان يهدف إلى وحرد كافة العناصر التي تجعل تنويجه شرعيا. وتصفه بالصفة الدينية غير أن تنوي هذا الجو يعني بروز دور الأحراب السياسية على حساب الجيش ومجلس السنانو أصحاب المور الفاعل قلا في اختيار الأباطرة وهو ما علق عليه كامرون بقوله. "لقد توارى الجيش والسنانو أمام نفوذ الأحراب الذي بدأ يتزايد في عصر خلفاء جستنيان، حيث استدعوا عام ٦٠٢م أن ينجوا إمبراطورا بعده وبحسبه مفاهيم السلطة الإمبراطورية، خاصة وأن ثيوفانس جاء من الطبقة الدنيا في الجيش، ولم يكن ليتمتع بقسا أحرره إلا عندما ساق إليه بنفسه احربي العرش الإمبراطوري"

Cameron, A., Circus Factions. Blues and Greens at Rome and Byzantium, Oxford, 1976, pp.31-32.

(55) Chronicon Paschale, p.693.

يلذكر كاتب طولية الفصحية أسماء أباء موريس النخعة، وهم سنة ذكرور ثيودوسيوس وثيموبس وبطرس وبولس وحوسين وحومنيانوس، وثلاث إناث أباساسيا وليوكسيا وكليوباترة Ibid, p. 693.

(٥٩) عدم فوكس في البداية أسماء موريس الكبار، بطرس وحوسين وحومنيانوس، مع أبيهم، لم اعدم فلسطين وسبقنا الثلاث وروحة إبيها ثيودوسيوس Chronicon Paschale, pp 694, 695-697, History of Theophylact Simocatta, p 227, Theophanes, Chronographia, p 414.

يشير ثيوفانس إلى أن موريس أعاد مع طسة من أبنائه المذكور.

(57) History of Theophylact Simocatta, p 226, Theophanes, Chronographia, p 413-414

(58) Chronicon Paschale, p 693, History of Theophylact Simocatta, pp 230-231, Theophanes, Chronographia, p 414, Cedrenus, Historiarum Compendium, p 709; Zonaras, Epitomae Historiarum, p. 197.

لم يبق من رجال موريس سوى القائد مارسيس الذي استولى على الزها بمساعدة حمرى ملك فارس عام ٦٠٣م، فأرسل إليه فوقس لانه دوميتريوس حصاره في الزها وعرض عليه تسليم المدينة لقاء صبح فوقس، وبالفعل عاد مارسيس إلى القسطنطينية ليحرق حيا في نهاية عام ٦٠٥م

Theophanes, Chronographia, p 421, Cedrenus, Historiarum Compendium, p 710-711, Zonaras, Epitomae Historiarum, p 199

(59) History of Theophylact Simocatta, p 236

(60) History of Theophylact Simocatta, pp. 234-235; Theophanes, Chronographia, p 419; Chronicon Paschale, p 694; Cedrenus, Historiarum Compendium, p 709; Zonaras, Epitomae Historiarum, p. 197.

(61) Oman, Ch., The Dark Ages 476-518, London, 1914, 157

وعن الملاحظات المسجلة بين موريس والبابوية، أنظر وفاة عبد الحميد، الإمبراطور موريس، ص ٦٩-٧٥

(٦٢) أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم، الجزء الأول، بيروت، ١٩٥٥، ص ٢٠٩-٢١٠

المصادر والمراجع

أولا. المصادر:-

- Anonymous, *Chronicon Paschale*, CSHB, vol I, Bonnae, 1832
- Georgii Cedreni *Historiarum Compendium*, CSHB, I, Bonnae, 1838
- Ioannis Zonaras, *Ep'tomae Historiarum, libri 8*, CSHB, Bonnae, 1897
- Mansi, *Sacrorum Conciliorum, Tomus Decimus*, p 503.
- Nicephori Callisti, *Ecclesiasticae Historiae, libri 18*, PG 147
- Nikephoros Patriarch of Constantinople, *Short History*, trans. C.Mango, Washington,D.C., 1990
- St. Demetrius of Thessalonica- *Vitae Sanctorum, Supplementum, S. Demetrii Martyris Acta*, PG 116, cols 1081-1142 esp col 1259: ch 79.
- Theophylact Simocatta, *Historia*, CSHB, Bonnae 1834, 112-118. Eng. Trans, *The History of Theophylact Simocatta*, trans. Michael & Mary Whitby, Oxford, 1989
- Theophanes, *Chronographia*, Eng. Trans. *The Chronicle of Theophanes the Confessor. Byzantine and Near Eastern History A.D. 284-813*, trans. C.Mango & R.Scott, Oxford, 1997

ثانيا. المراجع الأجنبية:-

- Alexander, E.M., *Early Slavic invasions and settlements in the Area of Lower Danube in the 6th through the 8th centuries*, unpublished Ph D thesis, New York University, 1994.
- Baynes, N., *The Successors of Justinian*, in: *Cambridge Medieval History*, vol. II, pp.263-301
- Browning, R., *Byzantium and Bulgaria*. London, 1977
- Cameron, A., *Circus Factions, Blues and Greens at Rome and Byzantium*, oxford, 1976
- Curta, F., *Making an early Medieval ETHNIE: the case of the early Slavs (sixth to seventh century A.D.)*, unpublished Ph D. thesis, Western Michigan University, 1998.

Grierson, Ph., The value of the Solidus in the fifth and sixth centuries A.D., *Journal of Roman Studies* 49(1959), pp.73-80.

Grierson, Ph., *Byzantine Coinage*, Washington, D.C., 1999

Haldon, J., *Byzantium in the seventh century. the transformation of a culture*, Cambridge, 1990.

Haldon, J., *Economy and Administration: How did the Empire work?*, in: *Age of Justinian*, ed. M.Maas, Cambridge, 2006, pp.28-59; Lee, A.D., *The Empire at War*, in: *Age of Justinian*, ed. M.Maas, Cambridge, 2006.

Higgins, J., *Note on the Emperor Maurice's military administration*, *Analecta Bollandiana* 16(Bruxelles,1940)

Hordon, P., *Mediterranean Plague in the age of Justinian*, in: *Age of Justinian*, ed. M Maas, Cambridge, 2006, pp 134-160

Norwich, J.J, *Byzantium the early centuries*, New York, 1989

Oman, Ch., *The Dark Ages 476-918*, London, 1914

Stratos, A.N., *Byzantium in the seventh century*, vol.1 Amsterdam, 1968

Turtledove, H.N, *The Immediate Successors of Justinian: a study of the Persina problem and a continuity and change in internal secular affairs in the later Roman Empire during the reigns of Justin II and Tiberius I. Constantine (A.D.565-582)*, unpublished Ph.D. thesis, University of California, 1977.

ثالثاً. المصادر والمراجع العربية والمصرية:-

أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم، الجزء الأول، بيروت، ١٩٥٥م.

بروكويوس، التاريخ السري، ترجمة علي زنون، دمشق، ٢٠٠٣.

بروكويوس، التاريخ السري لبروكويوس: حياة الإمبراطور جستنيان وثيودورا، ترجمة صبري أبو الحور، القاهرة، ٢٠٠٩م.

رافت عبد الحميد، الثورة الشعبية في القسطنطينية سنة ٥٣٢م، بحث منشور في كتاب *محنة بين الفكر والدين والسياسة*، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٩٩-٢٤٩

لهلى عبد الجواد اسماعيل، الدولة البيزنطية في عصر هرقل وعلاقتها بالمسلمين، القاهرة،

١٩٨٥م

محروس عبد القلوس سعيد، جوستيان وسياسة الاسترداد، ماحستير غير مشور، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٩٨٧م.

محمد فتحي الشاعر، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عصر الإمبراطور جوستيان، القاهرة، ١٩٩٢م.

ناصر عبد الحميد زيدان، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطورين جستين الثاني وثيريموس (٥٦٥-٥٨٢م)، ماحستير غير مشور، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٤م.

نقفور البطريك، التاريخ المختصر، ترجمة هاني عبد الحادي البشور، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

وفاء عبد الحميد محمد، الإمبراطور موريس، ٥٨٢-٦٠٢م، ماحستير غير مشور، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٨م.

ARCHIVE

التأثيرات الثقافية الأجنبية في الممالك العربية قبل الإسلام من خلال المسكوكات

أولاً: مسكوكات ممالك جنوب الجزيرة العربية

١- مملكة قتياب

كانت مملكة قتياب أول مملكة عربية تضرب المسكوكات منذ أواسط القرن الخامس قبل الميلاد، فقد عثر في حويز شرق تركيا على ثلاث مسكوكات نقش على البس فيها حرف الكاف بخط المسد، أما الثالث فقد نقش عليه حرف الباء بخط المسد، ويرجع تاريخ هذه المسكوكات لفترة ما بين سنتي ٤٧٥ - ٤٠٠ ق م (سيدوف ودافيد ١٩٩٩ - ١١٨)، وتعد هذه بمثابة المرحلة الأولى في تعريب المسكوكات الإغريقية قامت بها مملكة قتياب

اختلف المؤرخون في تحديد بداية ظهور مملكة قتياب وهانيتها فقد قال البعض أن بدايتها كانت في القرن السابع قبل الميلاد وهانيتها سنة ٥٠ ق م، بينما يرى آخرون أن بدايتها كانت سنة ٦٤٥ ق م وهانيتها في القرن الثالث قبل الميلاد (السكر ١٩٨٠: ١٩٢: آفانزيي ١٩٩٩: ٩٨).

وضربت المسكوكات القنابية المبكرة تقليدًا للمسكوكات الإغريقية التي نقش على وجهها رأس المعودة أثينا مرتدية خوذة مزينة بأوراق زيتون، أما على ظهرها فقد نقشت بومة وبحارها هلال وغصن زيتون والشعار الإغريقي الدال على قبعة المسكوكاة AOE (اللوحة رقم ١)، وكانت الإصدارات الأولى من السكة القنابية مشابهة تمامًا للسكة الإغريقية وسجل عليها حروف بخط المسند على وجه المعودة أثينا لتحديد القيمة النقدية للمسكوكات (سينوف ودالميد ١٩٩٩-١٩١٨: 42-43 Hay 2003)

وفي أوائل القرن الثاني قبل الميلاد ضرب طراز جديد من المسكوكات القنابية نحى كثيرًا عن التأثيرات الإغريقية فنقش على الوجه صورة الملك القناني بدلًا من رأس المعودة أثينا وسجل على صورة الملك حروف بخط المسند، بينما نقش على الظهر صورة البومة والشعار الإغريقي الدال على قبعة المسكوكاة والمكتوب بالخط اليوناني AOF (اللوحة رقم ٢)

وبذلك فقد انحصرت تأثيرات النقابة الإغريقية على مسكوكات القنابية في حروف الشعار الإغريقي الدال على قبعة النقدية لمسكوكات. وصورة وجه المعودة الإغريقية أثينا، والبومة الواقعة على قذرة، مما يرجح أنه تلميح لتأثير النقابة الأحيى في جنوب الجزيرة العربية، ثم ما لبثت مسكوكات النقابة أن صارت عربية حلقة من حيث الرسوم والكتابات. (اللوحة رقم ٣)

٢- الملكية سبأ

صرب السبئيون المسكوكات ويرجع أقدمها إلى النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد، وكانت متأثرة بالطراز الإغريقي فنقش على وجهها رأس المعودة أثينا مرتدية خوذة وحولها أعصان زيتون، أما الظهر فعليه صورة البومة مع غصن الزيتون والهلال، ونقش عليها حروف بخط المسند لتدل على القيمة النقدية للمسكوكاة فحرف النون يرمز للوحدة النقدية الكاملة، وحرف الناء يرمز للنصف، وحرف الشين يرمز للربع.

(H ill 1922: 49-51)

ومد أواسط القرن الثاني قبل الميلاد نقشت أسماء الملوك على المسكوكات السبئية بخط المسند (يعني ١٩٧٩. ١٤٤-١٤٥)، وفي أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الأول قبل الميلاد صدرت مسكوكات جديدة نقش على وجهها رجل ملتح على رأسه تاج وهو أما يمثل الملك

أو يرمز للمعبود الملقب، أما على الظهر فتبدو النومة واقعة على قارورة، وعاد على بعض هذه المسكوكات الخط اليوناني مرة أخرى ممثلاً في الرمز الإغريقي AOE لكنه فقد معناه الحقيقي في ظل التعبير عن القيمة النقدية للمسكوكات بخط المسند (يوسف ٢٠٠٢، ٧٩)، وبذلك فقد انحصر التأثير الثقافي الأجنبي على كتابة حروف الشعار الإغريقي الدال على القيمة النقدية للمسكوكات.

وفي الفترة ما بين سني ٧٠ - ٤٠ ق م صدرت مسكوكات نقش على وجهها صورة نصفية للملك وحوله أعصان الريتون وعلى الظهر تدو النومة واقعة على القارورة وحوفا ومر المعود الملقب وبعض الحروف بخط المسند (اللوحة رقم ٤)، وفي الفترة ما بين سني ٤٠ - ٢٤ ق م ضربت مسكوكات سجلت عليها كتابات بالخطين الآرامي واللحياني وهو الشيء نفسه الذي رأيناه على المسكوكات النصفية من نوحه ولسه ٥) (هبي ١٩٩٦: ١٦٣-١٦٤، سيدوف داليد ١٩٩٩ ١١٩-١٢٠، قدوس ١٩٩٩ ١٨٨).

(Hill 1922 53-5, Dembski 1988 125-26, Pirenne 1988: 121)

ثم تأثرت المسكوكات النسية بالمسكوكات الرومانية سعة لسادت التحاري بين مملكة سبأ والرومان، وظهر التأثير الروماني واضحاً في رسوم النوحه، فقد صارت مملكة سبأ مسكوكات عرف باسم مسكوكات أغسطس نسبة للإمبراطور الروماني أغسطس (٦٢ ق م - ١٤ م) لكن الكتابة ظلت بخط المسند. (اللوحة رقم ٦)

(Dembski 1988: 125-26, Pirenne 1988: 121, Sedov 2001: 32, Hay 2003: 47-49)

ثم صارت مملكة سبأ مسكوكات تختصت تماماً من التأثيرات الإغريقية والرومانية، وضربت هذه المسكوكات في القرن الأول قبل الميلاد، ونقش عليها رأس رجل بمعبد الشعر يتجه إلى اليمين أو إلى اليسار، ونقش حول رأس الرجل الذي ربما يرمز إلى الملك المرأة وهي رمز المعود الملقب، وهاك رمز آخر يرجح أنه رمز المعود عثر، أما على الظهر فنقش رأس نور بقرين طويلين، ورمز المعود الملقب، وحرف الحاء أو حرف الميم والمرأة ورمز المعود الملقب (اللوحة رقم ٧)، وبذلك تختصت مسكوكات مملكة سبأ من التأثيرات الثقافية الأجنبية.

٣- مملكة حضرموت

صربت مملكة حضرموت مسكوكاتها المبكرة على الطراز الإغريقي وتوجه أقدمها إلى عمو سنة ٣٥٠ ق.م، وسجل عليها حرف الون بخط المسد ليدل على قيمتها القديمة (Hill 1922: 46-7). واستمر تسجيل الشعار الإغريقي الدال على القيمة القديمة للمسكوكات (اللوحة رقم ٨)، ثم صرب طراز جديد من المسكوكات الحضرمية جاءت نقوشها المسجلة بخط المسند كما يلي:

النوع الأول:

الوجه: صورة ثور سجل أعلاه اسم المعبود سين، وأمامه مكان الضرب "شقر"، وهو القصر الملكي الحضرمي.

الظهر: سجل عليه مكان الضرب "شقر"، (اللوحة رقم ٩)

النوع الثاني:

الوجه: رأس شخص عليه تاج وعا يرمز إلى الملك
الظهر: سجل عليه مكان الضرب "شقر" (هائي ١٩٩٦ :١٦١-١٦٢) (اللوحة رقم ١٠)

ضرب الملك "شهر إل يهرعش" في مطلع القرن الأول الميلادي طرازًا جديدًا من المسكوكات الحضرمية نقش عليها:

الوجه: رأس رجل متجه نحو اليمين يرحح أنه يرمز للملك وبحواره حرف الميم بخط المسد، واسم المعبود سين.

الظهر: صورة سر متجه إلى اليمين "شقر" حاحبه وهو يرمز للمعبود سين، وإلى اليسار نقش مكان الضرب "شقر"، وسجلت إلى اليمين حروف الياء والشين والهاء، وهي الحروف الثلاثة الأولى من اسم الملك شهر إل يهرعش (اللوحتان رقم ١١، ١٢) (هائي ١٩٩٦ :١٦١-١٦٢، Walker 1937: 262-79, Hay 2003: 49-50)، واستمرت هذه المسكوكات تضرب حتى نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلادي، وبذلك فإن مملكة حضرموت تعد أقل تأثيرًا بالثقافة الأجنبية من مملكتي قتاد، وسأ.

٤- مملكة حمير:

صربت مملكة حمير المسكوكات وبرجع أقدمها إلى سنة ١١٠ ق م وكانت متألزة بالمسكوكات القنبالية، ونقشت كتاباًها بخط المسد، وسجل عليها اسم "ريدان"، ثم صُربت مسكوكات أخرى تقليدًا لمسكوكات الإمبراطور الروماني أغسطس، وهذا هو التأثير الأحيى الوحيد على مسكوكات مملكة حمير.

أما المسكوكات الحميرية الأكثر انتشارًا فهي التي عرفت بذات الرأسين نظرًا لنقش رأس رجل على وجه كل مسكوكة وظهريها، فنقش على الوجه صورة رأس رجل غير ملتحج ربما تمثل هذه الصورة الملك، أما على الظهر فنقشت صورة مشابهة لكنها أصغر وكتب حولها "ريدان" واسم الملك ومكان الضرب وهو على أغلب المسكوكات الحميرية يعب (اللوحة رقم ١٣)، وحرب (اللوحة رقم ١٤)، ونقشت على بعض المسكوكات الحميرية رموز احتلف في تفسيرها، ويرى بعض الباحثين أنها تشير إلى الأمر الحاكم (نحوه رقم ١٥) (الحوالي ١٩٧١، ٢١٧؛ سيدوف ودفيد ١٩٩٩، ١٢٠؛ ددوس ١٩٩٩، ١٨٨؛ Dembski 1987: 33-34، Sedov 2001: 126، بما يرى "حروب" أنها ترمز لملوك، أو أماكن السك، أو قد ترمز إلى المعبودات. (علي ١٩٩٩: ٤٩١/٧)

وأصدرت مملكة حمير مسكوكات عربية حالصة وسجلت عليها أسماء الملوك مثل: "كرب إل يهيم" (اللوحة رقم ١٦)، و"عمدان بين يهقيش" (اللوحة رقم ١٧)، و"شمسر (شمسر) يهيم" (اللوحة رقم ١٨)، و"ثارن يعب يهيم" (اللوحة رقم ١٩).

(هنا ١٩٩٦، ١٦٣-١٦٦؛ Morgan 2003: 50-51، Hay 1922: 68-74، Hill 1979: 267)

وظلت مملكة حمير تضرب المسكوكات حتى أوائل القرن السادس الميلادي فقد حساء في المصادر الحميرية أن الملك يوسف أسار عندما كان يحاصر نجران طلب من زعمائها نقش اسمه على المسكوكات التي تضرب بها (العم ٢٠٠٠-٣٣٧) مما يدل على أن نجران كانت إحدى دور ضرب المسكوكات الحميرية، ويدل أيضًا على استمرار صربت المسكوكات في مملكة حمير حتى سقوطها على يد مملكة الحيرة سنة ٥٢٥ م.

٥ - مملكة كندة:

أسست قبيلة كندة مملكة كانت عاصمتها قرية (الفاو) التي امتدت حضارتها ما بين القرون الرابع قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي، ومن ملوكها الملك معاوية بن ربيعة ملك قحطان ومذحج الذي عثر على قبره في قرية (اعار) (الأصصاري ١٩٧٩: ٨؛ الأصصاري ١٩٨٢: ٢٠)، وقد أشارت نقوش جنوب الجزيرة العربية (حمام ٥٧٦، ٦٣٥، ٦٦٠، ٦٦٥، وركمانز ٥٠٩) إلى قرية باسم "قرية دات كهل" كما أشارت إلى ملك كندة، وترجع تواريخ هذه الكتابات إلى ما بين القرنين الأول والخامس الميلاديين (الأصصاري ١٩٧٩: ١٨؛ الأصصاري ١٩٨٢: ١٦؛ عفيف ١٩٩٢: ١٩٠).

ومنذ سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م بدأت جامعة الملك سعود بإجراء حفريات علمية في قرية (الفاو) تحت إشراف عبد الرحمن لطيف الأصصاري ثم جلاله النور على مسكوكات حشرت في قرية (الفاو) من أهمها مجموعة من **نقش العنقة والتروبريد** نفس على وجهها اسم "كهل" معبود كندة أو رمزه وعلى ظهرها صورة لشخص حاس أو وقف تحيط به أحرف بحسب المسد، وربما يرمز هذا الشخص إلى معبود كهل، وقد حشرت المسكوكات بقرية مد مطلع القرن الأول قبل الميلاد وحتى سنة ٣٢٥ م (الأصصاري ١٩٨٢: ٢٨؛ الأصصاري ١٩٨٤: ٤٤؛ الأصصاري ٢٠٠١: ٢١) (اللوحة رقم ٢٠)، ولا تعكس مسكوكات مملكة كندة أية تأثيرات ثقافية أجنبية، فقد سجلت كتاباتها بحسب المسد، أما الصور التي نقش عليها فإنما ذات طابع عربي صرف.

ثانيًا - مسكوكات ممالك شمال الجزيرة العربية:

١ - مملكة الأنباط

بعد الملك حارثة الثاني (١٢٠ - ٩٦ ق م) أول من ضرب المسكوكات من ملوك الأنباط، وكانت مسكوكاته متأثرة بالمسكوكات الإغريقية فقد نقش عليها صورة (تيكة Tyche) وحرف A وهو الحرف الأول من اسم حارثة الثاني (Arethas)، لكن الثقافة الإغريقية لم تكن طاغية على مسكوكات حارثة الثاني إذ أنه ضرب مسكوكات نقش عليها حرف الحاء بالخط الآرامي. (عماس ١٩٨٧: ٤٠؛ الرواحه ٢٠٠٢: ٦٠؛ يوسف ٢٠٠٦: ٢٣ - ٢٤)

تمكن الملك حارثة الثالث (٨٥ - ٦٢ ق.م) من ضم دمشق في السنة الأولى من حكمه بعد أن اتصل به أهلها وأبلوا رغبتهم في أن تكون مدينتهم تابعة لمملكة الأنباط بعد أن سمعوا من الإغارات المستمرة بين السلوقيين، وتحرش بظليموس بن معن (٨٥ - ٤٠ ق.م) ملك البطوريون (الأيتوريون)، فانصمت دمشق لمملكة الأنباط حتى سنة ٧٠ ق.م، وكانت دمشق قد سقطت في أيدي الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٣ ق.م، ثم صارت بعد وفاته جزءاً من المملكة السلوقية، وكان يقيم بدمشق آنذاك حاليات يونانية ومقدونية هي التي فصلت أن تكون دمشق تحت حكم الأنباط فقامت باستدعاء الملك حارثة الثالث. (عبدالعليم ١٩٨٦: ٨-١٩، عباس ١٩٨٧: ٤٢، مقدار ٢٠٠٤: ٦٧، مارة ٢٠٠٧: ٤٨-٥٠)

صرب الملك حارثة الثالث سلسلة من المسكوكات في دمشق، وتميزت مسكوكاته بأشكال أول مسكوكات نبطية يسجل عليها اسم الملك النبطي وصورته، قد نقش على وجه تلك المسكوكات صورة نصفة للنمط، وعلى الظهر صورة المعبودة تيكه وهي جالسة على عرش وتعد بذلك البنى إلى الأدم. وحرف كتابة بالخط اليوناني تنص اسم الملك ولقبه (عبد الملبية - عبد اليونان) (Silhe, Icnos)، (الوجه رقم ٢١) السيل ١٩٨٣: ٣٦؛ عباس ١٩٨٧: ٤٢، قادوس ١٩٩٩: ١٨٧، ٢٥٦، Morgan 1979: 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000)

وفي عهد الملك عبادة الثاني (٦٢ - ٥٩ ق.م) اقتصر التأثير الفني على الصور التي نقش على المسكوكات من حيث ملامح الوجه، وطريقة تصفيف الشعر، وصورة الصقر البطلمي، ونقش على مسكوكات عبادة الثاني عبارة (عبادة الملك ملك الأنباط) بالخط النبطي (يوسف ٢٠٠٦: ٢٥، Morgan 1979: 256)، وكان أول ملك نبطي يسجل اسمه على المسكوكات بالخط النبطي بعد أن كان أسلافه يسجلون أسماءهم بالخط اليوناني أو يرمزون لأسمائهم بحروف بالخط الآرامي. (اللوحة رقم ٢٢)، وهكذا فإن عهده شهد نهاية التأثيرات الثقافية الأجنبية، ولم يعد لها وجود على مسكوكات خلفائه حتى سقوط مملكة الأنباط، وخفاء عبادة الثاني هم:

الملك مالك الأول (٥٩ - ٣٠ ق.م) ومن مسكوكاته فلس نقش به على الوجه صورة الملك وعلى الظهر راحة يد وعبارة "مالك الملك ملك الأنباط" بالخط النبطي. (يوسف ٢٠٠٦: ٢٦-٢٧) (اللوحة رقم ٢٣)

الملك عبادة الثالث (٣٠ - ٩ ق م) ومن مسكوكاته فلس نقش به على الوجه صورة الملك وعبارة "عبادة الملك ملك الأباط، وعلى الظهر صورة الملك والملكة. (يوسف ٢٠٠٦: ٢٧-٢٩) (اللوحة رقم ٢٤)

الملك حاتنة الرابع (٩ ق م - ٤٠ م) الذي تلقب بـ"نقب" (حب أمته - شعبه)، ومن مسكوكاته درهم من الفضة نقش على الوجه صورة الملك وحولها عبارة: حاتنة ملك الأباط حب أمته، وعلى الظهر صورة الملكة خلدة (حديقة) وحولها عبارة: الملكة خلدة مدكة الأباط (يوسف ٢٠٠٦: ٢٩-٣٢) (اللوحة رقم ٢٥)

الملك مالك الثاني (٤٠ - ٧٠ م) ومن مسكوكاته فلس نقش به على الوجه صورة الملك، وعلى الظهر صورة زوجته الملكة شقيلة (يوسف ٢٠٠٦: ٣٢-٣٣) (اللوحة رقم ٢٦)

الملك رب إيل الثاني (٧٠ - ١٠٦ م) ومن مسكوكاته درهم من الفضة نقش على الوجه صورة الملك، وعلى الظهر صورة زوجته الملكة شقيلة (اللوحة رقم ٢٧)

(يوسف ٢٠٠٢: ٨٩ - ٩٢، يوسف ٢٠٠٦: ٣٣، ٣٤، ٥٤-٥٥: 2004: Yousef)

٢- مملكة تدمر :

كان للمسكوكات دور مهم في الصراع الذي دار بين الملكة ريب والرومان، وكانت الملكة ريب قد انتهزت فرصة النزاعات الداخلية في روما فأحكمت سيطرتها على سورية ثم استولت على مصر سنة ٢٧٠ م وولعت اتفاقاً مع الرومان يقضي بأن يكون حكم مصر مشتركاً بين الرومان وملكة تدمر، واستمر هذا الاتفاق خلال عهد الإمبراطور كلوديوس وحلفه أورليان (٢٧٠ - ٢٧٥ م)، ويحلى هذا الاتفاق في نقوش المسكوكات التدمرية التي ضربت في الإسكندرية فيما بين سنتي ٢٧٠ و ٢٧١ م (علي ١٩٦٩: ١١٥/٣؛ الأسعد وهانسن ٢٠٠٦: ١٩٢-١٩٥)

ومن تلك المسكوكات التي ضربت في الإسكندرية تماذج نقش على وجهها صورة نصيفة للملك وهب اللات وكتب حولها عبارة بالخط اليوناني نصها: (أورليوي أوباتيوس سيبتيموس وهب اللات أنيادوروس هيباتوس أوتو كراتور استراتيجوس روميون)، ونقش على الظهر

صورة نصفية للإمبراطور الروماني أورليان وكتب حولها عبارة بالخط اليوناني نصها: (الأثوكراتور الإمبراطور لوكيوس أوليوس سيباستوس) (اللوح رقم ٢٨) (الأسعد وهانس Morgan 1979: 231 ١٩٨-١٩٧: ٢٠٠٦)

ومن المسكوكات التدمرية المضروبة في الإسكندرية أيضاً مسكوكة نقش بها على الوجه صورة الملكة زيب وحولها كتابة بالخط اليوناني (اللوح رقم ٢٩)، ومن المسكوكات التدمرية المضروبة في الإسكندرية مسكوكة برونزية نقش بها على الوجه صورة نصفية للإمبراطور أورليان، والملك وهب اللات تقفان وجهان لوجه. وكتب حولهما بالخط اليوناني عبارة نصها: (أورليانوس والبادوروس)، ونقش على الظهر إكليل غاز في المسامش، وفي المركز تباريح الضرب وهو السنة الأولى من حكم الإمبراطور أورليان، والسنة الرابعة من حكم الملك وهب اللات (الأسعد وهانس ١٩٨: ٢٠٠٦). ويقطع ضرب المسكوكات التدمرية بالإسكندرية بنهاية أغسطس سنة ٢٧١ م. (على ١٩٦٩: ٣/١١٧)

وبما سجلت الكتب على المسكوكات التدمرية المضروبة في الإسكندرية بالخط اليوناني فقد سجلت الكتابات على المسكوكات التدمرية المضروبة في أنطاكية وحض بالخط اللاتيني، ومنها مسكوكة نقش على وجهها صورة نصفية لسمكة زيب، وكتب حولها الرمز الخاص بها وهو:

СЕПТИМІА. ЗНОВІА. ССВ (سبتيموس زونويا) أي زونويا المعظمة وعلى الظهر صورة امرأة واقفة ومما ترمز لإحدى المعبودات سجلت تحت ذراعها الأيمن الحرفان: L.E، وتحمل بيدها اليسرى سبتلين رمز الوفرة والرخاء (اللوح رقم ٣٠) (Morgan 1979: 230،) (Hoyland 2001: 76)

ومن المسكوكات التدمرية المضروبة في أنطاكية مسكوكة فضية نقش بها على الوجه صورة نصفية للإمبراطور أورليان، وعلى الظهر صورة نصفية للملك وهب اللات وحوله كتابة بالخط اللاتيني تتضمن ألقابه، ومنها لقب الإمبراطور Imperator مما جعله في منزلة واحدة مع الإمبراطور أورليان. (الأسعد وهانس ١٩٩: ٢٠٠٦)

وفي الفترة الأخيرة من حكم الملك وهب اللات ضربت مسكوكات في كل من الإسكندرية، وأنطاكية، وحض نقش عليها صورة الملك وهب اللات مع لقي (الإمبراطور

والأوغست)، وصورة الملكة زينب مع لقي (الأوغستا والمُعظمة)، ومن هذه المسكوكات مسكوكة ضربت في حصن نقش على وجهها صورة نصفية للملكة زينب وهي ترتدي اللباس العسكري والخوذة وكتب حولها عبارة بالخط اللاتيني نصها (سبتيميا روبا أوغستا) أما ظهر المسكوكة لمطموس، والمسكوكة محفوظة في متحف تلمر (رقم ٩١١٤ لعام ١٩٩١م) (الأسعد وهانسن ٢٠٠٦: ١٩٩).

ورغم تأثر مملكة تدمر بالثقافة الأجنبية نظرًا لاحتكاكها المستمر مع الرومان إلا أن حضارة مملكة تدمر كانت حضارة عربية خالصة، ويكفي أن نقف عند شهادة المؤرخ الفرنسي لفرولي الذي زار تدمر في القرن الثامن عشر الميلادي وقال عنها (يجب أن نعترف وبصدق أن كل ما خلفه اليونان والرومان ليس شيئاً أمام عظمة تدمر). (الأسعد وهانسن ٢٠٠٦: ٢٢٣).

٣- مملكة الحضر :

ضربت مملكة الحضر نوعين من المسكوكات لأرض صرب من النحاس، نقش على وجه المسكوكات رأس المعبد شمس يوضع حالي منحه من اليمن، تحيط به كتابات الآرامية نصها "حضر دي شمس" أي الحضر عدة الشمس، أو مدينة المعبد شمس، وعلى الظهر صورة نسر ناشر جناحه، أما النوع الثاني من مسكوكات مملكة الحضر فقد نقش على وجهها رأس المعبد شمس، وعلى الظهر نسر واقف على غصن مورق وهو ناشر جناحه (دلتسر ١٩٩٨: ١٥-١٦)، وغنل مسكوكات مملكة الحضر غلبة الثقافة الآرامية التي انتشرت في بلاد الشرق الأدنى القديم منذ القرن السابع قبل الميلاد.

٤- مملكة الرها :

ومن ملوك الرها الذين ضربوا المسكوكات:

- ١- الملك وائل شهرو (١٦٣ - ١٦٥م)، نقش على وجه مسكوكاته صورة نصفية للملك، وكتب حولها بالخط الآرامي عبارة الملك وائل، ويحف بالصورة والعبارة عصا زيتون، وأما على الظهر فقد نقش صورة لمعد (إل) في الرها وكتب حولها بالخط الآرامي اسم المعبد (إل)، ويحف بصورة المعد عصا زيتون (اللوحة رقم ٣١) (Morgan 1979: 235).

٢ - الملك أبحر الثامن (١٦٥ - ١٦٧م)، وحرب في عهده نوعان من المسكوكات الأول سجلت كتاباته بالخط الآرامي، نقش على الوجه صورة نصفية للملك أبحر، وعلى الظهر عبارة: الملك أبحر (اللوحة رقم ٣٢) (Morgan 1979: 235)، أما النوع الثاني فنقش على الوجه صورة نصفية للملك أبحر، وحوله اسمه بالخط اليوناني، وعلى الظهر صورة نصفية للملك معو (معن) الثامن، واسمه بالخط اليوناني. (اللوحة رقم ٣٢) (Morgan 1979: 235)، ومن الغريب أن يسجل اسم الملكين أبحر الثامن، ومعو الثامن على هذا النوع من المسكوكات، والجدير بالذكر أن معو الثامن تولى الحكم لتتربى الأولى كانت ما بين سنتي ١٣٩ - ١٦٣م أي قبل حكم الملك أبحر الثامن. ولا تعرف له مسكوكات تعود إلى تلك الفترة، ومسكوكاته المعروفة تعود لفترة حكمه الثانية الممتدة ما بين سنتي ١٦٧ - ١٧٩م.

٣ - الملك معو (معن) الثامن (١٣٩ - ١٦٣م و ١٦٧ - ١٧٩م)، ضرب نوعين من المسكوكات سجلت الكتابات على النوع الأول بالخط الآرامي، ونقش على الوجه صورة نصفية للملك، وعلى الظهر عبارة: الملك معو (نحوه رقم ٣٣) (Morgan 1979: 237)، وسجلت الكتابات على نوع ثانٍ بالخط اليوناني. ونقش على الوجه صورة نصفية للملك وحوله اسمه بالخط اليوناني (اللوحة رقم ٣٣) (Morgan 1979: 236).

٤ - الملك أبحر التاسع (٢١٤ - ٢١٦م)، في عهده طغت الثقافة الإغريقية على مملكة الرها، وسجلت الكتابات على المسكوكات بالخط اليوناني فقط واحتفى الخط الآرامي، وممن أمثلة ذلك مسكوكة سجل عليها اسم الرها كما يلي: M.A.K. AVP EDECC (اللوحة رقم ٣٤).

(Morgan 1979: 237)

تعد مسكوكات مملكة الرها الصراع الحضاري بين الثقافة الإغريقية التي يمثلها انتشار الخط اليوناني، والثقافة العربية التي يمثلها استخدام الخط الآرامي، فقد غلبت الثقافة العربية على مسكوكات مملكة الرها خلال عهد الملك وانث شهور (١٦٣ - ١٦٥م)، ثم بدأت الثقافة الإغريقية تغزو مملكة الرها منذ عهد الملك أبحر الثامن (١٦٥ - ١٦٧م)، لظهور الخط اليوناني جاً إلى حسب مع الخط الآرامي، واستمر الحال كذلك خلال عهد الملك معو (معن) الثامن

(١٣٩ - ١٦٣ م، ١٦٧ - ١٧٩ م)، وتعلبت الثقافة الإغريقية تمامًا في عهد الملك أنيسر التاسع وتغلب ذلك في انتشار الخط اليوناني وانحسار الكتابة بالخط الآرامي (٢١٤ - ٢١٦ م).

وبالرغم من أن اللغة الآرامية أصبحت هي اللغة الدبلوماسية واللغة الدولية عوضًا عن الأكديّة منذ نهاية القرن السابع قبل الميلاد (سومر ٢٠٠٧: ١١٢)، إلا أن غسرو الإسكندر لشرق أدخل اللغة اليونانية كلغة رسمية عوضًا عن الآرامية، وبعد موته سنة ٣٢٣ ق م ظلت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية خلفائه "السلوقيون في سورية، والبطلمة في مصر"، أما اللغة الآرامية التي انحطت عن مرتبتها الرفيعة، ونتج عن احتكاك الآرامية باليونانية أن تلفت عددًا غير يسير من الكلمات اليونانية (سومر ٢٠٠٧: ١٢٣ - ١٢٤).

لكن الخط اليوناني تأثر بالخط الآرامي وأخذ به أشكال الحروف وترتيبها، ويشرح ذلك رولانيل بابو إسحق بقوله: "إن أقدم الألفبائية ذكرها قسم أهل جنات الشرقية من أقطار بابل وهو قلم مقطع الحروف مربعها على الأغلب قد تعبه اليهود ليس حلالهم يختصر ٦٠٤ - ٦١٥ ق م" من سكان بابل وحققوه إلى يومنا ويسمى الآن الخط الآشوري المربع. وتعلم هذا الخط نفسه أو أضه اليونان. ولما يزيد ذلك أن حروف اللغة اليونانية مرتبة ترتيب الحروف الآرامية أصلًا وإن تسميها في كتابتها واحدة إلا أنهم وضعوا في أواخرها ألف الإطلاق وغيروا بعضها تغييرًا يسيرًا فصلًا عن أن صور الحروف اليونانية في أوائلها تشبه كثيرًا الحروف الآرامية القديمة). (إسحق ٢٠٠٧: ٢٠).

ثالثًا - مسكوكات ممالك شرق الجزيرة العربية:

١- مملكة ميسان

من الملوك الميسانيين الذين ضربوا المسكوكات:

الملك هايسبارسنيس (١٢٥-١٢٤ ق م) نقش على مسكوكاته في الوجه صورته، أما على الظهر فقد نقش صورة المعبود هرقل جالسًا على العرش ويده اليمنى يمسك صسولجان وحوله كتابات بالخط اليوناني (Morgan 1979: 214) (اللوحة رقم ٣٥)، واستمر الخط اليوناني على المسكوكات الميسانية في عهد كل من: الملك تيرايس الأول (٩٥ - ٨٨ ق.م)، والملك تيرايس الثاني (٦٩-٥٢ ق.م).

وفي عهد الملك أنامبيلوس الأول (عطا الله - تيم بعلل) (٤٧ - ٢٧ ق م): سجلت الكتابة على المسكوكات الميسانية بالخط الآرامي بدلاً من اليوناني (الحسيني ١٩٨٦: ٣١-٣٢).

لكن الخط اليوناني عاد مرة أخرى منذ عهد الملك ثيو نيسوس الأول (٤٠ - ٣٩ ق م)، وظلت المسكوكات الميسانية تصرب على هذا المتوال طوال عهد خلفاء الملك ثيو نيسوس الأول.

ومنذ عهد الملك ايسرجاوس "اينرجولوس" (١٦٥ - ١٨٠ م) اختفى الخط اليوناني من المسكوكات الميسانية وصارت الكتابات تسجل بالخط الآرامي فقط، واستمر الحال كذلك في عهد الملك ماسا (١٩٥ - ٢١٠ م) الذي ضربت في عهده أغلب المسكوكات الميسانية المكتشفة إلى الآن (Morgan 1979: 224-225) (اللوحة رقم ٣٦).

وكان يوجد في المتحف العراقي بعداد نحو أربع مائة مسكوكة صرت في عهد تسعة من ملوك مملكة ميسان، لكنها تمت صلب محتويات المتحف العراقي على يد قوات الحملة الصليبية الصهيونية على العراق في أبريل ٢٠٠٣ م (وصف ٢٠٠٧: ١٨ ١٩).

كانت مملكة ميسان على العكس من مملكة أرها فقد عكست مسكوكاتها الميكورة مدى تفاعل الثقافة الإغريقية ممثلة في نقش صور المعود الإغريقي هرقل، وتسجيل الكتابات بالخط اليوناني منذ عهد الملك هامبوسيس (١٢٥ - ١٢٤ ق م)، وإذا كانت مسكوكات الملك أنامبيلوس الأول (٤٧ - ٢٧ ق م) قد أشارت إلى انحسار الغزو الثقافي الإغريقي فإن الثقافة الإغريقية ما لبثت أن استعادت سيطرتها على مملكة ميسان في عهد الملك ثيو نيسوس الأول (٤٠ - ٣٩ ق م)، إلا أن الملك ايسرجاوس "اينرجولوس" (١٦٥ - ١٨٠ م) وحفاته انحسروا في التصدي للغزو الثقافي الإغريقي ويؤكد ذلك استخدام الخط الآرامي على المسكوكات الميسانية حتى انتهاء عصر المملكة.

٢ - مسكوكات مدن شرق الجزيرة العربية

أ - عُمانا (الدور) يقع مباء عمنا (الدور) في إمارة أم القيوين بدولة الإمارات العربية المتحدة، ونقش على المسكوكات التي ضربت بعُمانا (الدور) حروف بخط المسند بالخطوط

النالية. المسد، والآرامي، واليوناني، واللاتيني ومن المسكوكات التي ضربت في عمّان (الدور) مسكوكة نقش على وجهها رأس المعبود هرقل، وعلى ظهرها المعبود زيوس جالساً على عرشه ويسند على ذراعه اليمنى الممتدة حصاناً بينما تلف يده اليسرى حول صولجان وأمامه حلبة وحرفي H E (اللوحة رقم ٣٧). (القيسي ١٩٧٥: ١٢١-١٢٤؛ بونتس ١٩٩٨: ٣٦-١٣٧ بن صراي ٢٠٠٠: ٤٩-٤٢).

ب - مليحة: عثر بها على مسكوكات ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد نقش عليها اسم (أب إل) بالخط الآرامي، ويعتقد أن أب إل اسم ملك من ملوك مدن شرق الجزيرة العربية، أو أنه الاسم الغلي للمعبود هرقل الذي نقش صورته على المسكوكات المصروبة في شرق الجزيرة العربية. (بن صراي ٢٠٠٢: ١١٣-١١٤)، وربما تكون تعويذة مثل (ود أب) التي سجلت على العديد من ماني مدينة نجران القديمة (الأحدود) (يوسف ٢٠٠٧: ١٢).

ج - ثاح: عثر بها على العديد من المسكوكات التي ضربت على النمط الشائع في شرق الجزيرة العربية كما عثر بها على مسكوكات نقش عليها اسم (أب إل) بخط المسد (Potts 1990: 63). وكانت ثاح من مراكز ضرب المسكوكات إذ وجد بها قلب سلك من الذهب قطره حوالي ٢ سم نقش عليه صورة شخص جالس على عرشه ويسند صولجان ومحاوره لسم (بونتس ١٩٩٨: ١٨).

د - كزان: عثر بها على مسكوكات نقش عليها اسم (أب إل)، واسم المعبود (شمس)، واسم المعبود (شمس)، وقد كتبت بخط المسد. (Potts 1990: 66)

هـ - البحرين (تابلوس): بعد وفاة الإسكندر الأكبر أصدر خلفائه مسكوكات ثم تداولها في البحرين وغيرها من مدن شرق الجزيرة العربية، ومن أمثلتها: مسكوكة لصبية نقش على وجهها صورة المعبود زيوس جالساً على العرش ويحمل في يده اليمنى صولجان، ونقش على الظهر صورة أسد.

وفي سنة ١٩٧٠م عثرت اللجنة المتأخرية على كثر من المسكوكات في قلعة البحرين منها مسكوكات نقش عليها اسم المعبود (شمس) بخط المسد، بينما نقش على مسكوكات أخرى حرف الشين الحرف الأول من اسم المعبود (شمس) بخط المسد. (Potts 1990: 63. (Callot 1999: 203)

كما عثرت البعثة نفسها على مسكوكات نقش عليها اسم (أب إل) بخط المستد، وأرجع مارغولوم Morkholm تاريخ هذه المسكوكات إلى ما بين سنتي ٢٤٥ - ٢٤١ ق م، بينما يرى روبين Robin أنها تعود إلى الفترة ما بين سنتي ١٥٠ - ١٤٠ ق م. (Potts 1990: 63)

و - فيلكا (إيكاروس): عثرت البعثة الأثريّة التي قامت بالتنقيب في فيلكا سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م على ثلاثة عشر قطعة مسكوكة منها مسكوكة برونزية نقش على وجهها صورة الملك السلوقي أنطيوخوس الثاني وعلى الظهر معبودة النصر (تيكة - فورتونا) واقفة في قارب على شكل بطة (جمال ١٩٩٩: ١٨)، كما عثرت البعثة على مسكوكة فضة ترجع لعهد الملك السلوقي أنطيوخوس الثالث (٢٢٣-١٨٧ ق م) نقش على وجهها صورة الملك أنطيوخوس وعلى الظهر المعبود أبولو حامي الأسرة السلوقية جالساً على عرشه وبهذه اليمنى سهم وأمام المعبود أبولو نقش اسم الملك أنطيوخوس وخلفه نقش ختم الضارب بالخط اليوناني (اللوحة رقم ٣٨)، (ربال ١٩٨٤ ٧-٨، الشلة ١٩٨٧ ١٩٤٥ Carrdice: 51)

وفي سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م عثرت البعثة الفرنسية على العديد من المسكوكات في فيلكا ومنها: مسكوكة فضة نقش على وجهها صورة الإسكندر الأكبر وعلى الظهر المعبود ديوس جالساً على عرشه ويسند على ذراعه اليمنى لمتدة طائر بينما تلف يده اليسرى حول صولجان (اللوحة رقم ٣٩)، ومسكوكة فضة نقش على وجهها صورة ملوقس الأول وعلى الظهر المعبود ديوس جالساً على عرشه ويسند على ذراعه اليمنى لمتدة طائر بينما تلف يده اليسرى حول صولجان. (جمال ١٩٩٩: ١٨)

تمثل المسكوكات المضروبة في مدن شرق الجزيرة العربية التمازج بين ثقافة لمالك جنوب الحبوب الجزيرة العربية وثقافتها وذلك من خلال استخدام الخطين المستد والآرامي، بالرغم من طغيان الثقافة الأجنبية التي فرضتها السيطرة الإغريقية ثم السلوقية على أجزاء واسعة من شرق الجزيرة العربية، التي تظهر في المسكوكات التي ضربها الملوك السلوقيين في المنطقة، والسيطرة السياسية والاقتصادية الكاملة على المنطقة.

خاتمة:

١ - انحصر التأثير الثقافي الأجنبي على المسكوكات المبكرة لمالك جنوب الجزيرة العربية في استخدام الخط اليوناني الذي تمثل في شعار الإغريقي الدال على القيمة القديمة

للمسكوكات AOE ، ونقش صورة المعبودة الإغريقية أثلها، ونقش صورة البومة الواقعة على قارورة.

٢ - نظرًا للنفاس التجاري بين مملكة سبأ والإمبراطورية الرومانية فقد ضربت مملكة سبأ طرازًا من المسكوكات على غط المسكوكات الرومانية، وهو الطراز الذي عرف باسم مسكوكات أغسطس، وسجلت الكتابات على هذه المسكوكات بخط المسند.

٣ - اقتصر التأثير الثقافي الأجنبي على مسكوكات مملكتنا حضرموت وحير على تآثر المسكوكات الحضرمية بنقش الشعر الإغريقي الدال على القيمة النقدية بالخط اليوناني، وتأثر المسكوكات الحميرية بالمسكوكات الرومانية التي ضربت في عهد الإمبراطور أغسطس، وتأثرت بها أيضًا المسكوكات السبئية.

٤ - تجلّت غلبة الثقافة العربية وقبادةا بين ممالك حوض الجزيرة العربية وشمالها في قيام الممالك الجنوبية (قحطان، وسبأ) بإصدار مسكوكات نقش عليها كتابات بالخطين اللحياني والآرامي، وهما المستعملان في شمال الجزيرة العربية.

٥ - صار الملك السطي حدرثة الثالث عمدة حامي الثقافة الإغريقية بعد أن ضم دمشق إلى حكمه سنة ٨٥ ق.م، فلم يسجل على مسكوكاته إلا الخط اليوناني، ونقش عليها لقبه (محب المحلية - محب اليونان)، لكن حليفه الملك عبادة الثاني كان أول ملك نبطي يستخدم الخط البطني على المسكوكات، وبذلك وضع حدًا لانتشار الثقافة المحلية في مملكة الأنباط التي لم تستعمل على مسكوكاتها إلا الخط البطني منذ عهده وحتى سقوطها على أيدي الرومان سنة ١٠٦ م.

٦ - بدأت مملكة الرها تضرب مسكوكاتها بعيدًا عن التأثيرات الثقافية الأجنبية لكنها ما لبثت أن دخلت تحت السيطرة الثقافية الأجنبية بعد أن تحت عن الخط الآرامي لصالح الخط اليوناني، أما مسكوكات مملكة ميسان المبكرة فقد أظهرت أن المملكة كانت واقعة تحت التأثير الثقافي الأجنبي باستخدام الخط اليوناني لكنها ومنذ عهد الملك ابنيرجاوس (١٦٥ - ١٨٠ م) تخلصت من التأثيرات الثقافية الأجنبية وصارت مسكوكاتها عربية الطابع تسجل كتابتها بالخط

الآرامي حتى عهد الملك ماحا (١٩٥ - ٢١٠م)، وهو آخر ملك وصلتنا مسكوكاته حتى الآن.

٧ - لم تتأثر مسكوكات مملكة الحضر وكدة بأية تأثيرات أجنبية فقد غلب على مسكوكات مملكة الحضر استخدام الخط الآرامي، بينما غلب على مسكوكات مملكة كدة استخدام خط المسند.

٨ - ولعت مسكوكات مملكة تدمر تماماً تحت مظلة الثقافة الأجنبية ويبدو ذلك من خلال استخدام الخط اليوناني على مسكوكاتها المضروبة في الإسكندرية، والخط اللاتيني على مسكوكاتها المضروبة في أنطاكية وحصص، إلا أن حضارة مملكة تدمر كانت حضارة عربية حاصلة، ويكفي أن نقف عند شهادة المؤرخ الفرنسي فولبي الذي زار تدمر في القرن الثامن عشر الميلادي وقال عنها (عب أن تعترف ويصدق أن كل ما حقه اليونان والرومان ليس شيئاً أمام عظمة تدمر).

٩ - مزجت مسكوكات مملكة تدمر في شرق الجزيرة العربية بين الثقافة العربية، والثقافة الإغريقية، فظهر على مسكوكاتها الخط اليوناني. والخط اللاتيني إلى جانب خط المسند، والخط الآرامي، كما نقش عليها صور المعبودات الإغريقية، والسوقية إلى جانب المعبودات العربية.

١٠ - إذا كان غزو الإسكندر قد أدخل للشرق اللغة اليونانية وفرضها لغة رسمية بدلاً من الآرامية، فإن الخط اليوناني تأثر بالخط الآرامي وأخذ منه أشكال الحروف وترتيبها.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

إسحق، روفائيل ٢٠٠٧ الأراميون لسانهم وأقلامهم ص ص ٧ - ٢٢ (الأراميون، دار
الوراق للنشر المخطوطة، بغداد)

الأسعد، خالد، و فين. أوفه ويدبرغ - هانسن ٢٠٠٦ زنبوب ملكة تدمر والشرق. (الطبعة
الأولى، دمشق)

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب ١٩٧٩ أضواء جديدة على دولة كندة من خلال آثار قرية
الغار ونقوشها. ص ص ٣ - ١١ (الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ
الجزيرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م - مصادر تزيح الجزيرة العربية - كلية الآداب - جامعة
(الرياض) الملك سعود - الكتاب الأول - الجزء الأول مطابع جامعة (الرياض) الملك سعود)
الأنصاري، عبدالرحمن الطيب ١٩٨٢ قرية غار صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في
المملكة العربية السعودية. (جامعة الرياض)

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب ١٩٨٤ أثر الفنون العربية قبل الإسلام في الفن الإسلامي.
ص ص ٣٩ - ٤٨ (المجلة العربية للثقافة - السنة الرابعة - العدد السابع - ذوالحجة
١٤٠٤هـ/سبتمبر ١٩٨٤م - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب وآخرون ٢٠٠١ الدليل الموجز لأشهر المواقع الأثرية
وفنون الوطن العربي. (الإصدار الأول - شتات من تاريخ الحريّة العربية القديم من حلال
الاكتشافات الأثرية - جمعية الآثاريين العرب - القاهرة)

المكر، منذر عبدالكريم ١٩٨٠ دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام - تاريخ الدول
الجنوبية في اليمن. (جامعة البصرة)

بوتس، دنيال ١٩٩٨ مسكوكات ما قبل الإسلام في شرق الجزيرة العربية. (ترجمة صباح
عود جاسم - دائرة الثقافة والإعلام - الشارقة - الطبعة الأولى)

النل، صفوان خلف ١٩٨٣ تطور المسكوكات في الأردن عبر التاريخ. (البنك المركزي الأردني - عمان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)

الحواني، محمد علي الأكرع ١٩٧١ اليمن الحضراء مهد الحضارة. (الطبعة الأولى، القاهرة) دفتر، ناهض عبدالرزاق ١٩٩٨ المسكوكات وكتابة التاريخ. (الطبعة الأولى - بغداد) الرواحنة، مسلم ٢٠٠٢ عهد الحارث الرابع دراسة في مجموعة خاصة من المسكوكات النبطية. (مشروع بيت الأنباط للتأليف والنشر ٩٠٠ البقاء - الأردن) سارة، خليل ٢٠٠٧ العولمة في العصر الهلنستي، عصر الإسكندر وما بعده ص ص ٣٨ - ٥١. (المعرفة، العدد ٥٢١، السنة ٤٥، محرم ١٤٢٨هـ - شباط ٢٠٠٧م، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية)

سومر، دويوت ٢٠٠٧ الآراميون (ترجمة البر أنونا، دار الأوراق للنشر المجلدة، بغداد) بن صراي، حمد محمد ٢٠٠٠ موقع مياه عمانا ودور الحصاري والاقتصادي في منطقة الخليج العربي. ص ص ٣٣ - ٥٨ (آدمياتي - العدد الثاني - ربيع الثاني ١٤٢١هـ/يوليو ٢٠٠٠م)

بن صراي، حمد محمد ٢٠٠٢ أسماء الأعلام الواردة على العملات المكتشفة في شرقي الجزيرة العربية ص ص ١٠٩ - ١٢٥ (اللقاء العلمي لجمعية التاريخ والآثار ببول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، مسقط، محرم - صفر ١٤٢٢هـ/أبريل ٢٠٠١م) عباس، إحسان ١٩٨٧ تاريخ دولة الأنباط. (الطبعة الأولى - عمان)

عبدالعليم، مصطفى كمال ١٩٨٦ الايتوريون عرب ليسان القدماء ص ص ٧ - ٢٠. (المصور، المجلد الأول، الجزء الأول، جمادى الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

عفيف، أحمد جابر وآخرون ١٩٩٢ الموسوعة اليمنية. (الطبعة الأولى - بيروت) علي، جواد ١٩٦٩ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (الطبعة الأولى - بيروت) قادوس، عزت زكي حامد ١٩٩٩ العملات اليونانية والهلنستية. (الطبعة الأولى - الإسكندرية)

القمي، ربيع ١٩٧٥ تحريات وتنقيبات أثرية في دولة الإمارات العربية المتحدة ص ص ٧٥ - ١٥٥ (سومر، المجلد الحادي والثلاثون، الجزء الأول والثاني، وزارة الإعلام، بغداد)

مقداد، خليل ٢٠٠٤ بصرى عاصمة الأباط. (الطبعة الأولى، دمشق)

النعيم، نورة عبدالله علي ٢٠٠٠ التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير (مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض)

هاي، سوزان منرو ١٩٩٦ عملات شوبة و عملات متحف عدن الوطني. ص ص ١٦٠ - ١٦٦ (شوبة عاصمة حضرموت القديمة - نتائج أعمال البعثة الفرنسية اليمنية - المركز الفرنسي للدراسات اليمنية بصنعاء - الطبعة الأولى صنعاء)

بجى، لطفي عبدالوهاب ١٩٧٩ العرب في العصور القديمة، مدخل حصاري في تاريخ العرب قبل الإسلام (دار النهضة العربية، بيروت).

يوسف، فرج الله أحمد ٢٠٠٢ مسكوكات مملكة الجزيرة العربية قبل الإسلام. ص ص ٧٣ - ١٠٢ (أدوماتو، العدد الخامس ذو القعدة ١٤٢٣هـ - يناير ٢٠٠٢م)

يوسف، فرج الله أحمد ٢٠٠٦ مسكوكات مملكة الأباط (الطبعة الأولى، دار الفواصل للنشر والتوزيع، الرياض)

يوسف، فرج الله أحمد ٢٠٠٧ مسكوكات من شرقي الجزيرة العربية قبل الإسلام. ص ص ٥٣ - ٧ (العصور، المجلد السابع عشر، الجزء الأول ذو الحجة ١٤٢٧هـ - يناير ٢٠٠٧م)

لأننا: المراجع الأجنبية:

- Dembski, G. 1987. The Coins of Arabia Felix. PP. 125-28 (Yemen 3000 Years of Art and Civilization in Arabia Felix at the Staatliches Museum für Völkerkunde München 29 April 1987 to April 1988)
- Hay, S.M. 2003. Coinage of Arabia Felix. The pre-Islamic Coinage of the Yemen. (Mare Erythraeum, VI, Milano)
- Hill, G. F. 1922. Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persia. (London)
- Holland, R.G. 2001 Arabia and Arabs from the Bronze Age to the Coming of Islam (London & New York)
- Kammerer, A. 1929. Petra et La Nabatene. (Paris)
- Morgan, J. 1979. Manual de Numismatique Orientale L'antiquite et du Moyen Age. (Chicago)
- Pirenne, J. 1988. The Chronology of Ancient South Arabia Diversity of Opinion. PP. 116-22 (Yemen 3000 Years of Art and Civilization in Arabia Felix at the Staatliches Museum für Völkerkunde München 29 April 1987 to April 1988)
- Potts, T. 1990. The Arabian Gulf in Antiquity, Vol. II from Alexander the Great to the Coming of Islam. (Oxford)
- Sedov, A. V. 2001. The Coins of Pre-Islamic Yemen: General Remarks. PP. 28-38 (Adumatu – issue No.3 Jan 2001)
- Walker, J. 1937. A New Type of South Arabian Coinage PP. 260-79 (Numismatic Chronicle 17, 5th ser.)
- Yousef, F. A. 2004. Coinage of Nabataeans. PP. 51- 70 (Adumatu, Issue No. 10)



صورة ٥٥ من الميسكات كالتا الأرمينية التي تلتها بعد المسك كالتا القبطانية الباطنية

ARCHIVE

مكتبة وحفظ



مسك كالتا القبطانية من صورة أوائل القرن الثاني ق.م

الجزء ٣ من المجلد ٣



مجموعتنا من المجلدات التي تم إصدارها من قبل المؤسسة الوطنية للثقافة



مجموعتنا من المجلدات التي تم إصدارها من قبل المؤسسة الوطنية للثقافة

الموسم في العالم

[illegible]

ARCHIVAT

١٩٩٤، ص ١٠٠، رقم ١٠٠.



شعوب ارجح من انفسهم كانت السبعية الخالصة بالانكليزية كالكلام التوقراطية

الکلیه سکه زر طلسم ۴



مستطابق طاقی وندشویه بهمنگانه اذکاره طلمر وند. به طلمر وند طلمر وند مستطابق طلمر وند.

ARCHIVE

الکلیه سکه زر طلسم ۴



مستطابق طاقی وندشویه بهمنگانه اذکاره طلمر وند. به طلمر وند طلمر وند مستطابق طلمر وند.

شماره ۴، سال ۹۰



پایگاه ملی اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

ARCHIVE

شماره ۴، سال ۹۰



پایگاه ملی اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

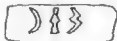
الرقعة رقم ١٦



موقع هر ١٦، هو خمار الذي هو راحة اليد المصنوعة من الحجر في (بدر صان) بك صقلية
الشرق الأوسط - شوكات في

ARCHIVE

الرقعة رقم ١٧



رقعة رقم ١٧، هي قطعة من الرخام التي تم العثور عليها في (بدر صان) بك صقلية
الشرق الأوسط - شوكات في ١٩٩٦ ١٩٩٥

التوضيح رقم ١٨



مستطابق للمجموعة من نوع ذاتيات أسير

ARCHIVE

التوضيح رقم ١٩



رسم التوضيح، مستطابق للمجموعة من نوع ذاتيات أسير

(١٩٩١ - ١٩٩٥)

کتابخانه ملی و موزه



کتابخانه ملی و موزه - تهران - جمهوری اسلامی ایران - کتابخانه ملی و موزه
تلفن: ۱۱۱۱ - ۱۱۱۱ - ۱۱۱۱

ARCHIVE

کتابخانه ملی و موزه



و به رسم تصدیق ملی کتابخانه ملی و موزه - تهران - جمهوری اسلامی ایران - کتابخانه ملی و موزه
تلفن: ۱۱۱۱ - ۱۱۱۱ - ۱۱۱۱

آثار سکه، رقم ۹۶



رسم سکه‌های نقره‌ای که در سال ۱۳۰۶ شمسی در تهران ضرب شده و به نام
 (تومان) ۱۳۰۶ - ۱۳۰۷

ARCHIVE

تومان ۱۳۰۶ - ۱۳۰۷



تومان ۱۳۰۶ - ۱۳۰۷
 (تومان) ۱۳۰۶ - ۱۳۰۷

شماره ۲۰ - رقم ۲۰



ویدمان (نقش) از جنس مس، قطر ۱۸ میلی، دارای ۱۲۰۰ سالگی، مکتوبه ساریه، کتابخانه ملی ایران

شماره ۲۰

شماره ۲۰ - رقم ۲۰

ARCHIVE

شماره ۲۰ - رقم ۲۰



شماره ۲۰ - رقم ۲۰

ویدمان (نقش) از جنس مس، قطر ۱۸ میلی، دارای ۱۲۰۰ سالگی، مکتوبه ساریه، کتابخانه ملی ایران

شماره ۲۰

شماره ۲۰ - رقم ۲۰

العملة والقرص



القرص من النحاس - سلك الأول - القرص من النحاس - سلك الثاني
سلك الثالث - القرص من النحاس - سلك الرابع

ARCHIVE

القرص والقرص



القرص والقرص

القرص والقرص من النحاس - سلك الأول - القرص من النحاس - سلك الثاني
سلك الثالث - القرص من النحاس - سلك الرابع

הקדמה



המחלקה למונחים והמטבעות, משרד המבחן, תל אביב
 המחלקה למונחים והמטבעות, משרד המבחן, תל אביב
 המחלקה למונחים והמטבעות, משרד המבחן, תל אביב

ARCHIVE

הקדמה



המחלקה למונחים והמטבעות, משרד המבחן, תל אביב

١٩ لوحة رقم ١٩



٢٠ هدم التمسك، رعب إلى الثاني، قوائمها لثلاثة، كالحق

ARCHIVE

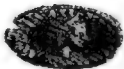
٢١ لوحة رقم ٢١



٢٢ هدم التمسك، كالحق إلى الثالثة، قوائمها لثلاثة، كالحق
 ٢٣ هدم التمسك، كالحق إلى الثالثة، قوائمها لثلاثة، كالحق

(الترجمة: ٢٢ ٢٣ ٢٤)

الطرح رقم ٣٦



وجه برهمن بنسابت بالاسكندرية بطريقه مسجورة اشكاف زام بيا وسم اهدا كندية بالاصطف
البريداني

الطرح رقم ٣٧



برسم تاجعليه علي كسكوكا كندسورية تالعلي علي وحيثا مسجورة اشكاف زام بيا - و تالعلي

علي التالعلي مسجورة اشكاف زام بيا - و تالعلي

(الطرح رقم ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠)

العملة رقم ٢٦



٢٦

وتم صنع العملة من فضة في عهد الإمبراطور نيرون في القرن الأول الميلادي

(١١٩ - ١٢٠ م)

ARCHIVE

العملة رقم ٢٧



٢٧



٢٨

وتم صنع العملة من فضة في عهد الإمبراطور نيرون في القرن الأول الميلادي

على الأثر في بالمشهد الأثرى - وعلى الأثرى بالمشهد الأثرى

(١١٩ - ١٢٠ م)

آشوریه، رقم ۳۵



برسنگ آشوریه، رقم ۳۵، آشوریه، رقم ۳۵، آشوریه، رقم ۳۵، آشوریه، رقم ۳۵

آشوریه، رقم ۳۵، آشوریه، رقم ۳۵

آشوریه، رقم ۳۵، آشوریه، رقم ۳۵

ARCHIVE

آشوریه، رقم ۳۶



برسنگ آشوریه، رقم ۳۶، آشوریه، رقم ۳۶، آشوریه، رقم ۳۶، آشوریه، رقم ۳۶

آشوریه، رقم ۳۶، آشوریه، رقم ۳۶

آشوریه، رقم ۳۶، آشوریه، رقم ۳۶

القرص رقم ٩



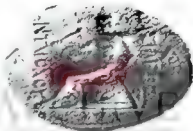
القرص رقم ١٠

القرص رقم ١١



القرص رقم ١٢

اللوحة رقم (٣)



ملاحظة للملك المتوفى أمطو حبي الثالث عشر عشر عليها هيئتها

د. خالد حسين محمود^(١)

جوانب من التسامح وقضايا العيش المشترك بين اليهود والمسلمين في المغرب الأدنى خلال عصري الفاطميين وبنو زيوري

٢٩٦-٥٥٧هـ / ٩٠٨-١١٦١م

لا تعوزنا القرائن الدالة على انطواء الشرع الاسلامي - ذي الأبعاد العالمية - على مبادئ
قويمة للعيش السلمي وإنهاء العلاقات الودية بين جميع الشعوب على اختلاف الانتماءات
الدينية والمنهجية والعرقية والطائفية، تعزيراً للعمل الجماعي المشترك لما فيه الخير والسعادة
للإنسانية، تلك المبادئ التي ربي عليها الإسلام أنواعه أول الأمر بشكل نظري، ثم ما لبث أن
جرى تطبيقها واقعياً بعد حركة الفتوحات الإسلامية وانخراط شعوب الأراضي المفتوحة تحت
لواء الحكم الاسلامي، فأعطى بموجبها غير المسلمين عهد الأمان داخل دار الإسلام، عاشوا
عقبها تحت مظلة الحكم كرعابا ومواطنين يسرى عليهم ما يسرى على المسلمين من النفع
بالحقوق والالتزام بالواجبات دون تفرقة أو تمييز، باستثناء ما تستوجبه أمور العقيدة الإسلامية أو
يحتمه أمن الدولة المسلمة^(٢)

هكذا، ظل العالم الإسلامي خلال معظم عصوره يشكل نموذجاً للتسامح والتعايش^(١) بين المسلمين واليهود وغيرهم من الطوائف التي وجدت من مختلف الأصقاع، لتتصهر ضمن وحدة اجتماعية تميزت بمصالحات حصارية مشتركة واستجمام اجتماعي ملحوظ، ورغم ما كان يظهر أحيانا من لعرات التعصب والتحيز، إلا أنها ظلت في التحليل الأخير استثناءات ونعوءات في هذا التاريخ^(٢).

لم تشهد بلاد المغرب الأدنى خلال العصرين الفاطمي والزييري عن تلك القاعدة، حيث عاش فيها اليهود مع غيرهم من المسلمين حياة التمازج والتداخل والتلاقي بشكل لافت للانتباه، ورائي اكتسبوا من خلالها وضعية أهل الذمة التي أطرت سلوك المسلمين تجاههم، ذلك السلوك القائم على الاحترام وعدم الاعتداء والتعامل المعروف وعدم التدخل في شئون اليهود الداخلية دينة أو قضائية أو وفقية، وهو ما تسعى ثنت الدراسة إلى كشفه وتبائه، من خلال رصد بعض مظاهر التعايش السلمي بين اليهود والمسلمين في المغرب الأدنى وطبيعة العلاقات بينهما، بدءاً من بداية القرن الثالث إلى منتصف القرن السادس هجريين، حيث تمثلت لفترة أعودجا أسمى للتسامح الديني والتعايش السلمي بين اليهود والمسلمين. فمعظم أن السلطين الفاطمية ثم تلتها الزيرية قد تجملت معهما صور التسامح السياسي مع أهل الذمة على نحو عدم واليهود على نحو خاص، وهو ما حدا بباحث يهودي^(٣) إلى الاعتراف بأن ثمرة حكم الفاطمي كانت بالسبة لليهود والصاري فترة اندماج حقيقي في الحياة العامة للدولة حيث عاشوا امنين، مدمجين في البيئة من حولهم، وهو ما أكدته باحث آخر^(٤) حين رأى أن التسهيلات التي وفرتها الدولة الفاطمية لليهود كانت فرص لم يسبق لها مثيل للمشاركة الاجتماعية والتجارية والثقافية، وهو ما دفع البعض^(٥) إلى أن يصف فترة الحكم الفاطمي بأنها العصر الذهبي لليهود لما تمتعوا به من ألوان التسامح وأشكال التعايش وعلى شقي المستويات.

يبدو أن علاقة من نوع خاص قد ربطت الفكر الشيعي باليهود، لا سيما القرائين منهم، حيث ذهب البعض^(٦) إلى أن تألراً مشهوداً بالشيع قد عرفته فرقة القرائين، لا سيما وأن نشأة تلك الفرقة كان بالعراق - حيث التواجد الشيعي - مما جعلها تتشرب بعض معتقدات الشيعة وأرائهم. وكان ذلك التقارب وراء احتلال القرائين أماكن بارزة في البلاط الفاطمي، وشغل مناصب رفيعة داخل الدولة كمستشارين، وكتاب للدواوين وجباة للضرائب، وأطباء للحلفاء والأمراء

والمستغلين^(٨)، لا سيما إذا ما أخذنا في الاعتبار ما اشتهر به أبناء هذه الفرقة اليهودية من الغنى والثراء^(٩). وربما كان تمتع اليهود بذلك المكاة المرموقة لدى السلطة واغترابهم في الوظائف العامة، وراء تجرأ بعضهم أحياناً على معتقدات المسلمين والتماذى في إنشاء مشاعرهم الدينية دون خوف من نزول العقوبة، كما تشهد بذلك تلك الرواية التي تتحدث عن عجز القاضي القيرواني محمد بن أبي منظور (٣٣٧هـ/ ٩٤٨ م) عن إقامة حد القتل على يهودي سب النبي عليه السلام، لأن الفاطميين حرموه تلك السلطة^(١٠). ولقيت وضعية يهود الفريقية المميزة خلال العصر الفاطمي استهجان بعض فقهاء المالكية الذين وقفوا من اليهود -لمتعاونين مع أعدائهم الفاطميين- موقفاً عدائياً دون المصارى^(١١)، حتى ألقي بعضهم بعدم إعطاء الزكاة للفاطميين لأنهم يتفقون على اليهود^(١٢). ولعل حمية العلاقة التي ربطت اليهود بالفاطميين كانت وراء الربط بين الفاطميين واليهود على ألسنة فقهاء أهل السنة^(١٣)، والتماذى في الأمر بشكل أشد من خلال القدح في نسب العبيدين والتأكيد على يهوديته^(١٤) حتى وصفت دولتهم في بعض المصادر بـ"الدولة اليهودية"^(١٥) وهو ما دعي أشعر الحسبي حقائق (٥٥ق/ ١١٩م) أن يوجه نصيحته الساحرة إلى الرعايا المسلمين تحت حكم الفاطميين أن يتهودوا إذا أرادوا الغنى وتولى المناصب الفريقية^(١٦).

كان بديهياً أن تصبح الفريقية مقصداً لليهود خلال الحكم الفاطمي الشرعي، وقد تسامعوا عن أشكال التسامح الذي اشتهرت به السلطة الحاكمة تجاههم^(١٧)، وأن ينال بعض الحكام الفاطميين مدح اليهود ولئاءهم، فحسب وفاق الجسيمة امتدح اليهود أحد الحكام الفاطميين واعتبروه أشبه بالمسيح في العدالة^(١٨). كما سعى اليهود من جانبهم إلى إرضاء السلطة الفاطمية والتقرب إليها بكل وسيلة، والتفاني في الإخلاص لها، وهو ما تؤكد عليه تلك الرواية، التي تتحدث عن ذلك اليهودي الذي يادر إلى المعز الفاطمي (٣٤١هـ - ٣٦٥هـ / ٩٥٣ - ٩٧٥م) ليطلعه على ما بيته بعض إهانة جبل نفوسة ضده من الثورة والتمرد، ليفشى بذلك سرّاً خطيراً قد انتمه عليه صديقه الفقيه الإبااضي يزيد بن محمد، مقدماً عليه الرغبة في التقرب للسلطة الفاطمية وإظهار الولاء لها^(١٩). وشبهه بهذا الموقف ذلك الدور الذي لعبه يهودي آخر كان مقرباً للمعز الفاطمي والذي حاول من خلاله إثبات غاية الولاء للسلطة الفاطمية عبر السعي الحثيث

للكشف عن تورط الفقيه الإباضى أبى نوح فى مراسلة أمراء بنى أمية بالأندلس ضد الدولة الفاطمية^(٢٠)

لم تشذ مكانة اليهود فى دولة بنى زيري عن سابقيهم من الفاطميين، فقد استخدمهم الأمراء داخل البلاط، واشغلوا بالطب والتجارة، وغمسوا بكامل رعاية الدولة^(٢١)، وبلغ الأمر ببعض الأمراء أن حاروا اليهود فى أحد الخربة حسب رغبتهم، عن طريق دفعها جماعياً بذل أداتها حسب عدد الرؤوس، رغم مخالفة ذلك للشريعة الإسلامية، وهو ما تصحح عنه تلك النازلة التى رفعت تفاصيلها إلى الفقيه اللحى (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) والتى سُئل فيها عما درجت عليه السلطة من أحد الخربة من يهود أفريقية "حملة لو مضت على عددهم جاءت أقل من أربعة دنائير"، فجاءت إجابة الفقيه مؤكدةً على مخالفة ذلك لصريح الشريعة وما كان عليه السلف^(٢٢)، ومن ثم فلا عجب أن يال بعض أمراء بنى زيري حب اليهود وتقديرهم، فقد وصف الأمر باديس بن منصور (٣٨٦-٤٠٦هـ / ٩٩٦-١٠١٦م) فى من رسالة بعث بها أحد يهود القيروان إلى الجازون حادى بالنفساط بأنه مارتك من الرب لئدى محبة القدرة على حماية اليهود من بعض اعتداءات رعاياه^(٢٣) وهو ما يفهم من رواية ابن حوقل^(٢٤) التى تذكر أن زعماء صنهاجة أنزلوا العقوبة الشديدة بعض القبائل الساكنة عدية لئس لألها كانت تقطع الطريق وتعتدى على أموال أهل النعمة وتجارتهم .

تبدو صورة التسامح والتعايش السلمى خلال عصرى الفاطميين وبنى زيري أكثر تجلياً إذا ما أجريت مقارنة بين وضعية اليهود قبل هذين العصرين وبعدهما، فعلى سبيل المثال، مثلت السلطة الأعلى نموذجاً شبيهاً بسلطة بغداد، تلك التى وقفت من اليهود موقفاً متصبلاً^(٢٥)، ولا أدل على ذلك من تلك الإجراءات القاسية التى اتخذت ضد اليهود من قبل القاضى الأعلى ابن طائب (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) الذى كتب إلى بعض قصاته فى اليهود والنصارى "أن نكون الرناير عريضة صغيرة مخالفة للون ووجه لباهم ليعرفوا ما، فمن وحدته تركها بعد فليك قاضيه عشرين سوطاً مجزداً"، ثم صيره فى الحبس، لأن عاد قاضيه ضربها "وحيماً بليها" وأطل حبسه^(٢٦)، وحين طلب الثائر منصور الطيلى من الفقيه أبى محرز الخروج معه ضد زيادة الله الأعلى (٢٠١ - ٢٢٣هـ / ٨١٧ - ٨٣٩م) محتجاً بظلمه للمسلمين أحابه الفقيه "نعم وظلم اليهود والنصارى"^(٢٧)

وفي عصر الموحدين حَيَّرَ عبد المؤمن بن علي (٤٨٧ - ٥٥٨ هـ / ١٠٩٤ - ١١٦٣ م) اليهود والنصارى بين الإسلام أو الخروج من البلاد، وقلدر لهم في ذلك مدة من الزمن^(٢٨)، ولا قتل رحلتهم وسي ساءهم وذرايرهم وحمل أموالهم غيمة للمسلمين^(٢٩)، كما قُرض على يهود المغرب ريثاً خاصاً في أواخر عهد الخليفة أبي يوسف يعقوب (٥٨٠ - ٥٩٦ هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩ م) الذي أمر أن يُمَيَّر اليهود الذين بالغرب بلباس يختصون به دون غيرهم، وذلك ليأت كحيلة، وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قريب من أقدامهم، وبدلاً من العمامات كلوتات على أشنع صورة، كانوا البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم، فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب^(٣٠)، وكانت تلك الإحراجات المشددة ضد اليهود مادة ثرية للفخر والتباهي من قبل مؤرخ الموحدين الشهير عبد الواحد المراكشي^(٣١)، وإيكاؤه ذلك النهاون الذي عومل به اليهود من قبل السلطات السابقة، حيث يقول: ولم تعقد عددا ذمة ليهودي ولا نصراني منذ قام أمر المضادة ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب ببيعة ولا كيسة^(٣٢).

يجب الاعتراف بأن الارتكاب في علاقة التسامح التي جمعت السلطين الفاطمية والبربرية باليهود لا تعبر حقيقة عن ذلك تدبير السلمي الذي يعبر تأكيداً من خلال تلك الدراسة، لأنها تظل في التحليل الأخير أداة سلطة فوقية. ولا شك أن الحجة الحكيمة التي تراوح فصاؤها بين المجالين الديني والسياسي كان يتكلمها منطق الترويض المتبادل المتنام على أساس المصلحة والمردود العملي^(٣٣)، في الوقت الذي رحب فيه اليهود بتلك العلاقة لاستغلال علاقاتهم بالسلطين للتعايش على أمر الحرية والائتلاف على ما تحظره وصبة أهل الذمة من الانخراط في المناصب وتسهيل مصالح بني حلدقم الأمر الذي يدفعها إلى احتزال تلك الراوية من البحث، وتفاذي مرفق الاستناد إليها وحدها كدليل على حواش التسامح وصور التعايش السلمي لليهود، والذي لا يُمكنُ من الخروج بنتائج دقيقة، وإنما يتطلب الأمر التركيز بشكل أقوى على الراوية الأخرى والتي تتعلق بعلالة اليهود بالثقافة العربية من عموم المسلمين، والتي تبدو أكثر تعبيراً وأبلغ إصاحاً عن الظاهرة المذكورة.

كذلك، تستلزم دراسة التسامح والتعايش بين الشعوب والأديان الاحتياط والتحفظ لما جاء في بعض المرجعيات الفقهية، والتي تلون حظها في الغالب الأعم - بنبرة من التعصب والتشدد تجاه بعض الطوائف الدينية، والتي لا تم عن طبيعة الدين السمحة، بقدر ما ترتبط بعوامل هيكلية

فوضت موقفاً صارماً متشدداً^(٣٣)، وتستوجب في المقابل الاحتكام إلى الواقع التاريخي الذي يثبت أن المجتمع المغربي تجاوز الخطوط الحمراء التي وضعها الفقهاء، وتعامل المسلمون مع كل الطوائف الأخرى على أساس مبدأ الانفتاح على الآخر، بعيداً عن كل أشكال الاستعلاء والتميز، متجاوزين التحذيرات الفقهية التي تشدد على عدم التعامل مع اليهود أو التداخل معهم^(٣٤). وهو ما ينسحب أيضاً على اليهود الذين تجاهلوا القيود^(٣٥) التي فرضها رجال الدين اليهود، واندمجوا في المجتمعات الإسلامية التي عاشوا فيها.

لا يمكن قول دراسة وصية اليهود في المغرب الأدنى - خلال فترة البحث - باعتبارهم أقلية في مواجهة أغلبية مسلمة، أو القول باعتبارهم في أحياء خاصة عى الخطط الإسلامية، بل خلافاً لذلك، ونتيجة عمق الوجود التاريخي، عاش يهود المنطقة باعتبارهم حرة من الرعية، تمتعوا بكامل الحقوق وبكافة الامتيازات^(٣٦)، واندمجوا مع غيرهم من السكك في منظومة النشاط الاقتصادي، وشاركوهم في ماضي الحياة الاجتماعية وألوان العطاء الشكري والمغربي، وهو ما اعترف به وأكد عليه باحثون يهود، فقد أبح شوايكي^(٣٧) على أن اليهود قد عاشوا في مدينة القيروان منذ تأسيسها في حاية وأمس العرب، ويرى آشور^(٣٨) أنه في ظل هذا المناخ المنسجم وتحت لواء الإسلام عاش اليهود حياً إلى حب مع المسلمين الفاتحين وعموا بحيرات هذا الفتح المبين، وأخذ عددهم يزداد، وغدا بمقدورهم أن ينتقلوا من مدينة إلى أخرى، بعد أن كانت إقامتهم قد حددت في أماكن معينة في الماضي. وأكد الباحث ذاته في موضع آخر على أن اليهود كانوا يمثلون عصراً وطنياً اندمج مع محيطه الاجتماعي واعتنق عادات السكان الآخرين وتقاليدهم^(٣٩). وأبح ماحم بن ساسون^(٤٠) على أن مدن الأندلس لم تعرف خلال العصر الإسلامي أحياء يهودية حاصلة، بل أحياء لها كثافة يهودية، وهو ما ذهب شليمان^(٤١) حين ذكر أن «عزال اليهود في أحياء قاصرة عليهم لم تعرف إلا أواخر العصور الوسطى نتيجة عوامل خارجية».

لا يمكن إدراج تلك الأحكام السابقة في دائرة العبارات الإنشائية التي تفتقد إلى الواقع التاريخي المدعم بالمعطيات المصدية، تلك التي أكدت على تعايش اجتماعي مشترك ربط بين المسلمين واليهود، امتزجوا من حلاله في كل الأماكن المستوطنة بالمغرب الأدنى^(٤٢). ولعل نظرة فاحصة في خريطة إقامة اليهود ما يؤكد على ذلك ويكشف عن أهم كانوا يحتلون مكانة

اجتماعية متميزة، فقد انتشر اليهود بين قرى ومدن المغرب الأدنى، واحتاروا الأماكن التي تناسب وطموحاتهم الاقتصادية في المنطقة الشرقية ترد إشارات عن استقرارهم في مدينة درة بين باحة وطرفة^(٦٢) ومدينتي الرمادة^(٦٣) وطمثية^(٦٤) الواقعتين على الساحل كما تواجد اليهود بإقليم طرابلس وربما بأعداد كثيفة^(٦٥) حتى سميت إليهم أسماء بعض مدنه، مثل مدينة اليهودية أو اليهودين الواقعة على الطريق الساحلي بين برقة وطرابلس^(٦٦) والتي عرفت خلال فترة الدراسة بمسمى اليهودية^(٦٧) وسب إليهم أيضا تلك المدينة التي دارت عندها المعركة بين جيش ربيعة الله الأعلى والثاني لفضل بن أبي العبر وعرفت بمسمى مدينة اليهود^(٦٨). كما سكنوا قرية صرمان^(٦٩) و مدن سرت^(٧٠) ولبدية^(٧١) وزويلة^(٧٢) وحزيرة جربة^(٧٣) واجنادية التي كان الغالب على أهلها يهود^(٧٤)، ومنطقة جبل نفوسة^(٧٥)، لا سيما مدينتي شروس^(٧٦) وحادوا^(٧٧)، واستوطنوا المدن الكبرى بأفريقية مثل تونس^(٧٨) قفصة^(٧٩) وقس^(٨٠) وحرارة^(٨١) وصدقس^(٨٢) والقيروان^(٨٣) والمهدية^(٨٤) وسوسة^(٨٥) وسرمة وطة^(٨٦) ورقادة^(٨٧).

لم يعرف يهود المغرب لأدن خلال العصر الناطقي والبربري الانعزال في أحياء خاصة بهم^(٨٨)، أو التمسك بتنت الخصوصية التي سعى من خلالها إلى التأكيد على سمو جسمهم، وربما كان للتسامح الذي عوملوا به، والتعيش السلمي الذي اعتادوه، وعدم فرض السلطة عليهم أماكن خاصة لسكائهم، وتوفير حرية التنقل والاستقرار لهم، دور كبير في ذلك، حيث تؤكد المصادر المتاحة أنهم اندمجوا واحتلطوا بالسكان من عرب وبربر وتداخلوا معهم وتأثروا بهم والثرأ فيهم، وهو ما كان وراء إلحاح فقهاء المالكية بأفريقية على تمييز اليهود بزي خاص لاحتلاطهم بالمسلمين في تصرفاتهم ومخاطباتهم وحصونتهم وبياعاتهم^(٨٩). وهكذا ومن البداية، عاش اليهود والبربر في منطقة برقة متعاونين فيما بينهم في أمور الفلاحة والنجارة^(٩٠)، وامتزجوا برباطة المصاهرة مما أدى إلى اعتناق بعض البربر اليهودية^(٩١)، ولعل في استكثار الفقيه الأباصي عثمان بن خنيفة ٥٠٠-٥٥٠ هـ إقبال الوهبة على الرواح من اليهوديات ما يؤكد ذلك^(٩٢). وارتبط يهود القيروان بغيرهم من المسلمين نتيجة الاشتغال بالفلاحة وزراعة الأرض^(٩٣) والعمل بالنجارة والحرارة^(٩٤) وصناعة الحزن^(٩٥) والبيع والشراء بالأسواق^(٩٦). وفضل العالم الشهير اليهودي حنايل السكي عند أحد أبواب القيروان بجوار

المسلمين^(٧٨)، وحين باع الفقيه المالكي حماس بن مروان (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م) أمة له سوداء لبعض حيرائه، عادت إليه الأمة تعاتبه أنه باعها لقوم يهود^(٧٩). وفي زويلة المهدية باع أحد اليهود حجرة تقع عند حدود مثلث لأحد المسلمين^(٨٠) وعاش يهود مدينة قابس محتلطين بعضهم من سكان المدينة^(٨١)، وهو ما تدعمه فتوى القابسي الذي سئل فيها عن رجل مسلم يسكن بجواره يهودي^(٨٢). وفي مدينة تونس أبدى الفقيه والراشد محرز بن خلف (ت ٤١٣هـ/١٠٢٣م) تحفظه على انزال طائفة من اليهود خارج أسوار المدينة في حي يعرف بحي المرضي، لعدم إتيانهم ضمن سكان المدينة وحصصهم بشارع كامل قرب المسجد الجامع للمدينة مما جعل يهود المدينة يحترقون أنفسهم في حماية "سيدي محرز"^(٨٣).

ترد إشارات تؤكد على تواجد اليهود في أحياء ذات أكثرية إسلامية وسكنى المسلمين في أحياء يهودية، ففضلاً عما سبق ذكره، نشر وثائق خفية، ي استكر رجال الدين اليهود ما كان سائداً في القيروان خلال القرن الرابع والخامس الفجريين من ظاهرة سكنى المسلمين في منازل اليهود، وطالبوا مع اليهود من التخلي عن البيوت^(٨٤) وسئل نقيب نيسوري (ت ٤٦٢هـ/١٠٦٩م) عن يهودي كان يسكن درهماً ليس له إلا مسلمين^(٨٥)، وترد نازلة تخص وصفاً باع داراً لبييم مسلم كانت دخل دور اليهود^(٨٦) وعن أبي إصدر بعض قصيدة أفريقية خلال تلك الفترة أوامرهم بأن تسم على أبواب دور اليهود ألواح بها صور معية^(٨٧) ما يدعو إلى الرغبة في تمييز دورهم عن دور المسلمين نتيجة التلاصق والتجوار الذي كان يصعب معه التعريق بين دور المسلمين ودور اليهود كما صارت تلك التجاورة أمراً مألوفاً ومعتاداً أجاز معه الفقهاء لليهود بناء دورهم بجوار دور المسلمين شريطة ألا ترتفع عليها^(٨٨)، وأجازوا أن يكرى المسلم داره لصرائي أو يهودي شريطة ألا يبيع فيها الخمر أو الخنزير^(٨٩). وأفتى اللحامي بجواز أن يكرى المسلم داره لليهودي يراي فيها لأن ذلك من دينهم ولا يجوز إخراجها منها^(٩٠) وسعى الفقهاء من حاسبهم إلى تثمين حقوق ذلك الجوار، وأنزموا المسلمين باحترامها^(٩١)، وفي المقابل ألزموا أهل الذمة الذين يسكنون مع المسلمين بعدم بيع الخمر لهم أو حملها إليهم^(٩٢).

تفرد تلك الممنوعات إلى دحض الرعم القاتل بأن يهود الشمال الأفريقي أجبروا على العيش في أحياء خاصة بهم داخل المدن منذ الفتح الإسلامي^(٩٣)، وخلال ذلك أكد حوايتان^(٩٤) ومن

خلال دراسته لوثائق الجنبرة أن " بيوت اليهود كانت متاخمة لبيوت المسلمين وبيوت المسيحيين، فلم يكن هناك حيوة، ولكن على العكس من ذلك كانت هناك فرص كثيرة للاختلاط اليومي".

هكذا، تتوفر على إشارات عدة تؤكد على الامتزاج السكاني والتجاور المكاني بين اليهود وجيرانهم المسلمين، ففصلا عن الأمثال الشعبية التي تشير دلالاتها إلى تأكيد ذلك المعنى^(٩٥)، تكشف النصوص عن اعتياد مسلمي المغرب الأدنى حضور حفلات زواج جيرانهم من اليهود^(٩٦)، وكانوا يخوضون معهم إلى العيون والأفكار والآبار لاستقاء الماء وغسل الثياب^(٩٧)، وبات أمراً مألوفاً أن يتم بين الجيران المسلمين واليهود استعارة الآنية والملابس^(٩٨)، وترد نازلة عن يهودي بحواره مسلمون كان " يتقاضى منهم الخواتج ويتقاضون منه"، والتي ألقى فيها القصبه النقابي سنة ١٩٠٣هـ - ١٣٠٦م بأنه " لا يتم فيها فلا بأس"^(٩٩) لما يقتضيه ذلك من حق الجوار^(١٠٠). وكان مشايخ جبل نفوسة يلمسون ثياباً من عمل جيرانهم اليهوديات^(١٠١)، وذكر المكي^(١٠٢) في ترجمه لمرآة القروى السالتي (٣٥٦هـ - ٩٦٦م) أن امرأة مسلمة كانت تتردد على جيرانها من اليهود كانت قد أصبحت صبية لهم بياض في عينها وعجز الأطباء عن معالجتها فصمت لها المرأة أن رهند مسم فرقاها في جملة من يرقى. وباقش الفقهاء مسألة شهادة نساء أهل الذمة على ولادة النساء المسلمات من جيرانهن^(١٠٣). واعتاد اليهود دخول بيوت جيرانهم المسلمين^(١٠٤)، وإحابة دعوتهم^(١٠٥) واختلط أولادهم بأولادهم، وترىوا معهم^(١٠٦) كما كانوا يستضيفون المسلمين في بيوتهم^(١٠٧) فيلور بينهم " حديث وإصمام وكلام لين"^(١٠٨).

يمكن تقدير هذا التفاعل الاجتماعي بين اليهود والمسلمين من خلال مازلة رُفعت إلى القصبه النقابي، تتعلق بأسرة مسلمة كان لها جوار يهودي وصف عندهم بالوفاء والمروءة وحسن العشرة ولبن الجاسب فكانوا معه على درجة قوية من الاختلاط والتمازج وتبادل المنافع والمدايا وقضاء الخواتج والدخول في المعاملات المالية^(١٠٩)، ولما كان ذلك أمراً مألوفاً وطبيعياً في القرية، مالت الفتوى إلى التهاون ومخارة الحال وعدم التشدد، وهو ما تكشف عنه إحابة القصبه النقابي لشارلة الأنفة بأنه لا يتم ولا بأس في ذلك انطلاقاً من حق الجوار^(١١٠)، في الوقت الذي

كانت لماوى فقهاء الأندلس في مثل هذه الحالات على درجة كبيرة من التشدد والتعنيف والإكثار ربما وصل إلى حد التحريم^(١٣٤)

استلزم ذلك التمازج والتداخل الاجتماعي احترام المسلمين لحقوق اليهود الاجتماعية. واستغلال المرافقة الاجتماعية الضرورية، فقد سمح لليهود بصناعة الخمر وشرها والمناخرة فيها^(١٣٥)، وترد مارلة سنل فيها الفقيه اللحى عن حكم مع مجموعة من اليهود من الاستقاء وعسل ملاسهم من غير في وسط سدة للمسلمين، فافق بأنه لا حق للمسلمين في معهم من ذلك لأنهم ما للمسلمين من الاستقاء وعسل الثياب حتى وإن كانت بحسنة، لأن حريان النهر يحول دون فساد الماء ونجاسته^(١٣٦) بل سمح لبعض اليهود الاستفادة من مياه آبار حفرت في صحن مسجد مجاور للورهم^(١٣٧) وحتى في حالة تعدى اليهود بالأذى أو التطاول على حريات المسلمين لم يتخذ الفقيه من ذلك ذريعة لمعهم من الاستغناء عن تلك المرافق، وهو ما تكشف عنه فتوى الفقيه سيورى بنى رفعت ابنه نازله حص يهودي تغرى داراً من مسلم في درب ليس فيه إلا المسلمين من أهل العاقبة وأحر ذاهم يهودي بشرب الخمر والتعاظم بذلك والإقدام على فعل مالا يجوز فعله، وكذا بشركتهم في الدفع من ماء يتركت بذلك الدرب، فتحرز المسلمون عنه في ذلك، وحذروا معه، فصدرت الفتوى بأنهم لا حق لهم في ذلك^(١٣٨) ولا يحصى ما تكشف عنه المارلة من تمتع اليهود من الأمان وعدم التعدى عليهم من قبل المسلمين حتى في حالة عدم مراعاتهم حقوق الجوار، حيث لم يقدم المسلمون على إخراج ذلك اليهودي من بينهم أو معه بانقوة من الانتفاع من تلك البئر، واكتفوا برفع شأنه إلى دائرة الفقه، وألزموا أنفسهم باحترام الفتوى وعدم مخالفتها.

انعكس هذا الذربان في السبيل الاجتماعي في مشاركة مسلمي المغرب الأدنى لليهود في معظم احتفالاتهم الدينية، وهي مشاركة روحية أفرقتها قرون عديدة من التعايش وعم المخادير الدينية التي كانت تطبقها أفواه بعض الفقهاء الذين اعتنوا مشاركة اليهود في أعيادهم بدعة^(١٣٩)، وحررت عادة اليهود عنى توزيع العطير على جيرانهم المسلمين في عيد العطر اليهودي^(١٤٠)، كما تكشف وثائق الجيرة عن زيارات قام بها اليهود إلى جيرانهم وشركتهم المسلمين وقتنتهم في أيام المواسم والأعياد^(١٤١)

بلغت درجة التمازج هذه أن اتحد اليهود من حبرائهم المسلمين شهوداً يستندون إليهم في القضايا التي تتعلق بمحسومات ضد إخوانهم اليهود، وهو ما تكشف عنه نازلة عرضت على الفقيه ابن العطار (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) وتعلق بجماعة من اليهود طالبوا شحفاً منهم بمطامير ودعوى اعتماداً على شهود من اليهود في حين اعتمد المدعي عليه إلى شهود مسلمين^(١٢١). وبمثل استعان المسلمون باليهود واحتكموا إلى خبرهم الطبية في قض ما يذب بينهم من نزاع، وهو ما تكشف عنه نازلة سئل فيها الفقيه المازري (ت ٥٣٦هـ / ١١٤١م) عن نزاع دب بين بائع ومشتري حول حادثة وحدث فيها المشتري عيباً يوجب الرد، وقد شهد له بذلك رجل يهودي خبر بتلك العيوب^(١٢٢).

مثلت عملية السلف والدين التي كانت تتم بين المسلمين واليهود صورة من صور هذا التعايش والتمازج، فحدث في وفاق حبرية إشارة عن يهودي كعكبي أعاد لمسلم قران قرصاً كان قد أخذه منه^(١٢٣)، وسئل الفقيه المازري عن دمي أنسب مسماً من أهل السوق دنابر^(١٢٤)، وحسب إشارة عبد شمسحي^(١٢٥) استندت أم شغبه الإياضي أي هارون التملوشاني شعيراً من حمارها يهودي. وهات دون أن لقضيه، ولم يسع اليهودي إلى طلبه، احتراماً منه لحسب الحمار، ولكنه صُطر إلى أخذه أمام إلتاح الفقيه أي هارون

شكل التكافل الاجتماعي صورة حلية للتعايش الإسلامي اليهودي^(١٢٦)، ففي ترجمته لنفسه الإياضي أي المهاصر موسى بن جعفر (ت ٤٤٠هـ / ١٠٠٠م) ذكر التراجيني^(١٢٧) أنه تفاعل بشكل إيجابي مع أهل موطنه الذين اتاهم فقر وحرمان أثر جذب حل بهم، فراح يبعث إليهم بالعطايا والصدقات، دون تفرقة بين مسلم ويهودي، فكان من بينهم يهودي ضعيف كان معهم ساكناً فأثاله من ذلك وقال اليهودي. وأما أيضاً لم يسنني اللهم لا تسه من رحمتك". وفي المقابل اعتاد يهود جبل نفوسة ترك ما تبقى من حصاتهم للفقراء والمساكين، وتعاون بعضهم ذات مرة في جمع مبلغ أربعين ديناراً وتقديعه دعماً للنقاصي أي يحيى وركبها الأراجاني الذي بلغ به الفقر درجة كبيرة جعلته يتخذ من الدقيق المحلوط بالماء طعاماً له^(١٢٨) وتصدى بعض فقهاء أفريقية لطاهرة إعطاء فقراء أهل الذمة من الزكاة وصدقة الفطر^(١٢٩)، وأبدي آخرون استكثارهم لما شاع في البلاد من تصدق المسلمين على فقراء اليهود ومساكينهم وحسب بعض الأوقاف عليهم بل

والوصية لهم^(١٢٨)، في حين نالت الطاهرة رضى فقهاء آخرين فأحاروا الصدقة والحس على فقراء اليهود والصارى، واعتبروا الصدقة على الدمى القريب أفضل في الأجر من المسلم البعيد^(١٢٩) كما ألقى فقهاء القيروان بجوار أن يسلف الإمام اليهود مالاً من بيت مال المسلمين لأداء ما عليهم من التزامات مالية كالتديات وغيرها وألا يشق عليهم في ذلك^(١٣٠)، ولعل في إلحاح الفقهاء على عدم حواز إطعام مساكين أهل الدمة من الكفارات^(١٣١) ما يدل على وجوده في المجتمع المغربي خلال تلك الفترة. وبالموازاة، مثل الفقيه ابن سحون عن يهودى حس على مساكين المسلمين عقارا له^(١٣٢)، وبلغ الأمر ببعض اليهود أن أوقفوا أحباسا هم على بعض المساحد وهو ما لم يحزه بعض الفقهاء^(١٣٣).

بلغت العلاقة بين اليهود والمسلمين درجة عالية من الثقة والأمان بحيث حمل بعضهم الرسائل الخاصة والصلائح لبعض. فقد ذكر الشنبري^(١٣٤) أن رسالة وصفت إلى الكاتب أبي المعرة عبد الوهاب بن حزم الأندلسي (٥٥٥هـ/ ١١٦١م) من أحد صدقائه المغاربة عن طريق يهودي أوصلها إليه، حيث رد أبو المعرة على الرسالة بقوله: "أريد أن تحدث اليهودي موصل كتاب"^(١٣٥)، وتذكر إحدى وثائق خزنة أبي يهودي كان يسكن إحدى قرى القيروان قد أرسل مع بعض المسلمين حسا تبعة في سوق مدسة^(١٣٦) وسجل حوسبي^(١٣٧) ومن خلال فحصه لتلك الوثائق أن أموال اليهود ومصالحهم كانت تودع طرف رجال الأعمال المسلمين الذين كانوا يسافرون بها مع القوافل أو بالسفن، كما حوت أوراق الخيرة أدعية وتحميات طيبة للتجار المسلمين، وورد في إحدى وثائق الخيرة نص رسالة أرسلها أحد يهود المغرب إلى يهودي آخر جاء فيها: "إذا كانت هناك قافلة، وكان يسافر فيها مسلمون مؤمنون، تكرّم بإرسال البصائع معهم"^(١٣٨).

كان من مظاهر التعايش بين المسلمين واليهود علاقة الصداقة والغيرة التي جمعت بين أفرادهم. فقد لقي الراهد أبي إسحاق الجبتياني (٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) في طريقه ذات مرة رجلين صديقين أحدهما "مسلم والآخر يهودي"^(١٣٩)، وكان لثقيفه الإبااضي أبو القاسم بن محمد (ق ٤٥٠هـ/ ١٠٦٠م) صديق يهودي، بلغ من ثقته به، أن أطنعه على نيتة في تدبير ثمره ضد المغز الفاطمي^(١٤٠)، وحسب رواية الذرجي^(١٤١) كان لثقيفه أبي يوح الإبااضي صديق يهودي يتحدم له ويحذ في حاجته، وكان له ناصحاً ومرشداً، فحين أعلمه الفقيه بكرهته مصاحبة المغز الفاطمي

وتعيد أمره بالمسير معه إلى مصر، أشار عليه اليهودى بالتمازج، ودله على طريقة مثلى للخروج من المارق، عن طريق غسل وجهه بشراب الشجر المقوق والشرب منه، ونجحت الحيلة، حيث تركه المغز لما رأى اصفرار وجهه وظه مريضاً. وجمعت صداقة بين يهودى والفقير الإباضى إبان ابن وسيم البغوى، فكانا يكثران من اللقاء، وحين دخل على اليهودى ذات يوم ورآه معصباً أرشده الفقيه أن العصب ليس من سماته، وبصحته بالزهد في الدنيا، وتوطين نفسه على الصبر على مصائبها^(١١٦) وكشفت المصادر أن اتجاه الفقيه المالكي الماروي للاشتغال بالطلب كان نتيجة نصيحة وُجهت له من قبل طبيب يهودى ربطت بينهما علاقة مودة^(١١٧). وكان بلاط المغز النفاطمي يهودى كان شديد الإعجاب بالفقيه والراشد القرواني إبراهيم بن أحمد السائي^(١١٨)، حتى إنه نصح المغز بعدم التعرض له بالإيذاء وهكذا تذكر مصادر الفترة أن المغاربة المسلمين كانوا على استعداد أن يدفعوا عن أصدقائهم اليهود بكل ما أوتوا من قوة^(١١٩).

شكل الري وجهاً آخر لبعض مشنوط بين المسلمين واليهود، فعلى الرغم من استناد الفقهاء في فرض بعض الأرباء على اليهود، ومعهم من أريداء بعضها، فإن الواقع التاريخي أثبت أن هؤلاء قتلوا أرباء المسلمين، متجاوزين بذلك كل احتاذير الفقهية، وهو ما ألحت على تأكيده مصادر الفترة، فقد اختلط يهود القروان مع المسلمين في ملابسهم^(١٢٠)، واعتاد المسلمون دخول أسواق المدينة لشراء الملابس القديمة التي كان يرتديها اليهود والصاري^(١٢١)، وتناقصت آراء المائكية حول حكم الصلاة في هذه الثياب^(١٢٢) وكان رى يهود قرية صرمان بقرابلس " زى قبائل ذلك القطر"^(١٢٣)، وتورد في كتب الوارث إشارات عن يهودى " نشبه بزي المسلمين.. ليس عليه رفاق ولا زنار"^(١٢٤)، وآخر اعتاد أن " يعمم ويحتم ويركب السروج على فاره الدواب ويقعد في حانوته من غير غيار ولا زنار"^(١٢٥) وثالث "تزي على رأسه بزي المسلمين"^(١٢٦) وتجننى الأثر البربري على ملابس رجال الدين من اليهود، أولئك الذين كانوا يرتدون مع الخلباب برنسا مفتوحة أكمامه من عند الكوع إلى المعصم^(١٢٧)، وتشابه لباس النساء اليهوديات بنساء المسلمات إلى حد بعيد حيث لم يكن لليهوديات زى يعرفن به من المسلمات^(١٢٨)، وهو ما أكدته وثائق الحيرة التي ذكرت أن النساء اليهوديات كن يرتدين الثوب والحجاب والخمار

والفرنس^(١٥٥). ولعل في فتوى الإمام المازري بضرورة إبرام اليهود لا سيما في الأمصار الكبار بتعير "أطرافهم أو اتخاذ علم يتميزون به" ما يؤكد على أن الواقع كان خلاف ذلك، وهو ما تدعمه الروايات التاريخية، فقد صالح عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م) رجل فصاحه فاتضح أنه ذمي فاستعوذ من ذلك ودعى عليه^(١٥٦)، وذكر النليدي^(١٥٧) أن أبي إسحاق الحبائلي لقي في طريقه رجلين لا يتميز أحدهما عن الآخر في اللباس، فكان أحدهما مسلم والآخر يهودي، وتورد عبد الدباج^(١٥٨) رواية تشير إلى أن المرء بن ياديس بعث طيه ابن عطاء اليهودي لمقابلة القبه أبي عمران الفاسي فلما دخل على الشيخ في داره ظه الشيخ بعض رجال الدولة إلى أن قال بعض الحاضرين: أكرمك الله إبه من حبار أهل منته، فقال الشيخ: وما منته؟ فقال: هذا ابن عطاء اليهودي، فعضب أبو عمران ... وأمره بالخروج وهو يردد، وكان غير معلّم، فأمر الشيخ بصع طرف عمامته بشيرته^(١٥٩).

هكذا، نشئ تلك المصوح بأن إبرام اليهود بلباس معين غيرهم عن المسلمين لم يتجاوز الإطار النظري ولم يجد له تصليفاً عيسى أرض موقع^(١٦٠). ثم يدعو إلى ضرورة إعادة النظر في رواية المائكي^(١٦١) ومن نقل عنه^(١٦٢) ومن تحدث عن إحد اليهود وانصاري في الرتبة بلبس رقاع بيضاء على أكفهم وفي كل رقعة منها قرد وخبر بل حلالاً لذلك استكر الفقهاء ما تمنع به اليهود من ارتداء الملابس الفاخرة وركوب الخيل والسروج الثمينة والتحلل بحلة المسلمين في لبس الأحفاف والعمائم^(١٦٣).

كان الطعام مظهراً آخر من مظاهر المشاركة بين اليهود والمسلمين، فقد نقل المائكي^(١٦٤) عن أبي سليمان ربيعة الحزري أنه كان مع صحبة له قد اجتمعوا على طعام وشاركهم في هذا الطعام يهودى كان قد دخل عليهم. واستادا إلى ما سبق ذكره من مشاركة المسلمين لليهود في أعيادهم وذواهم إليهم للثبته. نرجح اجتماع المسلمين واليهود لطعام يوم عيد الفصح أو عيد الفطير، حيث كان يقدم اليهود للمسلمين الفطير المخبوز بقطع الدجاج، والفريسة المصنوعة من الدقيق واللحم المقطع^(١٦٥). ويبدو تأثير المعاربة باليهود في مجال الطعام من شيوخ الزمان خاصة من الأطلعة نسب إليهم منها "لون من فروح يهودي"^(١٦٦)، "لون يهودي مخشودون"^(١٦٧)، و"حجلة يهودية"^(١٦٨)، و"لون من حجلة يهودي"^(١٦٩) كما أن إلحاح الفقهاء على معاقبة اليهود الذين كانوا يخرجون من بيوتهم حاملين الخمر والسيد، تجعلنا نتكهن أنهم

خرجوا بها لمشاركة بعض حيرانهم المسلمين في شربها، وهو ما تدعمه رواية أمديسية تحدثت عن الزاهد أبو علي بن هود المرسى الذي حمله الجسد ذات مرة إلى والي البلد بعد أن رآه يخارجها من حارة اليهود وهو سكران^(١٧٦). ويبدو أن فريقا من أتباع الشهوات قد عملوا إلى إكراه أشخاص من اليهود يوتا لهم ليسهل عليهم الاجتماع معهم على شرب الخمر بعيدا عن أعين السلطة، لا سيما وأن الفقه لم يمنع أهل الذمة من إدخال الخمر إلى بيوتهم^(١٧٧)، وهو ما يستشف من تلك النازلة التي منئل فيها السيوري عن يهودى اشترى دارا من مسلم في حي كنه مسلمون، وأدى الحيران بشرب الخمر^(١٧٨). ولعل السبب في رفع النازلة هو أن حيران ذلك اليهودى كانوا "من أهل العافية والخير"، بما يعنى أن غيرهم من أهل الشهوات قد لا يستكروا الأمر، وربما شاركوا اليهود فيه، وهو ما تكشف عنه نازلة أخرى تحدثت عن اجتماع أهل الشر والفساد بدور اليهود لتعاطي الخمر^(١٧٩). ويبدو أن ذلك كان وراء أحداث العنف ضد اليهود في فترات لاحقة بسبب "سعيهم الخمر للمسلمين وتخليتهم عليه"^(١٨٠).

كان يديها أن تترتب على تلك العلاقات الاجتماعية المشتركة بين مسلمين واليهود تأثيرات متبادلة، فقد كان من نتائج اندحور المعيشى تجدد أواحي الخسارة المشتركة على المستوى الاجتماعي وتبادل العادات والتقاليد المشتركة، ففضلا عن تحذير اليهود بلهجات الشعوب التي عاشوا معها^(١٨١)، تأثر اليهود ببعض عادات البربرية، مثل استخدام السحر والتمائم كوصفات طبية، وكتابة اسم الأم في الأحذية والتمائم، واستخدام الرموز الزخرفية للوقاية من الحسد والسحر، والامتناع عن أكل مؤخرة الحيوانات المذبوحة^(١٨٢)، وهل يهود تونس أسماء بربرية، وحفظوا أمثالا عامة مغربية واستشهدوا بها في خطاباتهم^(١٨٣). وفي المقابل تأثر البربر ببعض عادات اليهود منها عدم النظر إلى المرأة الحائض ولا محادثتها ولا أكل ما مسه يديها ولا المشى على الأرض التي وطئها قدمها^(١٨٤).

ظهر التأثير الإسلامى واضحا في عقود الرواح اليهودية مثل تقسيم عملية الدفع إلى مقدم يدفع للزوجة عند العقد ومؤخر في حالة الترميل أو الطلاق^(١٨٥)، كما تماثلت عقود زواج اليهود مع عقود الرواح الإسلامية فيما يخص اشتغالها على شروط تتعلق بعدم اتخاذ الزوج زوجة أخرى على زوجته أو التسرى عليها، أو السفر بها دون رضاها^(١٨٦)، مما حدا ببعضها المائكية إلى الفتوى بأنه بكره أن يعقد "نكاح أهل الكتاب على شروط المسلمين"^(١٨٧) كما طبق النظام

الإسلامي على عقود الزواج اليهودية بأن كانت تكتب وتثبتان للزواج الأولى يهودية والثانية إسلامية^(١٨٧)، وبرزت التأثيرات الربرية على بعض عادات الزواج اليهودي، مثل إعداد منزل مؤقت للعرس قبل مراسم الزواج بحرس فيه من الاتصال بالأقارب الذكور، وعدم رؤية الأب لاسمته العروس مدة تتراوح بين ١٥-٢٠ يوماً قبل تركها مولد^(١٨٨).

كان من صور التسامح الإسلامي مع اليهود احترام مقدساتهم والسماح لهم بصون أماكن العبادة وحرية المعتقد وإظهار الشعائر، فقد أكد باحث يهودي^(١٨٩) أن الجاليات اليهودية قد عظم شأنها تحت حكم الإسلام، واستثمر اليهود الأمن والأمان، فعاشوا حياتهم في حرية تامة، ومارسوا شعائرتهم الدينية كاملة، وفي الإطار ذاته ذكر شيلمان^(١٩٠) أن يهود القيروان قد أقاموا المعابد ومارسوا شعائرتهم الدينية في حرية تامة.

تجدر شواهد تاريخية تؤكد على ما تنفع به يهود المغرب، لأدى من حرية دينية بلغت ذروتها أيام الفاطميين وبنى زيري، كان من أهم مظاهرها حرية بناء منشآت الدينية وتحديداتها والريادة فيها، فقد سُمح لليهود بإنشاء المعابد وإحكام والحمايات الطقسية في الأماكن التي ترتفع فيها كثافتهم السكانية^(١٩١)، وحسب مرسوم أميري صدر من الأمير النصاجي بإديس بن منصور سُمح لليهود القيروان بإنشاء بيعة جديدة فصلاً عن صيانة مسي قديم والريادة في ارتفاع أبوابه وقببته من الداخل حسب مشيئتهم^(١٩٢)، وهو ما يمكن تفسيره بالأهمية الاقتصادية والاجتماعية للطائفة اليهودية بالقيروان والتي عادت ببعض المردودات الضخمة على السلطة الربرية. ويبدو أن ذلك المرسوم قد وجد تدعياً فقهيّاً من خلال فتوى الفقيهين التونسي (ت٤٤٤هـ/١٠٥١م) واللحمي واللدبن أتبيا بعدم منع أهل الذمة من بناء دور العبادة بالبلاد التي يعيشون بها طالما اتروا بالحكم الإسلامي ودفنوا الجزية^(١٩٣)، وهي فتوى تحمل بين طياتها معاني التسامح والتعايش، وإن جاءت مخالفة لإجماع فقهاء الأندلس والذين ذهبوا إلى منع "إحداث أهل الذمة من اليهود والنصارى كنائس ولا شوغات في مدائن الإسلام ولا بين ظهرانيهم"^(١٩٤)، مما يدفع إلى التأكيد على الخصوصية الفقهية للمنطقة محل الدراسة في التعامل مع أهل الذمة ولعل في التحار المؤرخ المؤرخ المراكشي^(١٩٥) بأنه لم تبن في عصر دولة الموحدين بالمغرب بيعة ولا كنيسة، ما يدعو إلى القول بأهم أبطالوا أمراً كان معتاداً لدى السلطات التي حكمت المنطقة قبل قيام دولتهم.

سُح لليهود بتأليف الكتب الدينية في حرية تامة، فقد ألف أبو سهل دوناش بن غيم شرحاً وافياً لسفر التكوين عام ٣٤٤هـ/٩٥٥م. وكان للحاحام حوشعيل بن المين القادم إلى القيروان عام ٣٨٠هـ/٩٩٠م دور كبير في إثراء الدراسات التلمودية، وكان لولده حصيل (ت ٤٤٢هـ/١٠٥٠م) شرح معتبر للتلمود، ونسب إلى تسيم بن يعقوب شرحه الشهير للتلمود الذي حمل عنوان مفتاح مغالق التلمود وضعه عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م. وكتاب آخر بعنوان قصص أخلاقية وثالث مفقود تحدث فيه عن الطقوس اليهودية القيروانية^(١٩١) ودخل القيروان خلال العصر الريزي العالم إسحق بن يعقوب الذي بلغ درجة كبيرة من الصحر في اللاهوت مكته من تولى قيادة الدراسات التلمودية في المدينة^(١٩٢). كما استقلت أفريقية خلال فترة البحث الكثير من علماء الدين اليهود الذين أسهموا في الحركة الدينية اليهودية مثل صمويل بن حفي (ت ٤٠٤هـ/١٠١٣م) الذي درس في مدارس القيروان والعراق وتولى رئاسة مدرسة سورا، وسيمون بن يهودات (ت ٤٤٣هـ/١٠٥١م) الذي وصل إلى منصب رئيس حاؤولية القدس عام ٤١٦هـ/١٠٢٥م.

ترك لليهود تنظيمهم الطائفي الخاص بهم، وكان هم بانتقروان رئيساً يسمى "ناجد"، تجمع بوالفر الصلاحيات التي تمنح له غنبل يهود أمام السلطات الإسلامية، وحق توجيههم الديني والإرشادي، وتعيين القضاة للجماعات اليهودية في القرى والأقاليم وتوقيع أحكام المحكمة اليهودية، والإشراف على جمع الضرائب ومراقبة العقود الرسمية، وزيارة التجمعات اليهودية خارج الحاضرة^(١٩٣). وقد بلغت مكانة بعض هؤلاء الرؤساء درجة كبيرة خلال العصر الريزي، مثل أبراهام بن عطا الذي كان من حاشية الأمير باديس بن المنصور، وكان يرافقه في رحلاته الحربية، وبعد وفاته عمل طبيباً خاصاً لابنه المعز بن باديس^(١٩٤). وكان مبعوثه الخاص إلى الفقهاء والعلماء^(١٩٥) مما مكّاه من استخدام نفوذه لصيانة مصالح بني طائفته^(١٩٦).

كما ترك لليهود نظامهم القضائي كما كان دون تدخل أو إكراه، فقد احتضنت المحكمة اليهودية العليا في القيروان عممة الفصل بين اليهود في قضائهم وكانت تعرف ببيت الدين ورأسها أحد الأعيان عرف بديان اليهود كان يساعده اثنان من كبار المجتمع اليهودي بشكل ثلاثتهم مجلس الفصل في القضايا المرفوعة أمامه من أفراد المجتمع اليهودي^(١٩٧)، وهو ما تمنع على تأكيد وثائق الجيرة التي كشفت أن غالبية القضايا المدنية في العصر الفاطمي كانت تطر أمام

محاكم يهودية^(٢٩٨). كما أشارت المصادر اليهودية إلى وجود هذا المجلس القضائي بالمهنية حوالى سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م وحتى بعد ذلك التاريخ^(٢٩٩). بيد أن الفقه الإسلامي قد استجاب إلى رغبة اليهود في التقاضى فيما بينهم أمام القضاء الإسلامى^(٣٠٠)، شريطة موافقة رؤسائهم^(٣٠١)، لا سيما في الحالات التي يثبت فيها أحد طرق الخصومة أن قضاة اليهود وفقهاءهم على عدواة معه أو مع عائلته^(٣٠٢)، وهو ما حدا بالفقهاء إلى إلزام القاضى بمقعد مجلس القضاء في رحبة المسجد ليصل إليه اليهودى والحائض^(٣٠٣)، وأن يجعل لهم يوما حسب أعدادهم^(٣٠٤). وترد بهذا الخصوص نازلة من القروان تتعلق بأشخاص من اليهود طالبوا شحشا منهم بمظالم وأقاموا ضده الدعوى أمام محكمة يهودية، في حين أصر المدعى عليه رفع القضية إلى الحكم الإسلامى، فجاءت فتوى الفقيه ابن العطار بأن لليهودى ذلك، شريطة امتلاكه الوثيقة التي فيها حجه، وأن يكون شهوده من المسلمين العدول^(٣٠٥).

ونجست عدالة القضاء الإسلامى في حماية اليهود من اعداء بعض المسلمين وجورهم، ففي نازلة دالة رفع لأحد قضاة القروان بحامسة بين مسلم ودمى، ادعى فيها النعمى أنه أسلف المسلم مبلغا من المال على سبيل القرض والسلف، وأنه ما طل في رده. في حين أنكر المسلم وادعى أن النعمى أعطاه المال لشراء ربت وأنه أوصه إليه، لرفع القاضى المسألة إلى الفقيه المازرى الذى ألقى بأن اعتراف المسلم بأخذ المال يوجب عليه رده، وأن القول في المسألة هو قول اللمى^(٣٠٦). وفي نازلة أخرى رُفِعَ إلى أحد قضاة مدينة قصبة يهودى يده حرير يذكر أنه يبيعه، في حين ادعى خصومه من المسلمين أنه انتهبه من قافلة معروفة، فجاء الحكم بتبرئة اليهودى مما نسب إليه، بعد أن أتى بشهود عدول من المسلمين من قصبة شهدوا بأمانة اليهودى وأنه ليس ممن بينهم بالسرقة^(٣٠٧)، ولا يخفى ما تشير إليه الرواية من تلك العلاقة الحميمة التي ربطت ذلك اليهودى بمؤلاء الشهود، والذين سارعوا إلى القاضى لأداء الشهادة لمساندة اليهودى ضد بني دينهم، وإنقاذهم من مأزق خطير، وهو ما وجد قبولاً وإنصافاً عند القاضى الذى أحترم تلك الشهادة وارتكن إليها في إصدار الحكم دون أية وازعة.

سُمح لليهود بممارسة ما اعتادوا عليه من معاملات دينية وإن كانت محرمة في شرع الإسلام، فقد سنل أحد فقهاء المالكية عن تعامل اليهود بالربا فألقى بأنه لا يجوز التعرض لهم في ذلك^(٣٠٨)، وسجل الفقهاء موقفهم القائم على أنه ليس للإمام الحق في الحكم بين أهل الذمة في

معاملتهم بالربا أو التدخل بينهم^(٢٠٩). كما سمح لليهود بالزواج على طريقتهم، ولم يُعازضوا حق في الزواج من اغارم، فقد سئل أحد المالكية: "أرأيت أهل الدمة إذا كانوا يستحلون في دينهم نكاح الأمهات والأخوات وبسات الأخ أغلبيهم وذلك قال أرى أنه لا يعرض لهم في دينهم، وهم على ما عاهدوا عليه، فلا يُسمعون من ذلك إذا كان ذلك مما يستحلون في دينهم^(٢١٠)".

ومن المظور ذاته احترام الفقه الإسلامي عادات اليهود الدينية ومنها تعظيم يوم السبت، وعليه فقد ناقش الفقهاء مسألة تخليف اليهودي في ذلك اليوم، وكرهه إحصاره إلى ساحة القضاء تعظيماً له، كما ألزموا الأشخاص المالكين للربيق اليهود أن يحترموا واحبهم الديني نحوه، بأن لا يستعملوه في ذلك اليوم، وأن يجعلوه عطلة لهم^(٢١١).

واستناداً إلى دخول أهل الدمة في دائرة المواظبي أعطى الفقهاء لتحاكم الحق في إحصار أهل الدمة على إحصارها إن أرادت ذلك ومنعوها. لأن معهم ما من انظم، الواجب على الحاكم رفعه عنها، شرطاً ألا يكون واحداً من مسلمين، ففي بحثه فإنه ليس لتحاكم الحق في هذا الإحصار، لأنه ليس من النظام إذ قد لا يجزوه في دينهم^(٢١٢) كما أعلن الفقهاء يد الحاكم في منع اليهود من التفريق بين الأولاد والأمهات لأنه نوع من نظام^(٢١٣)، وهو ما تؤكد وثائق الجيزة^(٢١٤). ومن المظور ذاته جاءت فتوى أحد فقهاء المالكية بعدم التفريق بين صبي يهودي ابن ثمان سنوات كان قد أسلم وبين أمه أو أبيه، إلى أن يبلغ حد الاعتماد على ذاته وعدها يعرض عليه الإسلام مرة أخرى^(٢١٥).

وابتلاعاً من الوحدة المعيشية والمصير المشترك لكل عناصر السكان دون تفرقة، أفتى الفقهاء المالكية بجواز غرور أهل الدمة مع المسلمين لأداء صلاة الاستسقاء غير منفردين عنهم^(٢١٦) كما لم يجمعهم من المشاركة مع المسلمين في القتال ورد المحوم عن البلد الذي يعيشون به^(٢١٧).

كان من ألوان التسامح الإسلامي احترام المقدسات اليهودية والصرب على أبدي كل من حاول السخرية منها أو توحه الإهانة لها، فقد دب حلاف بين أحد مسلمي القيروان وبين يهودي لعن المسلم على أنه التوراة، فرفع اليهودي الأمر إلى القضاء الإسلامي، مستنداً إلى أحد الشهود من المسلمين كشاهد إثبات، فجاءت فتوى الفقيه القايبي بتوقيع العقوبة على الرجل

المسلم، بعد أن أسقط عنه حد القتل لغياب الشاهد الثاني^(٢٢٨)، وبمطلقاً من ذلك الاحترام لكتاب اليهود المقدس وتعظيمه، أقر ابن أبي زيد القيرواني وغيره من فقهاء القيروان بوجوب الكفارة على من حلف بالتوراة ثم حث في بيمه^(٢٢٩).

كان لليهود مقابرهم الخاصة بهم تمسحاً مع عوانهم وتقاليدهم في دفن موتاهم، فقد كان لهم بالقيروان مقبرة خاصة بهم تسمى "اليهودية" تقع وراء باب أبي الربيع^(٢٣٠)، وكانت توحيد يتونس مقبرة خاصة لليهود احتوت على آلاف الموتى، كانت من مملكات الرابطة اليهودية^(٢٣١)، ووقعت مقابر منطقة الحارط بحمل بعوسة إلى الجنوب عند قصر يسمى آت مان كان يصعب لليهود ونصفها الآخر للبربر^(٢٣٢).

والراجح أن الصامح الديني، ندي أمداه مسنم، قرشبة، والسوكت الحضارية التي تعاملوا بها مع اليهود، حملت هؤلاء على ردود الأفعال الحكيمة، كان من أهمها حسن بعض أملاكهم لصاخب المساجد والإنفاق على طلاب "نعمهم وفهرهم" منسحق^(٢٣٣)، بل لم يردّد بعضهم عن الإقبال على الإسلام واعتناقه حيث تردّد في المصادر بسارات عن يهود كانوا ينتهرون الإسلام ويصلون في المساجد^(٢٣٤)، وعن ساقه، هذه من مذهب يهود إلى الإسلام^(٢٣٥)، وعن انقل من اليهودية إلى الإسلام "وحسن إسلامه"^(٢٣٦)، وعن أسلم على يديه يهودى وحسن إسلامه^(٢٣٧)، وعن كان يهوديا فأسلم^(٢٣٨)، وعن كان يهوديا "ثم إنه أسلم ولزم الصلاة ودراسة القرآن"^(٢٣٩)، وحسب تارلة فريدة أسلم صبي يهودى لم يتجاوز عمره عشر سنوات وسمى البعض إلى كفايته بعداً عن أمه اليهودية فصنرت الفتوى بأنه لا يحال إليه وبين أمه أو أبيه^(٢٤٠)، مما يعكس جانب الرحمة الذي ألحت عليه شريعة الإسلام كما لم يألف بعض اليهود من الإقبال على قراءة القرآن بل وحفظ بعض آياته، وهو ما تكشف عنه رواية ابن عري^(٢٤١) التي تتحدث عن مشاورة مسلم قيرواني لرحل يهودى حول استخدام البر أم البحر في أداء فريضة الحج، فأشار عليه بأن يبدأ بما بدأ الله به، متارلاً قوله تعالى "هو الذى يسيركم فى البر والبحر"^(٢٤٢)، وحسب شهادة البيهقي^(٢٤٣) صلى ابن تومرت على جثمان يهودى يتونس صلاة الحارة له، مروره عليها لأنه كان في حياته يصلى مثل المسلمين.

يتلخّص من صور التعايش واللّون التسامح مع اليهود السماح لهم بالمشاركة العلمية والفكرية. فرغم هيمنة المسلمين على الطريقة، إلّا أنّهم أشاعوا ثقافة متسامحة أساسها الاختلاف والتّسوّع، حتّى أنّ الفكر اليهودي لم يعرف قسوة منبعا عرفها في الغرب الإسلامي وهو ما اعترف به متخصص يهودي^(٢٣١) في الأدب اليهودي الوسيط حيث يقول: "لقد ذابت أو كادت لذوب الحدود بين اليهود والعرب في المغرب والأندلس، وكانت تلك هي المرة الأولى والأخيرة في التاريخ الثقافي العربي التي أثّرت نتائجاً أدبيةً يمتزج فيه أدب اليهود بأدب أمة أخرى".

هكذا، شارك اليهود المسلمون في الإقبال على مراكز العلم والثقافة، ففي العصر الفاطمي تصدّى الفقيه ابن سحون^(٢٣٢) (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) لطاهرة مشاركة أولاد البصارى واليهود أولاد المسلمين في دخول المكتاتب لتعليم القرآن والكتابة وحسب شهادة المراكشي^(٢٣٣) "كان اليهود والنصارى بلاد المغرب يقرنون أولادهم القرآن"، ولعلّ حضورهم بالمكتاتب كان وراء ما كتبه لعقهاء حكم أحد المنعم هدية من أبناء أهل الذمة في أيام أعيادهم كالشّور و زهرجان ونصيح^(٢٣٤) كما تتجسّد بالحرية التامة في تعليم أولادهم علوم الشّريعة والكتابة بالعربية، فضلاً عن تعلّم الأخرى كالخساب والرياضيات والتي درّسوها على أيدي شيوخ مسلمين^(٢٣٥). وعرفت بلاد المغرب الإسلامي المدارس التي كان يجتمع لتعليم فيها المسلمون واليهود والنصارى^(٢٣٦)، وسئل الفقيه ابن سحون عن حكم أخذ المسلم القرآن وتعلّمه على يد يهودي أو نصراني^(٢٣٧)، ممّا يعي أن فريقاً من اليهود أجادوا قراءة القرآن وتجوّيده، وهو ما تنصّح عنه رواية السّمّوأل^(٢٣٨) اليهودي الذي كان قبل إسلامه يقرأ القرآن فانضج له إعجازه اللّغوي وأنه ليس من أساليب البشر.

تأسست في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي - مدارس تلمودية في المدن ذات التجمعات اليهودية الكبرى مثل القيروان التي أسست فيها مدرستان، أسس الأولى الرازي يعقوب بن تميم (ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م)، والثانية أسسها الرازي حوشيل (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م). بهدف تعليم اللاهوت، صمّت أقوى هيئة كهوتية ذات تنظيم في الشمال الإفريقي، ومن هاتين المدرستين تخرج الكثير من علماء الدين اليهودي^(٢٣٩)

وقد حرص اليهود على تعلم العربية والتحدث بها والكتابة وعرفوا قيمتها والنوا عليها وفي ذلك يقول يهودا الخريزي صاحب المقامات العربية المشهورة الأديب اليهودي في العصر الوسيط (ق ٦ هـ/ ١٢م) "اعلموا أن الشعر الرائع الذي يمتلئ بالروائع والغائس هو من ممتلكات العرب في البداية، فقد برعوا في نظمه ووزنوه بميزان الصدق وبصوه في مكانه، وأقاموا مسكنه، وقال أيضاً "عاش كثير من أبناء شعبنا مع العرب في بلادهم، واعتادوا الحديث بلغتهم، وباندماجهم معهم تعلموا صفة الشعر منهم" (٢٤٣).

وكان التفاعل على جميع المستويات بين الجانبين، وتتح عن هذا الموقف أن مارس اليهود حياتهم باعتبارهم من رعايا الدولة، لا باعتبارهم غرباء. بحث استطاع علماءهم أن ينتجوا الفكر الديني الذي أعاد الحيوية إلى الديانة اليهودية بعد طول ركود، وبالشكل الذي جعل المتخصصين يطلقون على هذه الفترة من تاريخ الفكر لديني يهودي في المنطقة العربية اسم "العصر الحماوي" أو "عصر الحاء" وسمي "أي بالعارة والعديد" (٢٤٤) ولا غرو فقد برزت أسماء العديد من المفكرين اليهود في شتى مناحي المعرفة، خلال العصور العاطمي واليزيري (٢٤٥).

صفوة القول، إن بلاد العرب الأدنى مثلت خلال العصور العاطمي واليزيري بوتقة انصهرت فيها عناصر السكان على اختلاف أحاسيسهم وأعرافهم ودياناتهم على أساس وحدة المواطنة والانتماء، مما جعلها مثلاً صادقاً للتعايش والتسامح بين المسلمين واليهود، سواء على مستوى التعايش الاقتصادي - الاجتماعي وتبادل العلاقات والتأثير والتأثر، أو على مستوى احترام العقائد والمقدسات وصيانة دور العبادة، أو على مستوى المشاركة الفكرية والعلمية. مما يدحض تلك التحريجات التي تلح على انزالية اليهود اجتماعياً وديناً وفكرياً واقتصادياً داخل المجتمعات الإسلامية واعتبارهم أقلية يهودية في مواجهة أغلبية مسلمة، وتفي تلك التحايل المتركزة على أطروحة معاناة اليهود بالمغرب الإسلامي، وحالة الدل والهوان التي كانوا يرضحون في ظلها، والتي تهدف في التحليل الأخير إلى توظيف التاريخ المغربي سياسياً لمصلحة المشروع الصهيوني الاستيطاني.

المواضيع

(١) عديدة هي الدراسات الحديثة التي تناولت الحديث عن هذه القضية انطلاقاً من النصوص الدينية ورصد الظاهرة في التاريخ الإسلامي نظر على سبيل المثال عبد العظيم المطيع، مبادئ التعاليم السليمة في الإسلام، منها وسورة، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٦، فتون، أهل الدعة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، ط٥ القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، ادوار، غالي النجدي، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة غرب، القاهرة، ١٩٩٢، بهمي هويدي، مواطنون لا ذميون، دار الشروق، ١٩٨٥، تاريمان عبد الكريم، معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.

(٢) عن الدلالة القرآنية لهذا اللفظ نذكر كتب التعاليم أن لفظ تعاليموا، عاشوا على الألفة والودعة، ومنه تعاليم السلي، وعاشه عاش معه نظر الرمحشري: أسس البلاغة، تحقيق محمد ياسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص٦٨٩، بالمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الفكر، ج٢، ص٦٣٩-٦٤٠.

(٣) هوبكر، العظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تونس، ١٩٨٠، ص١٢٤، سليم شمشوع، صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأسس، مطبعة دار المشرق، ترجمة الطاعة والشرعية، ص١٩٩٠، ص٤٣٠١.

David Nirenberg "What can Medieval Spain teach us about Muslim-Jewish Relations?", Central Conference of American Rabbis, 2002, pp. 18-20

(٤) مارك كوهين، المجتمع اليهودي في مصر الإسلامية في العصور الوسطى، ترجمة سريى مراد وسحير نفاش، جامعة تل أبيب، المعهد اليهودي العربي، ١٩٨٧، ص٩-١٠.

Ashtor, E The Jews and Mediterranean Economy. London, 1983. pp.55-56. (٥)

(٦) قاسم عبد قاسم اليهود في مصر، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣، ص١٣٨، ١٤٢.

(٧) محمد جلاء إدريس، التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي- دراسة للعبة مقارنة لطائفة اليهود الغرانيين، مكتبة مديون، القاهرة، ١٩٩٣، ص٣٣، ٤١ وعن هذه المرفة انظر سحر هادي حسن، فرقة القراني اليهود- دراسة في نشأة الترفه وعقائدها وتاريخها إلى العصر الحديث، بيروت، مؤسسة الفجر، ١٩٨٩، حسن ططا، الفكر الديني الإسرائيلي- أطواره ومداه، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١، ص٢٤٣-٣٢٢، مراد فرح: الفرمانون والريانون، القاهرة، ١٩١٨.

(٨) الدرجي، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، قسنطينة، ١٩٧٤، ص١٣٧، ابن حجاد اخبار ملوك بني عبد وسورهم، تحقيق النحاس طرة وعبد الحليم عويس، الرياض، ١٩٨١، ص٤٨، ٤٩، البياغ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق إبراهيم شوح وآخرين، مكتبة الخانكي، مصر، ١٩٦٨، ج٣، ص١٦١، الصعدي الوال بالوحيات، تحقيق احمد الارنؤود وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠، ج٩، ص١٧٥، ج١٢، ص٩٨، الطبري، العاط الحفا في ذكر الأئمة القاطنين خلفا، تحقيق جمال الدين الشبال، ط دار الفكر العربي، ١٩٤٨، ج٢، ص٧٣، ٨٣، بالمراظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد ربهيم ومديحة الشرفاوي،

مكتبة مندوب، ج ٢، ١٩٩٧، ص ٥٣٩، السيوطي: حسن الفاصرة في أخبار مصر والقاهرة، لمطبعة الشرقية مصر، ١٩٠٩، ج ٢، ص ١١٦.

Mann, M.A The Jews in Egypt and Palestine Under The Fatimid caliphs, press, 1920, 1, p. 11-16, 47, 123-124, 144, 250-257. Goitein, A. Mediterranean Society the Jewish communities of the Arab world as portrayed in the documents of the Cairo geniza. University of California, Paress, 1983, 1, pp 33-34, 175, Stillman M.A. The Jews of Arab Lands. A History and Source Book, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia 1979 p 43

٤٨، (٩) Adler, (ed.), Jewish Travelers, (London, n.d.), pp 226-228. قاسم عبده قاسم اليهود في مصر، ص ٤٨.

(١٠) عياض ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أهل البلاد، ص ٤٣. منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج ٢، ص ٤٣.

(١١) نجم الدين أشتاتي موافق علماء المالكية من أهل اللغة بالعربية إلى منتصف القرن الخامس الهجري، مجلة معهد الآداب الشرقية، تونس، العدد ١٨٦، ٢٠٠٠، ص ٧٠ (هـ: ٦٠).

(١٢) الفارسي صاحب بحر من حلف تخليص روحه، ترجمه فارس، ١٩٥٩، ص ١٥٦، عياض المدارك، ج ٢، ص ٢٨٨.

٢٨٨

(١٣) يؤكد على ذلك محمد بن هاشم الشافعي حين ذكر أن البعض في شبه مدحهم جاء بسبب "استعظام اليهود في الوزارة والرياسة وتقربهم من عهد نبيهم المبدأ" ثم ثوب الحكيم اليهود في دعاء المسلمين وأموالهم وذلك مشهور عنهم" بطر كشف أسرار السنية وحذر الغرقة، حقق محمد بن علي آخون، مركز الدراسات والبحوث العلمي، ص ١٩٩٤، ص ٧٧، يمكن به من نفوس في ضلالت عبدة الخيول وطريقة تحقيق بنو الكوش، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٤، ج ٢، ص ٣٤٦، ٤٩٤، من حرم انفصل في الملل والأهواء واسهل تحقيق محمد إبراهيم مصر و عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج ٥، ص ٣٧، ٤٢، ثم تابع دراسة إبراهيم عامر الرحيني، بدل اليهود في إثبات مشاهة المرافعة لليهود، مكتبة الغراء الأثرية، د.ت.

(١٤) ابن عدي البهاج للعرب في أخبار الأندلس والغرب، تحقيق ح من كولان ولعي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص ١٥٩، ابن الأثير الكاس في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٥ هـ، ج ٦، ص ٤٤٧، الباور الحموي معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج ٥، ص ٢٣٠.

(١٥) النجدي تاريخ الإسلام ووليات المشاهير والأعلام تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦، ج ٣٩، ص ٢٧٥.

(١٦) السيوطي: حسن الفاصرة، ج ٢، ص ١١٦.

(١٧) ابن حلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، د.ت، ج ٧، ص ٢٩.

٢٩

Goitein, A. Mediterranean Society, 1, p. 32

(١٨) حواشيس دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية القوسي، انكروت، وكالة المطبوعات، ط ١، ١٩٨٠، ص ٢٠٠.

Adler, (ed.) Jewish Travellers, pp. 226-228, Man: The Jews in Egypt, p. 435

(١٩) المرحى الطيف، ص ١٢٤.

(٢٠) المرجع: الطيف، ص ١٢٢.

Stillman M. A. The Jews of Arab, pp. 183-

(٢١)

184

(٢٢) البرزى هادى البرزى، تحقيق محمد الحبيب الميلة، دار الغرب الإسلامى، ج ٢، ص ٤٢

Stillman M. A.: The Jews of Arab, pp. 183-184

(٢٣)

(٢٤) السالك والمائل، لندن، ١٨٧٣، ص ٤٧.

(٢٥) عن وضعية اليهود في العراق تحت السلطة العباسية انظر الطبرى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٣، ج ٩، ص ١٧١، ومثله من ابن الجوزى بعد ان وردت في مازلة شهيرة عند الوثريسي المعيار للعرب واسمع انظر عن هادى هادى: اربعة والأندلس و المغرب، تحقيق مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حمى، نشر وزارة الأولاد والشؤون الإسلامية، المملكة العربية، ج ٢، ص ٢٥٤ - ٢٥٦، يحيى عبد هادى أهل النعمة في العراق في العصر عباسى، دار الكتب الحديث، ٢٠٠٤.

(٢٦) المجلد كتاب لبيد في الحكم ليعقوب، تحقيق موسى لعل، حرثو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧١، ص ٧٨-٧٩، ثم تبع إثارة شبهة عند المالكي راجع نفوس ج ١، ص ٤٧٧، عباد المذرك، ج ١، ص ٤٨٧، البرزى هادى، ج ٢، ص ٤٤.

(٢٧) المالكي راجع نفوس، ج ١، ص ٢٧٠، عباد المذرك، ج ١، ص ٢٧٨.

(٢٨) ابن الأثير الكامل، ج ٩، ص ٤٢٩، للعلوى أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٦ هـ، ص ٢٠٩، ٢٥٧.

(٢٩) التراكش المصعب في لبعض أخبار المغرب، تحقيق محمد سعد الغريال و محمد العلى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٦٨ هـ، ص ٣٠٥.

(٣٠) التراكش المصعب، ص ٣٠٤.

Hirschberg, J. W. A history of the Jews in North Africa, London, E. J. Brill 1974, 1, p. 370.

(٣١) المصعب، ص ٣٠٥.

(٣٢) على سبيل المثال نقرأ إلى الشهرة التي صارت للصناع والتجار اليهود في الصناعة والصرفه بعد أصبحوا محبين لدى حكم المغرب، لا سيما بعد ما اتسعت رقعة الدولة واستحكمت سلطة المغرب، حيث ان الحكم والاسلاطين يرغبون في الظهور بمظهر الأمة والعظمة، تجسدا للرهبة والأعزة من خلال الأمعة النادرة والمقنيات النخبة المصنوعة من الذهب والفضة، ولذلك كله بالأحجار الكريمة الزينة انظر علي بن يوسف الحكيم "الدوحة المشتمكة في حوائط دار

السكة "بحمد معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٨، ص ١١٧-١١٨ كما يشير إلى الرواية التي تذكر أن يهودا دل اليسع بن مئزر على اليهودي الفاطمي فكان مسا في مسحه وبنى دمه الفاطميون لما بعد انطلاقا من نفعه العتيدة من ليهود انظر الحميري الزوح انقطاع في حبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة باهر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠، ص ٣٠٦ وحسب رؤية حواميناس اصطر الفاطميون إلى التماسع مع الأقليات غير الإسلامية باعتبارهم أقلية داخل محيط مسي كبير انظر Gortler, A Mediterranean Society, 1 p. 31

(٣٣) انظر مثلا كيف أمر بن أبي زيد الفرواني بعدم السلام على اليهود والنصارى ول من مسلم على ذي فلا يستأنه ولا مسلم عليه اليهودي أو النصارى قليل عثت ومن قال عثت السلام يكرس السي وهي الحجارة فقد قبل ذلك الرسالة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١، ص ٣١٧، الشراوي الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تحقيق د. محمد فرحات، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ج ١، ص ٩٨. وفيه ما يدل على أن اليهود أصبح اليهود والنصارى، قال يرحلث بهم" ابن حنبلان وحيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٨٨ وهو ما يتكافأ أعمال النصارى والفاطميون. فقد كتب النصارى أبو إمامه الساعلي لا يمر مسلم ولا يهودي ولا نصري إلا بدأه بالسلام، وروي عن ابن مسعود وبي المروءة وقصالة بن عبد الله كروا، يسعون أهل الدنيا بالسلام وكس من مسعود في رجل من أهل الكتاب السلام عليك انظر ابن عبد البر "المسند في الوفا من الدين والأصنام، تحقيق مصطفى لعنوي ومحمد البكري، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧، ج ١٧، ص ٩١.

(٣٤) عن مؤلف فيها: "الربيع اشتد على اليهود نظر بن أبي زيد القيرواني في تاريخه والبراهات على ما في المدونة من غيرها من الأذهاب، تحقيق محمد حمدي در الغرب الإسلامي، ١٩٩٩، ص ٣٧٥. السباع معاد الإيمان، ج ٣، ص ١٦٦، المرحوم الشيخ ج ٢، ص ١٠١. الترتيب في ج ١، ص ١٥٧، ١٥٨، الترتيب في المدونة في الفقه المالكي، تحقيق محمد حمدي، در الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤، ج ٨، ص ٦٠، ج ١٣، ص ٣٤٣.

(٣٥) تابع ذلك القيود عند حمدي غاظا الفكر الديني اليهودي، ص ١٩٠-٢٠٠، دراسة عطا يهود العالم العربي دعوى الاصطلاح، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٤، ص ٢٣-٣٥.

(٣٦) N renberg (David): "What can Medieval Spain teach us about Muslim-Jewish Relations?", p. 22

ثم انظر كيف فهم أهل الفكر الإسلامي ذلك فنبهوا إلى أن دفع أهل السنة للحرية "شكوك أمواتهم كانوا" ودموهم كدعائنا لأهم من مجلة "الرعية" انظر الصعدي أعيان العصر وأغوار النصر، تحقيق علي أبو زيد وأحروب، دار الفكر للنشر، بيروت، ١٩٩٨، ج ٤، ص ١٧. وصرح العقبة المالكي أبو بكر بن العربي أن الواجب يتنصب المساواة بين المسلمين وأهل السنة باعتبارهم جزء من سكان دار الإسلام التومبريسي، د.ت، ج ٢، ص ٢٥٤. واستادا إلى المساواة بين المسلم واليهودي في المكانة الاجتماعية أسقط مالكية القرية أخذ عن المسند الذي يقول لأبيه "يا يهودي" ابن فرحون. نهضة الحكماء في أصول الفقه والأحكام، المطبعة المعروفة الشريعة، مصر، ١٣٠١، ج ٢، ص ١٧٨. ثم ذبح نظره -لاسلام إلى زائلة الأموة التي تجمع المسلم بغيره داخل حدود الدولة عند يوسف الفريصاني من فقه الدولة في الإسلام مكانها معانها طبعها موقفها من الديمقراطية والتعددية والحرية وغير المسلمين، دار الشروق، ١٩٩٧، ص ١٩٨-١٩٧ وعن موازنة أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي انظر فهمي هودي مواظون لا ذميون، دار الشروق، ط ٣، ١٩٩٩.

Chouraqui, N : *Between East and West. A History of The Jews of North Africa*, New York, 1973, p. 79 (٣٧)

(٣٨) اشعور تاريخ اليهود في بلاد المسلمين، القدس، (باللغة العبرية)، ص ٨٢

Ashtori (C) *The Jews of Moslem Spain*, Philadelphia, 1979, 2, p. 285 (٣٩)

Menahem Ben-Sasson 'The Jewish Community of Gabes in the 11th Century' in: (٤٠)
M. Abitbol (ed.), *Communautés juives des marges sahariennes du Maghreb*, J. rusalem 1982, pp. 264-266

"The Jews in The Medieval Islamic city", in *Jews of Medieval Islam. Community, Society, & Identity. Proceedings of an International Conference Held by the Institute of Jewish Studies, University of London*, 1995, p. 3 (٤١)

(٤٢) امتداد إلى وثائق الحيرة نسب يهود المغرب الأدنى إلى القدس التي كتبها، مثل الطرابلسي والقرواني
والقاسبي والصفاطي والبربري والروسي والندى الخ. مطبع مراكش كورنيل الخليل اليهودي، ص ٣٣، ٥٢ -
٥٣، ٧٣

Shlman M.A. 'The Jews of Arab Lands', pp. 37-47. *Mann. Texts and studies in Jewish History and Literature*, New York, 1972, p. 452. Moshe G. *Jews in Islamic Countries in the Middle Ages*, Brill, 2004, pp. 69. Hirschfeld, A. *History of the Jews in North Africa*, 1, p. 184. Hirschfeld Family of the Gassas from Kairouan, *J. O.R.*, 16, 1984, p. 275

(٤٣) ابن سعيد المغربي كتاب حروف عجمي سماه حروف عجمي، ص ١٩٧، ص ١٤٧

Mann. *The Jews in Egypt and in Palestine* - p. 87 (٤٤)

(٤٥) ابن سعيد المغربي: كتاب حروف عجمي، ص ١٤٦

(٤٦) البرزلي: حروف عجمي، ص ٤٤

(٤٧) الطبري: كتاب البلدان، ص ١٤٦، كتاب الإغلاقات الخليفة لاس رسة، لندن، ١٨٩١، ص ٣٤٤
حرفاثة المسالك والممالك، مكتبة الخليل، بغداد، ص ٢٤، الكرى المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار
الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ص ٨٥

(٤٨) الإدريسي: رحلة المشتاق في حروف عجمي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩، ج ١، ص ٣١٤

(٤٩) ابن الأثير: التكميل، ج ٩، ص ١٤

(٥٠) البرزلي: حروف عجمي، ج ٢، ص ٤٤

Mann: *Texts and studies*, p. 465, (٥١)

Gottlieb: *Mediterranean society*, 4, p. 37, (٥٢)

(٥٣) أبو زكريا كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل عرو، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، ١٩٧٩، ص ١١٢

ص ١١٢، الإدريسي: رحلة المشتاق، ج ١، ص ٣١١، الحموي: التوضيح، ص ١١

- (٥٤) حاييم دغمرقي ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شعلان وعبد الغني أبو العزم، د.م. ١٩٨٧، ص ٢٤
- (٥٥) الإدريسي: رحلة المشتاق، ج ١، ص ٣١١، الحموي: الروض المعطار، ص ١٢
- (٥٦) المدحجي: الطبقات، ص ١٢٢، ١٢٤، التندجي: تراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس الهجري، تحقيق ودراسة محمد حسن، كمية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، م ٣٠، ١٩٩٥ ص ١٧١
- (٥٧) النواجي: الطبقات، ص ٤٧٢، ٤٨٤، التماحي: تراجم، ص ٢٥٢.
- (٥٨) البكري: المغرب، ص ٩، الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٢.
- (٥٩) Hirschberg: A History of the Jews in North Africa, I, p 373-374
- (٦٠) البرزني: الفتاوى، ج ٤، ص ١٦٦.
- (٦١) ابن حوقل: المسالك والممالك، ص ٤٧.
- Menahem Ben-Sasson "The Jewish Communities of Gabes in the 11th", pp 264-284
- (٦٢) مجهول الاسم: ص ١٤٤
- (٦٣) حاييم دغمرقي ألف سنة من حياة يهود، ص ٢١ Mann: Texts and Studies, p 344
- (٦٤) أبو العرب محمد بن عبد الله الأندلسي، تحقيق علي لشاي و محمد ابدهي، ط ٢، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥، ص ١٣٠، ابن جليل: طبقات الأطباء وأحكامهم، تحقيق فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٨٥، الرقبي: القرواني لطفة من تاريخ لقرنية والمغرب، تحقيق المصطفى العكبي، تونس، ص ١٦٧، المالكي: رياض النفوس، ج ٢، ص ٢٧٣.
- (٦٥) Goitein: A Mediterranean Society, I, p.276
- (٦٦) Stil man: "The Eleventh Century Merchant House of Ibn Awkal", Journal of the Economic and Social History of the orient, 16 1973 pp 17,30.
- (٦٧) ابن عساري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٤٩
- (٦٨) ابن الأبار: اختلة السوء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٥، ج ١، ص ١٧٦
- (٦٩) لم يصر على يهود المغرب إلا في أحياء خاصة إلا خلال العصر المريني حيث أسس لهم حي عرف بـ"اللاج" كان بالقرب من قصر الحاكم، طمأنيتهم من تعصب السكان المحليين، نتيجة أحداث دامية شنت عليهم نظر مجهول قصة المسلمين أهل فاس، مخطوط بالمدينة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم ١٨٩٣ تاريخ
- (٧٠) البرزني: فتاوى، ج ٢، ص ٤٢

- (٧١) ابن عسرون تاريخ ابن عسرون المعروف بالعمود، دور العلم، بيروت، ١٩٨٤، ج ٢، ص ٣٦٩.
- (٧٢) ابن عسرون تاريخه، ج ٦، ص ١٤٠.
- (٧٣) المدعى الطقات، ص ٤٨٤.
- (٧٤) ابن عسرون تاريخه، ج ٦، ص ٦٩٠. Chouraqui: A History of The Jews of North Africa ٦٩٠.
- (٧٥) البرزلي: هادي، ج ١، ص ٦٢٣.
- (٧٦) المالكي رياض العلوم، ج ٢، ص ٢٧٣، تدبىء معالم الإيمان، ج ٣، ص ١٩.
- (٧٧) البرزلي: هادي، ج ١، ص ١٥٧، ج ٢، ص ٢١.
- (٧٨) جوامع، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ٢٣٢.
- (٧٩) المالكي رياض العلوم، ج ٢، ص ١١٩، ص ٢، ص ٧٥.
- (٨٠) جوامع، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ٢٣٢.
- (٨١) Menahem Ben-Sasson "The Jewish Community of Guben in the 11th Century" pp. 283-284.
- (٨٢) البرزلي ج ٦، ص ٢٣٢، الوترى، ج ١، ص ٣٠١.
- (٨٣) القاضي، روحه، دراسة في أصوله، ترجمة: محمد جادى الساعدي، دار العرب الإسلامي، ١٩٩٢، ج ٢، ص ٣٨٤.
- (٨٤) ربيعة عطا اليهود في العالم العربي، دراسة تاريخية في لسانها، المطبعة - الانعام - القدس، دار عين الدراسات والبحوث السنانية والاحمدية، ٢٠٠٣، ص ٩٤٩.
- (٨٥) الوترى، ج ٨، ص ٤٣٧.
- (٨٦) ابن سهل الإعلام، موزل الأحكام، المعروف بالأحكام الكبرى، تحقيق: بورة محمد عبد العزيز التويجري، المملكة العربية السعودية ١٩٩٥ م، ج ١، ص ١٠٦.
- (٨٧) المالكي رياض العلوم، ج ١، ص ٤٧٧.
- (٨٨) البرزلي هادي، ج ٢، ص ١٩، غريب، رسالة في الحسبة، نشرت ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة، تحقيق: لبي بروفسان، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي لفرنسي للأثار الشرقية، ١٩٥٥ م.
- (٨٩) ابن أبي زيد القيرواني كتاب الجامع في السير والآداب والحكم والتاريخ وغير ذلك، تحقيق: عبد العزيز التركي، دار العرب الإسلامي، ١٩٩٠، ص ١٩١، ذهب دستور إلى أن كثيراً من المازل التي يسكنها اليهود في

العرب للإسلامي تعود ملكيتها إلى مسلمين أو نصاري، وآلهم قد أساءوا حروها منهم استنصاراً" منظر (E) Ashtori
Jews, 3, P. 59

(٩٠) الفرائي: الصحيرة، ج ٥، ص ٢٩٧.

(٩١) الوشرسي: المعيار، ج ١١، ص ٣٠١.

(٩٢) ابن أبي زيد القيرواني: التواضع، ج ٣، ص ٣٧٩.

(٩٣) Chouraqui: A history of The Jews of North Africa, p 48 ومن انظر دور ذاته كتب مارك

كوهين كتابه Jewish Self-Government in Medieval Egypt: The Origins of the Office of Head of the Jews, Ca. 1065-1126. Princeton University Press, 1980.

(٩٤) دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ١٥١.

(٩٥) مثل قولهم "مر مع اليهود، وعلني يهوداً" وقولهم "كل طعام اليهودي، ويس في فرنسا
النصراني". قاموس المصنف اليهودي في الأمتل: شعرة عنه ذكر وبن، ع ٣٥.

(٩٦) البرزلي: الفتاوى، ج ٢، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٩٧) الوشرسي: المعيار، ج ٨، ص ٤٣٤، ٤٣٧.

(٩٨) ابن أبي زيد: شذور ودرجات، ج ٣، ص ٣٧٥، البرزلي: الفتاوى، ج ١، ص ٢٨٠.

(٩٩) البرزلي: الفتاوى، ج ١، ص ٢٣٢.

(١٠٠) الوشرسي: المعيار، ج ١١، ص ٣٠١.

(١٠١) البعظوري: سر لغز، نسخة مطبوعة في مكتبة جريدة، الطرابلس، ورقه ٧٨.

(١٠٢) رياض النفوس، ج ٢، ص ٥٠٩ - ٥١٢.

(١٠٣) محبون وآخرون: الدولة الكبرى تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٩٤.

(١٠٤) الدباغ: معالم الإيمان، ج ٣، ص ٩٨.

(١٠٥) ثلاثي: رياض النفوس، ج ٩، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

(١٠٦) الوشرسي: المعيار، ج ١١، ص ٣٠١.

(١٠٧) ابن أبي زيد القيرواني: التواضع، ج ٣، ص ٣٧٤.

(١٠٨) الوشرسي: المعيار، ج ١١، ص ٣٠١.

(١٠٩) البرزلي: الفتاوى، ج ١، ص ٢٣٢.

(١١٠) نفسه

- (١١١) التومبريسي ج ١١، ص ١١٢
- (١١٢) البرولي فتاوى، ج ٤، ص ٥٥٧
- (١١٣) التومبريسي ج ٨، ص ٤٣٤
- (١١٤) التومبريسي ج ٧، ص ٥٢
- (١١٥) التومبريسي ج ٨، ص ٤٣٧
- (١١٦) ورد الفقهاء أحداث في هذا الصدد مبالاً بقربوا اليهود والنصارى في أعيادهم فإن المسحطة تزل عليهم" اس حمر لسان الثور، تحقيق دائرة المعارف الشطامية، المؤسسة الأعلى لمطبوعات بيروت، ط ٣ ١٩٨٦ ج ١، ص ١٣٣ وألف بعضهم رسالة بعنوان "أنهى عن المشاركة في أعياد النصارى واليهود" المصنف: الوالي بالوفيات، ج ٧، ص ١٩
- (١١٧) البرولي فتاوى، ج ٣، ص ٥٩٣، التومبريسي ج ١١، ص ١١١
- (١١٨) جوامع فوائد في التاريخ، ص ٢٣٨
- (١١٩) التومبريسي الج ١٠، ص ٥٦
- (١٢٠) البرولي: فتاوى، ج ٢، ص ٢٧٥
- (١٢١) زبدة عطا اليهود في الدين العربى، ص ١٨٩
- (١٢٢) البرولي فتاوى، ج ٤، ص ٢٨٤، ج ١٠، ص ٤٠٩
- (١٢٣) تراجم، ص ٢٥٢
- (١٢٤) نبع غودجا شديد دلالة حول هذا المعنى في مصر المظلمة عند المصنفى الوالى بالوفيات، ج ٢٤، ص ١٤.
- (١٢٥) الطلقات، ص ٣٠٧.
- (١٢٦) التمشاعى: تراجم، ص ١٧١-١٧٢
- (١٢٧) سبحون: المذنب، ج ١، ص ٣٤٥، ٣٩٢
- (١٢٨) البرولي: فتاوى، ج ٥، ص ٤٤٦-٤٤٣
- (١٢٩) نفسه
- (١٣٠) القرطبي: المحرق، ج ١٢، ص ٣٩٠
- (١٣١) سبحون: المذنب، ج ١، ص ٥٩٣. المعرى المواقف المولى، ج ٢، ص ٩١٧، الذي الأزهري الفهر العلى في تقريب المعنى شرح رساله اس آى وبه القيرواي، الشكة التقدي، بيروت، د س، ص ٤٢٦

- (١٣٢) الشماخي: تراجم، ص ١٧١-١٧٢.
- (١٣٣) الرزقي: فتاوى، ج ٥، ص ٤٤٢، الوترسي: المعارج، ج ٧، ص ٦٥.
- (١٣٤) الدعوة في محاسن أهل الحرية، تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨-١٩٧٩، ق ١، م ١٠، ص ١٦١.
- (١٣٥) الشترسي: الدعوة، ق ١، م ١٠، ص ١٦١.
- (١٣٦) Hirschberg: A history of the Jews in North Africa, I, p.296.
- (١٣٧) دراسات في التاريخ، ص ٢٣٨.
- (١٣٨) نفسه، ص ٢١٨.
- (١٣٩) اللبدي: صائب الحبيب: تحقيق هادي روجيه، دريس، حرير ١٩٥٩، ص ٧١.
- (١٤٠) المرجعي: الطقات، ص ١٢٤.
- (١٤١) المرجعي: الطقات، ص ١٣٨.
- (١٤٢) الشماخي: تراجم، ص ١٣٨.
- (١٤٣) المصطفى: سيرة الإسلام النبلاء، ج ٢٠، ص ١٠٥.
- (١٤٤) عياض: قللارك، ج ٢، ص ٦٦.
- (١٤٥) الوترسي: ج ٢، ص ٢٤٨ ثم تابع ذلك الرواية التي تمسك الاستقاس لها وان خرجت عن إطار البحث والتي تتحدث عن الفقيه الأندلسي طائوت بن عبد الحار اللعافري والذي تمسك من الإفلات من بطش أمير قرطبة الحكم بن هشام لمشاركته في ثورة الرهبي، لأنه أصبح سنة كاملة في دار صديق له يهودي، حتى طس المصطفى انه من أهله انظر عياض: قللارك، ج ١، ص ٢٩٢، القرني: مع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ - ج ٢، ص ٦٣٩.
- (١٤٦) الرزقي: فتاوى، ج ١، ص ٢٨٠.
- (١٤٧) الرزقي: فتاوى، ج ١، ص ٢٨٠.
- (١٤٨) صهيون: للدولة، ج ١، ص ١٤٠، الرزقي: فتاوى، ج ١، ص ٢٨٠.
- (١٤٩) الرزقي: فتاوى، ج ٢، ص ٤٤.
- (١٥٠) الوترسي: المعارج، ج ٦، ص ٦٩.
- (١٥١) الرزقي: فتاوى، ج ٢، ص ٤٤.

(١٥٢) الدباغ: معالم الإيمان، جـ ٣، ص ١٦١.

(١٥٣) عبد الرحمن بشر: اليهود في المغرب العربي، ص ١٢٣.

Chouraqui: A History of The Jews of North Africa, p. 65.

(١٥٤) الرزقي: فتاوى ج ٢، ص ٤٢، ٤٤.

Gottin: A Mediterranean

(١٥٥)

Society, 4, p. 191.

(١٥٦) عياشي: المداوك، ج ١، ص ٤٩٧.

(١٥٧) مطالب الجلساني، ص ٧٤.

(١٥٨) معالم الإيمان، جـ ٣، ص ١٦١.

(١٥٩) الدباغ: معالم الإيمان، جـ ٣، ص ١٦١.

(١٦٠) ويدون أن عدم أفراد يهود المغرب عامة يرى حرص جلال بيت لشرق كتاب ورواه استحضار الفقيه المذكور ابن العربي شواهد تاريخية من مدينة بغداد في بلاد المغرب أو الأندلس لتدليل على قيام أحكام بحق اليهود والعباري من تشبه يرى المنسحب في رتبهم من خدمة انظر بعض ذلك عند التوسل في المعيار، ج ٢، ص ٢٥٤.

(١٦١) رياض النفوس، ج ١، ص ٤٧٦.

(١٦٢) عياشي: المداوك، ج ١، ص ٤٨٧.

(١٦٣) التوسل في: ج ٢، ص ٢٤٨.

(١٦٤) رياض النفوس، ج ١، ص ٣٣٩.

Ashtor The

(١٦٥)

Jews, 3, p. 158.

(١٦٦) مجهول، كتاب الطيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، "صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد"، م ٩٠، ١٠، ديسمبر، ١٩٦١-١٩٦٢ م)، ص ٦٨.

(١٦٧) نفسه، ص ٧٤.

(١٦٨) نفسه، ص ٦٧.

(١٦٩) م، ص ٧٠.

(١٧٠) الصغدي الوالي بالوفيات، ج ١٢، ص ٩٧ حيث ورد ما نصه "اليهود ناهض منه أذى، وأسلم على يده منهم جماعة، منهم سبعة وبنات، وكان الشيخ يحب الكراخ المسمومة، فدعوه إلى بيت واحد منهم، وقلعوا له ذلك، فكان ثم غاب زهراً على عذته، فاحصروا الخبر، فلم يكر حصورها، وأثاروها، ثم نالوه منها قدحاً فاستعمله تشبهاً بهم، فلما سكر أخرجوه على لثك الخلق".

- (١٧١) ابن أبي زيد القيرواني، كتاب الجامع، ص ١٩٩.
- (١٧٢) الوثريسي المعيار، ج ٨، ص ٤٣٧.
- (١٧٣) ابن سهل: نوازله، ج ١، ص ١٠٩، بالمرزقي: فتاوى، ج ٤، ص ٥٥٧.
- (١٧٤) الوثريسي المعيار، ج ٢، ص ٢٥٠.
- (١٧٥) حسن طاطا، الفكر الديني اليهودي، ص ٢٠٣، Hirschberg: A history of the Jews in North Africa, I, p.147.
- (١٧٦) زعفران ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ص ٦٤، عبد الرحمن بشير اليهود في المغرب العربي، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠١، القاهرة، ص ١٢٥.
- (١٧٧) جويانين: دراسات في التاريخ، ص ٢٤٧-٢٤٨.
- (١٧٨) البغدادي، ص ٣٠٧، روحه الدريس، ٤٢٩.
- (١٧٩) محمد حلاء افريس: آثار الإسلام في الفكر الديني اليهودي - لاسكندرية د.ت، ص ١١٩.
- Hirschberg: A history of the Jews in North Africa, p. 81.
- Gortem (S.D): "Slaves and slave girls in the Cairo Geniza Records" Arabica, t.9, (١٨٠).
- Leiden, 1962, p. 12. وعن وردود من هذه الشروط في عقود الزواج الإسلامية انظر ابن العطار: الزواني والصحائف، تحقيق شاملا وكورسني، مجمع مؤلفات عربي وفتح الأبي، طبع في القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٥، ٧.
- ابن سلامون الطنجي اعظم للحكام فيما يجري بين يديهم من الطغاة والاحكام " علي هامش كتاب نصرة الحكام لابن فرحون "، مطبعة الجامعة الشرقية، مصر، ط ١٣٠١ هـ، ج ١، ص ١٦، ١٧، ١٨.
- (١٨١) المرزقي: فتاوى، ج ٢، ص ٢٩٣.
- (١٨٢) عبد الرحمن بشير: يهود المغرب، ص ١١٥، محمد شكري سرور نظام الروح في الشرائع اليهودية والمسيحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨-١٩٧٩، ص ٢١٨-٢١٩.
- Hirschberg: history of the Jews in North Africa, I, p.171.
- (١٨٣)
- (١٨٤) ماحم بن ماسون، أصول التاريخ اليهودي في القرون الوسطى (باللغة العربية)، تل ابيب، ١٩٦٢، ص ٩٠.
- The Jews in Medieval Islam City", P.10.
- (١٨٥)
- Gortem (S.D): A Mediterranean Society, 2, pp.289-
- (١٨٦)
- 293
- (١٨٧) الفتاوى ووجه الدولة الصنهاجية، ج ٢، ص ٣٨٣.

- (١٨٨) الورزلي: فتاوى، ج ٢، ص ١٨.
- (١٨٩) الوثريسي: المعارج، ج ٢، ص ٢٢٣، ٢٤٦. تم تابع بقاء طويلا للمصالة ص ٢٢٠-٢٤٦.
- (١٩٠) المعجب، ص ٣٠٥.
- (١٩١) روجيه الدريس: الدولة الصنهاجية، ج ٢، ص ٤٣٢-٤٤٥.
- (١٩٢) عبد الرحمن بشر: اليهود في المغرب العربي، ص ١٤٦.
- (١٩٣) سليم زعماري: ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ١٩٨٧، ص ١٢٦.
- Mann The Jews in Egypt and in Palestine. I, p. 255, 256, Ashfor -The Jews. J, P 79
- Stillman M.A.: The Jews of Arab Lands (١٩٤١).
- (١٩٥) الدعاغ: معالم الإسلام، ج ٣، ص ١٦٩.
- (١٩٦) الورزلي: فتاوى، ج ٢، ص ١٩.
- Mann The Jews in Egypt and Palestine. I, p. 246, 249 (١٩٧).
- (١٩٨) جوامعين: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ١٩٤.
- (١٩٩) روجيه الدريس: الدولة الصنهاجية، ج ٢، ص ٣٨٤.
- Mann: The Jews in Egypt and Palestine, I, p. 264
- (٢٠٠) ابن أبي زيد: النوادر والرياض، ج ٣، ص ٢٨٢، الوثريسي: المعارج، ج ١، ص ١٠٦، ١٢٩.
- (٢٠١) ابن فرحون: بصيرة الحكم، ج ١، ص ٦٨.
- (٢٠٢) الوثريسي: المعارج، ج ١، ص ١٠٦، ١٢٨-١٢٩.
- (٢٠٣) القفال الدخيرة، ج ١، ص ٦٠.
- (٢٠٤) ابن فرحون: بصيرة الحكم، ج ١، ص ٢٨.
- (٢٠٥) الوثريسي: المعارج، ج ١، ص ١٠٦.
- (٢٠٦) الورزلي: فتاوى، ج ٤، ص ٢٨٤.
- (٢٠٧) الورزلي: فتاوى، ج ٤، ص ١٩٦.
- (٢٠٨) سحر: الفتوة، ج ٣، ص ٢٠٨.

- (٢٠٩) القزلي: فتاوى، ج٦، ص١٤٨.
- (٢١٠) مسجون، الموقد، ج٢، ص٢٢٤.
- (٢١١) مسجون، الموقد، ج١، ص٢٢٤، تحليل من إسحاق محصور العلامة خليل، تحقيق أحمد حماد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٢١٩، القزلي: الفتاوى، ج٢، ص٦٢٠.
- Gortem (S.D) "Slaves and slave girls in the Cairo Geniza Records" p.8.
- (٢١٢) القزلي: فتاوى، ج٢، ص٢٩٤.
- (٢١٣) ابن فرحون: قصص الحكما، ج٢، ص١٤٢.
- Gortem (S.D) "Slaves and slave girls in the Cairo Geniza Records", pp 9-10. (٢١٤)
- (٢١٥) النويري: المعيار، ج٢، ص٣٥٤.
- (٢١٦) القزلي: الفتاوى، ج٢، ص٦٦٠، في الأخرى: شرح، ص٢٥٩، كان خروج اليهود مع المسلمين في صلاة الإسفل، امرأته في دار الإسلام بعد ذكر الله من بعد ذلك، خرجت مع موكب القصد الأماكن بعد صلاة الصلاة والدين، جمع المسلمين وصادق وبيهود معهم التماس في الأوقات الحاضرة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ترجمة محمد عبد الحادي بن ريداء مضعه عبد سبب وشرجه وشر، القاهرة، ١٩٧٧، ج١، ص٢٨.
- (٢١٧) ابن أبي زيد القيرواني: سيرة وتاريخ، ج٣، ص١٨٩، ١٩٩، ٢٠١.
- (٢١٨) النويري: المعيار، ج٢، ص٣٦٣.
- (٢١٩) القزلي: فتاوى، ج٢، ص٤٨.
- (٢٢٠) المائكي: رياض القوس، ج٢، ص٣٦٠، روضة إدريس الدولة الصنهاجية، ج٢، ص٢٤.
- (٢٢١) محمود ذكر السلطنة والألفية اليهودية في تونس، الكانون وللمارسة، مجلة معهد الآداب الشرقية، عدد ٤٤٤، ١٩٩٤، ص٣٤٩.
- (٢٢٢) إبراهيم سليمان أنصاري: قصور وممالك جبل نفوسة، تحقيق وتحرير محمد حاتم، للمعهد المائكي لثقافة الامازيغية، الرباط، ٢٠٠٤، ص١٣٨-١٣٩.
- (٢٢٣) القزلي: ج٢، ص٤٤٥، ٤٤٦، بالنويري: ج٧، ص٦٥.
- (٢٢٤) المراكشي: المعيار، ص٣٠٥.
- (٢٢٥) السموال: معجم اليهود ولغة اسلام السموا، تحقيق محمد عبد الله الشرفي، دار الخليل، بيروت، ١٩٨٣، ص٤٥.
- (٢٢٦) وفيات الأعيان، ج٧، ص٣٤.

- (٢٢٧) العبي، يمين الشمس في لاربع رجال أعمال الأندلس، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٧م، ص ٨٣-٨٦.
- (٢٢٨) المصطفى: الوافي بالوفيات، ج ١٥، ص ٢٧٦.
- (٢٢٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٢٨.
- (٢٣٠) التوشنسي: المختار، ج ٢، ص ٣٥٤.
- (٢٣١) الفصوص الملكية في معرفة الأسرار الملكية والملكية، ط بولاق، مصر، ١٢٧٣هـ، ج ١، ص ٥٦٢.
- (٢٣٢) سورة يونس: آية ٢٢ .
- (٢٣٣) أخبار المهدي بن تومرت، طبعة دار المصور بالرباط، ١٩٧١، ص ٩١.
- (٢٣٤) عروا فلا تشر الأيام العربية القديمة، (باللغة العربية)، القدس، ١٩٧٥، ص ٣٣٤.
- (٢٣٥) آداب المعلمين، ص ٩١٢.
- (٢٣٦) المصنف، ص ٣٠٥.
- (٢٣٧) الورزلي: فتاوى، ج ٣، ص ٥٧٢-٥٧٣.
- (٢٣٨) السؤال: إمام اليهود، ص ٤٨.
- (٢٣٩) ابن الخطيب الإحاديث في مختار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عان، مكتبة حنين، القاهرة، ١٩٧٥، ج ٣، ص ٦٨.
- ٦٨ بالمقرى، نفع الطيب، ج ٤، ص ١٣٠.
- (٢٤٠) الورزلي: فتاوى، ج ٣، ص ٥٨٤.
- (٢٤١) إمام اليهود، ص ٥٤.
- (٢٤٢) عبد الرحمن بن بشر: اليهود في المغرب العربي، ص ١٣٩.
- (٢٤٣) شعبان محمد سلام : أثر الالفة العربية في الشعر العربي - سلسلة الأدب للقارئ - الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٨٦، ص.
- (٢٤٤) عبد الرزاق فهدل أثر الشعر العربي في الشعر المعري، الأندلسي (مركز الدراسات الشرقية بحامدة القاهرة ٢٠٠٢)، ص ٢١-٢٣.
- (٢٤٥) انظر عن المعطاء المنكرى وانتقال يهود المغرب الاذن عمال المصيرين القاطنين والزيري عبد الرحمن بنشر اليهود في المغرب العربي ص ١٤٤-١٥٤، روجيه ادريس الدولة الصنهاجية، ج ٢، ص ٤٢٠-٤٢٧.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المخطوطة والمطبوعة:

١. ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي)، ت ٦٥٨ هـ/ (١٢٦٠م): الحلة السراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط ٢ ١٩٨٥.
٢. الأزهري (صالح عبد السميع الأبي الأزهري)، الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت.
٣. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري) ت ٦٣٠ هـ/ (١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق عدنان القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢ ١٤١٥ هـ.
٤. الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس، ت ٥٥٨ هـ/ ١١٦٢م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩.
٥. البرزلي [أبو القاسم بن أحمد البغوي التومسي، ت ٨٤١ هـ/ ١٤٣٧م]: جامع مسائل الأحكام لما نزل من انقضاء بالشعر والحكم، تحقيق محمد حبيب الهيلة، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٢م.
٦. ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشيرازي ت ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط ١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨-١٩٧٩.
٧. البغطوري (مقرئ بن محمود، كان حياً عام ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢م) سير نفوسة، مخطوط نسخة منقولة عن الأصل الموجود في مكتبة جربة، الجزائر.
٨. البكري (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
٩. البيهقي (أبو بكر بن علي الصهاحي، أُلّفه منتصف ق ٦ هـ/ ١٢م) أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المصور للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧١.

١٠. الجوسفي (عمر بن عثمان بن العباس، من أهل ق ٦هـ/ ١٢م) رسالة في الحسبة، نشرت ضمن كتاب "ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة واغتصب"، تحقيق لمحي بروغيسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي العربي للأثار الشرقية، ١٩٥٥م.
١١. ابن جليل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، ت ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م) طبقت الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥.
١٢. ابن حجر (أبو الفصل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م) لسان الميزان، تحقيق دائرة المعارف النظامية، اهد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦.
١٣. ابن حرم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم مصر و عبد الرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، د.ت.
١٤. ابن حماد (أبو عبد الله محمد بن علي بن عيسى، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): أحبار ملوك بني عبد وسرقم، تحقيق الهادي بكرة وعبد خليم عويس، لرياض، ١٩٨١.
١٥. الحميري (محمد بن عبد الله بن عبد المعين، ت ٩٩هـ/ ١٥٠م) ألروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠.
١٦. ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي الصبي، ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) المسالك الممالك، ليدن، ١٨٧٣.
١٧. الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ت.
١٨. حرذاذة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت حوالي ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
١٩. ابن الخطيب: (لسان الدين محمد السليمان ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) الإحاطة في أحبار غرناطة، تحقيق محمد عداة عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٥.
٢٠. ابن حلدون (أبي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن حلدون الحضرمي، ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) تاريخ ابن حلدون المعروف بالعر، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤.

٢١. ابن خلدون (شمس الدين أبو العباس أحمد، ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، (د.ت).

٢٢. خليل بن إسحاق المالكي، ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م مختصر العلامة خليل، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥.

٢٣. الذباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، ت ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق إبراهيم شيوخ وآخرون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٨.

٢٤. المروجين (أبو العباس أحمد، ت منتصف في ٧ هـ / ١٣ م) : طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، قسنطينة، ١٩٧٤.

٢٥. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤ م) : سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد مهيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٩٥ هـ / ١٤١٣.

٢٦. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦.

٢٧. الرقيق القيرواني (إبراهيم بن القاسم القيرواني، ت النصف الأول من ق ٥ هـ / ١١ م) : قطعة من تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق المجي الكمي، تونس، ١٩٦٨.

٢٨. أبو زكريا (يحيى بن أبي بكر، ت النصف الثاني من ق ٤ هـ / ١٠ م) : كتاب سر الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، ١٩٧٩.

٢٩. الرمحشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الرمحشري جاز الله، ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) : أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

٣٠. ابن أبي زيد القيرواني (أبي محمد عبد الله، ت ٣٨٦ هـ / ٩٢٨ م) : الرسالة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩.

٣١. ابن أبي زيد القيرواني الوافد والريادات علي ما في المدونة من غيرها من الامهات، ح ٣، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩.

٣٢ ابن أبي زيد القيرواني: كتاب الجامع في السبب والآداب والحكم والتاريخ وغير ذلك، تحقيق عبد المجيد تركي، ط دار العرب الإسلامي، ١٩٩٠.

٣٣ سحتون (أبو سعيد سحتون بن سعيد بن حبيب التوغخي، ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م وآخرون): المدونة الكبرى تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٣٤ ابن سعيد المغربي (علي بن موسى بن محمد، ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، ١٩٧٠.

٣٥ ابن سهل (أبو الأصبح عيسى، ت ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م): الإعلام بنوارل الأحكام، المعروف بالأحكام الكبرى، تحقيق نورة محمد عب العزيز التويجري، المملكة العربية السعودية ١٩٩٥ م

٣٦ ابن سلمون النكاشي (أبو الدسم سلمون بن علي ت ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م): العقد المظم للأحكام فيما تجرى بين أتباعهم من العفود والأحكام " علي هامش كتاب تبصرة الأحكام لابن فرحون "، الطبعة العاشرة الشرفية، مصر، ط ١١٠١ هـ.

٣٧ السموأل المغربي (شموأل بن يهودا بن آوان، ت ٥٧٠ هـ) : إجماع اليهود وقصة إسلام السموأل، تحقيق محمد عبدالله الشرفاوي، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٣.

٣٨ السهوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ / ١٥٠٤ م): حسن الخاضرة في أخبار مصر والقاهرة، المطبعة الشرفية، مصر، ١٩٠٩.

٣٩ الشماحي (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م): كتاب السير " الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس الهجري "، تحقيق محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس السلسلة ٤، المجلد ٣٠، ١٩٩٥.

٤٠ الصلدي (صلاح الدين خليل بن أيبك، ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) الوالي بالولايات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠ م

٤١ الصعدي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨

٤٢. الطبري (أبو حنيفة محمد بن جرير، ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م). تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٣.
٤٣. ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠ م). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ هـ.
٤٤. ابن العطار (محمد بن أحمد الأموي، ت ٣٩٩ هـ/ ١٠٠٨ م). اللؤلؤ والسجلات، تحقيق شاميا وكروينطي، مجمع الموقنين انجريت والمعهد الأساني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٣.
٤٥. عبد الواحد المراكشي (ت ٦ هـ/ ١٢٠ م). منتخب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العربيان و محمد العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٦٨ هـ.
٤٦. ابن عذاري (أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشي ت ٧١٢ هـ/ ١٣١٣ م). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق جاس كولاو ولفي برونسال، دار الثقافة، بيروت، د ت.
٤٧. أبو العرب غم (محمد بن أحمد بن غم القرواني، ت ٣٣٣ هـ/ ٩٤٢ م). طبقات علماء أفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي و نعيم الياضي، ط ٢. الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥.
٤٨. علي بن يوسف الحكيم. "الدوحة المشبكة في ضوابط دار السكة"، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٨.
٤٩. عياض (القاضي عياض بن موسى بن عياض السبي، ت ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩ م). ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
٥٠. الفارسي (أبو الطاهر محمد بن الحسين) صالب محرز بن حلف، تحقيق روجيه إدريس، باريس، ١٩٥٩.

٥١. ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن فرحون المالكي، ت ١٣٩١/٧٩٤م): تبصرة الحكام في أصول الأقضية وصاحح الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٠١هـ.

٥٢. الفراق (شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي، ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥): الذخيرة في الفقه المالكي، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.

٥٣. القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، ت ٤٦هـ / ١٢٤٨م): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٦هـ.

٥٤. اللبدي (أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، ت ٤٤٠هـ / ١٠٦٠م) مناقب الجنيداني، تحقيق هادي روجيه إدريس، الجزائر، ١٩٥٩.

٥٥. المالكي (عبد الله بن أبي عبد الله، ت ٤هـ / ١٠م) (باص النبوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية، تحقيق بشير الكوش، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤).

٥٦. الخليلي (أحمد بن سعيد، ت ١٠٩٤هـ / ١٦٨٣م): إنبدي كتاب التيسير في أحكام التسعير، تقديم وتحقيق موسى المياني، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧١م.

٥٧. مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، ط. الدار البيضاء، ١٩٨٥.

٥٨. مجهول: قصة البلبيين أهل فاس، مخطوط باهنية المصرية العامة للكتاب، تحت رقم ١٨٩٣ تاريخ.

٥٩. مجهول، كتاب الطيب في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ٩م، ١٠، (مدريد، ١٩٦١-١٩٦٢م).

٦٠. المقرئ (شهاب الدين أحمد بن محمد الطنماني، ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) فتح الطب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.

٦١. المقرئزي (نقل الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م) تعاض
الحقا في ذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشبلي، ط دار الفكر
العمري، ١٩٤٨.

٦٢. الفزاري (أحمد بن غنيم بن سالم، ت ١١٢٦ هـ) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي
زيد القيروان، تحقيق رضا فرحات، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

٦٣. الوساوي (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام ٤٧١ هـ/١٠٧٨ م) سير أبي الربيع
الوساوي، مخطوط بالمهنة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم ٩١١٣ ح، ميكروفيلم
٣٢٧١.

٦٤. الوثائقي (أبو العباس أحمد بن يحيى، ت ٩١٤ هـ/١٥٠٨ م): المعيار المغرب
والجامع المغرب عن فتاوي أهل الرقبة والأندلس والمغرب، تحقيق مجموعة من الفقهاء
بإشراف محمد حجي، ط دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١ م.

٦٥. العقوي (أحمد بن أبي يعقوب بن رطب، ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م): كتاب البلدان،
ملحق بكتاب الأعلام، نسخة لاس رستة، لندن، ١٨٩١.

٦٦. البهائي (أبي عبد الله محمد بن مالك المفاوي، ت أواسط القرن الخامس الهجري/١١ م):
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق محمد بن علي الجواني، مركز الدراسات
والبحوث البهائي، صنعاء، ١٩٩٤.

ثانيا: المراجع العربية والعربية والمعرية:

١. إبراهيم سليمان أنماحي: قصور ومسالك جبل نفوسة، تحقيق وعريب محمد حمام، المعهد
الملكي للثقافة الإمازيغية، الرباط، ٢٠٠٤.

٢. إبراهيم عامر الرحيلي بذل المجهود في إثبات مشاهة الرافضة لليهود، مكتبة العرباء
الأثرية، د.ت.

٣. آدم مبر. الحصار الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو
ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧.

٤. ادوار غالى الدحي: معاملة غير المسلمين في المجتمع الاسلامي، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٣.
٥. اشكور: تاريخ اليهود في بلاد المسلمين (باللغة العربية)، القدس، د. ت.
٦. ثرتون أهل اللغة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، ط٥ القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.
٧. جعفر هادي حسن: فرقة القرانين اليهود - دراسة في نشأة الفرقة وعقائدها وتاريخها إلى العصر الحديث، بيروت، مؤسسة الفجر، ١٩٨٩.
٨. جواثين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية الفوصي، الكويت، وكالة المطبوعات، ط١، ١٩٨٠.
٩. حاييم زعفراني ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة احمد شعلان وعبد العتي ابو النعزم، م. ٥، ١٩٨٧.
١٠. حسن ظاظا: المكر اللبني الإسرائيلي - أطواره ومصادره، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٩.
١١. زبيدة عطا: يهود العالم العربي دعوى الاضطهاد، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٤.
١٢. زبيدة عطا: اليهود في العالم العربي، دراسة تاريخية في قضايا الهوية - الاندماج - القدس، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٣.
١٣. سليم شعشوع: صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس، مطبعة دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، شفا عمرو، ١٩٩٠.
١٤. عبد المراقى قنديل: أثر الشعر العربي في الشعر العبري الأندلسي، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، ٢٠٠٢.
١٥. عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٩، القاهرة.

١٦. عبد العظيم المطعنى. مبادئ التعايش السلمى فى الإسلام مبها وسيرة، دار الفتح للإعلام العربى، القاهرة، ١٩٩٦.
١٧. عررا فلايش. الأيام العبرية المقدسة (باللغة العبرية)، القدس، ١٩٧٥.
١٨. فهمى هويدى: مواطنون لا ذميون، دار الشروق، ١٩٨٥.
١٩. قاسم عبده قاسم: اليهود فى مصر، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣.
٢٠. مارك كوهين. المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى، ترجمة نسرين مرار وسيمر نقاش، جامعة تلى أبيب، المعهد اليهودى العربى، ١٩٨٧.
٢١. مأمون المربى: اليهود فى الأمثال المغربية، مجلة فكر ونقد، ع ٣٥.
٢٢. محمد جلاء إدريس. لتأثير الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى - دراسة نقدية مقارنة لطائفة اليهود القرايين، مكتبة مذبولى، القاهرة، ١٩٩٣.
٢٣. محمد شكوى سرور نظم الزواج فى الشرائع اليهودية والمسيحية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٨-١٩٧٩.
٢٤. مراد فرح: المراءون والربايون، القاهرة، ١٩١٨.
٢٥. مناحم بن ساسون. لوصول التاريخ اليهودى فى القرون الوسطى (باللغة العبرية)، تل أبيب، ١٩٦٢.
٢٦. ناريمان عبد الكريم: معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية، افينة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦.
٢٧. نجم الدين الهنتاتى: مواقف علماء المالكية من أهل الذمة بالفريقية الى منتصف القرن الخامس اهجري، مجلة معهد الآداب الشرقية، العدد ١٨٦، ٢٠٠٠.
٢٨. الهادى روجيه إدريس الدولة الصهاجية، ترجمة حمادى الساحلى، دار الغرب الإسلامى، ١٩٩٢.
٢٩. هوبكر. النظم الإسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى، تونس، ١٩٨٠.

٣٠. يحيى عبد الهادي: أهل اللغة في العراق في العصر العباسي، عالم الكتب الحديث،

٢٠٠٤.

٣١. يوسف القرضاوي: من فقه الدولة في الإسلام. مكائنها .. معالها .. طبيعتها .. موقفها من

الديمقراطية والتعددية والمرأة وغير المسلمين، دار الشروق، ١٩٩٧.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

1- (Ashtor(E): The Jews of Moslem Spain, Philadelphia, 1979.

2- Ashtor, E: The Jews and Mediterranean Economy, London, 1983 .

Adler, (ed.): Jewish Travelers, (London ,n.d.)

Chouraqui, N.: Between East and West. A History of The Jews of North Africa, New York, 1973., p. 79

David Nirenberg: can Medieval Spain teach us about Muslim-Jewish Relations?, CCAR Journal, 2002 .

Goitein (S.D): A Mediterranean Society the Jewish communities of the Arab world as portrayed in the documents of the Cairo geniza , University of California, Paress, 1983 .

3- Goitein (S.D): "Slaves and slave girls in the Cairo Geniza Records", Arabica, t.9, Fas. 1, Leiden, 1962.

4- Mann, J.: The Jews in Egypt and Palestine Under The Fatimid caliphs, oxford university press, 1920

5- Mann, J.: Texts and studies in Jewish History and literature, New york, 1972.

6- Menahem Ben-Sasson: 'The Jewish Community of Gabes in the 11th Century' in: M Abitbol (ed.), Communaut s juives des marges sahariennes du Maghreb, J rusalem 1982.

7- Stillman M.A.: The Jews of Arab Lands A History and source book, The Jewish Publication Society of America, 1979.

8- Stillman M.A : "The Jew in The Medieval Islamic city", in Jews of Medieval Islam: Community, Society, & Identity: Proceedings of an International Conference Held by the Institute of Jewish Studies, University of London, 1995.

د. عبدالله بن محمد علي بن حيدر علي^(١)

علماء بلاد المغرب والأندلس الذين جاؤوا مكة المكرمة

من خلال كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين

للإمام تقي الدين محمد بن أحمد أخصي القاسي المكي

لنوف سنة ٨٣٢هـ

المقدمة :

كان من أسباب النهضة العلمية والحضارية عند المسلمين رحلات العلماء وطلاب العلم بين أرجاء العالم الإسلامي ، ولذا برى في القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، أهل المغرب والأندلس من العلماء والطلاب يعدون لبلاد الحجاز " مكة والمدينة " للمجاورة أو لطلب العلم أو للتجارة ومنهم من استقر به المقام ، وقد ذكر المقرئ قائمة بأسماء ممن رحل من الأندلس للمشرق^(١) ، وكانت هذه الرحلات لها أثر طيب في العلم أو التدريس بل تسوؤوا مصاب عليها كإمامة الحرمين والفتيا ولذا استقر رأي لتسليط الضوء على هؤلاء الأشخاص من

* كنية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة أم القرى

حلال كتاب عظيم فريد من نوعه ترجم لهم وهو كتاب "العقد الثمين في تاريخ السند الأصيل" مؤلفه الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني القاسمي المكي "توفي سنة ٨٣٢ هـ فقد ذكر في مقدمة كتابه أنه "تشوقت بصبي كثيراً إلى معرفة تراجم الأعيان من أهل مكة وغيرهم ممن سلكها مدة سبب، أو مات بها" ^(١) والكتاب عبارة عن تراجم لمن سكن مكة وولاهها وقضاها وحطباها وأتمها ومزديها من أهلها وغيرهم ^(٢) والمؤلف اعتمد في تراجمه على نقولات من كتب تراجم مثله أو شهادية ممن عاصروهم أو كان قريب من عصره أو من بعض الآثار كشواهد القصور في "قبور المعلاة" المؤرخة لولادة بعض المترجم لهم، كما نقل المؤلف من بعض المصادر التي فقدت ككتاب "تاريخ مصر للنقطب الحنبلي" وكتاب مختصر الكلمة لابن الأبار ^(٣)

ترجمة المؤلف :

نسبه : محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، يكنى : أبا عبد الله ، وأبا النصب ، وما اشتهر أخيراً ، وتوفي تقي الدين الحنبلي ، القاسمي المكي ، المالكي قاضي المالكية بمكة ، مؤلف هذا الكتاب ^(١)

مولده : ولد سنة خمس وسبعين وسبعمائة بمكة وانتقل مع والدته إلى المدينة النبوية عند حاله قاضي الحرمين بحب النبي النبوي

رحلاته : رحل تقي الدين القاسمي مؤلف العقد الثمين إلى مختلف البلاد لطلب العلم فرحل إلى مصر ودمشق مراراً والإسكندرية وغزة والقدس والرملة ونابلس والبيس وحاور مكة والمدينة النبوية ،

شيوخه : سمع بالمدينة على أم الحسن فاطمة بنت الشيخ شهاب الحارثي ثم عاد إلى مكة وسمع على أبي اسحاق إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقي والقاضي نور الدين علي بن أحمد البويري والشيخ شهاب الدين بن الناصح القرافي المصري وسمع من ابن عم أبيه الشريف عبد الرحمن بن أبي الخير القاسمي وسمع من اتخذت شمس الدين بن سكر والقاضي بركات الدين إبراهيم فرحون وعلي بن عبد القادر الحجار والقاضي زين الدين حلف بن أبي بكر انحريري المالكي وقرأ على مفتي الحرم وقاصيها جمال الدين أبي حامد محمد بن طهيرة القرشي الشافعي ثم رحل إلى الديار المصرية وقرأ بها على المراهان إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد البعلبي والسري

عبدالرحمن بن أحمد العربي وأم عيسى مريم بنت أحمد بن القاضي شمس الدين محمد بن إبراهيم الأذاعي وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني والإمام سراج الدين عمر بن أبي الحسن الأصباري والخافطين زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي وورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي وأبي المعالي عبدالقادر بن عمر الحلواني وأحمد بن حسن السويدي ، ثم رحل إلى دمشق وسمع بها على علي بن محمد بن أبي النجد الدمشقي وأبو هريرة عبدالرحمن بن الخافض شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي وبالقنس على أبي الخير أحمد بن الخافض صلاح الدين خليل بن كنيكدي العلالي وبغزة على أحمد بن محمد بن عثمان الحلبي وقدم القاهرة مرة أخرى فسمع بها على علي ابن أبي النجد وحضر دروس القاضي تاج الدين مبرام بن عبدالقادر بن عثمان المالكي ورجع إلى دمشق وسمع على أم القاسم حنيفة بنت إبراهيم بن سلطان الحلبي ورجع إلى القاهرة وسمع بها على أبي المعالي عبدالقادر بن عمر الحلواني وفي الإسكندرية سمع على العزيز رئيس المؤذنين بالجمع العربي ورحل إلى دمشق وسمع على الإمام صفي الدين الأبهشي ورحل إلى غزة وسمع على أحمد بن عثمان الحلبي ورحل إلى الرملة وسمع على المحدث شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بالهليلس واتفق عبدالقادر بن سلمان المصري المالكي ورحل إلى دمشق وسمع بها على هامة بنت ابن منجا ، ورحل إلى اليمن وسمع بها على الوحيه عبدالرحمن بن حيدر الشرازي واتفق شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن عبدشاليمشقي ، ثم رجع إلى مكة ورحل إلى دمشق وسمع بها على حطيبها ومعتبها شهاب الدين أحمد بن يحيى ورجع إلى القاهرة فسمع بها على الخافض نور الدين الهيثمي^(٩) . وقال المؤلف عن شيوخه نحو خمسمائة شيخ بالسمع والإجازة^(١٠) .

مؤلفاته : ألف القاضي مايزيد عن الثلاثين كتاباً من كتب التاريخ خصص أغلبها لتاريخ مكة ورجالها^(١١) ، وقد ذكرها عند ترجمته لنفسه^(١٢) ، منها : أربعون حديثاً ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحفة الكرام من تاريخ البلد الحرام ، تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام ، هادي ذوي الألفهام إلى تاريخ البلد الحرام ، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، عجالة القرى للراغب في تاريخ أم القرى ، بغية أهل البصرة في ذيل الإشارة ، إرشاد ذوي الفهم إلى تكميل كتاب الأعلام بوفيات الأعلام للحافظ الذهبي ، مطلب البقطان من كتاب الحيوان ، إرشاد السالك إلى معرفة المسالك ، الإيقاظ من العفلة والخيرة في مسألة إقرار ظاهرة .

وفاته : مات المؤلف في ليلة الأربعاء ثالث شوال سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة بمكة المشرفة وصلى عليه بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة ، ودفن بالمعلاة^(١٧٩).

التراجم :

١- محمد بن أحمد بن أسعد، الإمام أبو عبد الله بن الفراء الماعزني الأندلسي الحباني المغربي أخذ القراءات عن مكّي بن أبي طالب، وقرأ عليه جماعة . ومات بمكة سنة تسع وستين وأربعمائة بعد الحج والمجاورة ، ذكره الذهبي في طبقات الفراء^(١٨٠) وتاريخ الإسلام^(١٨١).

٢- محمد بن أحمد بن عثمان بن عثمان القيسي الأشجيلي : ولد سنة ثمان وأربعين وستمائة في صفرو. وأجاز له - باستدعاء أبيه - مسد تومس أبو الحسين أحمد بن محمد بن المراح، وحدث عنه بعض الروص الألف لسهيلي عنه^(١٨٢) وذكر من سبب الناس أنه توفي سنة أربع وعشرين وسعمائة بمكة بعد الحج^(١٨٣) وذكر انقط الحسين في تاريخه . أنه توفي بمكة في آخر عام أربع وعشرين وسعمائة في نوازل عنه خمسة وعشرين وسعمائة

٣- محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن نوسى العلامة بن عبد الله المعروف بالواوغي المعروف بابن بربل الحرمي شريف ولد - في غالب طي - سنة تسع وخمسين وسعمائة بتونس، ونشأ بها . وسمع بها من مسندنا ومقرئها أبي الحسن بن أبي العباس البطوني في حاجة أصحاب الإصعاد أبي جعفر بن الزبير بالإحارة وله من البطوني إحارة بجميع ما يرويه وقد درس بالحرمين وأفق فيهما كثيراً وأول قلدومه إليها سنة ثمانمائة فحج فيها وعاد إلى مصر^(١٨٤) كان شديد الذكاء سريع الفهم وكان يعاد عليه إطلاق لسانه في العلماء ومراعاة السائلين في الإفتاء^(١٨٥) أدركه الأجل بمكة - بعد غلة طويلة بالإسهال والاستسقاء - في سحر يوم الجمعة تاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وثمانمائة . وصلى عليه بالحرم الشريف عند باب الكعبة، وذهب به إلى المعلاة من باب بني شبة^(١٨٦)

٤- محمد بن أحمد بن ميمون بن قاسم التونسي ، المالكي، المعروف بابن المغربي^(١٨٧)

٥- محمد بن ثابت الأنصاري ، المراكشي . كانت له معرفة بالقراءات السبع، قرأها على الشيخ برهان الدين المسروري، وسراج الدين الدمنهوري بمكة، ولم يكمل عليه وكان يؤدب

الأطفال بمكة عند باب أجناد من الحرم الشريف. توفي سنة تسع وأربعين وسبع مائة بمكة ذكر الذهبي: أنه مات سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة. وقيل: في آخر سنة أربعين. وذكر: أنه ولد سنة خمس وأربعين ومائتين^(١٨).

٦- محمد بن حجاج بن إبراهيم الحصري، أبو بكر، أبو عبدالله، وما اشتهر ابن الوزير ابن محمد المعروف بابن مطرف الإشبيلي، نزيل مكة، وشيخها، الولي العارف، ذو الكرامات الشهيرة. ذكر حدي أبو عبدالله القاضي. أنه ولد سنة ثمان عشر وستمائة، ورحل سنة ثلاث وخمسين. وسمع من ابن مسدي، الشافعي للقاضي عياض، والشافعي للترمذي، ثم عاد إلى الإسكندرية. ثم عاد إلى مكة في سنة ستين، ثم توجه إلى عدن، وأقرأ بها العربية، ولم يزل مقيماً بها إلى سنة تسع وستين. فوجه إلى مكة وأقام بها إلى أن مات^(١٩).

٧- محمد بن أبي القصب، أبو موسى، حاور مكة. وما توفي، وحدث عن أبي الوليد محمد بن عبدالله بن حزم، سمع منه بمكة عن أبي بحر سفيان بن العاص الأسدي وكان مشهوراً بالخبر والزهد^(٢٠).

٨- محمد بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد شمس الدين الاستعجي المصري: نزيل مكة. جاور بها عدة سنين، مستوطناً بها، وله مباشرة في الحرم، وكان يسمع صحيح البخاري على محمد بن صحيح المكي شيخ رباط غري، والقاضي أبي الفضل البويري قبل ولايته، ثم صحبه، واشتهر بصحبته ومدحه بقصائد، ورثاه بعد موته بمرثية بليغة، وسمع بمكة من الكمال بن حبيب الحلبي وبالمدينة من قاصبها بدر الدين بن الحشاش، وتوفي في العشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وسبع مائة بمكة، ودفن بالمعلاة^(٢١).

٩- محمد بن عبدالله بن محمد الأندلسي، أبو عبدالله، العلامة المفسر، شرف الدين، المعروف بابن أبي الفضل الرسي السلمي: ولد في ذي الحجة سنة تسع وستين وخمسمائة بمصر، وسمع بالمغرب من جماعة، منهم أبو محمد عبدالله الجعفي. سمع عنه. الموطأ، رواية يحيى بن يحيى، ثم رحل من المغرب في سنة ثلاث وستمائة، وسمع بمصر ودمشق وواسط وبعدها وبساوور وهراء ومكة. من الشريف يونس بن يحيى الهاشمي وطبقته. وحدث بالكثير بأماكن عدة، منها مكة وتروى إليها مرات، وحاور بها كرات سمع منه الحفاظ والأعيان من العلماء، في

النساء عليه^(٢٢)، وكان من الفضلاء في جميع فنون علم الحديث وعلوم القرآن والفقه والخلاف والاصول والبحر واللغة^(٢٣) قال الذهبي: قرأ وجمع من الكتب الفقه كثيراً، ومهما فتح به عليه صرفه في ثمن الكتب، وكان متصلاً من العلم، جيد الفهم، متين الديانة، وكان بحر معارف ورحمة الله^(٢٤). قال صاحب التكملة: توفي المروسي في ربيع الأول سنة خمس وخمسين وست منه في منتصفه بالعريش وهو متوجه إلى دمشق فدفن ببل الزعقة، وكان من أعيان العلماء ذا معارف متعددة، وله مصنفات مقبده^(٢٥).

١٠- محمد بن عبدالله الشاطبي ويكنى أبا عبدالله. كان رجلاً صالحاً جليلاً. ذكره القطب القسطلاني في "ارتقاء الرتبة" وقال: كان كثير الخدمة للفقراء، والإيثار لهم، وجاور بمكة في آخر عمره حتى مات بها. ولم يذكر له وفاة. توفي يوم الثلاثاء الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمكة. ودفن بالمعلاة بقلت وفاته واسم أبيه من حجر قبره، وتوهم بالشيخ الصالح السعيد الشهيد^(٢٦) قال أبو شامة: كان متصلاً بحققاً، كثير الحج، مقتصد في أموره كثير الكتب محصلاً لها، وقد أعطي قولاً في البلاد^(٢٧).

١١- محمد بن عبد الرحمن بن محمد الصنهاجي أبو عبدالله الغساني، المعروف بابن الحداد: ولدي النصف من مجاهدي لاحرة سنة اثنين وسبعين وستمائة بمقاس وتفقه بتونس وسمع على جماعة. وكتب عن صاحبنا أبي عبدالله محمد بن عمر بن رشيد، ورحل وقدم إلى ديار مصر. وسمع بها على بعض شيوخنا المتأخرين، ورحل إلى دمشق، فسمع بها، وحصل أصولاً وكتباً، وكتب عنظه. وكان له قليل معرفة بالحديث وغيره، مائلاً إلى طريقة التصوف، عارفاً بكلام أهل الطريق^(٢٨) كان يميل للتصوف ويعرف طرفاً من الحديث مع حسن الخلق ولطف السمائل ورحلو المعاكفة^(٢٩) وتوفي بعلة الإسهال سنة اثنين وعشرين وسبعمائة بمكة. ودفن بالمعلاة^(٣٠).

١٢- محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير بن أبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن الحسني الشريف أبو الخير الغساني المكي المالكي، حضر على القاضي عز الدين بن جماعة، وسمع من ابن عبد المعطي، وابن حبيب الحلبي بمكة وغيرها وتفقه على الشيخ موسى المراكشي، وعلى أبيه، وحلله في تصديره بالمسجد الحرام، فأجاد وأفاد، وكان من الفضلاء الأخيار، وله حظ من العبادة

والخير، والنساء عليه جميل وتوفي في ثالث شوال سنة ست وثمانمائة بطنية، ودفن بالقبع وقد جاور الأربعين يسيراً، وعظمت الرربة بفقدته، فإنه لم يعيش بعد أبيه إلا نحو سنة^(٣١).

١٣- محمد بن عبدالرحمن بن أبي الخير محمد بن أبي عبدالله محمد محمد بن عبدالرحمن الحسني، الشريف أبو عبدالله الفاسي المكي المالكي أحو أبي الخير السابق وهو أبو عبدالله الصغير ويلقب بمحب الدين ولد في سنة أربع وسبعين وسعمائة بمكة وسمع على غير واحد من شيوخها، وسمع معي بالقاهرة وبقرائي على جماعة من شيوخها وله أجاره من عمر بن أميلة، وكان يحضر تدريس أبيه بمكة توفي سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة بمكة^(٣٢).

١٤- محمد بن عبدالرحمن بن أبي الخير بن أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن الحسني الفاسي المكي المالكي الشريف القاضي رضي الدين أبو حامد، شقيق أبي الخير، وأبي عبدالله ولد في رجب سنة خمس وثمانين وسعمائة وسمع بها طياً على العفيف عبدالله بن محمد الشاوري والشيخ جمال الدين إبراهيم الأموي، وسمع بقباً على جماعة من شيوخها بالخرمين وحفظ عدة من المختصرات في فنون من العلم وتفق بهواله، وأحد العربية عن إمام الحنفية بمكة الشيخ شمس الدين الخوارزمي والشيخ شمس الدين البوصيري، وأدركه له شيخنا القاضي زين الدين خلف في التدريس، وذكر في صاحب الترجمة أنه أدركه في الإفتاء، وقد ناب في الحكم بمكة عن قاضيه شيخنا العلامة جمال الدين بن ظهير، توفي سنة أربع وعشرين وثمانمائة ودفن بالعلاء^(٣٣).

١٥- محمد بن عبد الصمد المغربي المعروف بالنازي : جاور بمكة ستين سنة، واشتغل بالفقه لليلاً، وكان يذاكر من حفظه بمواضع من موطأ مالك، رواية يحيى بن يحيى، ويفهم أنه يحفظه وسمع بمكة على الشاوري، وشيخنا ابن صديق، وغيرهما من شيوخنا. ولم يكن بالمرضى في دمه، والله بعفر له وتوفي في آخر ذي الحجة سنة خمس وثمانمائة، برباط السيرة بمكة، وكان يسكن به، ودفن بالعلاء^(٣٤).

١٦- محمد بن عبدالمؤمن بن حليفة الدكالي المنقب بالبهاء المكي أجار له أبو العباس الحجار وجماعة من دمشق باستدعاء خاله الشريف أبي الخير الفاسي وسمع منه الموطأ وعلى الربيع الطبري وعثمان بن الصفي والأقشيري سنن أبي داود وعلى جماعه بمكة وبأندلسه، وسمع من القاضي

ناصر الدين التومسي بالقاهرة وتردد إليها مرات وما توفي في سنة تسع وستين وسبع مائة وكان
بأشر الحسبة بمكة نيابة^(٣٥).

١٧- محمد بن علي بن عطية المكاسي ، أبو عبدالله قال شيخنا القطب القسطلاني هذا
ابن عطية سافر وساح ، وحاور بمكة دفعات ودخل الشام والحجاز واليمن وكان فيه صدق
وإفطار^(٣٦).

١٨- محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله الطائي الخافعي الأندلسي المرسي ، أبو بكر
الملقب بمحي الدين المعروف بابن عربي الصوفي هكذا نسب الحافظ ابن مسدي في معجمه وذكر
أنه قرأ القرآن بالروايات على نحية بن يحيى واختص به سمع من أبي عبدالله محمد بن سعيد بن
زرقون وأبي بكر بن الجند ومن أبي بكر محمد بن خلف بن صاف المقرئ وغيرهم وبسطة من أبي
محمد عبدالله الحنبري وغيره وبأشيلة من أبي محمد عبدالمعمر بن محمد الخروجي وبغلاسية من
القاسمي أبي بكر بن أبي حمزة وغيره ، وكان حاور بمكة مدة سنين وألف فيها كتابه الذي سماه
بالتفوحات المكية وله تاليف أخرى منها كتاب قصص الحكم وشعر كثير إلا أنه شابه
بتصريح فيه بالوحدة انطبعة وصح بذلك في كنه^(٣٧) قال بن كثير^(٣٨) عن كتابه التفوحات
المكية فيها ما يعقل وما لا يعقل ، ما يكره وما لا يكره ، وما يعرف وما لا يعرف وله كتابه المسمى
بقصص الحكم فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح وقال الذهبي^(٣٩) : ومن أردأ تالفيه
كتاب القصص فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر ، نسأل الله العفو والسجاة فواغوثاه بالله
وذكر ابن حجر بسنده عن الشيخ عبدالسلام السلمي قال : هو شيخ سوء شيعي كذاب^(٤٠).

١٩- محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبدالله بن محمد بن يوسف بن يوسف بن أحمد
الأنصاري الحارثي الخروجي أبو عبدالله المعروف بابن قطرال الأندلسي ثم المراكشي نزول
مكة. هكذا وجدت نسبه بخطه وسمع بمصر من علي بن هارون النعالي ، وسمع بمكة الكلبي ،
بقراءته غالباً على الفخر التوزري ، والرضي الطبري ، وأخيه الصفي وغيرهم ، وحدث سمع منه
جماعة من الأعيان ، وأئبوا عليه ، منهم الجد أبو عبدالله القاسمي^(٤١) ذكر ابن حجر عن ابن
الخطيب كان فضلاً محدثاً من أهل الخيرة ذا ثروة واسعة وتغلى ولازم العادة^(٤٢) . توفي بمكة ،
في سادس جمادى الأولى سنة عشر وسبع مائة برباط الخوزي - بقاء معجمة - طبع أعلاه نشر
نيابه ، فوقع به الدرايزين ، فسقط إلى الأرض ، فمات^(٤٣) .

٢٠- محمد بن علي بن أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني القاسمي المكي يقبب بالحبوب والجمال ، سمع من إبراهيم بن الحساس الدمشقي ، والحافظ العلائي بمكة . وعلى غير واحد من شيوخهما . وباشر في الحرم نياحة عن أبيه ، حتى توفي في شوال سنة ثلاث وستين وسبع مائة بمكة ، عن أربع وعشرين . وسبب موته - على ما قبل - إنه شرب شبتاً وضع له في ماء وهو لا يشعر ^(١٤) .

٢١- محمد بن علي بن يحيى بن علي الأندلسي أبو عبدالله الفرناطي المعروف بالشامي لقدم والده الشام . ولد سنة إحدى وسبعين وستمائة بأحواز غرناطة ، وسمع ما ، وثلا بالبيع على أبي جعفر بن الربيع . وسمع يونس من أبي محمد عبدالله بن هارون الطائي : الموطأ ، رواية يحيى بن يحيى ، ثم قدم القاهرة في سنة سبع مائة ، ولم يبق . ووجه إلى الحجاز ، وهذا يدل على أنه استوطن مكة ، ولا ريب في ذلك ؛ لأنه تأهل فيها بابنه الغيس البهسي ، ورزق منها بنتين ، إحداهما : تزوجها جدي عمي القاسمي ، وأولدها عمي محمد ، وعمق مصورة ، وهي أم الحسين ، والأخيرة : تزوجها القاسمي شهاب الدين الطبري وعمه الربيع الطبري ، وهي أم كلثوم ، وذكر البرزالي : أنه أقام بالحرمين نحو خمسة عشر سنة . ومعظم إقامته بالمدينة وذكر أنه توفي ما ، يوم الاثنين سادس صفر سنة عشرة وسبع مائة ^(١٥) .

٢٢- محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن محمد الأنصاري أبو عبدالله القرطبي الفقيه المالكي القرطبي أحد القراءات بالعرب عن جماعة منهم . أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله الحجري ، وعصر عن أبي القاسم الشاطبي ، ودمشق من أبي جعفر العتكي ، وسمع منهم ومن أبي القاسم بن موقا ، وأبي الفضل بن الدليل وغيرهما بالإسكندرية قرأ عليه القطب القسطلاني رحمه الله ، ختمه واحدة بالمدينة وسمع منه ، وقد سمع عليه جماعة من الأعيان ، منهم : الحافظ عز الدين أبو الفتح بن الحاجب الأميني ، وقال بعد أن نسبته كما ذكرنا : كان شيخ الحرمين في زمانه ، لزهده وعلمه ورفعه مكانه ، وذكر أنه كان كثير الاعتكاف والجاورة لبيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه السلام ، وقد أم بالحرم الشريف النبوي وتوفي سنة إحدى وثلاثين وسبع مائة ، ودفن بالبقيع ^(١٦) .

٢٣- محمد بن غالب بن يونس بن محمد بن غالب الأنصاري الجبالي شمس الدين أبو عبدالله المعروف بابن شعبة سمع من أحمد بن عبد الدائم مشيخته ، تحريج ابن الظاهري ، وحدث ما وبالأربعين لسنوى عنه . ثم رأيت له ثبناً بسمعات كثيرة على جماعة كثيرين ، منهم :

أحمد بن أبي الخير الحداد الدمشقي، سمع عليه المعجم الكبير للطبراني، ووجدت بخط جدي أبي عبد الله الفاسي، أنه توفي، سنة اثنين وسبع مائة. وهذا أصح إن شاء الله تعالى، لأن جدي أقعد بمعرفة لسكونه بالحجاز، وأما مولده، أنه في سنة سبع وعشرين، وقيل: سنة خمس وثلاثين بحيان^(١٧).

٢٤- محمد بن قاسم بن قاسم بن مخلوف الحسني الصقلي الشريف أبو عبد الله المعروف بالبرقي المالكي نزيل الحرمين الشريفين هكذا أملي على نسي^(١٨)، وذكر لي أنه ولد سنة ست وثلاثين وسبع مائة، وأنه سمع بدمشق: جامع الترمذي، وسنن أبي داود، على عمر بن أمية، وعلى محمود بن خليفة المنهجي. سنن النسائي بفوت معين، في أصل السماع، وعلى إبراهيم بن عبد الله الزياتي: سنن ابن ماجه بنابلس، وكان قدم إلى المدينة، في حدود سنة سبعين وسبع مائة، وسكنها مدة سبعين، ولزم قراءة الحديث النبوي عند الحجرة. وصار يتردد إلى مكة، فأذركه الأجل، في سنة أربع وتسعين وسبع مائة ودفن بالمعلاة، وشهدت الصلاة عليه ودفنه^(١٩).

٢٥- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي الحسني الإدريسي، أبو عبد الله الفاسي، نزيل مكة سمع بمصر القطب القسطلاني: جامع الترمذي، وعوارف المعارف للسهروردي وكتاب انفصول في أخبار الشيخ أبي عبد الله الغرشي وغيره من المشايخ استوطن مكة، وسمع ما على جماعة من شيوخها مع أولاده. وعمل المرانفروني مسند الشافعي مسند الشافعي، وكتب عن جماعة من العلماء والصالحين وأخذ عنهم، وصار قدوة في العلم والعمل وكانت وفاته سنة تسع عشرة وسبع مائة بمصر^(٢٠).

٢٦- محمد بن أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني المالكي، يكنى أبا البركات، وبلغ بالجمال ولد سنة إحدى وتسعين وسبع مائة بمكة وبها نشأ وحفظ المحصرات في فنون من العلم واشتغل بالعلم، وناب عي في الحكم مرتين ورث إمامة المالكية بالمسجد الحرام بتفويض من السلطان بمصر مات سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة بمكة ودفن بالمعلاة^(٢١).

٢٦- محمد بن محمد بن عبد المؤمن بن خليفة الدكالي أبو الخير ابن الهاء المالكي سمع من القاضي عز الدين بن جماعة واشتغل بالعربية على الشيخ أبي العباس بن عبد المعطي بمكة ثم انتقل إلى مصر وأقام بها نحو عشرة أعوام حتى مات في أوائل سنة إحدى وتسعين وسبع مائة^(٢٢).

٢٧- محمد بن محمد بن عبد المؤمن بن خليفة الدكالي أبو الفضل بن الهاء المكي يلقب بالكمال ، ولد في سنة أربع وستين وسبعمائة أو قبلها بقليل ، وهو الطاهر ، لما يأتي ذكره . وسمع على القاضي عز الدين بن جماعة بمكة ، وأجار له ابن أمية ، وصلاح الدين بن أبي عمر ، وغيرها من أصحاب ابن البخاري ، وأحمد بن عساکر ، وعمر بن القواس وغيرهم ، وأدب الأطفال بكتب بشير الحمدار بالمسجد الحرام مدة سنين ، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة بمكة . ودفن بالمعلاة ، وخلف ولدين وثلاث بنات سمعه الله تعالى (٥٣) .

٢٨- محمد بن محمد بن ميمون الجزائري ، أبو عبدالله ، المعروف بابن الفقار لكون جده كان يبيع ذلك أصله من الأندلس ومولده بالجزائر من بلاد المغرب قرأ بها القرآن والفقه ثم انتقل إلى تلمسان وأقام بها وتأثر على قراءة العلم على جماعة من شيوخها ثم وصل تونس ثم ارتحل إلى مصر فأقام بها أشهراً ثم حج ، وأقام بالمدينة خمسة أعوام يؤدب الأطفال ، توفي سنة إحدى وثمانمائة ودفن بالمعلاة وكان حاور من عام ثمانمائة (٥٤) .

٢٩- محمد بن محمد بن الخديدي المالكي ، الشيخ الصالح أبو عبدالله القيرواني ولد بالقيروان ونشأ بها وتلقه على أبيه القاضي أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبد خليل بن فيروز المرادي ، سافر إلى الحج فحج وأقام بمكة في عام اثنين وثمانين وسبعمائة على اجتهد وعبادة ، كان رحمه الله من الزهد عني حاسب عظيم ومن الورع على شيء صالح مع جلالة مقداره وطول صمت وحسن صمت ، توفي في أوائل سنة ست وثمانمائة غريباً وهو متوجه إلى اليمن . (٥٥)

٣٠- محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن علي الحسيني ، الشريف أبو الخير بن أبي عبدالله الفاسي المكي المالكي ، يلقب بالهلب ولد سنة ثمان وسبعين وسبعمائة بمكة وسمع بها باعتناء أبيه علي يحيى الطريفي وعلى الظهير بن معة وعلى غيره من شيوخ مكة والقادمين إليها ، ورحل به أبوه إلى مصر فسمع بها إلى ابن هارون التلملي وعلي ابن أبي الفتح القرشي وعلي محمد بن عبدالحميد ثم طلب بنفسه لسمع بدمشق من أبي العباس الحجار وعلي الحجم العسقلاني ، وتلا بالروايات بمكة على مقرئها العفيف الدلاصي وعلي الشيخ أبي عبدالله محمد بن إبراهيم القصري توفي يوم الجمعة سنة سبع وأربعين وسبعمائة بالمدينة . (٥٦) أثنى عليه ابن فرحون نشأ في عبادة الله وارتحل إلى الاسكندرية وأدرك بها من أهل العلم والصلاح وكسب من أخلاقهم وصفاتهم (٥٧) .

٣١- محمد بن محمد بن محمد بن علي بن إبراهيم بن حريث العبدري السقي حطّيب سنة وأمامها ولد له إحدى وأربعين وستمائة بمكة سنة ونشأ بها وحصل و صار حطّيبها ولزم الإقراء في الفقه ثلاثين سنة كان حسن الهيئة مور الوجه كثير البشر ، مع كثرة الخشوع والبكاء خرج من بلده بغية الحج والمحاورة إلى الموت . وكانت ألقاه بالحرمين نحو سبع سنين وكان كثير الإيتار والشفقة على الغرباء وحدث بمكة والمدينة سمع منه أعيان من بها ، وروى سنة اثنين وعشرين وسبعمائة بمكة ودفن بالمعلاة^(٥٨)

٣٢- محمد موسى بن علي بن عبد الصمد بن محمد بن عبد الله المراكشي ، الحافظ المديد جمال الدين أبو البركات المكي الشافعي سبط الشيخ عبد الله الباقي ولد سنة سبع وثمانين وسبعمائة بمكة المشرفة ونشأ بها قرأ على جماعة في الفقه والأصول والعربية والمعاني والبيان والعروض والفرائض والحساب وبرع في هذه العلوم من شبوه بمكة قاضي قضائها جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة والشيخ شمس الدين محمد بن محمود الخوارزمي وفي العربية الشيخ خليل بن هارون الخوارزمي وبإتدبه مسند الجحار أبي بكر بن الحسين المراكشي رحل للرواية والدراسة إلى دمشق وبلبيك وحلب ومصر والقفس والحل واليمن وتوجه من اليمن لقصص الحج وركب فرساً لبزك الحج حتى مات بعد الحج من سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة بمكة المشرفة ودفن بالمعلاة^(٥٩) قال ابن حجر كان حافظاً ذميراً مروءة وقاعة وصبر على الأذى باذلاً لكنبه وفوائده موصوفاً بصدق اللهجة وقلة الكلام^(٦٠)

٣٣- محمد بن موسى بن عائذ أبو عبد الله الغماري المغربي الوانوفي المالكي نزيل مكة شيخ رباط الموفق بمكة كان كثير العبادة والفعال الخير معظماً عند الناس متواضعاً لهم ، قاضياً لخوانهم ، وكان قلوبه إلى مكة، وفي سنة ثمانية وسبعمائة، أو قريبا، وله من العمر أربع وعشرون سنة. دخل بلاد اليمن، وجال في بلداتها، كصنعاء وما يليها، وشاهدته بمكة بعد سنة تسعين وسبعمائة بلبليل، ولم يزل بها حتى مات، إلا أنه في سنة اثنين وعشرين وثمانمائة، توجه لزيارة المدينة النبوية، وجاور بها أشهراً، وولى مشيخة رباط الموفق بمكة، والطر في مصاحبه سبعين كثيرة، ولم يكن يعارضه فيما يختاره في ذلك أحد من قضاة مكة ، وكان صاحب مكة الشريف حسن بن علان، ويكرمه ويشفعه كثيراً، وكذلك نوابه، ولما مات، كثر اردادهم الخلق من الفصاة والعلماء والأعيان وغيرهم، على حمل نعشه، لحسن معتقدتهم فيه، ودفن بالشبيكة رحمه

٣٤- محمد بن العمان بن مصور بن أحمد بن حيون بن القاضي أبي عبد الله بن أبي حيفة قاضي الحرمين وغيرهما^(١١١) ذكر ابن حلكان : أنه ولي القضاء بتقليد من العزيز العبيدي، صاحب مصر، بعد موت أخيه أبي الحسن على، سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وكان في سجل أخيه: القضاء بالديار المصرية والشام والحرمين والمغرب وجميع مملكة العزيز، والخطابة والإمامة، والعباد بالذهب والفضة، والموازين والمكايل. ولم يزل على ذلك، حتى مات سنة تسع وثمانين وثلاثمائة^(١١٢)

٣٥- محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن موسى بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله ابن المغيرة الأردني المهلي جمال الدين أبو بكر ويقال : أبو المكارم بن أبي أحمد الشهير بابن مسرى ، ويقال . ابن مسد الأندلسي الغرناطي نزل مكة وخطبها، وإمام المقام الشريف. ولد يوم عيد الأضحى سنة تسع وخمسمائة بوادي آش من الأندلس ، وقرأ على جماعة، منهم: قاضي الجماعة بقرطبة أبو قاسم بن سفي المخلدي، وجماعة بالمغرب، ثم رحل بعد العشرين وستمائة، فسمع بالثغر، من محمد بن عمار الحارثي وغيره. وعصر من الفجر الفارسي، وأبي القاسم عيسى ابن عبد العزيز بن عيسى النحوي، وقرأ عليه بالروايات، وأبي الحسن بن المقر وأكثر عنه، وجماعة بمصر، وبلعشقي من أبي القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صصري، وغيره، وتخلب من الموفق عبد اللطيف بن يوسف البغدادي وغيره، ومن أبي التبركات عبد الرحمن بن عبد اللطيف الصوفي، وجماعة بمكة وكانت وفاته سنة ثلاث وستين وستمائة بمكة، ودفن بالمعلاة، قدم المدينة سنة ست وأربعين وستمائة من مصر، وكنت مجاوراً لها، وتوجه إلى مكة، فحج ذلك العام، وأقام لها، إلى أن توفي لها، بعد أن ولي خطابة الحرم، وإمامه المقام^(١١٣). قلت: وليهما بعد العفيف سليمان بن خليل الصقلاني. وذكر الذهبي عن العفيف المطري: أنه كان يداحل الريدية، فولوه خطابة الحرم، وكان ينشئ الخطب في الحال^(١١٤).

٣٦- أحمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى بن محمد بن زهاد العبدي الشيخ الخليل أبو العباس الميودقي كان عالماً فاضلاً، كتب بخطه تعاليق كثيرة مشتملة على فوائد جمة، ووقفها مع كتبه بوج الطائف، وكان سكبه مدة سنين، حتى مات. وسكن مكة أيضاً، وأخذ عن فضلائها، وأخذوا عنه، وكان جميل البناء مشهوراً بالصلاح والخير كبير القدر، ووجدت بخط محمد بن عيسى قاضي الطائف، أنه توفي بعد الحج من سنة ثمان وسبعين وسبعمائة بوج^(١١٥)

٣٧- أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني السيد الشريف القاضي شهاب الدين أبو العباس بن السيد نور الدين بن السيد القدوة أبي عبدالله القاضي المكي المالكي والذي تغمدته الله برحمته ولد سنة أربع وخمسين وسبع مائة بمكة وسمع على قاضيه شهاب الدين الطبري وعلى الشيخ خليل المالكي والشيخ عبدالله الباقعي وعلى القاضي موفق الدين الحبلي وسمع بالقاهرة من قاضيه أبي البقاء السكي وسمع بحلب وكان ذا فضل ومعرفة تامة بالأحكام والوثائق وله نظم كثير ونثر وأذن له في الإفتاء ، مات عني في الحكم بأخرة وقبلني عن ابن أخته القاضي سراح الدين عبداللطيف بن أبي الفتح الحبلي ، وولي مباشرة الحرم بعد أبيه في سنة إحدى وسبعين كان كثير المروءة والإحسان إلى الفقراء وغيرهم توفي سنة تسع عشرة وثمانمائة بمكة^(١٧)

٣٨- أحمد بن محمد بن عبدالله النوسي المكي شهاب الدين أبو العباس المعروف بالمرجاني سمع بمكة على القاضي عز الدين بن جماعة من الساسي، رواية ابن السنة، وسمع معظمها على الشيخ فخر الدين الزوبري، مع ابن جماعة، سنة ثلاث وخمسين وسبع مائة بالحرم الشريف، والسماع بخط شيخنا ابن سكر. ومنه نقلت سنة هذا ، وسمع غير ذلك على ابن جماعة ، وسبب معرفته بالمرجاني، أنه كان تزوج حبيبة بنت الشيخ أبي محمد المرجاني، وهي أم أولاده، على ما ذكر إلى شيخنا السيد تقي الدين عبد الرحمن الساسي، وذكر أنه يعمل ميعاداً بالحرم، وأنه قام بمكة سنتين، ولها مات^(١٨) .

٣٩- أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي الحسني ، أبو المكارم بن أبي عبدالله القاضي المكي ، ولد بالمدينة النبوية سنة أربع وسبع مائة كذا وجدت مولده بخط أبيه وسمع عليه عدة كتب وعلى غيرهم من الشيوخ القادمين إلى مكة ، وأحاز له جماعة من مصر ، وذكر أنه توفي في سنة ثلاث وخمسين بمكة والصحيح أنه توفي بمصر ودفن عند أبيه بالقرافة وكانت له مكارم سماه الله^(١٩) .

٤٠- أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق التلمساني ، أبو العباس ذكر ابن فرحون في كتابه "نصبه المشار" وقال كان له من الكرامات والأحوال الخليفة العزيزة اليوم في الناس مالا يحصر ولا يعد . وذكر أنه جاور بالمدينة ومكة ولما توفي في سنة أربعين أو في سنة إحدى وأربعين وسبع مائة^(٢٠)

٤١- أحمد بن محمد بن عيسى بن ركيل النجفي أبو العباس المعروف بالأفليسي^(٧١).

ذكر ابن الأبار^(٧٢) أن أباه أصله من أفليش، وسكن داني. ولما ولد أبو العباس هذا ونشأ. فسمع أباه وأبا العباس بن عيسى، وتعلم له. ورحل إلى بلنسية، فأخذ العربية والآداب عن أبي محمد البطلوسي. وسمع الحديث من صهره أبي الحسن طارق، وابن يعش، وأبي بكر بن العربي، وأبي محمد العلبي، وعبد بن سرحان، وأبي الوليد بن الدباغ، وأبي الوليد بن خيرة. ولقي بالمدينة أبا القاسم بن ورد، وأبا محمد عبد الحق بن عطية، وأبا العباس بن العريف، فروى عنهم ورحل إلى المشرق سنة الثنتين وأربعين وخمسمائة، وأدى الفريضة، وجاور بمكة سنين. وسمع بها من أبي الفتح الكروحي^(٧٣) جامع الثرمذي^(٧٤) وحدث بالأندلس والمشرق. وروى عنه: أبو الحسن بن كوثر بن ييش على ما ذكر ابن الأبار، وقال: كان عالماً عاملاً متصوفاً شاعراً مجوداً، مع التقدم في الصلاح والزهد، والعروض عن الدنيا وأهلها، والإقبال على العلم والعبادة، وله تصانيف كثيرة مفيدة. منها: كتاب الكوكب، وكتاب اسحج من كلام سيد العرب والعجم، عارض به كتاب "الشهاب" للقصاصي. وقد رويته - وكذب: الغرر من كلام سيد البشر، وكتاب ضياء الأولياء، وهو أسفار عدة، جمعت عنه معشراته في الزهد، وقال ابن الأبار: توفي في صدوره عن المشرق بمدينة قوص من حميد مصر. في عشر خمسين وخمسمائة، وقال: قال أبو عبد الله بن عباد: توفي سنة خمسين أو إحدى وخمسين بعدها، وقد بفق على الستين. توفي بمكة. وقد حزم بولائه بمكة. الحافظ منصور بن سليم الإسكندري^(٧٥).

٤٢- إسماعيل بن عمر المغربي المالكي نزيل مكة. كان فقيهاً صالحاً ورعاً زاهداً، كثير القدر: لم أر مثله بمكة على طريقته في الخير، انتقل إلى الإسكندرية وسكنها مدة سنين، ثم انتقل إلى مكة، وجاور بها من سنة إحدى وثمان مائة إلى حين وفاته، إلا أنه ذهب في بعض السنين إلى المدينة النبوية زائراً، وأقام بها وقتاً. وكانت سكناه بمكة برباط المرقن في الغالب، وبه توفي سنة عشر وثمان مائة بمكة، ودفن بالمعلاة. شهدت الصلاة عليه ودفنه، وقد بلغ السنين ثماناً^(٧٦).

٤٣- جعفر بن عبد الرحمن بن جعفر بن عثمان بن عبد الله السلمي الصقلي الخند البجلي المولد نزيل مكة، المكي المقرئ، الفقيه المحدث، يكنى أبا الفضل. ولد بهجاية سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وتوفي بمكة في ذي الحجة سنة أربع وأربعين وستمائة، روى عن القاضي أبي نصر محمد بن هبة الله بن جميل الشيرازي وجدت عنه بالمدرسة الصورية بمكة، سمع منه بما الحافظ شرف الدين الدمايطي، ومن معجمه لحقت ما ذكرته من خاله^(٧٧).

٤٤- جميل أبو الزين محمد بن ثغر الحلي القيرواني شيخ القيروان : كان جميل رجلاً صالحاً. توفي بمكة، ودُفِنَ بالمعلاة، قرب قبر الصباء المالكي، جد الشيخ حنبل المالكي، وكانت وفاته في سنة إحدى وخمسين وستمائة. كما وجدت بخط الميورقي^(٧٦)

٤٥- حسن بن أحمد بن ميمون بن أبي الفتح قاسم التونسي المكي المعروف بالمعري أحاز له التوزري وله نظم كثير، إلا أنه متلاش إلى العاية. وأحاز لي باستدعاء شيخنا ابن سكر. وليس هو أهلاً للرواية لتظاهره بالغب. وكان يزأراً بالقيامة المعروفة بدار الإمارة بمكة، وبها مات في أثناء عشر التسعين وسبعائة ساءحه الله تعالى^(٧٧).

٤٦- الحسن بن عبد الله بن عمر بن علي خلف القيرواني أبو علي بن أبي محمد المكي المعروف بابن العرجاء المقرئ الفقيه^(٧٨). ذكر السلفي في "معجم السلف" له أنه قرأ على أبيه، وتفقّه على مذهب الشافعي. انتهت إليه رئاسة لإفراء بالحرم الشريف، وكان يفتي ويسمع الحديث على إسماعيل الشاوي وطريف الحيري، وأبي محمد بن غرّال وغيرهم، قال: وكتب عن أبي الأصمغ الأندلسي عني^(٧٩). وذكره الذهبي في ضمت القراء^(٨٠)، وقال: الإمام أبو علي القيرواني، قرأ على والده نعيم أبي معن، وأحاز له أبو معن. وقد قيل إنه قرأ على أبي معن نفسه، وذلك خطأ. حال عمره وقصده القراء ثم قبل عش أبو علي إلى حدود الأربعين وخمسة، وقيل: عاش إلى سنة سبع وأربعين وخمسة. قتل جرم بوفاته سنة سبع وأربعين القبط الحلي، كما وجدته بخطه، قال: وقيل سنة ثمان وأربعين انتهى. والصواب سنة سبع وأربعين، لأنني وجدت في حجر قبرة بالمعلاة، أنه توفي يوم الأحد ثامن من شهر رمضان سنة سبع وأربعين وخمسة، وترجم فيه: بالفقيه الإمام العالم مفتي الحرمين ومقرئهما^(٨١).

٤٧- الحسن بن محمد بن علي بن الجرايري إمام المالكية بمكة بالمسجد الحرام ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في معجمه^(٨٢).

٤٨- خالد المعري المالكي: حاور بمكة أوقافاً كثيرة، من سبعين كثيرة، وكان في أثناء السنين التي جاور فيها بمكة، يقيم أشهراً من كل سنة، بوادي ليه ويحج في غالب السنين، وربما زار المدينة النبوية غير مرة، وكان له حظ من العلم والعبادة والخير، حسن السمات، ولئاس فيه اعتقاد حسن. توفي بمكة في أوائل سنة سبع وعشرة وثمانمائة، ودُفِنَ بالمعلاة، وهو في سن الكهولة فيما أحسب، والله أعلم^(٨٣).

٤٩- خليل بن عبد المؤمن بن خليفة الدكائي سبط الشريف أبي عبد الله القاسي ، حد أبي: أحاز له في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من دمشق: الحجاز وجماعة ، وسمع الكثير بمكة على الحنفي، والرين الطبري، وعثمان بن الصفي، والأفشهري وغيرهم بالمدينة من الزبير الأسواني، والجمال المطري، وخالد البهائي، وغيرهم ، تولى سنة تسع وأربعين وسبعمائة بمكة، ودفع بالمعلاة في ذي القعدة، أو في ذي الحجة ^(٨٤).

٥٠- داود بن موسى العماري القاسي المالكي: نزل الحرم، عى في شبابه بقون من العلم، وتبه في ذلك، وصار على ذهنه فوائد ونكت حسنة يذاكرها، ثم أقبل على التصوف والعبادة وجد فيها كثيراً ، وسكن الحرم مدة سنين، نحو عشرين سنة، وإقامته بالمدينة أكثر من مكة يسيراً ، وكانت وفاته بالمدينة، في يوم الخميس مستهل المحرم سنة عشرين وثمانمائة، على مقتضى رؤية الناس لخالل الحرم في غير الحرم، وعلى مقتضى رزيته ليهما، سلخ الحجة من سنة تسع عشرة، والأرض أصوب ^(٨٥)، وله شكة ابنه ومنك، وكان كثير الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وله في ذلك إقدام على الولاية وغيرهم، وبني ربه مودة ومحبة، تفمده الله تعالى برحمته، وأعطه مات في عشر السن ^(٨٦).

٥١- رزين بن معاوية بن عمار البغدادي الأندلسي اسرقسطي أبو الحسن إمام المالكية بالحرم ^(٨٧) سمع بمكة من أبي مكنوم بن أبي فرح المروزي. صحيح البخاري. ومن الحسين بن علي الطبري: صحيح مسلم. وحدث ، روى عن قاضي مكة أبو المظهر الشيباني، والحاظ أبو موسى المديني، والحاظ أبو القاسم بن عساكر، قال: وكان إمام المالكية في الحرم، وأجاز للحافظ السلفي، وذكره في كتابه "الوجيز" وقال. شيخ عالم، لكنه نازل الإسكندرية، قال: وله تواليف، منها: كتاب جمع فيه ما في الصحاح الخمسة، والموطأ، ومنها، كتاب في أحبار مكة ، وذكر في أبو محمد عبدالله بن أبي البركات الصدي الطرابلسي: أنه تولى - رحمة الله - في الحرم سنة خمس وعشرين، يعني: وخسمائة بمكة، وأنه من جملة من صلى عليه وحضر جنازته ^(٨٨).

٥٢- السائب بن عبدالله بن السائب الأنصاري الخزرجي القاضي أبو الفهر - بغير معجزة وراء مهملة- الطنجي: نزل الحرم، سمع بمكة على الصفي الطبري، وأخيه الرصي، بقراءة الوادي أشي مع الأفشهرى. ومن غط الأفشهرى، نقلت نسبه هذا ^(٨٩) ، وقد ذكره ابن

فرحون في كتابة "نصيحة المشاور" قال: كان من كبار الأولياء المتجلبين بالعلم والعمل والزهدة وذكر أنه قرأ عليه القرائن والحساب، وأنه أقام بالمدينة مدة طويلة، وسكن بالبحرة التي هي مسكن الأولياء والأعيان، برباط دكانة، ثم انتقل إلى مكة، فأقام بها على عبادة وكثرة طواف، حتى أنه لا يكاد يوجد إلا فيه، يعني الطواف. وذكر أنه طاف يوماً، ثم خرج من المطاف، ودخل دهليز الفقيه حليل - يعني المالك - عند باب إبراهيم، ثم دعا يقرأش واستقل الكعبة، ثم قصي - رحمه الله تعالى - وذلك في رمضان سنة ثمان عشرة وسعمائة، وصلى عليه القاضي نعم الدين الطبري. وذكر أنه لم ير جارية كثر تابعها من رجال ونساء وكبار وصغار، مثل حارته رحمه الله^(٩٠).

٥٣- سعادة المغربي^(٩١) ذكره ابن فرحون في كتابه "نصيحة المشاور" قال: كان لنا شيخ عظيم القدر. كاشف لأسرار الخفية، كنت أفته بمكة واشية، يتردد بهما توفي بمكة سنة ثلاثين وسعمائة^(٩٢).

٥٤- سعيد بن سلام المغربي. كنيته أبو عثمان. أصله من القيروان، أقام بالحرم مدة، وصحب أبا علي بن نكتاب، وحباً مغربي، وأما عسرو الزحاجي، ولقي الشهر جوري، وأما الحسن بن الصالح الديوري، وغيرهم من المشايخ، وكان أوحده وقت، وهو بقية المشايخ الأولين، ورد بغداد وأقام بها مدة، ثم خرج منها إلى نيسابور واستوطنها، ومات بها، وأوصى أن يصلى عليه الإمام أبو بكر بن هورك، وجاور بمكة سنتين فوق العشر. وكان لا يظهر في الموسم. ومات أبو عثمان بنيسابور سنة ثلاث وسعين وثلاثمائة، رحمه الله عليه^(٩٣).

٥٥- عبد الله بن سعيد بن لباح مولا هم الأموي أبو محمد الششتحالي الأموي^(٩٤) جمع بقرطبة من أبي محمد. وجمع في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، فسمع من أحمد ابن فراس، وعبد الله بن محمد السقطي. وصحب أبا ذر الهروي، ولقي أبا نصر السجزي، وأخذ عنه صحيح مسلم، وحاور بمكة دهرًا، وجمع خمساً وثلاثين حقة، وزار مع كل حقة زورتين، ورجع إلى الأندلس في سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة. وحدث بصحيح مسلم في نحو جمعة بقرطبة وتوفي في رجب سنة ست وثلاثين وأربعمائة. وكان رجلاً صالحاً خيراً زاهداً، لم يكن للدنيا عنه قيمة، عاقلاً، وكان يسرد الصوم، ويكتحل بالإنجد كثيراً^(٩٥).

٥٦- عبدالله بن طلحة الأندلسي أبو بكر توفي سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة بمكة، ذكره ابن الفضل في وفاته، وقال: دو معارف، وذكره الذهبي في وفاته في مختصر التكملة لابن الأبار فقال: عبدالله بن طلحة بن محمد الباهري يكنى أبا بكر وأما محمد نزيل إشبيلية كان ذا معرفة بالحدود والأصول والفقه وكان بارعاً فيه وله رد على ابن حرم^(٩٦).

٥٧- عبدالله بن عبد الحق السوسي أبو محمد ذكره الجذ أبو عبدالله الفاسي في تعاليقه التي وجدها وقال عنه: إنه أخذ نفسه في آخر أمره بطريق من الورع، لم اسمع أن أحداً تعاطاها ممن سكن الحجاز، فمن تأخر، ولم يزل عليها إلى أن مات في رجب سنة ثلاث وتسعين وستمائة. ووجدت بخطه في موضع آخر: أنه توفي بمكة، ودفن بالمعلاة^(٩٧).

٥٨- عبدالله بن عبد السلام بن عبد الرحمن الدكائي نزيل مكة أبو لكوط، ذكره القطب القسطلاني في "ارتقاء الرتبة" فقال: ورأيت سيدي الشيخ العارف أبا لكوط الدكائي، وكان من رجال الله تعالى وأرباب المشاهدات والكنشعات والأحوال والمعارفات، توفي الشيخ أبو لكوط سنة تسع وعشرين وخمسمائة بمكة ودفن بالمعلاة^(٩٨).

٥٩- عبدالله بن عمر بن عيسى بن حنف القزويني أبو محمد المعروف بابن العرجاء عبدالله بن عمر بن علي بن خلف القزويني القزويني، أبو محمد المعروف بابن العرجاء: إمام مقام إبراهيم الخليل عليه السلام بالمسجد الحرام، ذكره السلفي في معجم السفر^(٩٩) له، وكان هو من أصحاب أبي معشر الطبري، قرأ عليه القرآن بروايات. ثم بلغني أن ابنه أبا علي قال: قرأ أبي علي عبد الباقي بن فارس الحمصي، وعلي أحمد بن نفيس الطرابلسي وغيرهما بمصر. وقرأت ذلك بخطه، لكنه لم يذكره لنا. وسمع معنا من غير واحد من شيوخ الحرم، وكان شافعي المذهب رحمه الله تعالى. ومولده بالقزوين. وكان إمام مقام إبراهيم، وأول من يصلي من أئمة الحرم، قبل المالكية والحنفية والزيدية، وسمع منه: أبو طاهر السلفي سنة سبع وسبعين وأربعمائة. وقال: انتهت إليه رئاسة الإقراء^(١٠٠).

٦٠- عبدالله المغربي المعروف بالمحاني. كان رجلاً مباركاً كثير الصلاة للقرآن العظيم، يجهر بذلك في المسجد، وعلى قراءته أنس. توفي في أوائل سنة ثلاث وثمانمائة بمكة، ودفن بالمعلاة، بعد أن جاور بمكة سنين كثيرة، على طريقة حسنة^(١٠١).

٦١- عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر المرسى الرقوتي المعروف بابن سبعين نسبة إلى رقوطة، وهي حصن متبع بقرب مرسية، يلقب بالطبق، ويعرف بابن سبعين الصوفي. ذكر أبو حيان، نفلاً عن القسطلاني، أنه اشتغل بمرسية في مبدأ أمره بعلوم الأوائل، من المطلق، والإلهي، والطبيعي، والرياضي، الذي مجموع الحكمة عليه، التي تدعى الفلسفة، ونظر في شيء من أصول الدين، على طريقة الأشعرية المتقدمين، ومهر فيما ظهر به من المعتقد، وأظهر أن ما قال به هو عين التحقيق، وأنه فوق التصوف رتبة، وصنف كتاباً مشتملاً على شرح ما ادعاه، منتظمة في سلك الوحدة، وأكثرها: كتاب "فكر المعارف" وسماه "النور اللاحق في الكتاب السابع" وله مختصرات، منها: الرضوانية، والفقرية، والإحاطة، وهي عده العالية القصوى، فيما قرره من هذا المذهب... وما زال تلغظه البلاد، حتى استقر بمكة عند والدها أبي غني، وتقدم عدها، وكان قد جرح جرحاً شديداً، فعالجته ابن سبعين حتى برئ، وقد سمعت قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد يقول: رأيت ابن سبعين بمكة، وهو يتكلم للناس بكلام الفاظه معقولة المعنى، وحين تركها لا نعلم لها معنى. ووجدت بخط الميورقي: أنه توفي سنة تسع وستين وستمائة. وعمره نحو خمس وخمسين سنة، وكانت وفاته بمكة، بعد أن حاورها ما سنين كثيرة ودفن بالمعلاة^(١٢٠)

٦٢- عبدالرحمن بن أبي الخير محمد بن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبدالرحمن الحسيني القاسي المكي، يكنى أبا زيد ولقب بالنقي شيخ المالكية بمكة ذكره في أنه ولد سنة إحدى وأربعين وسبعمائة بمكة وأن أباه استعاز له بإثر مولده من جماعة، وأنه أسمعته بالمدينة شتاءً من آخر الشفا للقاضي عياض على الزبير بن علي الأسواني وسمع على والده بعض الموطأ، وسمع على الشيخ إبراهيم بن الكمال محمد بن نصر الله بن النحاس وعلى الإمام نور الدين علي بن محمد الحمداوي والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحسين الحكاري وتاج الدين أحمد بن عثمان بن علي والقاضي عمر الدين بن جماعة والشيخ خليل المالكي والشيخ موسى المراكشي المالكي، وتصدى بعده للتدريس والفتوى بمكة ودام على ذلك نحو خمس عشرة سنة، وانفع الناس به في ذلك كثيراً، وكان جيد المعرفة بالفقه، وكان حسن التدريس والفتوى جليل القدر له وقع في النفوس، ذا ديانة وعبادة، ومحاسن كثيرة، وهو من شيوخه الآذنين في الإفشاء والتدريس، توفي سنة خمس وثمانمائة بمكة ودفن بالمعلاة^(١٢١)

٦٣- عبد الرحمن القماري القاسي عبد الرحمن القماري القاسي: ذكره جدي أبو عبدالله القاسي في تعاليقه، وقال: كان كثير التصوف كثير الكرامات، ووجدت بخط جدي: أن أمين الدين القسطلاني، أخبره عن لقي من شيوخ مكة، أن الشيخ عبد الرحمن هذا، كان يفتي كل يوم في مكة على ثلاثمائة فقير، وكان مجرداً^(١٠٤).

٦٤- عبد العال بن علي بن الحسن المراكشي عبد العال بن علي بن الحسن المراكشي: توفي ليلة التاسع والعشرين من شهر رجب، سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، ودفن بالمعلاة^(١٠٥).

٦٥- عبد القادر بن أبي الفتح محمد بن أبي المكارم أحمد بن أبي عبدالله محمد بن محمد عبد الرحمن القاسي المكي الحلي القاضي محي الدين بن السيد شهاب الدين: نائب الحكيم بمكة، وتاب الإمامة بمقام الحائبة بالمسجد الحرام، ولد في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وعنى بدراسة القرآن فلما بلغ، أكثر من تجويده وقراءته وكان قرأ حفظاً في "العمدة" في الفقه، الشيخ موفق الدين بن قدامة الحلي، ونعنه كتمها، أقل كثيراً على النظر في كتب فقه الحائبة وغيرها، فقه في الفقه وغيره، وأفتى في وقت فتح مكة وتوفي وقت الظهير، من يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان المكرم، سنة سبع وعشرون وثمانمائة، وصلى عليه عقب صلاة العصر، خلف مقام الحائبة بوصية من. ودفن بالمعلاة، سأل الله تعالى، وهو ابن عم أبي، رحمه الله تعالى^(١٠٦).

٦٦- عبد القوي بن محمد بن عبد القوي الشحاني، المغربي أبو محمد: نزيل مكة، قدم إلى ديار مصر في شبته، فأخذ بها عن الشيخ يحيى الزهوي، وغيره من علمائها، وسكن الجامع الأزهر، ثم انتقل إلى مكة، وأخذ بها عن الشيخ موسى المراكشي وغيره وجمع بها من الشاوري، وسعد الدين الإسفراييني، وغيرهما، ودرس بالحرم الشريف، وأفتى باللفظ قليلاً، تورعاً. وكان ذا معرفة بالفقه، يستحضر كثيراً من الأحاديث والحكايات والأشعار المستعسفة، وله حظ من العبادة والخير، جاور بمكة أربعين سنة، ثلاثين سنة، إلا أنه كان يخرج في بعض الأوقات إلى الطائف، ويقوم بها قليلاً، ثم ترك ذلك. وولد له بمكة عدة أولاد، توفي سنة ست عشرة وثمانمائة بمكة، ودفن بالمعلاة، وحمل بعشه الأغنياء من أهل مكة للتبرك به^(١٠٧).

٦٧- عبد اللطيف بن أبي المكارم أحمد بن أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسي القاسي المكي، يلقب بالسراج إمام الحائبة، أخو الشريف أبي الفتح السابق، سمع من عثمان بن الصفي سس أبي داود، ومن جماعة بعده، وولي الإمامة بعد صهره جمال محمد بن القاضي جمال الدين الحلي، في سنة تسع وخمسين وسبعمائة واستمر عليها حتى مات سنة اثنين

وسبعين وسعمائة شهيداً مطوّناً بمكة ودفن بالمعلاة، أحبري بولانه والذي أعرفه الله تعالى،
وسألت عنه ابن عمه، شيخا العلامة السيد عبد الرحمن بن أبي القاسي، فذكر أنه حفظ مختصر
الحرلي. وكان ذكياً، وله شعر^(١٠٨)، ووجدت بخط شيخا القاضي جمال الدين بن طهيرة أنه
توفي سنة سبع وخمسين، ومولده سنة أربع وثمانين وسعمائة بتونس، كذا وجدت مولده بخط
شيخا القاضي جمال الدين بن طهيرة. وذكر أنه رآه بخط المذكور^(١٠٩)

٦٨- عبد الملك بن عبد الله بن محمد بن محمد البكري أبو مروان بن الشيخ الولي العارف
ابن محمد المعروف بالمرجاني التونسي: زيل مكة، صاحب الشيخ نجم الدين عبد الله الأصمعي،
وروى عنه، توفي الشيخ عبد الملك المرجاني سنة أربع وخمسين وسعمائة بمكة ودفن بالمعلاة
نقلت وفاته من حجر قبره، ومولده سنة أربع وثمانين وسعمائة بتونس.^(١١٠)

٦٩- عبد الملك بن علي الصهاحي المكاسي توفي في شهر شوال سنة إحدى وسبعين بمكة
ودفن بالمعلاة ومن حجر قبره حسب هذا وترجمه في ناشيح نصاح^(١١١)

٧٠- عبد المؤمن بن حسنة بن عبد الله الكاشي زيل مكة، سمع بمكة في سنة إحدى
وثلاثين وسعمائة، عن أبي عيسى الخفي، وأبو زكريا نظري، ومحمد بن النصف، وبلال عتيق ابن
العجمي، والجمال المطري جميعهم، وعن غيره، وكتب رجلاً صالحاً، عابداً فقيهاً،
وناب في العقود عن القاضي شهاب الدين نظري، وعن الشيخ خليل المالكي في الإمامة سنة
إحدى وأربعين وسعمائة، ودفن بالمعلاة^(١١٢)

٧١- عبد الواحد بن الحسن الدرعي المغربي الصهاحي: كذا هو مسلوب في حجر قبره
بالمعلاة. وقبره إلى الجانب قبر الشيخ موسى المراكشي، وهو الشيخ عبد الواحد، الذي كان
يجاور بالمدينة ومكة؛ لأن والذي ذكر لي أن الشيخ موسى دفن إلى جانبه، وقد سألت عنه
شيخنا السيد عبد الرحمن بن أبي الخير القاسي، فقال: كان رجلاً صالحاً كثير المول والإحسان
إلى الفقراء، حاور بالحرمين مدة طويلة ومات بمكة^(١١٣).

٧٢- عبد الواحد القيرواني: ذكره الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه "أعوان النصر،
وأعيان العصر" قال: أحبري شيخاً أثير الدين - يعني أبا حيان الأندلسي - قال كان عدواً
بالفاخرة، وله نظم حسن، ورحل إلى الحجاز واستوطن مكة، وصحب ملكها أبا نجي الحسني وله
فيه أشعار حسنة أحاد فيها عابة ونظم فيها نظماً كثيراً^(١١٤).

٧٣- عبد الواحد التونسي المالكي المعروف بابن الكاتب ، ذكره في هكذا شيخنا أبو بكر بن قاسم بن عبد المظني ، وقال : كان إماماً فاضلاً علامة ، بهي مع الزهد والأدب ، أقام بمكة مدة وكان يسكن في رباط الموفق وكان يشتغل فيه وفي الحرم ، توفي في عشر السنين وسبع مائة بالناصرية من أعمال مصر ^(١١٥) .

٧٤- عتيق بن أحمد بن عبد الرحمن الأندلسي الأريوي . سببه إلى بلدة في بلاد الأندلس . يقال لها: أربولة ، ذكره هكذا ، أبو سعد بن السمعاي الحافظ في معجمه ، وقال : شيخ صالح مبرز حسن السيرة ، جاور بمكة قريباً من خمسين سنة ، سمع القيب أبا القوارس طراد الريني كتب عنه في التوبة الأولى مجلساً ، أملاه القيب بمكة ، وسأله عن ولادته فقال . في اغرم سنة سبع وستين وأربعمائة . وأربولة من بلاد الأندلس ، وتوفي بمكة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ^(١١٦) .

وذكره السلفي في معجمه ^(١١٧) وقال كان من أهل القرآن ، والصلاح الطاهر ، والحد في طلب الحديث ، ولما قدم الثغر ، كان يحضر عدي ، وسمع علي وعلى غيري سنة وعشرين وخمسمائة ، ومضى إلى مكة وجاور بها سنين كثيرة . يؤذن أحياناً في الحرم احتساباً للمالكية ، ثم رجع إلى ديار مصر ، وتوجه إلى الأندلس وانقطع عما حره وكان كبير السن .

٧٥- عطية بن عيسى بن عطية بن عيسى بن الحسن بن يوسف القرشي القيرواني الطيبي المعروف بابن لادحان : جاور بمكة مع والده شين ، وسمع من عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد الطبري ، وقدم بغداد ، وكان أديباً ، توفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، ذكره هكذا الشيخ صلاح محمد بن شاكر الكتبي في تاريخه ، وأظه نقل هذه الترجمة ، من تاريخ صلاح الدين الصفي ^(١١٨) .

٧٦- علوان بن الحسن الأعلي ، يكنى أبا عقيل اشاور بمكة كان من ملوك بني الأعلب وهم من ملوك المغرب ، فنقطع وصحب الشيخ أنا هارون الأندلسي ثم لحق بمكة شرفها الله تعالى ومات بمكة شرفها الله تعالى في سنة ست وتسعين ومائتين ^(١١٩) .

٧٧- علي بن حيد بن عمار الأظربلسي أبو الحسن المكي . سمع صحيح البخاري من أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي ، وفرد به عنه ، ورواه عنه جماعة ، آخرهم عبد الرحمن بن أبي

حرمي، قال الذهبي: حدث به في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وترجمة بالمقري السحوي
وتوفي في شوال سنة ست وسبعين وخمسمائة بمكة^(١٢٠)

٧٨- علي بن خلف بن معرور بن علي بن عبدالله الكومي الغمدي النعماني
أبو الحسن الفقيه المالكي تفقه على مذهب مالك بن أنس رحمه الله وبصر في الأصلين مع ورع
ورهد وكان يحاضر عند صاحب المغرب وله منه حاشيات وآثار الآخرة على الدنيا ورجل وقدم
مصر قديماً واشتغل بالإسكندرية على الإمام أبي صالح بن أسماعيل المعروف بابن معاذ مدة
وجاور بمكة سبعين، توفي بمصر سنة تسع وتسعين وخمسمائة^(١٢١)

٧٩- علي بن عبدالله بن حمود القاسي، أبو الحسن المكاسي : إمام المالكية بالحرم الشريف،
جمع سنة اثني عشرة، وأخذ عن أبي بكر الطرطوشي صن أبي داود، وصحيح مسلم - أحذه
عن ابن طرخان - وجمع أبي عيسى بن المبارك. ودخل الأندلس مرتين، ثم حج ثانياً، وحاور
وأبى بالحرم، وأصله من مكة الربيعون ذكره ابن الأثير في تكميه الصلة لابن بشكوال،
وقال: كان زاهداً ورعاً محسناً في «عرباء»، توفي بمكة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، عن سبع
وثمانين سنة^(١٢٢). وأصيب حرقاً شديداً مكتوب فيه أن هذا قبر أبي الحسن علي بن حمود
المكاسي. وأمه توفيت ليلة الاثنين في العشر الأوسط من جمادى الآخرة، سنة إحدى وسبعين
وخمسمائة. وترجم فيه: بالفقيه الزاهد، إمام المالكية بالحرم الشريف^(١٢٣)

٨٠- علي بن عبدالله بن عيسار السوسي أبو الحسن : توفي في العشر الأخير من ذي
القعدة سنة ثمان وستين وخمسمائة بمكة، ودفن بالمعلاة، ومن حجر قبره كتبت ما ذكرته من
حاله، وترجم فيه: بالشيخ الفاضل العابد المتقري^(١٢٤)

٨١- علي بن عبدالله بن محمد بن عبد الوار النعماني، القاضي أبو الحسن بن أبي محمد:
قدم إلى مكة حاجاً في سنة أربع وستين وسبعمائة، وطاف بالبيت الحرام وسعى في يوم قدرمه
وتوفي إثر ذلك ودفن بالمعلاة^(١٢٥)

٨٢- علي بن عبداللطيف بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن الحسني القاسي المالكي،
يلقب نور الدين إمام مقام الحنابلة بالمسجد الحرام ولد في العشر الأخير من شوال سنة اثنين
وسبعين وسبعمائة قبل موت أبيه، واستقر عوضه بالإمامة بمقدم الحاشية بالحرم الشريف وبأشر

٨٨- موسى بن علي بن عبد الصمد بن محمد بن عبد الله المراكشي العلامة الفتوة العارف بالله أبو محمد وأبو عبد الله المالكي نزيل مكة صاحب ما الشيخ عبد الله الباقعي مدة ، وسمع منه كتاب "الرسالة للقشيري" وحدث به عنه ، ودروس وأقنى بالخرميين ، مع غرارة العلم ، وأهلية النظر والترحيل ، والعبادة الكثيرة ، والورع الشديد الدائم ، واستفيع به في العلم جماعة كان كريم النفس ، كثير الإتيار للفقراء ، وذكر في أنه ورد مكة في سنة ثلاث وستين وسعمائة حاجاً على طريق الصحراء ، مع الكاررة ، وتوجه بعد حجه إلى المدينة ، فأقام بها سنة أربع وستين ، ثم رجع إلى مكة واستوطنها في سنة خمس وستين ، وصار يتردد إلى المدينة ، ومات بمكة في يوم السبت التاسع عشر ، من محرم سنة تسع وثمانين وسعمائة ، ودفن بالمعلاة ، وشهد جاريته ، أمير مكة ، عات بن عباس ، ومشي فيها وقد شهدت جنازته محمد الله (١٢٣).

٨٩- يحيى بن أحمد بن أحمد بن صفوان النبلي الأندلسي أسقى أسكنى أبو زكريا وحدث بخطه أنه قرأ القرآن انطيم ، من أوله إلى آخره ، بقراءات الأربعة تسعة ، من طريق "التيسير" و"التبصير" و"الكافي" و"الإدعاء تكبير" من طريق من شرح ، عني الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبيوب ، وبلغني أن ابن صفوان ، كان عارفاً بقراءته ، وأنه لم يندم لمالكية ، سابعة عن الشيخ خليل المالكي ، وأنه توفي في سنة اثنين وسبعين وسعمائة بمكة ، ودفن بالمعلاة ، بالتربة المعروفة بتربة بيت القسطلاني . ذكره الحافظ غرس الدين خليل الأظهري ، في مشيخة القاضي جلال الدين بن ظهيرة ، وقال في ترجمته : قدم مكة ، فعازر لها مدة ، على طريقة حسنة مرضية ، وأم بمقام المالكية عن شيخنا الإمام أبي الفصل خليل وغيره ، وكان إماماً علماً عارفاً بالقراءات الغربية ، صالحاً زاهداً (١٢٤).

٩٠- يحيى بن محمد بن أحمد بن فتوح بن نصر بن سليمان بن المرحل الأنصاري الأندلسي . الفقيه ، قاضي الطائف ، وخطيب مشهد سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهم . رأيت جميع ذلك ، بخط الشيخ جمال الدين المرشدي المكي الحنفي ، فيما نقله من خط الشيخ أبي العباس الميورقي ، فإنه ذكر أن ولده أبا يوسف يعقوب ، أنشده شيئاً لربعة الرأي ، شيخ الإمام مالك ، وذكره ووصف ولده صاحب الترجمة بما ذكرناه ، ووصف ولده بالابن الحبيب المبارك الحبيب ، وولده محمد بالفقيه الإمام الصالح الورع ، المهاجر إلى أقطار مكة شرفها الله تعالى ، الأندلسي مولداً ، النقيمي موثقاً ، ذو الكرامات المذكورة ، والبركات المشهورة (١٢٥).

٩١- يحيى التونسي صاحب الشيخ أبي العباس المرسى، وتوجه بعد وفاته مع الشيخ نجم الدين الأصمائي والشيخ عبد الحميد الموقاني إلى مكة، فجاورهما مدة طويلة، ثم توجه الشيخ يحيى والشيخ عبد الحميد إلى المدينة، وناب الشيخ يحيى في الإمامة والخطابة بها، عن القاضي شرف الدين الأميوطي. وتوفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بالمدينة^(١٣٦).

٩٢- يحيى التونسي : ذكره في شيخنا ابن عبد المعطي، وقال: قرأ على البرهان الجعيري، وعلى ابن ولاب. وقرأ بمكة على البرهان المسروقي، وأجاز الإقراء بالسمع، وقرأ هو عليه لابن كثير. وتوفي بمكة في الفصل، بحى سنة تسع وأربعين وسبعمائة، وكان تزوج روحته المعمر التوزري^(١٣٧).

٩٣- يعقوب بن يحيى بن محمد بن أحمد بن فتوح بن نصر بن سليمان بن المرحل الأنصاري الأندلسي أبو يوسف ابن تقييه الإمام الصالح، قاضي الطائف وحظيها، ابن الفقيه الإمام الصالح الورع المهاجر إلى أنطاكية مكة، الأندلسي مولداً، النجفي موطناً، ذو الكرمات المذكورة، والبركات المشهورة^(١٣٨).

٩٤- يوسف بن عيسى بن عباس النجفي الأندلسي الشاذلي المؤدب بالمسجد الحرام، سمع من العفيف الشاذلي "نسيرة" لمحب نظري، وسمع عليه، وعنى الشيخ أبي العباس بن عبد المعطي، والقاضي لحر الدين أبي اليمن محمد بن العلاء محمد بن الكمال محمد بن أسعد بن عبد الكريم الثقفي القاباني الشافعي "الثناء" للقاضي عباس، بالمسجد الحرام، في مجالس أحرها الرابع من شعبان سنة خمس وعشرين وسبعمائة. كان يؤم بمقام المالكية، نيابة عن القاضي نور الدين النويري، وأدب أولاده مع جماعة من أولاد أعيان الحرم، وكان خيراً، توفي بمكة بعد أن جاور بها سنين كثيرة، سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ودفن بالمعلاة^(١٣٩).

٩٥- يوسف بن محمد بن محمد بن محمد بن عمران الطنجي المؤدب بالحرم الشريف هكذا وجدته مسبوهاً بخط شيخنا ابن مكر، وسألت عنه السيد العلامة تقي الدين الفاسي، فذكر أنه كان فقيهاً صالحاً عابداً ورعاً زاهداً كريماً محسناً إلى الفقراء، ثم انتقل إلى المدينة بعد أقام بمكة أكثر من ثلاثين سنة، ومات بها سنة خمس وسبعين وسبعمائة^(١٤٠).

٩٦- أبو بكر بن عبد المارق الدكالي المالكي . مريبل مكة. كان كثير الخير والصلاح والورع، مجتهداً في العبادة، بحيث يستغرق فيها أوقاته، حاور بمكة بضعاً وعشرين سن، ملازماً للصلاة والطواف والصيام. وتوجه في سنة عشر وثمانمائة أو قريبا، إلى المدينة المنورة رثراً، فمكث بها أشهراً، ثم عاد إلى مكة، وكذلك في سنة اثنين وثمانمائة، وعاد إلى مكة، وما خرج من مكة بعد ذلك لغير الحج والعمرة وله معرفة بمنهج مالك، بالإسكندرية وسكنها مدة سن، وكان قدومه إلى مكة في سنة إحدى وثمانمائة، أو قبلها بقليل، ورزق بمكة من أمة تسمى بها ولداً وبناتاً، فماتتا، ثم أمهما، وكثر أسفه على ابنه، فعمل بعده نحو أربعة أشهر، حتى مات شهيداً مطوناً، سنة سبع وعشرين وثمانمائة بمنزلة بالخزامة بمكة المشرفة، وصلى عليه عبد الكعبة المعظمة عقب صلاة العصر، ودفن بالمعلاة، وكان الجمع وافراً في تشييعه وأظه من أبناء السنين أوقربها^(١١١).

٩٧- أبو عبد الله الشافعي حاددم الشيخ في نعباس المعروف بالرأس الإسكندري ذكره القطب القسطلاني في "ارتقاء الرتبة" وقال قد أقامه الله تعالى في خدمة الفقراء والإيتار لهم، وجاور بمكة في آخر عمره إلى أن مات بها، تغمده الله برحمته، وأعد علينا من بركاته^(١١٢).

خاتمة البحث :

في نهاية هذا البحث الذي استعرضت فيه تراجم بعض علماء وأهل العلم من سكان أهل المغرب والأندلس الذين استقروا في بلد الله الحرام وكان لبعضهم شأن ومكانة كبيرة وذلك من خلال الكتاب القيم - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لحولفه تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي توصلت من خلال البحث إلى بعض النتائج هي :

سائج البحث :

- ١- افتتاح وتقل المسلمين في العالم الإسلامي ساعد على نخصة علمية وحضارية .
- ٢- التعريف بأهمية كتاب العقد الثمين وأنه من مصادر أعيان البلد الحرام .
- ٣- سعة علم الإمام تقي الدين محمد أحمد الفاسي وكثرة شيوخه ورحلاته .
- ٤- أهمية كتب التراجم في تأريخ وأخبار مكة المكرمة

- ٥- - نوع مصادر الامام نقي الدين القاسي في تراجم كتابه العقد الثمين
- ٦- - وصف طبعات كتب العقد الثمين وأيه عاوجه الى إحراجه بتحقيق دليق .
- ٧- - وقوع بعض الأخطاء في تحقيق وطبعات كتاب العقد الثمين
- ٨- - إظهار محتوى كتاب العقد الثمين في أحرانة الثمانية الذي يؤرح لتراجم سكان مكة المكرمة .



المواش

- (١) القري ، طبع الطبعة في ضمن الأندلس الرطب : ٥/٢
- (٢) تقي الدين محمد بن أحمد الحسي القاسي ، العقد النمين : ٣/٩ أخصدت في البحث على طبع دار الرسالة بتعليق محمد حامد النقي وطبع طبع أخرى بتعليق محمد عبدالعادر أحمد عطا عن دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، مع ملاحظته وجود أخطاء في ترقيم الفهارج انظر العقد النمين : ٢٣٧/٦
- (٣) المصدر السابق : ٣/١
- (٤) العقد النمين : ٣٣١/١ ترجم المؤلف لعمه في كتابه العقد النمين ضمن المرحم لهم ، وانظر أيضاً حذر العقود الفرعية ، أحمد القري : ١٢٣/٣ إنشاء القبر في بناء القبر ، ابن حجر المصلاي : ١٨٧/٨ ، الضوء اللامع ، محمد السخاوي : ١٨/٧ شذرات الذهب ، عبدالحق العكري : ٢٨٩/٩ ، المهمل الصادق ، ابن تيري بردي : ٣٨١/٣
- (٥) العقد النمين : ٣٤١-٣٣١/١
- (٦) المصدر السابق : ٣٤١-٣٣١/١
- (٧) بل التي يدل بلوغ القري ، سحر بن مهدي ، علق د محمد حبيب عبيد : ١/١
- (٨) المصدر السابق : ٣٤١-٣٤١/١
- (٩) المصدر السابق : ٣٩٣/١
- (١٠) المصدر السابق : ٢٩١/١ ، سرحه رقم ١٨ ، خمس ديس دهلي ، صدد نقراء : ٦٦٣/٢
- (١١) خمس النمين ، تاريخ الاسلام لتحقق د بشار عواد معروف : ٢٨٣/١٠
- (١٢) العقد النمين : ٣٠٨/١ (الترجمة رقم ٣١)
- (١٣) ابن سيد الناس : ١٥/١
- (١٤) العقد النمين : ٣٠٨/١ (الترجمة رقم ٣٢)
- (١٥) محمد بن عبدالرحمن السخاوي - الضوء اللامع : ٣/٧ ، عبدالحق بن أحمد العكري ، شذرات الذهب : ٩/٢٠٤-٢٠٣
- (١٦) المصدر السابق : ٣١٥/١
- (١٧) المصدر السابق : ٣٨٧/١ (الترجمة رقم ٩٣)
- (١٨) المصدر السابق : ٤٣٥/١ (الترجمة رقم ١٢٣) وانظر عبدالرحمن بن تيسر السخاوي ، الخسرح والتعديل : ٢٩٩/٧
- (١٩) العقد النمين : ٤٥٩/١ (الترجمة رقم ١٣٨)

- (٢٠) المجلد الثمين : ٢٩/٧ (الترجمة رقم ١٩٥)
- (٢١) المجلد الثمين : ٤٢/٧ (الترجمة رقم ٢٠٤) وانظر ابن العماد ، شذرات الذهب ٥٢١/٨ ابن حجر ، إنباء الغرر ٢٤٢/٢ ابن حجر ، الدرر النكاسة : ٤٩٦/٣ وفيه الآتي
- (٢٢) المجلد الثمين : ٨١/٧ (الترجمة رقم ٢٣٤) وانظر محمد بن عبد الله المصاعبي ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة : ٦٦٣-٦٦٤
- (٢٣) المجلد ابن السعدي الشذادي ، المستعاد من ذيل تاريخ بغداد ١٥/٢١
- (٢٤) خمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ٣١٧-٣١٣/٢٣
- (٢٥) يركي الدين عبد العظيم المشري ، صلة التكملة لوفاة الثلاثة ص ٢٥٩-٢٦٠
- (٢٦) المجلد الثمين : ٩٤/٧ (الترجمة رقم ٢٤٤)
- (٢٧) ابن أبي شامة ، ذيل الفروحين : ١٩٦-١٩٥
- (٢٨) المجلد الثمين : ٩٧/٧ (الترجمة رقم ٢٤٩)
- (٢٩) ابن حجر المصقلاني ، الدرر النكاسة : ٤٩٩/٣
- (٣٠) المجلد الثمين : ٩٧/٧
- (٣١) المصدر السابق : ١١٢/٧ (الترجمة رقم ٢٦٦) ، وانظر السجدي ، الصو ، الملامع ٤٠/٨ القريسي ، حوز المفرد القريدة في ترجم الأعيان الثلاثة : ٢١١/٣
- (٣٢) المصدر السابق : ١١٢/٧ (الترجمة رقم ٢٦٧)
- (٣٣) المجلد الثمين : ١١٥/٧ - ١١٨ (الترجمة رقم ٢٦٨)
- (٣٤) المصدر السابق : ٣٠٥-٣٠٧ (الترجمة رقم ٢٧٢) وانظر السجدي ، الصو ، الملامع ٥٨/٨
- (٣٥) المجلد الثمين : ١٢٩/٧ - ١٣٠ (الترجمة رقم ٢٨٧)
- (٣٦) المصدر السابق : ١٥٩/٧ ، (الترجمة رقم ٣٢١)
- (٣٧) المصدر السابق : ١٦٠/٧ (الترجمة رقم ٣٢٢) وانظر فوات الوفيات ٤٨٠/٢ ابن حجر ، لسان الميراث ١٥/٣١١
- (٣٨) البداية والنهاية ، ابن كثير : ١٥٦/١٣
- (٣٩) خمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ٤٨/٢٣
- (٤٠) ابن حجر المصقلاني ، لسان الميراث : ٣١١/٥

(٤٦) المصدر السابق : ٢٠٧/٢ (الترجمة رقم ٣٢٦) .

(٤٧) العقد النكاحية : ٨٣ / ٤

(٤٨) العقد النكاحي : ٣١١/٢

(٤٩) العقد النكاحي : ٢١١ / ٢ (الترجمة رقم ٣٢٧)

(٥٠) المصدر السابق : ٢١٨ / ٢ (الترجمة رقم ٣٣١) الذهبي ، طبقات القراء : ١٢٩٦/٣ ابن الخوري ، صفات القراء : ٢١٢ / ٢

الدور النكاحية : ٩٦/٤

(٥١) المصدر السابق : ٢٣٧/٢ (الترجمة رقم ٣٤٧) وأنظر التكملة لوفيات القضاة : ٣٥٨ / ٣ ، سيرة أعلام السلافة : ١٧ / ٣٧٢ ، سنن أبي عبد الله ابن مكيال ، الصلاة : ٥١٠ / ٢ ابن الخوري ، طبقات القراء : ٢١٩/٢

(٥٢) العقد النكاحي : ٢٤٩/٢ (الترجمة رقم ٣٥٧) الدور النكاحية : ١٣٣/٤

(٥٣) المصدر السابق : ٢٥٧/٢ (الترجمة رقم ٣٦٨) .

(٥٤) المصدر السابق : ٢٥٧/٢ وأنظر سيرت الذهب : ٥٧٤/٨ ابن حجر ، تاريخ مصر : ١٤٣/٣

(٥٥) العقد النكاحي : ٢٩٨ / ٣ (الترجمة رقم ٤٠٦)

(٥٦) المصدر السابق : ٣١٢/٢ (الترجمة رقم ٤٠٧)

(٥٧) المصدر السابق : ٢١٣/٢ (الترجمة رقم ٤٠٨)

(٥٨) المصدر السابق : ٢١٣/٢ (الترجمة رقم ٤٠٩) وأنظر الصوة للامع : ١٤٣ / ٩ ، الدور النكاحية : ٧١/٤

(٥٩) العقد النكاحي : ٣٢٦،٢ (الترجمة رقم ٤٢٧) وأنظر الصوة للامع : ٢٤/١٠ علي الدين أحمد بن عيسى الخوري ، دور العقود المفردة في فرائض الأعيان للشيخ : ١٦٩ / ٣

(٦٠) المصدر السابق : ٣٢٩/٢ (الترجمة رقم ٤٣١) دور العقود : ١٦٩/٣

(٦١) المصدر السابق : ٣٣٤/٢ (الترجمة رقم ٤٣٧) الدور النكاحية : ٢٢٥/٤

(٦٢) ابن فرحون ، مصححة المشاور : ١٥/١

(٦٣) العقد النكاحي : ٣٣٦/٢ (ترجمة رقم ٣٣٦) وأنظر سيرت الذهب : ١٠٦ / ٨ التواقي بالوقيعات : ٢٢٢/١ الطبعة الثانية

(٦٤) المصدر السابق : ٣٦٤/٢ (الترجمة رقم ٤٦٥) وأنظر الصوة للامع : ٥٥ / ١٠

(٦٥) إساء المصير : ٤٠١/٧ وأنظر سيرت الذهب : ٢٣٦/٩ الصوة للامع : ٥٦ / ١٠

- (٦١) المصدر السابق ٣٧٥/٢ (الترجمة رقم ٤٦٩) ونظر السخاوي ، النصوص للامام ٥٥ / ١٠
- (٦٢) المصدر السابق : ٣٧٩/٢ (الترجمة رقم ٤٧٣)
- (٦٣) اس حنكنا ، وحيات الاعيان ٥٨٦/٤ ، لسان الميراث ١٦٧/٦ الحجوم الرائعة ١١١/٤ شذرات الذهب ٤٧٨/٠٤ طبقات القراء : ١٣١٢/٣
- (٦٤) المصدر السابق : ٤٠٣/٢ (الترجمة رقم ٤٩٣)
- (٦٥) المصدر السابق : ٤٠٣/٢ ونظر الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١٦٩-١٦٠/٤
- (٦٦) المصدر السابق : ١٠٣/٣ (الترجمة رقم ٥٩٦)
- (٦٧) المصدر السابق : ١٠٩/٣ (الترجمة رقم ٦٠٥) ونظر شذرات الذهب ١٩٨/٩ إنباء الغمر ٢٩٩/٧ النصوص للامام : ٣٥/٢
- (٦٨) المصدر السابق : ١٤٦/٣ (الترجمة رقم ٦٣٣)
- (٦٩) المصدر السابق : ١٧٠/٣ (الترجمة رقم ٦٥١)
- (٧٠) المصدر السابق : ١٧٣/٣ (الترجمة رقم ٦٥٣)
- (٧١) المصدر السابق : ١٨٢/٣ (الترجمة رقم ٦٦٦)
- (٧٢) ابن الأثير ، التكملة لكتاب الصلاة ص ٨٨-٨٩
- (٧٣) المصدر السابق : ١٨٢ / ٣
- (٧٤) المصدر السابق : ٣٠٣ / ٣ (الترجمة رقم ٧٧٣) السابق ونظر شذرات الذهب ١٣١/٩ النصوص للامام ٧٣ / ٢ إنباء الغمر : ٣٠٤ / ٢
- (٧٥) المصدر السابق : ٤٢٦ / ٣ (الترجمة رقم ٨٩٤)
- (٧٦) المصدر السابق : ٤٤٣ / ٣ (الترجمة رقم ٩١٤) ونظر عبد الرحمن الدبوع ، معالم الايمان في معرفة أهل القروا ٥/٤ :
- (٧٧) المصدر السابق : ٦٧ / ٤ (الترجمة رقم ٩٨٧)
- (٧٨) المصدر السابق : ٨١ / ٤ (الترجمة رقم ٩٨٨)
- (٧٩) ابو طاهر احمد بن محمد السندي ، معجم البشر : ص ١٢٩
- (٨٠) الذهبي ، طبقات القراء : ٧٥١-٧٥٠ / ٢
- (٨١) المصدر السابق : ٨١ / ٤

- (٨٢) المصدر السابق : ١٨٠/٤ (الترجمة رقم ١٠١٧)
- (٨٣) المصدر السابق : ٢٩٩/٤ (الترجمة رقم ١١١٨) السعادي ، الضوء اللامع ١٧٣/٣
- (٨٤) المصدر السابق : ٣٢٨/٤ (الترجمة رقم ١١٤٢)
- (٨٥) المصدر السابق : ٣٦١/٤ (الترجمة رقم ١١٦٣)
- (٨٦) المصدر السابق : ٣٦١/٤ الضوء اللامع ٢١٦/٣ إمام العمر ٢٨٥/٧
- (٨٧) المصدر السابق : ٣٩٨/٤ (الترجمة رقم ١١٩٢) شذرات الذهب . ١٧٥/٦ العدة ٢٩٦/١ بنية المنصبي . ٣٦٩/١ مير أعلام النبلاء : ٢٠٥/٢٠
- (٨٨) المصدر السابق : ٣٩٨/٤
- (٨٩) المصدر السابق : ٥٠٣/٤ (الترجمة ١٢٤٤) النجفة النظمية ، جنس الدين السحاي ١١٤/٢
- (٩٠) ابن فرحون ، نصيحة المشاور : ١٥/١
- (٩١) المصدر السابق : ٥٣٠/٤ (الترجمة ١٢٦٢)
- (٩٢) ابن فرحون ، نصيحة مشاور : ١٥١ شذرات الذهب ٣٩٤/٤ حرث حن . سبهي ٤٠٢-٤٠١/٢
- (٩٣) المصدر السابق : ٥٦٧/٤ (الترجمة ١٢٨٨) تاريخ بغداد لحفيل د شذو عواد ١٦٢/١٠ عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي ، استظم في تاريخ سنوك لأحمد ٣٠٣/١٤ مير أعلام النبلاء ٣٢٠/١٩
- (٩٤) المصدر السابق : ١٧٠/٥ (الترجمة ١٥٣٦)
- (٩٥) تاريخ الإسلام ٩٠/٥٥٤ وأنظر انصلة ، لا بن بشكوال ٤١٦/٢
- (٩٦) المصدر السابق : ١٨٢/٥ (الترجمة ١٥٥٢) تاريخ الإسلام ٢٥٤/١١
- (٩٧) المصدر السابق : ١٩٩/٥ (الترجمة رقم ١٥٦٣)
- (٩٨) المصدر السابق : ٢٠١/٥ (الترجمة رقم ١٥٦٩)
- (٩٩) معجم السفر : ص ١٢٩
- (١٠٠) القلعة النعمي ٢١٧/٥ (الترجمة رقم ١٥٨٩) النعمي ، طلقات القراء ١٥/١
- (١٠١) المصدر السابق : ٣٠٧/٥ (الترجمة ١٦٧٤) الضوء اللامع ٧٦/٥
- (١٠٢) المصدر السابق : ٣٢٦/٥ (الترجمة ١٧٠٠) شذرات الذهب ٥٧٠/٧ ، السوي بالوفيات ١٨/٦٠ ط
- اللائية ، البداية والنهاية : ٢٦١/١٣

- (١٠٣) المصدر السابق: ٤٠٨/٥ (الترجمة ١٧٨٣: الضوء اللامع ١٤٩/٤ شذرات الذهب ٧٩/٩ إساءة العصر ١٠٤/٥)
- (١٠٤) المصدر السابق: ٤١٩/٥ (الترجمة ١٨٠١)
- (١٠٥) المصدر السابق: ٤٤٣/٥ (الترجمة ١٨١٦)
- (١٠٦) المصدر السابق: ٤٧٠/٥ (الترجمة ١٨٤٠) وانظر شذرات الذهب ٧٦١/٩، الضوء اللامع ٢٨٧/٤
- (١٠٧) المصدر السابق: ٤٧٢/٥ (الترجمة ١٨٤٢) وانظر شذرات الذهب ١٧٩/٩، إساءة العصر ١٣٣/٧، الضوء اللامع: ٣٠٢/٤، دور الطغاة الفريدة: ٣١٧/٧
- (١٠٨) المصدر السابق: ٤٨٧/٥ (الترجمة ١٨٦١) الضوء اللامع: ٣٣٣/٤
- (١٠٩) المصدر السابق: ٤٨٧/٥
- (١١٠) المصدر السابق: ٥٠٣/٥ (الترجمة ١٨٧٨)
- (١١١) المصدر السابق: ٥١١/٥ (الترجمة ١٨٨٣)
- (١١٢) المصدر السابق: ٥١٩/٥ (الترجمة ١٨٩٧)
- (١١٣) المصدر السابق: ٥٢٢/٥ (الترجمة ١٩٠٢)
- (١١٤) المصدر السابق: ٥٣٨/٥ (الترجمة ١٩٠٦) مصدي، عسان العصر وانعزال العصر ١٠٥٠/٢، السيرة الكاشفة: ٤٢٢/٢
- (١١٥) المصدر السابق: ٥٢٩/٥ (الترجمة ١٩٠٧)
- (١١٦) المصدر السابق: ١٤/٦ (الترجمة ١٩٣٨) تاريخ الاسلام: ٣١/١٢
- (١١٧) معجم السمر: ص ٢٩٢
- (١١٨) المصدر السابق: ١٠٩/٩ (الترجمة ٢٠٠٧، التوفي بالوفات، مصدي ٥٦/٢٠ طعة دار التراث)
- (١١٩) المصدر السابق: ١٢٨/٦ (الترجمة ٢٠٢٧) تاريخ الاسلام ٥٩٨/١١
- (١٢٠) المصدر السابق: ١٥٦/٦ (الترجمة ٢٠٥٦) تاريخ الاسلام ٥٥٦/١٢
- (١٢١) المصدر السابق: ١٥٧/٦ (الترجمة ٢٠٥٧: الحكمة، للمصري ٧٣٥/١، تاريخ الاسلام ١١٧٧/١٢)
- (١٢٢) المصدر السابق: ١٨١/٦ (الترجمة ٢٠٦٦)
- (١٢٣) المصدر السابق: ١٨١/٦ وانظر ابن الاثير ٢٤٤١/٣، تاريخ الاسلام ٥٢٦/١٢
- (١٢٤) المصدر السابق: ١٨٣/٦ (الترجمة ٢٠٦٩)

- (١٢٥) المصدر السابق: ١٨٣/٦ (الترجمة ٢٠٧٠)
- (١٢٦) المصدر السابق: ١٨٧/٦ (الترجمة ٢٠٧٧) انظر الضوء اللامع ٢١٤/٥
- (١٢٧) المصدر السابق: ٣٦٠/٦٠ (الترجمة ٢٠٩٣)
- (١٢٨) المصدر السابق: ٤٧٧/٦ (الترجمة ٢١٩٤)
- (١٢٩) المصدر السابق: ٣/٧ (الترجمة ٢٢٩٦) معجم السفر للسلفي ص ٣١٠
- (١٣٠) تاريخ الإسلام: ٨٤٥/١٠ ، لكلمة الصلة: ٥١-٥٠/٤
- (١٣١) المصدر السابق: ٢٧/٧ (الترجمة ٢٣٢١)
- (١٣٢) المصدر السابق: ٢٨٤/٧ (الترجمة ٢٥٢٢)
- (١٣٣) المصدر السابق: ٢٩٩/٧ (الترجمة ٢٥٤٣)
- (١٣٤) المصدر السابق: ٢٧/٧ ، ترجمة ٢٦٨٥ ، طبعات الترمذ ، من مسردي ٣٦٥/٢ المصدر الكاشفة ٤١٠/٤
- (١٣٥) المصدر السابق: ٤٤٦/٧ (الترجمة ٢٧٠٨)
- (١٣٦) المصدر السابق: ٤٥٩/٧ (الترجمة ٢٧٢٠)
- (١٣٧) المصدر السابق: ٤٥٩/٧٠ (الترجمة ٢٧٢١)
- (١٣٨) المصدر السابق: ٤٧٨/٧ (الترجمة ٢٧٥٢)
- (١٣٩) المصدر السابق: ٤٨٩/٧ (الترجمة ٢٧٧٩)
- (١٤٠) المصدر السابق: ٤٩٥/٧ (الترجمة ٢٧٨٣)
- (١٤١) المصدر السابق: ١٤/٨ (الترجمة ٢٨١٦) السعادي الضوء اللامع
- (١٤٢) المصدر السابق: ٦٦/٨ (الترجمة ٢٩٣٢)

المصادر والمراجع

- ١- ابن الأثير ، محمد بن عبد الله القضاي ، تحقيق ابراهيم الأبياري الطبعة الأولى دار الكتاب المصري القاهرة دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ١٤١٠هـ / ١٩٨٦م
- ٢- ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى الأنصاري ، الصلة، تحقيق ابراهيم الأبياري ، الطبعة الأولى ، الطبعة الأولى دار الكتاب المصري القاهرة دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م
- ٣- ابن تفرج بردي ، جمال الدين أبي الغساس يوسف الأتابكي ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٣هـ / ٢٠٠١م
- ٤- ابن الدماطي ، أبي الحسين أحمد بن أبيث بن عبد الله احسامي ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للبغدادي ، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت لبنان ٢٤١٧هـ / ١٩٩٨م
- ٥- ابن الحروري ، شمس الدين أبي خير محمد بن محمد ، عتبة اليدبة في طبقات القراء عني بشره ج برحسترار طبع لأول مرة عني نسخة انشر في مكتبة الخانجي بمصر ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م
- ٦- ابن الجوزي ، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا راجعة وصححه نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت لبنان
- ٧- ابن خلكان ، أبي العباس أحمد بن محمد ابراهيم بن أبي بكر ، وفيات الاعيان وأبناء الزمان ، حققه د يوسف علي طويل ، د. مريم قاسم طويل ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م
- ٨- ابن أبي شامة ، محمد عبدالرحمن بن إسماعيل ، النبيل على الروصتين تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ترجم للمؤلف محمد زاهد الكوثري ، عني بشره السيد عزت العطار الحسيني ، الطبعة الثانية دار الجليل ١٩٧٤ م

٩- البغدادي ، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ، تاريخ مدينة السلام " تاريخ بغداد" ، حققه وصبط بنصه وعلق عليه د. بشار عواد معروف الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

١٠- الدماغي ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري ، معالم الإيمان في معرفة أهل القرون ، أكمته وعلق عليه أبو الفصل أبو القاسم بن عيسى بن يحيى التوحلي ، حققه وعلق عليه الشيخ محمد الخدوب و د عبد العزيز الخدوب طبع وشره المكتبة العتيقة تونس

١١- الذهبي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام ، حققه وصبط بنصه وعلق عليه د بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

١٢- الذهبي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، تذكرة الحفاظ ، وضع حواشيه الشيخ عمرات ، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

١٣- الذهبي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء حققه مجموعة من العلماء الفضة السادسة مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ١٩٨٠م

١٤- الذهبي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، طبقات القراء تحقيق د. أحمد حاك ، الطبعة الأولى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

١٥- الذهبي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، معرفة انفراد الكبار على النطقات والأعصار ، تحقيق د. طيار آنتي قولاج استانبول ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م

١٦- الرازي ، أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الخططي ، المروج والتعديل ، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بمبدر آباد الدكن الهند ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م

١٧- السحاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، الصوء اللامع لأهل القرون التاسع ، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان .

١٨- السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، التحفة الطيبة في تاريخ المدينة الشريفة عني بطبعه ونشره أسعد طرابروني الحسبي ، مطبة دار نشر الثقافة القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

١٩- السلمي ، ابو طاهر أحمد بن محمد السلفي ، معجم السفر قدم له وحقق نصوصه وعلق عليه وعمل فهرسة د. شير محمد زمان ، الطبعة الأولى مجمع البحوث الإسلامية الجامعة الإسلامية إسلام آباد باكستان ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

٢٠- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، الوافي بالوفيات ، الطبعة الثانية ، اعتناء هلموت ريتز ، جمعية المستشرقين الألمانية ألبرت ديتريش وهانس روبرت رومر ، دار الشرقرانز شتايغ فيسبادن ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

طبعة ثانية تحقيق أحمد لأربازوط ، تركي مصطفى الطبعة الأولى ، دار أحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

٢١- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، اعتناء عصير واعوان النصر ، تحقيق فالح احمد البكور دار الفكر بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م

٢٢- الصبي ، احمد بن عمرة ، بغية المتلمس في تاريخ أهل الاندلس تحقيق ابراهيم الأبياري، الطبعة الاولى دار الكتاب المصري القاهرة دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ١٤١٠هـ/١٩٨٩م

٢٣- الفاسي ، تقي الدين محمد أحمد الحسي المكي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق محمد حامد الفقي ، الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م

طبعة ثانية بتحقيق وتعليق محمد عبدالقادر أحمد عطا الطبعة الاولى دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

٢٤- المعري ، ابن العماد الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحفي بن أحمد بن محمد ، شذرات الذهب في أحوال من ذهب ، ، أشرف على التحقيق عبدالقادر الأربازوط ، حققه محمود الأربازوط ، الطبعة الأولى دار ابن كثير ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م

- ٢٥- العسقلاني ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن ححر ، إساء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة بروفور السيد عبد الوهاب الحناري ، الطبعة الاولى . دار الكتب العلمية بيروت لسان ١٤٠٦هـ / ١٩٨١م
- ٢٦- العسقلاني ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن ححر ، الدرر الكامنة دار إحياء التراث بيروت
- ٢٧- العسقلاني ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن ححر ، لسان المبران ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الأعلمي بيروت لسان ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م
- ٢٨- الحسي ، عز الدين أبو القاسم أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ، صفة الكملة لوفيات النقلة ، علق عليه أبو يحيى النكدي نسخة لأولى . دار من حرم بيروت لسان ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م
- ٢٩- المقرئ ، أحمد بن محمد المنمائي . نفع الطب من عصر الاندلس الرطب ، علق عليه د. مريم قاسم طوب و د يوسف علي طه بل نسخة لأولى دار الكتب العلمية بيروت لسان ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م
- ٣٠- المقرئ ، أحمد بن علي بن يحيى . درر معنود أغريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، حققه وعلق عليه د. محمود الحليلي الطبعة الاولى دار العرب الاسلامي ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م
- ٣١- المنذري ، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي ، حققه د. بشار عواد معروف الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م
- ٣٢- النجم بن فهد ، حار الله بن العزيز المكي ، بيل امي بديل منوغ القوي لتكملة بخاف الورى ، تحقيق د محمد الحبيب أهيلة ، الطبعة الاولى مؤسسة العرفان للتراث ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م
- ٣٣- النافعي ، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليممي النكي ، مرآة الحبان وعبرة البقطان في معرفة مايعتبر من حوادث الرمان ، الطبعة الثانية دار اكتاب الاسلامي القاهرة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م
- ٣٤- النوسي ، قطب الدين موسى بن محمد ، ذيل مرآة الرمان ، الطبعة الثانية ، المعارف الحديثة للطباعة والشر القاهرة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م

الطرق الصوفية بإقليم توات وغرب إفريقيا خلال القرنين ١٨-١٩

لقد مر التصوف بعدة مراحل منذ من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ، ويمكن أن نلخصها على النحو التالي

المرحلة الأولى : وقد بدأت هذه المرحلة بعنبراف رجال الصوفية بوجود طريق محدد إلى الله سبحانه وتعالى ، ويتطلب هذا الطريق الصلاة والدعاء ، وذكر أسماء الله الحسنى. وتعد هذه المرحلة بمثابة العصر الذهبي، لأنها انحصرت على الشيخ وتلاميذه، الذين يتفلقون من مكان إلى آخر دون أن يؤسسوا نظاما معينا.

المرحلة الثانية . وهي التي اتسع فيها نطاق التصوف نظرا لانتشار الإسلام شرقا وغربا وازداد نشاط الطرق الصوفية، وظهر عدد من العلماء البارزين أمثال الشيخ عبد القادر الجيلالي والشيخ أبو حامد العراقي. وقد اتسمت هذه المرحلة بتطوير نظام التدريس في الطرق الصوفية. وظهر أقطاب جديدة من الطرق الجماعية لإغراء الناس على قبول الطرق.

المرحلة الثالثة: تشهد هذه المرحلة توسعا في المجال الروحي لشاهير الصوفية بنظيما لها الحالية، وانتشار الطرق بشكل واسع، وتحويل الولاء لشيخ الطريقة، وقد ازداد عدد الطرق وازداد نشاط الطرق في القرن السادس عشر كرد فعل للاستعمار الأوروبي، ومحاولات تطويق المسلمين وطردهم من ديارهم والصراع الذي دار بين الطرفين على سواحل أفريقيا الشمالية وغربها.

لقد أصبحت الصوفية تمثل نشوة دبية اتخذ منها المجاهدون في السدين الاسلامي وسيلة لتقرب إلى الله، والدعوة إليه لمواجهة الأخطار الاستعمارية التي أحاطت بديار الإسلام.

تقوم الحياة الروحية بمطابقة تواتر والأزواد على حركة التصوف التي نشرها الطرق الصوفية هذا وأن التصوف^(١) عبارة من ذهب منظم يشير إلى مراتب صوفية مختلفة ويسدل على الحقيقة في محاولة محاسة النفس على الأفعال وفهم الآداب خاصة به، وقد مر التصوف الإسلامي بعدة مراحل حيث كان أوله زهداً في الدنيا وانقطاعاً لمادة الله عز وجل ثم صار حركات ومظاهر جانبية من لروح والعادة ثم تحول إلى الخاد وحروح عن دين الله وقد عبر عن هذا التحول أحد كبار الصوفية^(٢) حيث قال « كان نقوم بإشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حركات »، وقد تشعبت الطرق للصوفية وأصبحت تنسب إلى أقطاب هذه الطرق وأهم الطرق الصوفية بإقليمي تواتر والأزواد الطريقة القادرية و«نوساوية» والشيخية والبيحانية.

أ) الطريقة القادرية: تنسب الطريقة القادرية إلى الشيخ محمد محي الدين عبد القادر بسن أبي صالح المولود بمدينة حيلان في مارس ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م والذي جاء إلى بغداد عام ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م ودرس مذهب الإمام أحمد بن حنبل لكنه ترك الانضمام إلى المدرسة النظامية التي كان يشرف عليها الشيخ أحمد العراقي، بعد وفاة أخيه أبي حامد العراقي ويقال أنه لم يمتنع أي فكر صوفي حتى حضر إلى مدرسة أبي الخير حمد الدباسي المنصوي ٥٢٦هـ / ١١٣٩م وقضى عند القادر الجليلاني خمسة وعشرين عاماً يتجول في صحراء العراق وفي عام ٥٢٩هـ / ١١٢٧م عندما كان قد تجاوز الخمسين عاماً صار من أشهر العلماء في بغداد على الطريقة الخبلية وكان يلبس لباس العلماء ولبس لباس المتصوفة ثم بي مدرسة لنفسه عام ٥٢٨هـ / ١١٣٥م اشتهر بورعه وتقواه لكن لم يصمم أحد إلى طريقته طوال حياته وبعد

وفاته بدأ بعض الناس يسرون على نهجه و استطاع أبازة نشر مذهب والدهم الذي يتسم بالولاء والإخلاص والطاعة والتواضع وصارت أوراد الطريقة القادرية تلقى قبولاً لدى عدد من الاتباع وأحد تلامذته على عاتقهم نشر مذهبه في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي حيث انتشر في القارة الإفريقية وعلى وجه خاص في شمالها فقد سيطرت الطريقة الصوفية القادرية في مراكز على الحياة الدينية والاجتماعية خلال القرون الموالية بعد دخولها^(٦) وأصبح الشيخ علي الكفي قطعاً للطريقة القادرية عندما أسقلت قبائل كتنة في القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي إلى واحات توات وحلوا معهم الطريقة القادرية وفي هذه الواحات انتشرت الطريقة القادرية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي وكان شيوخ الكتنة يزورون برنو ينمون الطريقة القادرية^(٧).

٥

وفي عام ٩٥٧هـ - ١٥٥٠م بدأ أفكار جديدة تؤثر على الطريقة القادرية في وسط السودان وغربه ، جاءت هذه الأفكار من الشرق عبر مصر وتركيا و ظهر الشيخ السروق الذي يعتبر من أهم رجال الطريقة في تونس ومن هذه المدينة سبغت أفكار وآراء الشيخ السروق إلى الشيخ المحمد الكبير الذي ساعده بشدة على نقل مذهب الطريقة القادرية إلى جماعة الغولاني في بلاد الحموس^(٨) ، و سبغت الطريقة بعد ذلك إلى مشيخة البحر حيث ساعد الفقيه محمد الأنصاري على نشره وفي أوائل القرن ١٢ هـ - ١٨م قدم عشر ميلادي أسس شيوخ الكتنة مدينة مبروك التي صارت مركزاً لنشر الطريقة القادرية و ظهر بين جماعة الكتنة عدد كبير من الفقهاء الذين صارت لهم الرعاية الدينية في القرن ١٣هـ - ١٨م وتوسعوا خارج الحدود القبلية و ظهر عدة شيوخ حملوا لواء الطريقة القادرية تعليماً وتالياً وممارسة^(٩).

فقد ظهر من أهل المنطقة مشايخ اتصفوا بالكمال من الناحية الدينية والروحية فحاربوا على مراتب بين قبائلهم وأوكلت لهم مهمة الإنشغال على الطريقة القادرية ففسقوا بسبب المريدية وأحبوا المسابقات وأدخلوا الطريقة القادرية العديد من الأقطار فقد استطاعوا على طريق تكوين (مقدمين)^(١٠) مهمتهم نشر الطريقة حسبما جرت به العادة إذ يكلف المقدم وحليفه بالعمل مباشرة بعد ما يتسلم سجادة أو سبعة أو عكار الشيخ الذي يأخذ عنه الورد^(١١) و لقد قسم الشيوخ المرتبطون بالطريقة القادرية إلى قسمين القسم الأول وبمثله فمن كان يغطي بمهمة كبيرة لدى العامة تنسب لهم كرامات وأحوال كانت محل تصديق الجميع وقد جمع

أصحاب هذا الصف بين التصوف والتأليف والتعليم والفتوى وهذا عملهم تركوا أعمالاً جليلة في الدعوة للطريقة القادرية بالمناطق التي عاشوا بها وهاذبة لهم مثل الشيخ مختار الكبر الذي عرف بعلمه وتأليفه العديدة في علوم الشريعة وعمقه في الطريقة فقد ألف فيها كتاب اسمه الكوكب الوقاد ونظراً لأهميته في الطريقة لال فيه (يجب أن يسمى أسماء كثيرة وكثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى) تناول في بداية مخطوطه أسس الطريقة القادرية ومؤسساها فذكر كرامات ومزايا ورده بالإضافة إلى فصل الأذكار وأهميتها في الحياة الدنيا والآخرة^(١١) وهذا وقد ترك الشيخ المختار الكبر العديد من النصايف في الأذكار أبرر من خلالها مناصح التربية الصوفية السليمة كما يراها هو « تلك المينة على عنصر اغية وبقسمها إلى قسمين رئيسين : اغية المفروضة وتمثل في امتثال الأوامر وعدم ارتكاب المعاصي وأي تقصير في الواجبات معناه الوقوع في المحرمات والتقصير في العبادات وعلى كل مبدء أن يوازن ما بين الساجدين حتى يستطيع أن يدرك غية المفروضة ويقسم الثاني اغية المستبوبة التي يصلها كل من حقق القسم الأول (اغية المفروضة) وأعطاهما جميع حقوقهما عندها يدخل المريد في المرحلة الثانية من الغية المرتكزة على قيام بنوحات ثم الوافل والابتعاد عن المحرمات مع عدم الوقوع في الشهوات^(١٢) » ويعتبر الكون أكثر شيوخ المنطقة إسهاماً في علم التصوف بصفة عامة وبطريقة القادرية بصفة خاصة نجى ذلك في رسائله ولسانده وكتب للشيخ المختار الكبر قصيدة في السلسلة القادرية ونازلة في التصوف وإجازة في الأوراد والأحزاب^(١٣) وإجازة في الورد ورسالة إلى أحد مریديه ، ومثله الشيخ محمد بن الشيخ المختار الكبير الذي ترك إجازة في الأوراد والأحزاب القادرية ومخطوطاً في الأدعية والأذكار وقصيدة الإبتهاال وجواباً على ثلاث مسائل في الورد القادري وقصيدة في الأدعية والتوسل وهذا فقد تقارنت هذه المصنفات^(١٤) في محتوياتها وعدد صفحاتها إلا أن القاسم المشترك بينها إضافة تراث وإثراء هذه الطريقة العربية المنتشرة في إقليم توات والأزواد.

والقسم الثاني من شيوخ الطريقة يدرج تحته صنفاء من الشيوخ الذين اشتهروا بالرهد في الحياة وكثرة الأذكار وخدمة العامة واشتهروا بالكرامات ومواقف حالات و اكتفوا بالعبادة والأوراد ولم يتركوا مؤلفات في ميدان الأدب أو الفقه وإنما خلست أسمى أهم في الذكرة الشعبية بتوات والأزواد نظراً لما اشتهروا به من أعمال خيرية خدموا بها للصالح العام

و ألفوا حياتهم في الزهد وصحوا بأموالهم و أعمارهم في سبيل الإصلاح كإصلاح ذات البس و إعانة الفقراء و المحتاجين في الروايا التي أسسوها و ساهموا في تسييرها لتؤدي دورها الحيري لكل المسلمين و أبناء السبيل و بعد وفاقهم حُلدت قبورهم بأصوحة و ربارات سوية يتوالده الناس القاصي والداني من أبناء منطقة الأزواد و توات و هكذا نجد أحسرة هؤلاء الشيوخ و زيارتهم معروفة و مشهورة من أكبرها زيارة الشيخ عبد القادر الجبلاني

الطريقة التيجانية :

احتلت الطريقة التيجانية المكانة المرموقة في الوسط التواتي و الأراواذي و هذا ما يتوجب التعريف بها لكونها من الطرق الصوفية المنتشرة في القارة الإفريقية خاصة في الجزء الغربي منها و تنسب إلى الشيخ أبي العباس بن أحمد بن محمد بن محار الحجابي الذي ولد في قرية عين ماضي بالاغواط بجنوب الجزائر عام ١١٥٠هـ - ١٧٣٧^(١٢)

وفي عام ١١٧١هـ - ١٧٥٧م سافر تيجاني إلى فاس لبحث عن شيوخ الصوفية في هذا المركز الديني ، و هناك درس الطرق الصوفية ثم ذهب إلى قرية الألبص على مشارف الصحراء ، حيث استقر في زاوية سيدي عبد القادر بن محمد ، و مكث بها خمس سنوات استغل بعضاً منها في التدريس .

وفي عام ١١٨٦هـ - ١٧٧٣م بدأ الشيخ التيجاني رحلته إلى الحج التي واصل فيها متابعتها للطرق الصوفية حيث توقف ، ودرس بقرية أيت اسماعيل في بلاد القبائل رار فيها الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان الأزهري و أخذ عنه الطريقة الرحمانية الخلواتية^(١٣) ثم قضى عاماً في تونس حيث درس كتاب ابن عطاء الله السكندري (كتاب الحكم) ، و حقق نجاحاً في تدريسه لدرجة أن القائم على حكم تونس (١١٧١هـ - ١٧٥٧م ١١٩٧هـ - ١٧٨٢م) طلب منه البقاء في تونس لتدريس في مسجد الزيتونة و أغراه بالمال و المسكن الفاسح لكن الشيخ التيجاني رفض و قرر مواصلة رحلة الحج و وصل إلى القاهرة و بدأ البحث عن شيخ الطريقة الخلواتية ، و التقى به ، و تعلم منه الكثير من مبادئ الطريقة ، و أحياناً وصل إلى مكة في يناير ١١٨٨هـ - ١٧٧٤م و اتصل هناك بشيخ هدي يدعى أحمد بن عبد الله بواسطة خدمه و بعد شهرين من هذا اللقاء مات الشيخ ورث التيجاني عنه تعاليم الطريقة الصوفية^(١٤) و في

طريق العودة إلى بلاده توقف الشيخ النجاشي في القاهرة حيث لوجه الشيخ محمد الخبصري في سحر تعاليم اخلاوية في شمال إفريقيا واتجه أحمد النجاشي إلى فاس بدلاً من مدية عين ماضي، و في عام ١١٩١هـ - ١٧٧٧م اتجه إلى تلمسان بالجزائر مرة أخرى بسبب عودة الحاكم العثماني بالأغواط ثم انتقل إلى جبال قصور بقرية بوسمغون جنوب غرب البيض سنة ١١٩٦هـ - ١٧٨١م حيث استقر بها مدة ثلاث سنوات زار خلالها إقليم عين ماضي و بوحوده في بوسمغون كثر مرهبوه وقصدته الوفود من جميع أنحاء الصحراء^(١٧) حيث واصل سحر تعاليم الطريقة الصوفية حتى وافته المنية عام ١٢٣١هـ / ١٨١٥م

لقد ظهرت مبادئ الطريقة النجاشية من خلال مؤلفات بعض الأتباع وعلى رأسهم ابن عربي في كتاب جواهر المعاني و بلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس النجاشي^(١٨) وانتشرت الطريقة النجاشية في غرب إفريقيا بفضل جهود الخاخ عمر القوي الكرووي (١٢١٠هـ - ١٧٩٥م / ١٢٨١هـ - ١٨٦٤م) الذي تلقى وردها عن أيدي الشيخ عبد الكريم بن أحمد العيل الفوتا جاناوي و قد وضع الخاخ عمر أسس هذه الطريقة في كتابة الزماح (زماح حزب الرحيم عن غور حزب الرحيم) الذي يتكون من خمسة و خمسين فصلاً إلى جانب المقدمة و الخاتمة و يتناول الكتب عدة أمور من تشجيع على سنوك الطريقة النجاشية و الحديث عن معنى الوحد عند تصوفية و يعتبر النجاشيون هذا الكتاب المرجع الأساسي للطريقة النجاشية^(١٩).

الأوراد : تقوم الطريقة النجاشية على أوراد عديدة تشمل الوظيفة و الورد المعلوم .

ورد في المصادر النجاشية ، أن الشيخ النجاشي لم يدرك مرتبة القبطانية إلا في شهر محرم من عام ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م أي بعد سنة من هجرته واستقراره في فاس ، و بعد شهر من ذلك ، ارتقى إلى المقام الأحدي المسمى بمقام الختم و الكتم^(٢٠) و قد تحدث الشيخ النجاشي عن المقام القبط هو وصفه بقوله " إنه أفضل جماعة المسلمين في عصره " ثم ذكر الختم فقال " إن أكمل العارفين و هو القبط الكامل لا تتحلى له حقيقة الكبرياء إلا بعد بفرغه المرتبة العليا حيث مراحل سحر الطريقة النجاشية حتى واجته السنة عام ١٢٣١هـ - ١٨١٥م مدية فاس بمعنى أن مرتبة القبطانية و إن أدركها بعض من سبقوه من الأولياء فإنه لا أحد أدرك أعلى مراتب القبطانية لا من قبله ولا من بعده لأن هذه المرتبة هي غنم الولاية و تسمى أيضا بالمقام الغمدي ، و مقام

الحتم في القطابة هي غاية الغايات ولا يتركها إلا شخص واحد ، و هو الذي لا يكون بمسدة
لغيره ^(٢١) ، و يستند النجانيون في تأكيد هذا المقام لشيحهم بأن رسول الله عليه الصلاة و السلام
هو الذي أعمر شيحهم بذلك .

و عندما يناقشون هذه المسألة في كتبهم يقولون حجتهم بما رواه الشيخ ابن عربي في كتابه
الفتوحات الملكية " و عنفاء مغرب " من أن " قطب الأقطاب " و " خاتم الولايات " مسطر
مخدبة فاس ، و من علاماته الإنكار عليه ، هذه الرواية يرى النجانيون أنها تصدق على شيحهم
الذي بلغ هذه الرتبة و هو بفاس و تنفى الكثير من الإنكار

و بما أن الطريقة النجانية افردت هذه المراتب لهما في نظر أتباعها تسمو على جميع الطرق
الأخرى ، و هو ما أثار جدلا كبيرا و أدخل الطريقة النجانية في صراعات عقائدية دفعت خصوم
النجانية من السلفيين و حتى من أصحاب الطرق الأخرى إلى التهم النجانية بالضللال

و إذا عدنا إلى من دافع عن الطريقة النجانية بحسبهم ينقسمون إلى مشددين بالعوا في تحديد
النجانية إلى درجة أنهم اعتبروا ما لا أدى أكثر مما خدمها ، بحجة معالمتهم فأنحاءوا بذلك الفرصة
لغيرهم لإعطاء المينة و "الحجج" المدعاة على أن النجانية خارجة عن الشرع مستندين في ذلك
مصادر الطريقة مثل " جوهر المعاني " و " إلهاده لأحمد " و غيرها

فكثيرا ما يقف خصوم النجانية على مورد في " جوهر معاني " من أن فصل تلاوة " صلاة
الفتاح " مرة الواحدة فيها تساوي من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء
كثير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة ^(٢٢) واعتبروه كفر يعني التبرؤ منه لا سيما و أنه
ينسب إلى النجاني في كتاب " حواهر المعاني " قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
الذي أمره بتلاوة " صلاة الفاتح " و أخبره عن فصل هذه الصلاة و أن هذا الورد آخره لسه
الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لأصحابه رصوا الله عليهم أجمعين . الأمر الذي جعل
خصوم النجانية يعتبرونه اقراء على الله ورسوله ، بل مروق و خروج عن الدين ^(٢٣)

أما المعتدل من اتباع الشيخ النجاني لا سيما المتأخرين منهم ، حاولوا في الكثير من كتاباتهم
تبرير و نفي ما جاء في مصادرهم و اعتبروه دسأ مقصودا الهدف منه التشيع بشيخ الطريقة
وهو في نظورهم برئ من كل ما تيب إليه و اعتمدوا على مقوله "إذا سمعتم عني شيئا فرتوه
بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فتركوه" ^(٢٤) .

و يصحده في ورده على :

أولاً الوظيفة : وهي قراءة فاتحة الكتاب ثم صلاة الفاتح : (اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق و الخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق و اهادي إلى صراطك المستقيم إلخ بعد بشرع في ذكر الوظيفة) استعثر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم سبحانه ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين مائة مرة ثم ذكر الجوهرة وهي مدح النبي صلى الله عليه وسلم إحدى عشر مرة و من لم يحفظها يأتي بها ليلاً عشرين مرة مع دعاء الفاتح و تحتم الوظيفة بالآية الكرمة ﴿ إن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾^(٢٤)

ثانياً . الورد المعلوم أن تستغفر الله مائة مرة ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم و تذكر (لا إله إلا الله مائة مرة) و تحتم ذلك بالآية ﴿ إن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾

ثالثاً : الميزة تذكر مرة في الأسبوع يوم الجمعة ما بين عصر و المغرب و هي كما يلي : (لا إله إلا الله) من مائة إلى ألف و سمائه و تحتم بدعاء ثقافت و يتدرس المتحاليون أوراد الطريقة بشكل هادئ و لا يفعلون بالدعاء شيء مديح بل يحسون في دكرة و بشيئون الأذكار مرة كل جمعة بعد العصر و ازداد انتشار الطريقة النجابية في الدارة الإفريقية^(٢٥) و من العوامل التي ساعدت على انتشارها ذلك التكالب على الثقافة الإفريقية من جانب الأوروبيين و ما أعقبه من قيام الإدارة الاستعمارية بتحشيع رجال الصوفية بالذل و بسط النفوذ من أجل تشويه صورة الدين الإسلامي عن طريق نشر البدع و الحرفات التي تعوق المسلمين عن مقاومة المستعمر الأوروبي ، عرف الأوروبيون رغبة رجال الصوفية في الحصول على المال و النفوذ ، فراحوا يفلتون هذه الروح حتى قل جوليان بأن حكومة فرنسا قد عرفت كيف تجمع التصفوة حولها عن طريق التمويل و الحماية .^(٢٦)

ولقد ساعد هذا التمويل على انتشار الطريقة النجابية في أحرار كثيرة من شمال افقارة الإفريقية و وجد فيها الفرنسيون وسيلة للتفريق بينها و بين الطرق الأخرى حتى لا يتحد المسلمون و يفعلون صعباً واحداً أمام محاولات فرنسا لتفريب هذه المناطق و لعل هذه المناظرة ما بين النجابية و القادرية تطهر طرفاً من تلك الصراعات التي كانت في حوض الجزائر بعين ماضي ثم ألفت بظلالها في غرب أفريقيا .

المناظرة الصوفية ما بين التيجانية والقادرية :

سبق وأن تعرضنا للطريقة القادرية و الطريقة التيجانية من حيث تأسيسهما و أروادهما وأعمالهما إلا أنه ظهرت ما بين المريدين لكلتا الطريقتين مناظرة أحدها طرفاها من الأرواد بالضبط من غمكتو ويمثل الطريقة القادرية و الطرف الثاني بالمغرب و بالضبط مدينة فاس وقد تعدت مناظرهما حدود هاتين الرفعتين بحيث تحمس كل طرف إلى طريقته وقادها مدينة فاس أحمد أكسوس

و دفع عنها بقلمه وقد حفظ لنا التاريخ جانباً مهماً من ثقافة العصر التي كتب بها كل طرف عن طريقته و س تناول في البداية التعريف بأحمد أكسوس (١٢١٢هـ - ١٢٨٤هـ) هو أبو محمد بن أحمد ولد في قبلة أدا وكسوس في سوس (١٢١١هـ - ١٢١٢هـ) و هذا مشأ إلى أن بلغ الثامنة عشر من عمره فتوجه إلى فاس لإتمام درسته و أخذ عن أكابر أساتذة ذلك العصر .

فدرس السحر والتنجيم و التصوف فمما شغل عني عهد السلطان مولاي سليمان عسى التوالم مصب الكاتب و أن ربح كنهه بك ما يبيع السنن الحسد مولاي عبد الرحمان و أنقى به في السجن و بعد أن أطلق سراحه استمر عمر كثر ولم يبددها حيث عاش عيشة رهد و تفشت طوال عهد مولاي عبد الرحمان وولده محمد و أوائل ملك مولاي الحسن ، وقد فقد بصره في أواخر حياته و أذكرته ليلة يوم ١٤ فبراير ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م و دفن خارج باب الرب بمراكش^(٢٧) .

لقد عثرنا على العديد من الوثائق التي احتفظت بهذه المناظرة بعضها في شكل رسائل ستقدمها و بعضها في شكل كتب مطبوعة ومخطوطة مقروءة و الآخر في شكل شعار

أولاً الرسائل :

رسالة^(٢٨) أحمد البكاي إلى أهل مراكش يتندى هذه الرسالة بالبسملة و السلام وهي موجهة إلى مقدم الطريقة القادرية بمراكش مولاي أندني العلوي الشريف و السيد عبد السلام بن الطاهر و مولاي الكبير بن مولاي الطائع جاء في الصفحة الأولى حسب قول الكاتب أنهم ذكروا عبد القادر الجيلاني سلطان الأولياء ثم ذكروا أنه لا مثيل لتيجاني أما الصفحة الثانية

يرى أن التيجانيين يدعون أن من أحد وردهم يحصل له المال والفقر ويكون يوم القيامة في عيسى ثم يرى أن أحمد البكاي أن طريق الأنبياء والأولياء ليست مبة على طلب المال و في نفس الوقت يرى التيجاني أنه لم يدع للترية وإنما ادعاها له أصحابه بعده طلباً لذنيا وفي الصفحة الرابعة يطلب منهم كثرة التواصل والترار في كل وقت وإلا ففي كل يوم أو في كل يومين أو ثلاثة أو في أسبوع و يطلب منهم أن يكون اللقاء يوم الإثنين والخميس ويستشهد بحديث في الموطأ (٢) تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مسلم لا يشرك بالله شيئاً إلا رحل كانت به و بين أخيه شجاء ليقال اضربوا هذين حتى يصطنعا (٣) وفي النهاية طلب من مراده أن يبلغه تحياته ويدعوه للطريقة القادرية وفي نفس الوقت لا يترك الورد التيجاني فإنه ذكر إن أحب أن يستغني عنه بذكر آخر استغنى و إنشاء أضافه إليه و يطلب منهم أن يبلغه على أنه سيكتب له

ولم تقتصر المظرة بهما بالرسائل فحد كل طرف بعمل ما في وسعه من أحسن التعريف بمصانص طريقته وما يشتمل عليه من أذكار ودعية تدور بها الطريقة الأخرى ولم يقتصر الأمر عند كتابة الرسائل والورد عليها بل وصل إلى أن كل طرف بدأ بتدوين لطريقته و يرد فيها على الطريقة الأخرى فقد حصلت لنا هذه المناظرة بالمحفوظ المسمى بالحوار المسكت في الرد على من تكلم في التيجانية بلا تقيت .

علمنا و أن هذا المصدر يحتوي على عدة فصول تعرض للرد على أقوال الشيخ أحمد البكاي وقد تناولنا فصلين بالنقد ففصل مفاده أن التيجاني ليس من أهل التربة وقد تناول هذا في الصفحة الخامسة والأربعين ، كما تناول في هذا المصدر أن التيجاني غي أصحابه عن زيارة الأولياء الأحياء والأموات وهذا ما تناوله في الصفحة الخمسين من هذا المصدر علماً و أن هذين الفصلين من نقاط الاختلاف ما بين التيجانية والقادرية و في نفس الوقت عثرنا على رسالة (٤) أحمد البكاي إلى أكسوس تفتح بالبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ورد في الصفحة الأولى الحمد لله الأمر بالتواصل والإحسان وفي الصفحة الثالثة يقول أحمد البكاي إنما كذب على التيجاني رحمه الله حيث لم يراهم كذبوا عليه و أنه لا يريد أن بغض منتسباً إلى الله ولو كان كاذباً ، انتهى في شوال ١٢٧٠ هـ - ١٨٦٣ م صفحة اثنين وعشرون .

يا كتابي لأحمد قبل يديه * بدلاً من لمي فعيه احتشام

جوابه ^(٣٦) أحمد أكتسوس عن أحمد البكاي طوبل :

يبتدى الجواب :

رعت بعدما أبذى ماسمه الصحر * ورال عن الإشراق من لبلة الححر

أسيدما البكاي باس إذا بدا * بحياه حيسنا الشاشة و البشر

فهذا الجواب يبتدى . من النصفحة الحادية عشرة و مائة إلى أربعين و مائة أي حوالي تسعة و عشرين صفحة وقد أحترنا أبياتاً من الصفحة الثالثة والعشرون ومائة .

إذا لم تذق ما ذاقك الناس في الهوى * فبالله يا حالي الحشا لا تعقا

فإن لم تدرك المعنى و تدري * حذرنق بلا قول فلا تعلمي

ومن حصر السماع بغير قلب * ولم يطررب فلا يلم المعني

و إن تك عاذلاً لا جهنم فبري * فدع عنت الملا و حل عني ^(٣٧)

و يقول له وقد قبل إن لمقرأ بالذبت كأنه غفل

كتب ورسائل الطريقة النيجانية

تعددت كتب ورسائل الطريقة النيجانية التي عبرت من خلالها عن أفكارها و مؤلف ردت بها على حصومها فهناك الرسالة المشهورة ^(٣٨) المسماة بالجواب المسكت و هي في الرد على من تكلم في الطريقة النيجانية بلا ثبت فقد ورد في الصفحة العاشرة * و لسنا أنكم تقولون الباطل حاش لله لكن المظنون هم الذين ملغوكم غير الحق و قصينم بما سمعتم * و يقول له أحمد أكتسوس :

و دعوتي وزعمت أنك ماصحي * و لقد صدقت و كت أمياً

و عرضت دياً لا محالة أنه * ومن غير أدبان الربة دينساً

و يحتوي هذا الكتاب على عدة فصول نذكرها :

فصل يرد فيه على قول البكاي * إن النيجاني ليس من أهل التربية * فصل فيه في النيجاني أصحابه عن زيارة الأولياء الأحياء و الأموات .

فصل في الشيخ سيدي أحمد البكاي الذي أرسل كتاباً لأكسوس وأفشاء الرسول قبل وصوله إليه فاقبلت نصيحة فضيحة .

فصل يهدد فيه البكاي و يعتلوه أيضاً .

يقول أكسوس لا تطعموا أن قنبوناً و بكرمكم و أن تكف الأذى عنكم تؤذونا .

يقول ها أنا أقف عجزاً و إعياء .

يا كاتبي بالله قبل يديه • بدلاً من فمي قضيه احتشام^(٣١)

رد الشيخ أحمد البكاي و لكن حسب رواية ساعته يرى أنه نسخة^(٣٢) أحمد البكاي لم تصل إلى أحمد أكسوس بسبب وفاة أحمد البكاي ١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م. أما فهرس المخطوط فيقع في آخر المخطوط وبه تسعة وعشرون صفحة وقد احترت بعض عناوينه. كتبوا كتابهم أي جوهر المعاني فمرفقه ولم يرصه ذلك دليل على صلاحه لما تضمنه من الكسوفيات بالتصريح و التلميح . و استمر أكسوس إلى أن قال رعوها أن الاجتهاد انقطع الخ إلى أن قال و العمل بالعلم هو التربية . قال البكاي رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزر أباً بكر ولا عمر ولا علياً ولا عثمان و لم يختصر محاسنهم فيزور و يختصر لي محسن النجاشي و سيدي محمد بن أحمد أكسوس أني أكذب ضماً و أعده و طفق يعاتب علي من يتصور هذا في عقله و عاتب سلطان وقته .

- أتدري ما هي القصة أن النجاشي جاء إلى الغرب وقد كل علمائه و اشتغلت أمراؤه و كثر الجهل في أهلهم فادعى لهم دعاوى و أمنهم أماني .. الخ إلى أن قال إن من كلام النجاشية أن طريقهم هي آخر الطريق فلا يأتي ولي بعده بطريقة جديدة و بحث إلى أن قال ولا أحسب أن أطول هنا إلى أن قال يا أكسوس بحق إمامك مولانا عبد الرحمان رد أحمد البكاي على الرسالة المسماة بالجواب المسكت بكتاب ما يزال مخطوطاً سماه فتح القدوس في جواب ابن عبد الله أكسوس^(٣٣).

فهذا المخطوط يتناول فيه أحمد البكاي مزاعم النجاشيين أن الاجتهاد انقطع و العمل بالعلم هو التربية و يعني ما قاله أكسوس في قوله أن الرسول صلى الله عليه وسلم يختصر إلى محاسن النجاشي من حين أنه لم يزر أباً بكر ولا عمر ولا علياً ولا عثمان أجاب فيه عالم مراكش مخطوط موحود محرر أحمد بابا بنمكتوا مكتوب بخط مفروق عواله مكتوب بحر احر و أزرق و سائر

الكتاب بحر أسود عدد صفحاته أربعمائة وخمسون صفحة. فإن الأسباب التي جعلت النيجاني في أقواله بالمغرب وهذا بحسب رأي أحمد اليكاي أنه جاء إليه في وقت قل علمائه واستصل أمره وكثر الجهل في أهله فادعى لهم دعوى وأعلمهم الأماني وجعلهم يقولون أن النيجاني هو آخر مؤسس للطرق الصوفية فلا يأتي ولي بعده بطريقة جديدة .

دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في القارة الإفريقية :

و بغض النظر عن أسماء الطرق الصوفية و مسمياتها والآراء التي نادى بها و الأفكار التي حاولت نشرها فإن هذه الطرق قد لعبت دوراً كبيراً في نشر الدين الإسلامي في إقليم توات و حوض نهر النيجر ولو حاولنا فصل هذه الطرق عن الحياة الدينية بمذنبين الإقليميين لوجدنا أن المحاولة تؤدي إلى فشل من تصدى لها و في النهاية نقل هذا الطرق باعتبارها الحاكم في الحياة الإسلامية بإقليمي توات و الأرواد رغم بعض الإدعاءات عن الاعتراف الذي أصاب بعضها

و مهما يكن فإن لكل من الطريقة القادرية و الطريقة الموسوية و الطريقة الشيعية والطريقة النيجانية أثر كبير في نشر الإسلام و تعليمه نفسه في الرواها و اكتساب القراءات و حلقات الذكر التي تكون بعد الصلوات الخمس و في أيام متعارف عليها بين مرادي الطرق الصوفية التي يكون في العادة ليلة الجمعة و في نهارها هذه اللقاءات اليومية و الأسبوعية ساهمت في جذب العديد من المريدين الجدد إليها و لرواها المتوحدة و مشترية في الإقليميين سواء للتعليم أو الإطعام من جهة أو تنظيم حياة الناس من جهة أخرى نتيجة إلى الحركة الساكنة في ذاتها المثقلة حول نفسها^(٣٧) لما لها من ثقافة و إغام روحي وزخم ديني من النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية استطاعت بها من أن تحافظ على بقائهما بإقليمي توات و الأرواد .

إلى جانب آخر هذه الطرق عرفت نقلة نوعية بسبب أول اصطدام حضاري ما بين الثقافة العربية الإسلامية و الثقافة الغربية التي كانت تفودها فرنسا خلال القرن التاسع عشر في نشر تعاليم الطرق الصوفية ، ولا ننسى ركب الحج في النقاط التي تتجمع بها الخبيج بالأرواد ثم توات و المدة الزمنية التي كان يستغرقها الركب و التي تدوم في الغالب سنة هذه أهمية تؤدي إلى تعاقل حضري بين الشيوخ و المريدين حيث كانت هذه الفترة من أشد الفترات فقد شهدت ازدهار حركة الطرق الصوفية حيث وصل عددها بالخزائر حوالي أربع عشرة طريقة بالإضافة إلى الطرق الفرعية عن كل طريقة. فكان لكل شيخ أتباعه و نشاطه الخاص وأثناء عودة شيوخ الطريقة مع ركب الخبيج ينضم له أصناف ما كان المريدين نظراً للثقافة التي تحصلوا عليها و

المقامات التي زاروها و الدروس التي سمعوها طيلة سفرهم^(٣٨) ، وقد أبدى علماء كتبة جهوداً في نشر الطريقة البكتائية بشكل واسع و أعمق بإقليم الأرواد و حوض نهر البحر فقصد ألف الشيخ المختار الكبير أكثر من ثلاث مئة رسالة عن الإسلام و المسلمين بالأرواد و غرب إفريقيا و صارت تعاليمه التي حملها طلابه من أبرز العلامات التي ساعدت على انتشار الإسلام بين الشعوب الرغبة في حوض نهر البحر و غرب إفريقيا و عندما وصلت الطريقة البكتائية إلى هذه الجماعات أصبح يدين بها أغلب الملوك و الشيوخ و استمر الإسلام في الانتشار على طول الطرق التجارية و صارت محط القوافل مصدر إشباع ديني و روحي في آن واحد^(٣٩) ومن مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي^(٤٠).

في نشر الطريقة القادرية مخطوط إحياء المنة و إحياء البدعة و مخطوط أصول الدين و مخطوط أصول الولاية و شروطها و مخطوط السلاسل الذهبية للمصادات الصوفية و مخطوط السلاسل القادرية و مخطوط بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أحوال الملة المحمدية و مخطوط تعليم الإخوان بالأمور التي كفر بها صوك السود

ARCHIVE

الهوامش

(١) أما رجال الطرق الصوفية أنفسهم حول أصل كلمة التصوف فمهم من لابل إن الصوفية اسم مشتق من الصوف بوصفه اللباس الغالب على هؤلاء المشغوفة وأنه اسم قديم وجد قبل ظهور الإسلام ، ويرى آخرون أن الكلمة مشتقة من دار الصفة وهي الصومعة التي يأوي إليها جماعة من فقراء المسلمين للإعسكاف و العادة و كان الناس يلقنون لهم ما يهتمون به عليهم من الطعام و المسائل ، وهذه الجماعة أمرها الخفية عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن حجر الصومعة فلا تآري إليها ولا تسحك فيها ثم قال كلمته المشهورة لا يسعدن أحدكم عن طلب الثروة و هو يقول اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تسطر ذهباً ولا فضة ، ولا يوجد هذا الاسم في العربية مثبلاً لا من ناحية القياس ولا الاشتقاق و الطاهر فيه أنه كالتلفظ ، فأما قول من قال أنه من العوف و تصوف إذا ليس التصوف كما يقال تقصص إذا ليس القصص فذلك وجه لكن النظم لا يقتضوا بلس التصوف ، و من قال أنهم مسمونون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة إلى الصفة لا تجي على نحو التصوفي و من قال أنه من الصفاء فاشتقاق التصوفي من الصفاء بعيد في معنى اللغة العربية و من قال أنه مشتق من الصب فليس صحيح و لكن اللغة لا تقضي هذه النسبة إلى الصب ، ثم أن هذه الصناعة أكثر من أن يحتاج إلى قياس بفظ أو اشتقاق « انظر أسواق القيسية الصغرى : الطرق الصوفية في مصر ، مسرّح من حوالب كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٥٦ و أسواق حامد الغزالي ، مختصر إسماء علوم الدين ، غريب و مكي شهاب محمد ، طبع في القاهرة ، د . ١٩٧٨ ص ٧ و أبو القاسم السبكي : إرشاد القسري في علم تصوف - بيروت المكتبة العصرية ، د . ت . ص ٢٧٩ - ٢٨٢ .

(٢) هو محمد بن موسى الواسطي من بلاد تركستان كان عبداً بالأصغر دخل حرايا و مات بها عام (٣٣١هـ) / ٩٤٢م نظراً الرسالة القشيرية للسبكي ، ص ٤٣٩ .

(٣) أحمد شفي : موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية ، الجزء ٦ ط ٤ . د . م - مكتبة النهضة ، ١٩٨٣ ص ٢١١

انظر أيضاً : عبد القادر الجيلاني : سر الأسرار و مظهر الانوار ، تحقيق خالد محمد عثمان الأزعي و محمد عثمان نصوح حر قول - دمشق : دار السنابل ، ١٩٩٤م

عبد القادر الجيلاني : المفردات الربانية في الآثار و الأوراد القدسية ، جمع و ترتيب الحاج إسماعيل بن محمد سعيد القاري ، د . م : مطبعة الباب الحلي ، د . ت

(٤) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، ج ١ . الفصل ١٧ في علم التصوف ص ٨٦٣ - ٨٨٢

(٥) عبد الله عبد الرزاق ابن عيسى : أصواء على الطريقة الصوفية في القساسة الإبريقية د م - مكتبة سدبوني ، ١٩٩٠ ، ص ٣٧

(٦) أبو نصر السراج : كتاب الجمع للقطوسي تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود القاهرة ، د . ١٩٦٠ ، ص ٨٧

(٧) المقدم في اصطلاح الصوفية يغلط على من يبوب صاحب الطريقة في منطقة من المناطق و يكون من الشيوخ المعروفين بالسعادة و إلاصهم للطريقة انظر :

Xavier coppolani , Octave Depont Les confréries religieuses musulmanes Alger Adolphe Jourdan , 1897,p 195.

- محمد بن عبد الله . الفصح الرباني فيما ينحاح إليه المرشد النحوي . د . م : مطبوعات الحاج عبد السلام ، د . ت . ب .

٣١

(٨) الشيخ محمد بن الشيخ المختار الكبي ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٩) الشيخ المختار الكبير - الكوكب الوفاة في فضائل الشايخ و حقائق الأوراد الخزانة العبادية (مخطوط) قبله ص ١١٢ .

(١٠) الشيخ المختار الكبير . الجرعة الصافية ، مخطوط خزانة الشيخ باي بلعالم أولاد ص ١٦ .

(١١) الأحراب مجموعة من الأذكار الثابتة شهروها عرب القرآن للمداومة عسى في أوقات معينة

(١٢) انظر صورة لمخطوط الكوكب الوفاة الشيخ المختار الكبير .

(١٣) السطر على حرام من غير ردي و موقوف الأدي في لسان النحاس النجدي ، ج ١ السابعة مصطفى التلياني الخليلي ، ١٩٢٧ . ص ٢٩ .

(١٤) محمد بن جعفر الكبي بسورة الأندلس و بحادة الأكراس فيمن قر من الدعاء و الصلوات بقسطنطينية طبعه حجرية ، للكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم ٩٥ . ص ١٨٢ .

(15) Louis Rinn Marabouts et khouan etudes sur l'islam en Alger . Alger · Adolphe Jourdan, 1884, p 418.

(16) Eugene Daumas Le Sahara Algerian etudes geographiques statistiques et historiques sur la region au sud des etablissements francais en Algerie . Paris : s.n., 1845, p 34.

(١٧) عبد الكريم الططار تاريخ الطريقة التجانية المشرقة في البلاد المصرية القديمة (د ت) ص ٦٢ .

(١٨) عبد الله الرزاق بالمصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(١٩) و هو الذي يبلغ به الصلاح في الدنيا و الدن و يحل في نظر أصحاب الطريقة العالم بموته

(٢٠) محمد بن محمد أكسوس . الجواب للسكت في الرد على من تكلم في طريق الإمام العيسوي سلا تيسم الجزائر : للطبعة المصاحفية ، ١٩١٣ ، ص ٢٤

(٢١) إبراهيم القطان المختار . " من أقوال النحوي " ، مجلة الفصح ، العدد ٣٨٨ ، ١٩٣٣ ، ص ٤

(٢٢) محمد الطانم الخطيب " المصحة الإسلامية في محدوعين بالنحوية " ، مجلة الفصح ، عدد ٤٠٨ ، السنة

١٩٣٤ ، ص ١٦ .

٢٣) انظر إبراهيم ليس الكوكلي اليان والمبى عن البيحانية والبيحاني ط ٢ (الغلاف) مكتبة كولالة، د.ت.

(٢٤) قرآن كريم سورة الأحزاب الآية ٥٦.

(٢٥) عبد الكريم العطار . تاريخ الطريقة البيحانية المشتقة في البلاد المصرية القاهرة د.د.ت. ص ٦٢.

(٢٦) بن يوسف النلساني لطريقة البيحانية وموقفها من الحكم المركزي بالخراتر - الحكم النلساني - الأمر عبد القادر - الإدارة الاستعمارية رسالة بيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ ، ١٩٩٨ ص ٢٣٨.

انظر قنور بن زينة وشاح الكتّاب زينة الجيش الهندي العالي ويلي ديوان العسكر الهندي للمليان ، تقديم و تجميع محمد بن عبد الكريم الخراتر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٨ ، ص ٩٥-٩٦.

(٢٧) محمد الإصعير الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (١٦٦٤-١٨٩٤) ، ج ١ . السداز البيضاء : دار الرشاد ، ١٩٧٧ . ص ٤٣٦-٤٣٢

(٢٨) رسالة أحمد البكاي تمت به من نكتو إلى أهل مراكنش و حصة خاج محمد بن أحمد الصخراوي و الحاج محمد صبور و حواري المدي و غيرهم من المبحوثين موجودة بمرکز أحمد بابا نكتو تحت رقم ٢٩٧ في حصة أوراني مكتوبة بخط مقروء طول الورقة حصة و ثلاثون سطر و غرضها واحد وعشرون سطر

(٢٩) أخرجه مسلم في صحيح - كتاب نر و حصة ، ٣٥ ، و الإمام عاتق في الوطى / ٩٠٨ و الرصدي في الجامع / ٢٣ . انظر :

محمد السعيد زغلول موسوعة اطراف الحديث ، عند ٤ (باب - اخلاء) بيروت : دار الكتاب العلمية ، د.ت. ص ٣٩٧

(٣٠) الرسالة موجودة بالخراتر العامة بالرباط تحت رقم ١٠٧١ بعنوان رسالة أحمد البكاي لاكسوس طول الورقة ٢٢ سم عرض ١٥ سم

(٣١) جواب عن رسالة من أحمد أكسوس إلى أحمد البكاي الخراتر العامة بالرباط د ١٦٠٤ طول الصفحة ٢١ سم عرض ١٢,٥ سم .

(٣٢) محمد بن أحمد أكسوس ، المصنف السابق ، ص ١٤٠

(٣٣) تسمى اطواب المسكت في الرد على تكلم في الطريقة البيحانية بلا تبيت طبع بالمطبعة العثمانية بالخراتر ١٩١٣ ، فهذه الرسالة ترد فيها على الشيخ أحمد البكاي و يحمل مسؤولية إلى من بلغوه عن الطريقة البيحانية و ليس إلى أحمد البكاي .

(٣٤) محمد بن أحمد أكسوس ، المصنف السابق ؛ ص ٧٨.

(٣٥) أحمد البكاي فتح القدوس في جواب عبد الله أكسوس ، مركز أحمد بابا نكتو تحت رقم ٣٧٣ لا يزال محفوظ .

(٣٦) محمد بن أحمد أكصوص ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٣٧) جید عمرآوي . " الطرق الصوفية " مجلة مسائل ، تصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر العدد ٣ - ديسمبر ١٩٩٨ ص ٨٣ .

(٣٨) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، المراجع السابق ، ص ٤٠ .

(٣٩) نفس المراجع ص ٣٨ .

(٤٠) هو أبو محمد عثمان بن محمد ابن عثمان المعروف بابن قودي أحمد ورد الطريقة عن عبد القادر الجيلاني و كان ممن يدعو إلى الله و يدل عليه و كابد ما هو المجهود عن أخلاق الناس من الخفاء و الإنكار و الاستهزاء و كساها بملابهم بغدر عقرهم .



سوق العمل أو الوظائف الإدارية والعلمية في الجزائر خلال العهد العثماني

إن العالم أو المثقف- في أي مجتمع وأي فترة- تتجاذبه المسؤولية العنمية إلى جانب الحاجات النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وبين هذا وذلك موقع رجل العلم في الجزائر خلال العهد العثماني، ففي مجتمع-أولى أولوياته الحرب والتجارة- مارس العلماء الجزائريون وظائفهم المتنوعة، والتي سمحت لبعضهم بالتواجد كفئة في طبقة اجتماعية محظوظة، لها امتيازاتها ومجال عملها، في حين ظلت الغالبية منها في أدنى السلم الاجتماعي .

ولتسليط الضوء أكثر على هذه الفئة، ومدى تشابك علاقاتها، يجدر بنا أن ننقي نظرة على أهم الوظائف التي كانت مفتوحة أمامها آنذاك، ومن ثم تحديد مدى حركة سوق العمل من جهة، وما واكبه من صراع وتنافس على الوظائف من جهة أخرى.

أولاً: أهم الوظائف الإدارية والعلمية الأساسية:

لم يكن العلماء في الجزائر، وإلى غاية العهد الرياني، مهكلين إدارياً، وبشكل رسمي، إلا في بعض الوظائف المهمة، لكن مع استقرار سلطة الأتراك بدا أن جهازاً بيروقراطياً^(١٦) أخذ في التشكل اعتماداً في البداية على موارد بشرية تركية، سرعان ما فتحت أبوابه أمام علماء البلد لقطبة القصب، وضمان إحكام السيطرة على المناطق المفتوحة. وكانت أهم الوظائف الرسمية العليا آنذاك هي:

١- وظيفة الإفتاء: وتأتي على رأس السلم الوظيفي من حيث الأهمية، بسبب مكانة المفتي البارزة في صياغة الأحكام والقوانين، حيث كانت المكانة العلمية، والشهرة، شرطاً أساسياً لشغل هذا المنصب، الذي استحدث من طرف الأتراك على شاكلة ما كان في استنبول وأطلقوا على من يتولاه اسم "شيخ الإسلام"^(١٧) وقد جعلوه براتب أحدهما المفتي الخاص بالملعب الحفي، والثاني بالملعب الدكي، فكان الأخير يعتمد على جماعات الضغط في المدينة، وكان يؤتى بالأول مع الشا من عاصمة بخلافه، ثم أصبح يعين من الكراغلة لاحقاً.^(١٨)

يتمتع المفتون الرئيسون، سواء في عاصمة الأمانة أو عاصمة الولاية، برئاسة المجلس الأعلى، الذي يعقد أسبوعاً في اجتماع الأعضاء بحضور مدعي، وكبار العلماء، وممثل عن الباشا أو الباي للنظر في القضايا الكبرى، أما القضايا الصغرى فقد كان يتولاها القضاة العاديين.

لقد اختلف حول تطبيق أحكام هذا المجلس، ومن له سلطة القرار النهائي^(١٩)، وإذا نرجح الرأي القائل بأن كلمة الفصل كانت ترجع للمفتي المالكي، فإن ذلك لا يعني أن مهمة المفتي الحفي اقتصر على الإشراف العقابي والإداري على مساحد الأحناف، كما يذهب إلى ذلك البعض، بل كان يتدخل في قضايا متعددة، بما في ذلك الفصل في بعض الأمور السياسية والتجارية.^(٢٠)

وأمام أهمية هذا المركز اجتماعياً ودينياً، فإن عائلات بعينها سيطرت على منصب الإفتاء، وتوارثته لأجيال. فعلى المذهب المالكي اشتهرت عائلة قلدوره، وعلى المذهب الحنفي عرفت عائلة ابن رحب تداول المنصب بين أبنائها. ويرجع هذا التنافس إلى الامتيازات التي كان

يتحصل عليها من يتصدر هذا المنصب، مما جعل الصراع عليه كبيرا بين الأمر العلمية، كما ستري، خاصة وأن المفتي كثيرا ما كان يجمع وظائف أخرى كالتدريس، والخطابة، والقضاء، ولم تستثن منه سوى نظارة الأوقاف التي لم تكن من نصيبه إلا نادرا.^(١)

٢- وظيفة القضاء والتوليقي: من ملامح التغيرات الثقافية في العهد العثماني التعدد المذهبي، فإلى جانب المذهب المالكي أدخل المذهب الحنفي، فأصبح القضاء هو الآخر ثنائي المذهب. وقد عرف التنظيم القضائي تسلسلا هرميا يرأسه قاض حنفي و آخر مالكي، يساعدهما مجموعة من المولفين والعدول، ثم يتكرر هذا النموذج في عواصم الأقاليم الثلاث قسنطينة والمدبة ومعسكر، وبسج في بقية المدن الكبرى، ليصبح أحادي المذهب في المدن الصغرى والأرياف، بسبب تركر الأتراك الأحناف في المدن الرئيسية فقط.

يتم تصيب القاضي من طرف الشا، بما في ذلك قصة عواصم الأقاليم ومنها الكبرى، ثم يحضر القاضي بنفسه أمام لجنة القضاء لإقراره على وظيفته الجديدة، وذلك بناء على مسعواه العلمي.

كان قرار التصيب يتصلص مكتب ومقر الوظيفة، وتاريخ توليها، والمذهب الذي يتم تولي الحكم به. وهذا ما وجدته في رسالة تولية القاضي محمد بن الحسين بحاية أيام محمد باشا سنة ١٢٠٩هـ/١٧٠٠م، والتي عثرنا عليها بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية وردت تلك المعلومات بالتفصيل "... فقد أبعنت عليه وولياه قاضيا مرضيا محضيا ببلد بحاية... سالكا في ذلك أحسن المسالك حاكما بالمشهور من مذهب الإمام مالك بحيث لا تقتك له حرمة ولا يهظم (كذا) له جناب ولا يصله أحد بإذنية ولا بمكره ولا يقاس بما يقاس به غيره ولا لأحد إليه من سبيل بوجه ولا حال..."^(٢).

إن مثل هذه الرسالة تؤكد قوة موقف القضاة المعوية، ومن ثم قدرتهم على اتخاذ القرارات بعيدا عن الضغوطات، وهذا ما أكدته الرحالة الأوروبيون الذين جاءوا الجزائر أو استقروا بها في مذكراتهم، كما أثبتته وقائع الدعوى التي رفعتها آمنة بنت صالح باي ضد أبيها، وهو باي بابلك قسنطينة، بدعوى أنه منعها من وقف كان قد حبسه عليها وعلى إخوتها، حيث حكم القاضي آنذاك، شعبان بن عبد الحنبل، لصالح آمنة بنيت الوقف^(٣)

اختلفت أجور القضاة حسب درجاتهم في السلم القضائي، وأماكن عملهم، لكن الثابت أن قاض المظالم وقاض الموارث كانت لهما مكانة خاصة، لأن المصين يؤهلان صاحبهما لمنصب القضاء العام أو الإفتاء، عدا الامتيازات التي يحصل عليها متوليهما من هياكل.

لقاضي موارث محكمة قسنطينة مثلا كان يتقاضى عشرة في المائة عن كل حالة تقسيم للتركة، أما قاضي التطري فكانت أجرته ستة سلطاني^(٩٠)، وبذلك تتأكد لنا أهمية القضاء كمصعب قاض له أهمية التي تتيح من المكانة الاجتماعية الرأبلة التي يوفرها لصاحبه من جهة، وللربع الذي يفره المصعب من جهة أخرى، إلى جانب الأجرة الدائمة التي يتقاضاها القاضي بشكل دوري.

ومن جهة أخرى تبرز لنا أهمية جهاز القضاء باعتباره أحد أهم الأجهزة الإدارية التي استوعبت ووفرت لخريجي المؤسسات التعليمية وظائف فارة، ويتضح ذلك أكثر إذا ما علمنا حجم العلول، والمولفين، والمختصين القضائيين (الشواش)، والشهود المسجلين بالجهاز القضائي أو بالباش دفر المكلفين بكتابة السجلات^(٩١)، ففي قسنطينة مثلا جعلت سجلاتها بأسماء القضاة المشهورين كقاسم الفكون ومحمد الكماد، ومناهير العلول كالحاج علي السوري، والسيد العربي الأموي، ومحمد البرادعي، ومصطفى بن عبد الحليل، ومحمد الشريف، وبلقاسم المسبح وغيرهم كثير، مما يدل على تعدد المناصب داخل مؤسسة القضاء، ولقدرتها على استيعاب عدد مهم من خريجي المؤسسات الثقافية والعلمية في الجزائر خلال الفترة العثمانية.

٣- وظيفة الإمامة والخطابة: الإمام كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية هو من يؤم الناس في الصلاة، والخطيب هو من يتولى خطبة الجمعة في المسجد الجامع، ويلقب معظم المؤرخون في الجزائر إلى أن الخطيب في العهد العثماني كان يجمع وظيفة الإمامة إلى الخطابة..

والحق أن خطيب الأعماد والجمع لم يكن يؤم الناس في سائر الأهم، بدليل وثائق أولاد المساجد التي أوردها ديفوكس Albert Devoux ولوكلاك Leclerc وشارل فورو Charles Feraud في دراستهم بالجملة الإفريقية Revue Africaine، والتي خصت- في معظمها - الخطيب والإمام بجزايات (أجور) لكل واحد منهما على حدة.

كانت الإمامة والخطابة منصبين مهمين في الجزائر في العصر الحديث، على الأقل في المساجد الكبرى ذات الأوقاف الكثيرة. ففي الجامع الكبير بقسنطينة كان الخطيب يتقاضى مائة ريال،

وبأنّ بذلك على رأس كل موظفي الجامع، بما في ذلك المدرس، في حين لا يتقاضى الإمام سوى نصفها. وهذا الترتيب نفسه نجده في جامع سوق الغزل بالمدينة نفسها.

أما وقفية جامع خضر باشا بالعاصمة، فقد نصت على دفع حسين ديناراً لمن يتولى الخطبة، دون الإشارة للإمام ولا لأخره، مما يؤكد أن هذا المنصب كان يستند للخطيب في هذا الجامع. أما في جامع العين البيضاء بمعسكر فكان كل من الخطيب والإمام يأخذ أربعين ريالاً للواحد.^(١١)

لقد عرفت الثقافة في العهد العثماني تراجعا كبيرا أثر على المستوى العلمي والفكري للفقهاء، والأئمة، والخطباء، حتى أن بعضهم تصدر للمنصب وهو لا يحسن نظم خطبة سليمة، وقد أشار إلى ذلك الرحالة المغربي أبو سالم العياشي، الذي نعى على إمام المسجد المالكي بورقلة كثرة حبة في القرآن الكريم، والتعريف والتقديم والتأخير أثناء قراءته،^(١٢) كما أورد الفكون الحفيد في كتابه "المشور" نماذج فزلاء، إلى درجة أنه كان يكتب الخطبة بعنه لأحد بن ياديس خطيب أحد مساجد قسنطينة.

مع ذلك لم تخل الفترة من خطباء متميزين، حيث اشتهرت خطبة المقرئ ومصطفى البوي بعناية، وقرياش الحدي بالجمع الخديد بالعاصمة، وعبد الكريم الفكون الحفيد بقسنطينة، والذي جمع خطبه في صحائف، كما أحررنا في كتابه المشور، ولكنها للأسف لم تصلنا.

٤- وظيفة المدرس: تعتبر من الوظائف الرسمية التي استوعبت عددا كبيرا من خريجي المدارس، وولفت لأصحابها مكانة علمية وأدبية واجتماعية مهمة.^(١٣) وذلك بسبب دخلها الوظيفي القار.

اختلفت أجور المدرسين من مسجد لآخر، ومن مدينة لأخرى، وذلك بحسب مداخل ورحم وقلبات المراكز العلمية والدينية. فقد خصت وقفية جامع خضر باشا دينارين لقارئ الصلاة الخمسية كل يوم اثنين وحسب، ومثلها لقارئ كتاب التعريف في النصوص، في حين خصت المدرس المالكي، ومدرس "صحيح البخاري"، ومدرس مختصر ابن أبي جرة، وقارئ الرسالة بثلاثين ديناراً لكل منهم.^(١٤)

و في المدرسة الكتانية بقسنطينة خصص لمدرسيها المالكي المذهب ثمانية وأربعون ريالاً، في الوقت الذي تصل فيه أجرة نظيره بجامع العين البيضاء بمعسكر إلى ستين ريالاً.^(١٥) وهنا نجد بنا

الإشارة إلى أن هذه الرواتب يجب أن تقرأ على ضوء الوضع الاجتماعي والاقتصادي لبايلاكات الجزائر في العهد العثماني، وقمة عملة كل بايلاك على حدا، كما أن هذه الأجرور خاصة بكبار المدرسين في أهم مدارس ومساجد الأقاليم، وفي كبريات حواضرها فقط.

اشتهر عدد كبير من كبار المدرسين الجزائريين، وداع صيتهم، وشدت إليهم الرحال، لتلقي العلم على أيديهم، فزادت شهرة المؤسسات التي تصدروا التدريس بها كمدرسة الأبدلسيين، ومدرسة مازونة ومدرسة حقة سيدي حاجي، وزاوية جامع القشاش التي صمت لوحدها إحدى عشرة حلفة علم.

ولعل من أشهر مدرسي الجزائر آنذاك المفتي سعيد قندوره (المتوفى سنة ١٦٥٥م) الذي تصدر الفتوى والتدريس بالجامع الأعظم بالعاصمة، وتخرج على يده عدد كبير من علماء الجزائر، منهم عيسى التتالي (توفى سنة ١٦٦٩هـ)، وبني الشاوي (توفى سنة ١٦٨٤م)، اللذان تقبلا مهمة التدريس في الجامع، وهو الجامع الذي تجاور عدد موقوفه الستين بين أئمة، ومؤذنين، وقراء، ومدرسين، تداولوا على أزيد من تسعين عشرة حلفة يوميا.

٥- وظيفة ناظر الأوقاف عرفت الأوقاف باعتبارها مؤسسة اجتماعية وثقافية-تراثية كبرا مع دخول العثمانيين، واعتماد مذهبهم الحنفي، لذي يجر استمرار انتفاع الواقف بوقفه حتى وفاته، بخلاف المذهب المالكي الذي يلزم الجهة المستفيدة من الوقف باستخدامه مباشرة^(١١)، وهذا ما يفسر ظاهرة وحركة التحسيس بالجزائر خلال العهد العثماني، هذا الوقف الذي سمح بدوره في إيجاد سوق عمل واسعة للمثقفين مختلف تخصصاتهم.

كان الوقف يشرف عليه ناظر بعينه الواقفون أنفسهم، يساعده مجموعة من الوكلاء الثانويين والشواش والكتبة والعمول^(١٢)، وقد زخرت مصادر تلك الفترة بأسماء النظار ووكلاء الأوقاف المتسلقين لتحقيق الثراء، وتحويل أموال الوقف لحسابهم الخاص، فقد أورد الفكون في مشوره أن الشيخ ابن نعمون ناظر الأوقاف بقسطنطينة غير الكثير من الأحاس، وهتك حرمتها، وتجسراً على بيع أكثر من خمس وثلاثين ولما، أما حميدة بن حسن الغري فقد استولى على ربع أحساس مسجد أبي مصباح عبد الهادي بنفس المدينة.

وقد حاول بعض البايات تدارك الأمر، فأصبحوا يميون نظار الأوقاف بأنفسهم، إلا أن ذلك لم يقض على ظاهرة تحويل أموال الصالح العام، بل أن المصعب نفسه كان يدر على صاحبه أرباحا إضافية، وقد استغل بعض النظار عجز المجلس العلمي على أداء دوره الرقابي، ومحاسبة

الوكلاء والقائمين على القطاع، لإساءة التصرف، والاستفادة الخاصة من الأوقاف، وهذا ما دفع الباي محمد الكبير، حاكم بايكت الغرب الجزائري، إلى تصع أوقاف مدرسة تلمسان التي استولت عليها الأيدي، كما ورد في مصادر الفترة، وهو العمل نفسه الذي قام به صالح باي قسطنطين (المتوفى سنة ١٧٩٢م)، حيث اتخذ إحصاء محاسبة الوكلاء كل سنة أشهر، وتسجيل الأحاسيس قديمها وجديدها في سجلات خاصة، لحصرها وتسهيل مراجعتها، وتكثيف الرقابة من ممارسة عملها الرقابي دورياً.^(١٨)

مع ذلك ظلت -الأوقاف على كثرتها- معرضة للتضياع، بسبب احتفاظ الساطر بكامل صلاحيات عقد الصفقات، وشراء الأوقاف، واستبدالها. كما أن التنظيم المؤسساتي الذي قام به بعض البايات، كما سبق وأن ذكرنا، لم يظل سوى المدن الكبرى، وحتى في المدن لم يتعد بعض المؤسسات الوقفية التي تصع سلطة البابليك (الحكومية أو شبه حكومية)، على خلاف ما شاهدته مثيلاتها في المشرق من تنظيم، واتساع، وفسوة على استيعاب أعداد لا تحصى من الموظفين وطالبي العمل.

٦- وظيفة الكتابة يشترط في من يولى وظيفة الكتابة أن يكون متمكناً في البيان، حطاطاً، عارفاً بقواعد اللغة العربية، والتركيب، وحتى بعض البعثات الأخرى كالتفريسية والإيطالية والإسبانية مثلاً. فهذا أحمد القاسبي الذي شغل هذا المنصب لدى أمراء بني عباس، قد عرف عنه جودة الخط، ودقة العبارة، ووضوح المعنى، وفصاحة القلم، كما أخبر بذلك الفكون

لقد كان الكتبة موظفين ملحقين بقبور الإمارة في عواصم الأقاليم، كما شكلوا جهازاً بيروقراطياً مهماً في تسيير دواليب السلطة، فكان منهم قراء الرسائل، وكتائبا، ومترجمها، وحفاظها بقسم الأرشيف.^(١٩) واشتهر منهم محمد ابن صمون كاتب الباي محمد بكداش وصاحب تأليف "التحفة المرضية في أخبار الدولة البكداشية في بلاد الجزائر الخمية"، وابن هطال كاتب الباي محمد الكبير وكاتب سيرته في التأليف المعروف باسم "رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري".

٧- السفارة: تعتبر السفارة من المهمات الدبلوماسية التي كانت السلطة تخصص بها العلماء من ذوي الشهرة، وأصحاب الفصاحة والقدرة على التأثير والإقناع، بل والأقرب إلى رحلات بلاط الدولة المرسل إليها.

فحينما أوشكت الحرب أن تقع بين أتراك الجزائر وسلاطين المغرب الأقصى، أرسل حسين باشا العالم الجليل الشيخ محمد بن علي الحروي المتوفى سنة ١٥٦٩م، على رأس سفارة لإجراء المفاوضات مع الأسرة السعدية، وترسيم الحدود، وبذلك تفادى البلدين الدخول في المواجهة العسكرية.

وفي سنة ١٦٩٣م، أي زمن مولاي إسماعيل العلوي الذي حكم بين ١٦٧٢-١٧٢٧م، حل بالجزائر وفد من علماء المغرب، بهدف عقد اتفاقية هدنة بين الطرفين، على خلفية وقوف أتراك الجزائر إلى جانب ثورة البربر والطريقة الدلالية بالريف المغربي، فكان دور علماء الجزائر واضحا، حيث استقبلوا أعضاء الوفد ورافقه إلى الديوان، أين اشتركوا في المحادثات التي دارت بين الطرفين.

وقبل ذلك، وفي سنة ١٦٥٤م، قاد العالم والمسي الشيخ أحد القروجلي سفارة رسمية إلى استنبول في شأن الأهوال التي مرت بها الأهالة، شارحا أوضاعها، ومعدرا من تكالب اللول الأوروبية، وازدهاد المحمة الشرسية التي تقودها فرنسا وأصاب عليها
كما كلف محمد بن العاني سفارة إلى المغرب لطلب مساعدات عسكرية، بعد المحميات التي تعرضت لها الجزائر مطلع القرن الثامن عشر. منها حملة اللورد اكسموث الإنجليزي سنة ١٨١٦م، ثم أعقبتها سفارة أخرى في عام ١٨٢٦م.

أما الشيخ أحمد بن هطال فقد كلفه محمد الكبير باي وهران، بقيادة مفاوضات شراء السلاح من المغرب لتدعيم الترسانة الحربية الجزائرية بعد توقف الإمدادات التي كانت تحصل عليها الجزائر سنويا من الدولة العثمانية، وذلك للوقوف في وجه الإسبان المحتلين لمدينة وهران^(٢٠)

إذن لم تكن السفارة وظيفة بعينها، ولا سرق عمل مفتوح في وجه الفئات المتعلمة، ولكنها غالبا ماكانت تسند إلى بعض العلماء من دون مرتب دائم، وإنما كانت الهبات والعطايا تنسطر على السفير إذا ما نجح في المهمة التي أوكلت إليه.

ثانيا: الوظائف صراع من أجل البقاء:

لم يكن للتوزيع الوظيفي الامتداد الأفقي أو العمودي الواسع داخل المنظومة الإدارية في الجزائر العثمانية، مما أدى إلى بروز ظاهرة السعي الخثيث، والتنافس الشرس، من أجل الحصول على الوظيفة. و أمام هذا الشح المسجل في سوق العمل فقد استعملت في هذا التنافس كل الوسائل الشريفة في بعض الأحيان، والغير شريفة في أحيان كثيرة، وهذا ما يبرر انتشار الأمراض الاجتماعية والبيروقراطية السلبية في الأوساط العلمية آنذاك كالوساطة، وادعاء العلم، والوشاية، والمداينات، والتفاق، وهي أخلاق رانجة، أصبحت أساس الحصول / أو البقاء في المنصب المشغول كما سئرى.

١-التنافس على الوظائف: لقد حفل كتاب "مشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" لصاحبه العالم الفقيه عبد الكريم الفكون، بأخبار التنافس بين العلماء للحصول والبقاء في منصب العمل، وقد أرح هذا المصدر مجال مهم في الحياة الاجتماعية، والعلاقات بين مختلف عناصر الفئات المثقفة، مما تنو له من بقد لمستوى العلمي والأخلاقي المندقي لعلماء عصره إبان القرن السابع عشر الميلادي. ودوره المكري المتراجح، ومكتهم الاجتماعية، وهي الأمور التي لم يولها الكثير من الباحثين اهتماما، رغم أنها تشكل مبداءا خصا، يستحق أن يكون موضوع بحث ودراسات أكاديمية متخصصة..

ويكتفي حصر النماذج التي أوردها الفكون، لمعرفة مدى الصراع الذي عاشته الطبقة المثقفة في الجزائر، من أجل المحافظة على المنصب بكل الوسائل، ولو كان ذلك على حساب الأخلاق، وهي المسألة التي ألقى عليها صاحب الكتاب الضوء، بكثير من الجرأة، قل وجودها في بقية مصادر تلك الفترة، والتي لم تعر الظواهر الاجتماعية السلبية كبر اهتمام.

زادت قيمة الوظيفة أكثر مع زيادة حالة الفقر التي عان منها معظم المثقفون آنذاك، ما عدا أصحاب المكانة المتمون إلى طبقات أروستقراطية، أو المقربون من السلطان فيما يعرف بظاهرة متطف السلطة التي لم يخل منها مكان ولا زمان.

أمام قلة ميادين العمل الخاصة بهذه الفئة، انتشرت مظاهر سلبية عديدة، حيث أصبح الحصول على منصب رفيع يتم بوساطة من لهم سلطة القرار والتأثير، وليس بالصورة الكفاءة

والقدرة من يرشح صاحبها لثل هذه المراتب. فقد وقفنا على قصيدة^(٢٢) مدح فيها الشيخ محمد السوسي - دون توريع - الشيخ مسلم بن عبد القادر الذي توسط له للحصول على منصب الإفتاء لدى باي وهران. كما عثرنا على رسالة مخطوطة بالكتابة الوطنية من الشيخ الطاهر بن أبي معزة يلتزم فيها صراحة وساطة شيخ الطريقة الدرقاوية أبي عبد الله سيدي محمد العربي للقاء في منصب القضاء الذي كان يشغله، وترددت حوله وشايات كادت تؤدي إلى عرله منه.^(٢٣)

كان الصراع يحدثا على المناصب العليا، لهذا يحيى بن محجوبة نازع القضاء الشيخ محمد الكماد، وكان الشيخ عبد اللطيف بركات مغاضبا ومصادا للشيخ محمد العربي، ورغم صداقة الصغر، التي لم تشفع لهما في صراعهما على المنصب ذاته، وظل التنافس بين الشيخ محمد ابن نعمون والشيخ أحمد ابن باديس - رهما من عائلتين قسنطينيتين اشتهرتا بحجارة المناصب العلمية والمحزنية - يزداد اشتعالا بتدخل الواشين. حتى فرقت صداقهم، وعرفت أحوالهم بسبب منصب رئاسة المجلس العلمي لمدينة قسنطينة، ولم يفصل بينهما سوى تدخل السلطة في العاصمة التي عزلت الأول وسجنته.^(٢٤)

لم يكن الصراع حول المناصب منفصرا عنى لوسائل التي تم ذكرها، بل تعدلنا إلى استخدام الرشوة والهدس والوسية. لهذا لقاصي عبد القادر الترابسي رماه مافوه بالابتداع في العقائد وبالقول بالتجسيم، وذلك بهدف الفتب به لدى الباي، وقد تسبب ذلك في عرله من منصبه في نهاية المطاف. و ذكر العكون أن القاضي حميدة بن حسن الغربي كان يخدم السوالة ويعظمهم، ويمنهن نفسه في موالاقتهم، ويعظمهم الرشوة، التي عمت وأصبحت ظاهرة عادية بين العلماء، للحصول على المنصب، أو البقاء فيه، مما يؤكد ماكتبه الورتلاني في رحلته المعروفة " في وصفه وتعميمه لانتشار ظاهرة الرشوة في الجزائر، وذلك عند حديثه عن قاضي ومفتي مدينة بسكرة، الذي كان لا يتولى المنصب إلا بإعطاء الرشوة، قائلا: "وكذا في كامل عمالة الجزائر".^(٢٥)

كما استوقفنا الصراع بين عائلة المسبح وعائلة باش تارزي على قضاء محكمة قسنطينة، فقد تعالاب عليه أولا الشيخ محمد المسبح بين سني ١٨٠٩-١٨٣٢م، ثم العالم مصطفى باش تارزي بين سني ١٨١٢-١٨٢٥م، ويؤكد شراسة هذا الصراع بين العائلتين ما رصدناه من تعالاب دوري للشخصيتين عنى المنصب، من خلال أحتامهما المسجلة في سجلات الأحوال الشخصية

رلم ٥ و ٦ و ٧ الخاصة بمقود الزواج والطلاق حكمة لسطية في تلك الفترة، وانخفوطة في أرشيف البلدية.

في ظل ظروف كهذه يصبح ثقل المثقف للسلطة والحاكم طبعيا، وطلب الهدايا منه أمر مقبول لا حياة فيه، وإلا كيف نفهم و نفسير الأبيات التي كتبها محمد بن ميمون للذاي محمد بكداش وصدر بها كتابه التهمة المرسية، سوى ثقل وطلب صريح للعطايا على حساب الكرامة وحق على حساب المستوى الأدبي والفني للفصيدة حيث قال:

هذا الكتاب لو بيع بوزنه ذها لكان البائع المغبون
ومن العجيب أن تراني أحسنا ذها وأعطي الجوهر المكون.^(٢٥)

٢- ظاهرة توريث المناصب: أمام قلة الوظائف وأهميتها في نفس الوقت لضمان مصدر لار للرزق من جهة، وسيطرة سلطة المنسك على توزيع الربيع الاقتصادي من جهة أخرى، من الطبيعي أن تكون التهمة سمي كل فائز بالوظائف إلى استمرار الوظيفة في عقبه، وهي أمور، ولاشك، صافية لشروط تولي الوظائف الإدارية والتعلمة والتي على رأسها العلم والكفاءة والأخلاقي، وهي كلها لا تعرف.

تصادف الباحث في هذه الفترة، ستتحال ظاهرة التوريث العائلي للمناصب بشكل لالت، حيث اشتهرت عائلات بعضها كعائلة ابن نعي، وابن العطار، وابن انقي، وابن الشاهد، والبوني، وعائلة قدوره والفكون، وعائلات أخرى كثيرة، لا يسعنا المقام للذكرها، بعضها ظل يتوارث المناصب الإدارية والعلمية ليس زمن العثمانيين فقط، وإنما منذ العهد الزباني والخفصي، كعائلة العقباني والمقري على سبيل الذكر لا الحصر.

وهكذا ورث الآباء لأبنائهم الوظائف العلمية والإدارية، واحتكروها، وزادوا على ذلك الجمع بين أكثر من منصب ووظيفة، فالشيخ سعيد قدوره مفتي العاصمة أناب عه ابنه محمد بن سعيد قدوره في أكثر من منصب، حتى أصبح مفتيا لمدة أربعين سنة بعد وفاة والده، ليسور بدوره المنصب لأخيه أحمد بن سعيد قدوره. ونفس الشيء بالنسبة لعائلة ابن بادي في قسطينة، فقد أحمر المكون أنه اجتمع فيهم أربعون كلهم حاروا المناصب المحزنة.

وكذلك عائلة الغري فقد شغل فيها أبو الفصل قضاء قسطينة، أما ولده فتصدر القنوس والتدريس بها، واعتلى حفيده حميدة الغري القضاء والقوى والخطابة في آن واحد، حتى كانت

شهرهم على ما ورثوه من أسلافهم، كما عبر عن ذلك الفكون في منشوره. كما اشتهرت عائلة المسيح بتعاقب الآباء والأبناء على تقديس الوظائف العلمية الرسمية، فاشتهر منهم عبد اللطيف وحيدة وبركات.

و الحقيقة أن عائلة الفكون نفسها، التي امتد أحد أفرانها هذه الظاهرة، لم تكن هي الأخرى بعيدة عن تكريس ظاهرة التوريث، فقد توارث الفكون الجد، والأب، والخفيد وظائف الإمامة والخطابة والقضاء بمدينة قسنطينة، ثم أحافوا لها زمن الفكون الخفيد صاحب المنشور الذي اعتمدنا عليه في رصد هذه الظاهرة، مشبهة الخج، والتي ظلت تسند لهم إلى غاية ١٩٣٨م.

٣- الوظائف ومصائبها: لم يكن شغل الوظيفة بالأمر الهين، ولم يكن الاحتفاظ بها بالأمر السهل، فقد كان على المتق أن يتوخى الصعاب، ويواجه الأهوال، من أجل الاستمرار أو البقاء في المنصب.

كان ارتباط المتق بالسلطة، وتبعه لها، في عصر الانحطاط هذا، هو المؤهل الوحيد للارتقاء في السلم الإداري، ولم تكن الكفاءة والجهود العلمي، سوى مؤهلات تاددة الوجود، وهذا سر العلم القليل الذي لاحظته لورتلافي على رحلاته، وقته اشتداهم بالعلم وانقضائها الفكرية.

عرفت السلطة كيف تتخذ من لوصع ملادي طريقا لكسر شوكة العلماء وعزهم، مثل ما حدث مع المفتي الحنفي ابن نيكروز، ثم مع الشيخ يحي الأوراسي، الذي أقم بخلع البيعة، ولما أحس يقرب مساءلته، اضطر للاعتفاء والمهرب، وإشعال نار الثورة بالأوراسي.^(٢٦)

تعرض الباشا محمد بكداش بالاضطهاد لمفتي العاصمة أحمد بن قدوره، الذي كان والده سعيد قدوره قد نفي هو الآخر إلى اسطنبول أيام يوسف باشا، هذا الأخير الذي اشتهر بأنه كان ملاحقا للعلماء، حيث لجأ عدد منهم في عهده إلى الهجرة هروبا من التكيل، وهو ما يسمى في أدبيات الصراع السياسي بالنفي الاختياري، الذي عاشه الشيخ عيسى التعالي ويحي الشاوي، والعالم سعيد المناسي الذي رحل إلى المغرب.^(٢٧)

كانت الوظيفة، بالنسبة للكثيرين، نعمة بقدر ما هي نعمة، وخاصة مع سلطة لم تول العلماء وقطاع التعليم والثقافة كبير اهتمام، بل كانت تسعى دائما إلى تدجين فئة المتقنين ليسهل عليها بعد ذلك ضمان ولائهم، ترغيبا وحرهبا. فلجأت إلى الطريقة القديمة الجديدة في توزيع الوظائف

والربيع، وكما كان توزيع المنصب يتم من هنا وهناك، كان استراعه والرج بصاحبه في السجن، أمرهين لايتطلب سوى إشارة بسيطة من الحاكم، والمنصف لكتاب المشور تصادفه الظاهرة بشكل مريع، حتى لحسبها أنما أصبحت موضة للعصر، وقلنا لا مفر منه، وهذا ما يفهمه من كلام الفكون عندما ترحم لابن نعمون، الذي انتهى مساره المهني الطويل في مناصب الدولة بشكل طبيعي غير معهود دون أن تصيبه محنة، مما جعل الفكون يستغرب ذلك، فسجل العبارة التالية عندما ترحم له قائلا: "...ولم نصبه إداية من منصبه ولم تنال عليه الكبات كغيره ممس تولى الخطط بهذا البلد".^(١٢٨)

الخاتمة:

في الأخير نقول، رغم تنوع مجالات العمل في الجزائر في العهد العثماني ظاهرا، إلا أن التماثل في التصنيف الوظيفي لسلم الوظائف، آتياك، يجدها محددة ومحدودة

فهي محددة، كون الوظائف ظلت مقتصرة على مؤسسات بعضها، ومتوارفة من المصور الوسطى، بحيث لم تواكب التطورات الحاصلة في المجتمع الجزائري على الأقل ديموغرافيا.

ومن جهة أخرى ظلت محدودة بسبب انتشارها على المناطق الحضرية فقط، وبالمضيق في عواصم الأقاليم والمدن الكبرى، أما الريف، في ذلك الوقت، فقد تميز بالزراعة، وقدم السقي الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

أمام شح المناصب والوظائف الإدارية، لم تكن الوظيفة في منازل الجميع، كما أن القطاع الثقافي عمليا لم يكن بمقدوره إسعاب العدد الهائل لخريجي المؤسسات العلمية الجزائرية على تنوعها وبساطتها في نفس الوقت، مما أجأ الكثير من العلماء والمتقنين إلى ممارسة وظائف تجارية لسد حاجاتهم كما فعل عبد الرزاق ابن حمادوش والشيخ حمودة المقاسمي وغيرهم. أما من كان له حظ الوصول وارتقاء سلم الوظيفة فقد عان الأخرين في سبيل البقاء أو إبقاء من خلفه في الوظيفة، ولم يمر ذلك دون أن يدفع المتقن لمن ذلك، وصل أحيانا إلى حد فقدان حياته.

الهوامش

(١) يذهب الأستاذ أحمد السليماني إلى أن أصول الإدارة الخوارزمية تعود إلى أيام حسن باشا ابن خير الدين برباي. انظر أحمد السليماني، النظام السياسي في الجزائر في العهد العثماني، مطبعة دحلب، الجزائر، دت، ص ٣٦.

(٢) أكمل الدين إحسان أوغلو، الدولة العثمانية لتاريخ وحضارة، ترجمة صالح مسعداوي، ط استنبول ١٩٩٩، ج ١، ص ٤٨٣.

(٣) كان حسين بن رجب شاولي الكرغلي المتوفى سنة ١١٠٢هـ/١٦٩٠م أول مفتي جزائري كرغلي، حيث كان من سفراء أتراكا فاندون. انظر سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الطغالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٥، ج ١، ص ٩٣.

(٤) يرى الأستاذ سعد الله أن القرار النهائي يعود للمفتي لذلك، في حين يرى الأستاذ عبد الحليل المصلي وإمرت ودي لاكروا أن مهمة المفتي لم تكن تسمى للرقابة الإدارية العامة للجوامع وأحماسه. انظر: سعد الله، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٩٩.

Temimi(A) ; Pour une histoire de la grande mosquée d'Alger , Revu historique maghrébine, N19-20 , A1980, P.180

(٥) انظر أحمد توفيق المدني، 'من لوائح الخوارزمية العثمانية مشكل الدولة في الجزائر والدولة العثمانية'، مجلة التاريخ، ع ٩٠، الجزائر لسنة ١٩٨٠م، ص ٧٧.

(٦) يذهب الكثير من الباحثين إلى أن النص كان نظراً لتوافقه في نفس الوقت، لكن الوثيقة التي اطلعنا عليها بالكنيسة الوطنية وهي تحت رقم ٥٣ الملف ٢، بالمخطوط رقم ٣٢٠٥ مجموع، كانت فيها التوقيعات مضمّنين، بالتفصيل سنة ١١٠٢هـ/١٦٨٩م هو محمد بن محمد بن ناصر الأولاد هو محمد النوري.

(٧) بنظر الرسالة ٤٤ من الملف ٣، بمخطوط بالكنيسة الوطنية الجزائرية تحت رقم ٣٢٠٥ مجموع.

(٨) فاطمة الزهراء فني بالخطبة المدنية والمجمع، رسالة دكتوراه دولة، جامعة تونس الأولى، ج ١، ص ١٦٠.

انظر كذلك كتب الرحالة. وليام سيمر، الجزائر في عهد رينس البحر، ترجمة عبد القادر ربادية ووليام سيمر، مذكرات وليام فصل أمريكا بالجزائر ١٨١٦-١٨٢٤، ترجمة إسماعيل العربي وفدلي شلوصر، قسطنطينة أيام أحمد باي، ١٨٣٧-١٨٣٧.

(9) Henri et bon aupaîtaine ,sur l'histoire et l'administration du beylik de Tizi :Revu Africaine ,N11, A1867 , PP. 366-367.

والسلطاني عملة جزائرية من الذهب وزنها ٣ غ.

(١٠) بنظر سجلات الأحوال الشخصية حكمة قسطنطينة التي تعود للفترة محمدر آرشف بنديبة لقسطنطينة وفيها أحما، وأحماض المضمون تحت هذا السلك.

(11) Lecieret(Ch) . Inscription Arabes de Mascara , Revue Africaine , N4 , A1859 . P 45

(١٢) أبو سالم العياشي، رحلة العياشي، الطبعة الحجرية، ط ١٣٠٣هـ، ج ٩، ص ٤٦.

(١٣) كان المدرس يرتلي في سلم الألقاب، فبدأ معلما فمدرسا فمستافا ثم شيخا إذا كان مورا، إضافة إلى ألقاب أخرى أصعبها منها أربعون عابن لقب علمي وتشريعي، لكن أشهرها الأربعة السابق ذكرهم بنظر ابن مسرور، السنان في ذكر الأولياء والعلماء بلمسان، تحقيق عبد الرحمن طائب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٦، ص ٢٠١.

(١٤) أنظر وقفية الجامع في:

Albert Devoux, Les édifices religieuses de L'ancien Alger Revue Africaine, N13, A1869, P.24.

(١٥) أنظر وقفية الجامع في: Lekker (Ch), Op cit, P 45.

(١٦) أنظر دراسة الأستاذ ناصر الدين سعيدوني، "الوقف ومكانه في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية"، مجلة دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ع ١٩٩، ص- ص ١٤٩-١٥٠. وحيدان خوجة، المرأة، ترجمة وتحقيق محمد العربي الزويدي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٥، ص ٢٧٢، ٢٧٠.

(١٧) لمريد من الاطلاع أنظر ناصر الدين سعيدوني، "موطعوا مؤسسة الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري"، مجلة التاريخية لمغربية، ع ٥٨، ٥٧، جريدة ١٩٩٠، ص ١٨٤.

(١٨) أنظر مع الوثيقة في كتابه في لبحر في Feraud (Charles), Les anciens établissements religieux musulmans de Constantine, Revue Africaine, N 2, A1888, P 12.

(١٩) كان عدد الكتب بقصر القديس يعقوب إلى عشر كتابا أنظر

Venture de Paradis; Tanis et Alger au 18 siècle, présentée par Josef Coq, Paris la bibliothèque Arabe siniod, P ٢5.

(٢٠) أحمد ابن مسعود المرشدي انتصر اجتماعي في نساج شعر الوهراني، تحقيق مهدي الموهباني، مطبعة البعث، الجزائر ١٩٧٣، ص ٢٤٧.

(٢١) الظاهر ابن سوي، زهر الأدب، مخطوط مكتبة الوطنية الجزائرية، رقم ٨٩٣، المجلد ٧٥ وجه

(٢٢) أنظر الرسالة ١٤، المجلد ٢، مخطوط مكتبة الوطنية الجزائرية، رقم ٣٢٠٦ مجموع

(٢٣) عبد الكريم الفكون، مشور فقهية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٩٨٧، ص ٨٣.

(٢٤) الحبيب الورتلاني، روضة الأقطار في فصل علم التاريخ والأخبار، تحقيق ابن أبي الشب، مطبعة فوندا، الجزائر ١٩٠٨، ص ١١، ٦٩٨.

(٢٥) محمد بن ميمون، التحفة المرحية في الدولة البكتشية في بلاد الجزائر العظمى، تقديم وتحقيق محمد بس عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ١٩٨١/٢، ص ١١٣.

(٢٦) عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٢٧) أحمد السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق حيدر السلاوي وآخر، دار الكتاب العربي، ط ١٩٥٦، ج ٧، ص ٣١.

(٢٨) عبد الكريم الفكون، المرجع سابق، ص ٨١.

سياسة الاستعمار الفرنسي تجاه الطرق الصوفية بالجزائر

في القرن ١٩ م

مقدمة

عرف " ابن خلدون " التصوف بقوله : « أصنه المكوف على العادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه »^(٢).

وقد حدد أئمة التصوف طرائقهم بمقتضى الآداب الصوفية ، والورد الذي يشمل تعاليم الطريقة وعقيدتها ومنهجها ، وتختلف فيه كل طريقة عن الأخرى من حيث الممارسات والأذكار.

كانت الطرق الصوفية مختلفة وكثيرة العدد في بلاد الجزائر خلال القرن التاسع عشر الميلادي . واشتهرت كل طريقة بشيخها وبزواياها وكثرة المريدين .

^١ أستاذ محاضر - بالمدرسة العليا للأستاذة - في الآداب والعلوم الإنسانية - بولاية الجزائر - الجزائر

وإذا كان بعض الطرق الصوفية هادئ الاستعمار الفرنسي منذ البداية ، إلا أن البعض الآخر دعا إلى الجهاد في سبيل الله وسبيل الوطن ضد الاحتلال الأجنبي .

وحلال القرن التاسع عشر الميلادي ، وحد الجيش الفرنسي في الجزائر مقاومة شديدة ، وكانت تنطلق من الزوايا في كثير من الأحيان . حيث كانت الرواية تمثل الرباط ، ومكان العادة والدراسة ، ولذلك فهي من أهم الأماكن لاجتماع المسلمين والتفانيهم وتوعيتهم في تلك الأثناء .

وحق يتم القضاء على الثورات المليية للجهاد في سبيل الله ، والتحكم في المجتمع الجزائري ، سعى الفرنسيون إلى التصدي للطرق الصوفية الفاعلة ، بخلق زواياها ، ومحاربة شيوخها وأتباعها ، واستعملوا في ذلك جميع الوسائل الاستعمارية .

١- دور الطرق الصوفية في محاربة الاحتلال الفرنسي للجزائر :

في الجزائر ، تعددت الطرق الصوفية المختلفة المشارب والاتجاهات ، خلال القرن التاسع عشر الميلادي . وتميزت كل طريقة بشيخ أو خليفة يسعه انقيادون والإخوان ، واشتهرت بزوايا للعبادة الصوفية والذكر ، ونصلاء اخلاصة ، والعلم ، وإبواء العرباء ، واستعملت أيضاً كرباط للمجاهدين ، وكانت الزوايا كثيرة لمزيد من الأتباع والأوقاف والمال . ومن ذلك أحدثت كل طريقة شهرتها ووزنها ، بعضها هادئ الاستعمار منذ البداية ، مثل النخابة التي أسسها أبو العباس أحمد النجاني ، المتوفى عام (١٢٣٠ هـ / ١٨١٤ م) في فاس ، وهو من بلدة عين ماضي (بنواحي الأغواط) حيث توحيد الزاوية الأم ^(٢٦) . والبعض الآخر دعا إلى الجهاد في سبيل الله ، دفاعاً عن الإسلام والوطن ، ضد الاحتلال الأجنبي .

وكان أكبر تجمع وطني إسلامي هو مبايعة الحاج عبد القادر بن محي الدين أميراً للمؤمنين في معسكر عام (١٨٣٢ م) وكانت هذه المبايعة تعني بوجوب الطاعة للأمير ، الذي تعهد بإجراء العدل على سنة الله ورسوله ، واحترام الشريعة ، والعمل على طرد العدو ، ثم أعلن الجهاد في سبيل الله والوطن ^(٢٧)

ومن أهم الثورات ^(٢٨) المسبوبة للطرق الصوفية ^(٢٩) وزواياها ما يلي

١- مقاومة الأمير عبد القادر التي شملت معظم التراب الوطني (١٨٣٢ - ١٨٤٧ م)

- ٢- انتفاضة الشيخ أحمد بوربان في واحة الرعاشة بالزيبان عام (١٨٤٩م) .
وتغلغل هذه المقاومات الطريقة القادرية ، المسبوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى في بغداد عام (٥٦١ هـ / ١١٦٦ م) . وتعتبر القادرية القاعدة للطرق الصوفية التي جاءت بعدها وقد نشرها في الغرب " أبو مدين شعيب الأندلسي " المتوفى في تلمسان عام (٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م) .
- ٣- مقاومة الحاح موسى الدرقاوي (الأغواطي) في النبطري عام (١٨٣٥ م) ، ثم في أولاد نايل
- ٤- جهاد عبد الرحمن الطوطي ، مقدم الدرقاوية في نواحي بلعباس ، عام (١٨٤٥ م) .
ظهرت الطريقة الدرقاوية في المغرب الأقصى ، وهي تنسب إلى الشيخ محمد العربي الدرقاوي المتوفى بشمال فاس ، عام (٩٢٣٩ هـ / ١٨٢٣ م) ، وتعود أصولها إلى الشاذلية .
أما الطريقة الشاذلية التي تفرعت عنها عدة فرق صوفية ، فعُود أصولها إلى القادرية . وهي تنسب إلى أبي الحسن علي الشاذلي ، الذي انتقل من المغرب الأقصى إلى تونس، وتوفي بمصر عام (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)
- ٥- ثورة الشريف محمد بن عبد الله بومعرة بجبال الونشريس وأولاد نايل (١٨٤٥ - ١٨٤٧ م) .
- ٦- ثورة سي الأزرق بلحاح الطيبي في فليتة عام (١٨٦٤ م) .
تنتمي هذه الثورات إلى الطريقة الطيبيه التي تستمد أصولها من الشاذلية . وقد تأسست الطيبيه في وزان بالمغرب الأقصى ، على يد الشيخ عبد الله الشريف ، المتوفى عام (١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) ، وازدهرت في عهد ابنه الطيب (١١٢٧ - ١١٨١ هـ / ١٧١٦ - ١٧٦٨ م)
- ٧- مقاومة الحاح عمر ، ومولاي إبراهيم ، ولطيفة تومر في جبال جرجرة (١٨٥٠ - ١٨٥٧ م) .
- ٨- ثورة الشيخ الصادق بلحاح في الحقة وبسكرة (١٨٥٨ - ١٨٦٠ م) .

٩- ثورة الشيخ الحداد ، وابيه : عزيز ومحمد ، في جرجرة والباور ولسطينة ، عام (١٨٧١ م).

١٠- ثورة الشيخ محمد يحي الرحاني في واحة العمري بالزيان ، عام (١٨٧٦ م).

١١- ثورة الشيخ محمد أمريان بن عبد الرحمن في الأوراس ، عام (١٨٧٩ م).

قامت بهذه الثورات الطريقة الرحمانية ، التي تنسب إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري الزواوي ، المتوفى عام (١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣ م) ، وهو من قبيلة آيت إسماعيل ، تلقى تعاليم الطريقة الخلوتية الشاذلية في المشرق ، ثم نشرها في جرجرة والشرق الجزائري وجنوبه

١٢- انتفاضة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الشرقية للجزائر (١٨٥٢ - ١٨٦١ م)

دعم هذه الانتفاضة الطريقة السوسية ، التي تعود أصولها إلى القادرية ، وهي تنسب إلى الشيخ محمد بن علي السوسي المستعصي ، المتوفى بليبيا عام (١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م). وكان وراء هذا الدعم الشيخ السوسي ، ومقدمه في الغرب الجزائري : الخاج أحمد العواتسي .

١٣- ثورة أولاد سيدي الشيخ بالغرب الوهراني (١٨٦٤ - ١٨٨١ م) .

١٤- ثورة الشيخ بوعمامة بالجنوب الوهراني (١٨٨١ - ١٨٨٣ م)

تزعم هذه الثورات أصحاب الطريقة الشيعية ، المنسوبة إلى سيدي الشيخ عبد القادر بوساحة ، المتوفى عام (١٠٢٣ هـ / ١٦١٥ م) في الأبيض سيدي الشيخ ، وكان مقبلا للشاذلية .

٢) متبعة الاستعمار الفرنسي للطرق الصوفية بالجزائر :

أرجع بعض المختلين المقاومة الشديدة التي وجدها الجيش الفرنسي إلى انتماء الناس إلى الطرق الصوفية ، حيث كانت تحمّس للجهاد وتدعو للثورة . وحتى يتم القضاء على هذه الطرق الصوفية ، عمل الفرنسيون على معرفتها ، وإدراك أهميتها ودورها وأسرارها وأغراضها .

ومن أجل ذلك قام الضباط الفرنسيون بدراسة كل طريقة صوفية ، وتجنسوا على شيوخها ومقدميه ، وأحصوا الأتباع والزوايا والأموال ، وجمعوا التقارير الخاصة ، ونشروا المقالات ، وألقوا الكتب . ومن ذلك وألمها ما يلي :^(١)

١- كتاب : « الطرق الصوفية عند مسلمي الجزائر » صدر عام (١٨٤٥ م) ، ألفه الضابط " دي نوفو De Neveu " والذي كشف فيه أهمية الطرق الصوفية في الثورات . وكان " دي نوفو " يعرف العربية ، ومتزوجا من جزائرية مسلمة وغيرا بالاجتمع الجزائري ، إذ كان من كبار المسؤولين في الشؤون الأهلية ، منها وظيفة المكتب العربي . وقد استقى معلوماته من وظائفه المختلفة ، ومن زوجته والجزائريين اللذين تعامل معهم .

٢- كتاب : « الإحسان » ، صدر عام (١٨٥٩ م) ، ألفه : " شارل بروسيلار Ch. Brosselet " ، عن المؤسسات الدينية في تلمسان . وكان " بروسيلار " متوليا للمكتب العربي في تلمسان ، فتنصل بأهلهما ، وعرف حياتهم الاجتماعية ، والتراث الإسلامي الذي كانت تمتنع به هذه المدينة . كما كان يجيد العربية ، فاستعملها للإطلاع على المخطوطات في الروايات والمساجد والمكتبات الخاصة عند العائلات .

٣- كتاب : « الطرق الإسلامية في الحجاز » ، صدر عام (١٨٨٧ م) ، ألفه : " ألفريد لوشاتليه Alfred le Chatelier " ، وهو ضابط مختص في الشؤون الإسلامية ، كان مديرا للمكتب العربي في مدينة ورقنة ، وعن طريق هذا المكتب عرف نشاط الطرق الصوفية في الجنوب ، وهو أيضا مؤسس « مجلة العالم الإسلامي » ، وكان رئيسها ، وقد ربط بين بعض الطرق الصوفية في الحجاز والجزائر .

٤- كتاب : « اكتشاف الصحراء : طوارق الشمال » ، صدر عام (١٨٦٤ م) ، ألفه : " هنري دوفيرييه H. Deveyrier " ، حين رحل إلى الجنوب حتى وصل غدامس تحت حماية ضيوخ التجانية . فكتب عن الطوارق ، واكتشاف الصحراء ، وكشف بالخصوص عن أهمية بعض الطرق الصوفية في الجنوب كالتجانية والسوسية والطبسية والشخية والقادرية^(٢) .

٥- كتاب . « مرابطون وإخوان » ، صدر عام (١٨٨٤ م) ، وضعه " لويس رين " L.Rinn الذي يعتبر من الخبراء البارزين في الإدارة الأهلية الفرنسية ، وكان مهتما بالحياة الجزائرية الدينية والاجتماعية والسياسية ، فعرف مختلف فئات المجتمع الجزائري بكل تفاصيله . وفي تأليف " رين " لكتابه هذا ، استعمل نفوذه كصابط مسؤول في الإدارة العامة ، لطلب التقارير من مختلف الشيوخ ومقدمات الطرق الصوفية عن أصولهم وعلاقاتهم وحالاتهم ، ونشاطهم ، وعدد أتباعهم ، وصفهم وصفهم وجنسهم ، كما جلب إلى التقارير الرسمية التي تصل إلى الإدارة المركزية من المكاتب العربية وغيرها ، وأضاف إلى ذلك مراسلات القناصل الفرنسيين في بعض البلدان الإسلامية .

لجاءت دراسة " رين " شاملة لمختلف الطرق الصوفية في الجزائر ، ومن جميع نواحيها وقد تكفل بها احكام المدم في الجزائر " لويس تيرمان Louis Tirman " (١٨٨٢ - ١٨٩١ م) وحاليا يوحسد كتاب « مرابطون وإخوان » (Marabouts et Khouan) تحت رقم (٥٢٨٠٧) بالمرصد المغربي ، في المكتبة الوطنية بالحمامة^(٩) .

٦- كتاب : « الطرق الدينية الإسلامية » ، صدر في الجزائر عام (١٨٩٧ م) ، وضعه الكاتبان : " أوكتاف ديون O.Depont ، وبكرافيه كويولاني Y.Coppolani " كان المؤلفان مسؤولين إداريين ، فهما حيران بالشؤون الأهلية الجزائرية ، وجاءت دراستهما في وقت كانت فيه فرنسا تحاول ربط مستعمراتها في القارة الإفريقية ببعضها . لذلك كانت دراسة الطرق الصوفية العاملة هنا وهناك مسألة حيوية .

وقد حثت حكومة " جول كامبون Jules Cambon " إمكانيةها في البحث والتعميل ، واستعملت لخدمة هذا المشروع التقارير الإدارية ، وتقارير القناصل الفرنسيين في البلاد الإسلامية ومراسلات شيوخ الزوايا . كما قامت الحكومة العامة بطبع هذه الدراسة العامة عن الطرق الصوفية على نفقتها ، والتي تضمنت أيضا آراء وتوصيات كانت توجه السياسة الفرنسية نحو المسلمين .

وكتاب « الطرق الدينية الإسلامية Les confréries religieuses musulmanes » ، متوفر حاليا تحت رقم : (٥١١٩٢) بالمرصد المغربي في المكتبة الوطنية بالحمامة^(٩)

٣- سياسة الاستعمار الفرنسي في القضاء على دور الطرق الصوفية بالجزائر :

تصدى الفرنسيون للطرق الصوفية بقوة الجيش والسلاح ، ثم اغتلبوا وسائل أخرى تمثلت في تشييد الصلوف وتزويق الوحدة داخل الطريقة الصوفية الواحدة ، وجلب ضعاف النفوس ، وشراء الذمم ، بهدف القضاء على الثورات والتحكم في سر المجتمع الجزائري .

لقد رأى الفرنسيون أن استقلال زعماء الطرق الصوفية عن الإدارة ، وعدم قبولهم الوظيفة ، يجعلهم خطرين على الاستعمار ، لذلك تفرقت مراقبتهم عن كتب ، بالمحكم لمسي مداخلهم المادية ، ومنع اعطائهم الرخص لزيارة أتباعهم وجمع أموال الريارات ^(١١) .

لكن المؤلف " رين Rin " لاحظ أن الطرق الصوفية التي تحالفت مع فرنسا فقدت حيويتها وانخفض عدد أتباعها بينما الطرق التي ظلت على عدائها أو حيادها اكتسبت أتباعا وتجددت ، لذلك نصح بعدم اتخاذ أسلوب المواجهة والانتقام ضد الطرق المدعوة ، كهدم الزوايا واعتقال الزعماء ونفيهم ، لأن ذلك لا يخدمها ، ويضر بالمصلحة الفرنسية ، وقال إن أكثر الطرق عداء في وقته هي الرحمانية والدرقاوية . وأن أكثرها ولاء هي التجانية .

واقترح " رين " أن تنع بلاده سياسة الحكمة ومنح الأموال لدى هذه الطرق لتصادق معها ، وتستفيد منها ، وتسلم أظفارها ، ويتجنب ذلك في اعتراف فرنسا بشرعية الرؤساء الذين يمكنهم الانضواء تحت حمايتها ، ومحتهم مقادير مالية وشرفية ، وبذلك يكون مشغلين بمصالحهم خارج النشاط السياسي ، وينتهي خطرهم وتأثيرهم على الأهالي .

ورأى " رين " ضرورة تقوية التجانية لتكون حاجزا ضد تسرب الطرق المعادية للفرنسيين في الجنوب على الخصوص ، وتأمين الأئمة من أتباع الطريقة التجانية ، وجعلهم عبا على مقدسي الطرق الأخرى ، ووسيلة إغراء لولاة المقدمين بقول نفس الوظيف المربح ، إلى أن يصبحوا غيورين على وظيفهم ومكانتهم الاجتماعية . ومن ثمة يتحلى الجميع عن مشايعة الثورات ، وتصبح المصالح هي التي تتحكم في العلاقات ^(١٢) .

وأضاف الكاتبان " ديون وكوبولاني Depont et Coppolani " الوصايا التالية :

أ- وضع الطرق الصوفية تحت الوصاية الفرنسية ، وجعل شيوخها ومقدميها أئمة ليس لهم رواتب ولا تابعين للسلطة في الظاهر .

ب- وضع اليد على الزوايا القديمة الموجودة ، وإظهار التسامح معها ، وإشياء زوايا حديثة مجاورة للزوايا القديمة وصافسة لها ، تكون تحت سلطة فرنسا ، وجعلها تقوم بالعبادات والتعليم والإحسان ، ومن خلالها يمكن مراقبة الزوايا القديمة المجاورة

ج- عن طريق الطرق الصوفية التي لها علاقات حارحية ، يمكن لفرنسا أن تربط علاقات تجارية وسياسية مع السودان الشرقي والغربي لنشر ألكارها الخصارية أما سياسة الحاكم العام في الجزائر " جول كامبون Jules Cambon " نحو الطرق الصوفية منذ توليه عام ١٨٩٢ ، فقامت على الاحتفاظ بحزمة الشيوخ الذين بقوا بعيدين عن الفرنسيين ، وغثلت معاملها فيما يلي :

أ- إعطاء الشيوخ بروناس أحرار ، منحهم الكلمة العليا في البلدة ، مع إظهار التسامح نحوهم ، ودعوتهم لتولي الوظائف تحت السلطة الفرنسية

ب- احترام لإرادة الشيوخ والإخوان في اختيار المتقدمين ، وتعيين الخلفاء عن طريق وراثية البركة .

ج- الموافقة على الإحارات الصادرة من الشيوخ للمتقدمين . والاعتراف بها ، وذلك لجعل هؤلاء المتقدمين مسقيين في زواياهم ، والذين تحت يد فرنسا ^(١١)

وتماشيا مع السياسة الفرنسية تجاه الطرق الصوفية ، فقد تزوج شيخ زاوية عين ماضي " أحمد التجاني " من الفرنسية " أوريلي بيكار " ، ابنة الضابط المتقاعد ، وبنى لها قصر كوردان للحياة الفرنسية ، بقرب عين ماضي ، وبقيت على مسيحتها من تاريخ الزواج عام (١٨٧١م) إلى وفاتها عام (١٩٣٣م) ، وكانت عين الفرنسيين على الطريقة التجانية .

وبعد وفاة الشيخ " أحمد التجاني " عام (١٨٩٧م) ، اضطر خليفته الشيخ " البشير التجاني " إلى الزواج من " أوريلي Oreilly " أرملة أخيه ، وذلك حتى لا تعقد فرنسا عينها على الطريقة التجانية .

وتزوج من " فري Feret " الفرنسية ، " حمزة بن بوبكر " ، أغا حبل عمور ، وهو أحد أقطاب أولاد سيدي الشيخ ^(١٢) . وأيضا تزوج ابن الشيخ البودالي الهجري من امرأة فرنسية ^(١٣) . وكذلك تزوج الشيخ " محمد الشرقي " ، صاحب زاوية العطار الشاذلية ، من امرأة فرنسية ^(١٤) .

٤- نتائج سياسة الاستعمار الفرنسي في القضاء على دور الطرق الصوفية بالجزائر .

استطاع الفرنسيون أن يقصوا على الثغارين من زعماء الطرق الصوفية ورجائها ، فمهم من نفى إلى خارج البلاد كالأمير عبد القادر عام (١٨٤٧م) ، ومهم من قُتل في ميدان المعركة مثل أحمد بوزيان بالزعاطشة عام (١٨٤٩ م) ، ومنهم من سجن أثناء المقاومة مثل الشريف محمد بومعزة بالونشريس عام (١٨٤٧ م) ، والشريف محمد بن عبد الله بورقلة عام (١٨٦١ م) ، والشيخ الحداد بقسطبة عام (١٨٧١ م) ، وهكذا فرق الاستعمار شملهم ، واسكت بعضهم بالوظائف ، وزرع بينهم العداوة والبغضاء .

وفي أواخر القرن التاسع عشر (١٩ م) ، ضعفت المقاومة ، وفقد الأمل في الخلاص من المستعمر الأجنبي ، ومن ثمة زاد ارتقاء المواطن الجزائري في أحضان التصوف وشبوحه ، معتقدا فيهم الخلاص الدنيوي والروحي ، لكن الطرق الصوفية امتثلت للأمر الواقع ، ولم تعد مضادة للاستعمار ، حيث حثّ الفرنسيون أيضا إلى تخريب وحدتها ونشبت صفوفها (١١) .

للم بات آخر القرن حتى تفرعت القادرية والشاذلية والدرقية ، وغيرها إلى فروع ضعيفة ومتنافسة ، وكان مصر الرحابة كذلك ، حيث تفرقت إلى فروع كثيرة ، واستقل كل مقدم بزوايته ، لا يعترف أحدهم بالآخر ، وأبرزهم :

- ١- الشيخ محمد بن أبي القاسم الوجيهي في آقبو (نواحي بجاية) .
- ٢- الشيخ محمد باخش ماززي في قسنطينة .
- ٣- الشيخ علي بن الحملاني في وادي العنماية (نواحي قسنطينة)
- ٤- الشيخ علي بن عمر في طولقة (نواحي بسكرة) .
- ٥- الشيخ محمد بن أبي القاسم في الهامل (نواحي بوسعادة) .
- ٦- الشيخ سالم بن محمد الأعرج في وادي سوف (١٢) .

ولقد اتبع الحاكم العام " جول كامبون " سياسة التقرب من الطرق الصوفية واستمالة رؤسائها ، فعرض عليهم الوظائف والأوسمة ، وأقام لمن مات منهم احتفالات التابين ، مثل ما فعل عام (١٨٩٧م) ، بالجامع الجديد في مدينة الجزائر ، لـ " أحمد التجاني " ، شيخ زاوية عين ماضي ، ولـ " بوسعادة لـ " محمد بن أبي القاسم " شيخ زاوية الهامل ، وقد قبل بعضهم وظيفة

الآغا والقائد ، سيما أولاد سيدي الشيخ ، ومهم من حصل على أوسمة رسمية ، كآغا الحاح
قدور الصحراوي بتيات ، وتحولوا بذلك إلى جهاز استغلالي في يد السلطة الفرنسية .

وكان هدف " كامون " هو توظيف نفوذ الطرق الصوفية في خدمة المصالح الفرنسية
في الصحراء .

كما سار الحاكمان العامان " شارل جونارت Ch . Jonnart " (١٩٠٣ - ١٩١١ م)
، و " شارل ليطو Ch.Lutaud " (١٩١١ - ١٩١٨ م) على سياسة مشابهة تحرم الطرق
الصوفية . واستحدثت الإدارة نفوذ هذه الطرق خلال الحرب العالمية الأولى ضد الدعوة إلى
الجهاد ، فأعلن رجال التبن حضورهم لفرنسا ، وتحالفوا معها ، وصاحموا في النهضة العامة ،
ودعوا الجزائريين إلى الوقوف بجانب فرنسا ضد ألمانيا وحليفها تركيا ^(١٨) .

واستمرت السلطة الفرنسية في توظيف الطرق الصوفية لمعارضة التيارات السياسية
والإصلاحية التي ولدت في الجزائر منذ عام (١٩٢٠ م) .

٥- الطريقة القادرية والمقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر " نموذجاً "

أ) الطريقة القادرية :

تنسب الطريقة الصوفية القادرية إلى العالم المتصوف الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى في
بغداد عام ٥٦١ هـ (١١٦٥ م) وتعتبر القادرية هي القاعدة لمختلف الطرق الصوفية التي
جاءت بعدها أو التي استقلت عنها ، وتوجد الراوية الأم للقادرية في بغداد ^(١٩) .

وقد انتشرت القادرية في مختلف المدن الجزائرية ، لاسيما خلال العهد العثماني ، وتأسست
فروع قادرية في الجزائر وكان أصحاب هذه الفروع يتصلون مباشرة ببغداد لأخذ الإجازة من
هناك . كما كانت ترسل الزيارات مع الحجاج إلى الزاوية الأم في بغداد .

وهكذا ظهر مقدموا القادرية في الجزائر ، وتكونت لها زوايا وأضرحة ومساجد وأوقاف
كثيرة في مدينة الجزائر وتلمسان وقسطبة ومجاية وغيرها ^(٢٠) .

ب) المقاومة على يد الأمير عبد القادر والطريقة القادرية :

إن الاستفسار المطروح في هذا المجال هو : ما هي علاقة القادرية بالمقاومة على يد الأمير عبد
القادر ؟

وها نجد أنفسا أمام رأيين ، فأحدهما يقول بالعلاقة الوثيقة بين القادرية والمقاومة على يد الأمير عبد القادر. أما الرأي الآخر ، فيقول بخلاف ذلك ، أي لا علاقة بينهما.

- الرأي القائل بعلاقة القادرية بالمقاومة - وهو يستند إلى ما يلي :

نشأ الأمير عبد القادر في جو عائلي يسوده العلم والعمل ، مما ساعده على اكتساب العلم والمعرفة ، وحفظ كتاب الله ، والتشجيع بالأخلاق الإسلامية السامية. وفي القبضة ، سقط رأسه اندمج في أوساط الطلبة القادمين من مختلف أنحاء البلد للتلمذ على والده محي الدين ، ولما قرر هذا الأخير التوجه إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج ، اصطحبه معه ، وقبل العودة إلى أرض الوطن عام (١٨٢٩ م) ، توجه مع والده إلى بغداد ، حيث أدى الزيارة إلى قبر سيدي عبد القادر الجليلي .

ثم إن سمعة الخاج محي الدين ، ولد الأمير عبد القادر ، قد لعبت دورا في تجميع المقاومة حول شخصه ، بعد ذلك ، باعتباره زعيما روحيا محترما في المنطقة - لقد كان الخاج محي الدين مقدما للراوية القادرية آنذاك ، كتاب رجلا ورعا ، نبيا ، وعدلا ، تخرج على يده العديد من المتفقيين ، وبالإضافة إلى ذلك فإن لشدة فروغ في مختلف أنحاء أحواله ، وهي تنظيم ديني يشتمل في صفوفه على عدد كبير من الإخوان المستعدين لإتباع شيوخهم في الطريق السدي يختاره ، خاصة إذا كان ذلك الطريق هو الجهاد في سبيل الله ولذلك تصدروا معه مقاومة الاحتلال .

وقد قد الأمير عبد القادر بمجاح وقعة حق الطاح الثانية ، نهاية عن والده ، وهو الزعيم الروحي الذي أفعده المرض ومن خلال تلك المعركة ، برزت العبقرية العسكرية للأمير^(٢١) .

ومن هنا فلا شك أن تأييد الخاج محي الدين لابنه عبد القادر ، كان له أثر في النفاف إخوان الطريقة القادرية من حوله . وحتى يكون الأمير في مركز قوي ، فقد اعتمد في كفاحه على الولاة الديني .

وحق بعد وفاة الخاج محي الدين ، استمرت القادرية على نشاطها إلى جانب المقاومة ، حيث محمد السعيد (أخو الأمير الأكبر) خلف والده ، وتولى شؤون الراوية القادرية .

وبعد هزيمة الأمير عبد القادر ، سافر معه أخوه محمد السعيد وسجن معه ، ثم استقر الأخوان بالمشرق .

— الرأي القائل بعدم ارتباط المقاومة بالقادرية :

يعتبر أن مبايعة الأمير عبد القادر عامي (١٨٣٣/٣٢ م) ، والنفساء القبائل والجماهير من حوله ، مهما كانت عقيدتهم الصوفية وجهتهم جعل القضية تحرك عرس نطاق الطريقة القادرية إلى النطاق الوطني .

وقد تعارفت الطرق الصوفية في عهد الأمير عبد القادر من رحمانية ، ودراقية ، وطيبية ، وشيحية ، ولم يفرق الأتباع بين الصوف المحاهدين ، فكلما دعا الداعي استجابوا بقطع النظر عن مصدر الصوت .

ولكن دعاية الحروب الفرنسية ، عتدند ، كانت تبدل قصارى جهدها لتفريق الصوف حول الأمير عبد القادر ، مدعية أنه كان عازب باسم طريقته الصوفية^(٢١)

وعلى الرغم من انتصارات الأمير عبد القادر على الجيش الفرنسي ، إلا أنه أحس بضرورة تكوين جيش نظامي ، محمي بروح الانضباط ، فامر بدناء في الأسوق والساحات العمومية يعلن عن إنشاء جيش منظم ، يستطيع الانضمام إلى صفوفه كل جزائري قادر ، ويرغب في الدفاع عن أرض الوطن وكانت فكرة ترويد البلاد بقوات مسلحة ، ومعدة على مختلف فون الحرب ، أحسن وسيلة لتحديد أكبر عدد ممكن من الجزائريين ، ولو كانوا يتمون إلى قبائل غير مبايعة^(٢٢) .

(ج) — المقاومة وتوسيع القادرية :

بعد انتقال زعماء القادرية إلى المشرق ، واستقرارهم هناك ، حلف محمد المرتضى والسيد الشيخ محمد السعيد ، وأصبح شيخ القادرية في بيروت ، وكان يقصده الجزائريون للزيارة ، ولأخذ الإجازة ، وكان يستقبل مهم المال ، وكان له في الجزائر أتباع واتصالات^(٢٣)

وبلاحظ في تلك أثناء توسيع القادرية وزيادة انتشارها في مختلف أنحاء القطر الجزائري فهل يرجع ذلك إلى التسلط الاستعماري ، وفشل المقاومة التي قادها الأمير عبد القادر ، وبالتالي النحى الجزائريون إلى التصوف ؟ أم اعظموا إلى قيادات صغيرة متمثلة في مقدمي الزوايا لمواصلة

المقاومة على يدهم ؟ أم لعلاقة الطريقة ، وأسرة الأمير عبد القادر في المشرق بالدولة العثمانية ، ومن ثم كان التوافق بين القادرية وحركة الخامسة الإسلامية ؟ أم كل ذلك وغيره معاً ؟

وفي هذا المجال اشتهر سيدي محمد بن عودة ، في نواحي زمورة (نواحي علبران) والشيوخ بوتليس بشعبة وادي اللحم (نواحي وهران) وسي الأخول عبد القادر في زاوية شلالة قرب هليل (بن مستغانم وغلبران) . وانتشرت القادرية ناحية تبهرت والجنوب الغربي ومن رعاتها هناك بلعري عبد القادر بن قلدور .

وفي شرق الجزائر ، اشتهر ابن النحال في زاوية الفحوج بنواحي قلالة ، كما اشتهرت زاوية بلعاس في معة بالأوراس ، وزاوية تيسة .

وفي الجنوب ، ظهرت زاوية عميش التي أسسها الشيخ الهاشمي بن ابراهيم وشط في تجيد الأتباع من أهل سوف الذين مارسوا التجارة لصحراوية ، وشعر القادرية إلى أقصى الجنوب وفي ناحية ورقنة أسس أخوة محمد النضرب زاوية الرزيسات ، وكان له أتباع في الأغواط وغرداية وبين الشنتانة .

هذا بالإضافة إلى زاوية قمر ، وزاوية صحن السعانة بوادي سوف وغيرها . وجميعها زوايا قادرية ، وقد وصل تأثيرها إلى عين صالح ، وتوات وتيديكنت . وكان لها أتباع بين الطوارق ، وعلى رأسهم الشيخ عبيد . وقد كان بقادرية دور بارز في مقاومة الغزو الفرنسي للصحراء ، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر^(٢٥)

(د) مصر القادرة :

يذكر الجرنال "لاروك (Laroque)" المسؤول العسكري على إقليم فسنطية ، عما فيه الصحراء الشرقية ، أن للقادرية عدداً كبيراً من الأتباع . ويصح لفرنسا بالاستفادة من نفوذهم .

وتدخل الضابط "ديورتر (Deporter)" الذي عمل في صحراء الجزائر وتونس ، سيما في بسكرة ووادي سوف وغرداية وتوزر وقابس وقبلي ، واستعمل القادرية لحساب فرنسا .

وهكذا ، منذ أواخر القرن التاسع عشر ، أصبحت القادرية تحت رحمة المحابرات الفرنسية ، والصفط المتعدد الجوانب ، لكي تعمل وفق إرادة المحتل ، كما وظفت في عدد من المناسبات ،

لا سيما عند حاحة الفرنسيين إلى نفوذ الطرق الصوفية في الصحراء ، حين عطلوا لاكتشافها ، واحتلالها ، وربطها بمسعىهم الإمبريقية^(٢٦) .

ومن الأمثلة على ذلك فإن الشيخ محمد الطيب ، مقمّم القادرية في ورقلة ، قد اعتمد عليه الحاكم العام " جول كامبون (J Cambon)" عام ١٨٩٥ لمهيد تيديكلت للتأثير الفرنسي ، ووافق الشيخ محمد الطيب بنفسه بعثة المستكشف الفرنسي " فلوماند (Flumand)" إلى تيديكلت ، عام (١٨٩٩م) ، وأخذ معه عشرين شخصاً مسلحين لحماية القافلة^(٢٧) .

خاتمة

مهما قبل عن الطرق الصوفية ونحاذها أمام الاستعمار ومهادنتها له ، إلا أن بعضها ، إن لم يكن الكثير منها ، دعا إلى الجهاد في سبيل الله والوطن ضد لاحتلال الأجنبي في الجزائر خلال القرن التاسع عشر للميلاد . وسحر شيوخ نبت الطرق الصوفية أنفسهم ، وما يتمتعون من أتباع ، وتمسكه زواياهم من أموال ، في محاربة العدو المحتل . وعدم الخضوع له

ولو لا المقاومة الشديدة التي وحدها الجيش الفرنسي من أتباع الطرق الصوفية ، ودعوة شيوخها للجهاد ، لما عمل المضابط الفرنسيون على معرفة نبت الطرق النائرة ، ودراسة أهميتها ودورها ، ثم التصدي لها بكل الوسائل . ومحاربتها بالسلاح .

فأحصع المحتلون الفرنسيون شيوخ الطرق الصوفية ، وعطلوا الروايات ، الأتباع واستولوا على الأموال والأوقاف ، ودجوا الأتباع ، وتشتوا الصوف ، وقضوا على الغاربيين بالقتل والسج والغي ، بهدف القضاء على الثورات ، والتحكم في المجتمع الجزائري

١٩- لويس ماسينيون دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد ١٥ ، ص ١٧٥ - ١٨٠

- عمار هلال : المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

- RINN (L) : op . cit . pp. 179 - 180

٢٠- سعد الله : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦-٤٣

٢١- محمد العريسي التريسي : التكاثر الممنوع في عهد الأمير عبد القادر ، المطبعة ١٩٨٢ ، ص ١٥ - ٢٢

- يحي بوغريز : المرجع السابق ، ص ٣٥-٣٦

GARROT (H) : op . cit . P.162

سعد الله : المرجع نفسه ، ص ٤٤

٢٢- محمد بن عبد القادر الجزائري : المرجع السابق ، ص ٢١٦

٢٣- محمد الجزائري ، المرجع نفسه .

٢٤- سعد الله : المرجع نفسه ، ص ٤٥ ، ٤٨...

DEPONT (O) et COPPOLANI (X) : op . cit P.367

٢٥- سعد الله : المرجع نفسه ، ص ٤٩ ، ٥٠

- DEPONT et COPPOLANI : Ibid PP 27٥-288

- DEPORTER , La question de tout au Sahara algerien - Alger 1891

27 - B.S.G.A.A .N . année 1899/1900 . pp5....12

د. نعيمه عبدالله بن دهيش^{١٥}

عصر السلطان عبد الحميد الثاني وأَسباب سقوط الدولة العثمانية

المقدمة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، الذي ملك ناصية البيان وتحدى
فصحاء العرب بمعزة القرآن . أما بعد :-

هذا البحث يتحدث عن عصر السلطان عبد الحميد وأسباب سقوط الدولة العثمانية،
بمعطى صورة واضحة عن الجهود العظيمة التي قام بها السلطان عبد الحميد خدمة للإسلام،
ودفاعاً عن دولته، وتوحيداً لجهود الأمة تحت رايته، وكيف ظهرت فكرة الجامعة الإسلامية
في معترك السياسة الدولية في زمن السلطان عبد الحميد؟ والوسائل التي اتخذها السلطان
عبد الحميد في تنفيذ مخططة للوصول إلى الجامعة الإسلامية، كالاتصال بالدعاة ، وتنظيم
العمل الإسلامي، وتغريب مؤسسات الدولة، وإقامة مدرسة العشائر، ومد خط سكة حديد
البحار، وإبطال محططات الأعداء الترابية إلى عميق التوحدة الإسلامية، ودخول المحططات

الصهيونية العالمية التي تعمل على دعم أعداء السلطان عبد الحميد عن طريق دعم المتمردين الأرمن، والقوميين في البلقان، مثل حركة الاتحاد والترقي، وتأييد الحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية، والتي أدت في النهاية إلى عزل السلطان عبد الحميد عن السلطة.

وفي نهاية البحث يهتم الباحث بإبرار أسباب سقوط الدولة العثمانية من المنظور القرآني.

وهدف من هذا البحث:

١ - تسليط الضوء على زعيم إسلامي من زعماء الدولة العثمانية.

٢ - بيان المسح الذي سار عليه السلطان عبد الحميد في مسيرته الطويلة وقد تمت بتقسيم البحث إلى ثمانية مباحث :

المبحث الأول: السلطان عبد حميد وتوليته السلطة وما رافق ذلك من أعمال .

المبحث الثاني: الجامعة لإسلامة والعمل على توحيد العالم الإسلامي.

المبحث الثالث: السلطان عبد الحميد واليهود.

المبحث الرابع: السلطان عبد الحميد وجمعية الاتحاد والترقي.

المبحث الخامس: الإطاحة بحكم سلطان عبد الحميد الثاني.

المبحث السادس: حكم الاتحاديين ونهضة الدولة العثمانية .

المبحث السابع: أسباب سقوط الدولة العثمانية.

النتائج.

المبحث الأول

السلطان عبد الحميد (١٢٩٣ - ١٣٢٦ هـ / ١٨٧٦ - ١٩٠٩ م)

السلطان عبد الحميد هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، تولى عرش الدولة وهو في الرابعة والثلاثين من عمره و إذ ولد في ١٦ شعبان عام ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م.

وكانت والدته قد ماتت وهو في العاشرة من عمره فاعتنت به الروحة الثانية لأبيه وكانت عقيمًا ، فأحسبت تربيته وحاولت أن تكون له أمًا ، فبدلت له من حناها كما أوصت بمبراتها له . وقد تأثر السلطان عبد الحميد بهذه التربية وأعجب بوقارها وتديها وصوتها الخفيض الهادئ ، وكان لهذا انعكس على شخصته طوال عمره .

تلقى السلطان عبد الحميد تعليمًا منتظمًا في العصر السلطاني على أيدي نخبة مختارة من أشهر رجالات زمانه علمًا وحلًا . وقد تعلم لغات العربية والفارسية، ودرس التاريخ وأحب الأدب، ونظم بعض الأشعار باللسان التركية العثمانية .

وتدرب على استخدام الأسلحة وكان يتفنن استخدام السيف، وإصابة الهدف بالمسح، وكان محافظًا على الرياضة البدنية، ومهتمًا بالسياسة العالمية، ويتابع الأخبار لمعرفة موقع بلاده منها بعناية فائقة ودقة نادرة .

قام السلطان عبد الحميد برحلة إلى أوروبا برافقه وفد عثماني رفيع المستوى، وكان من صمم الأمير عبد الحميد الذي ظهر أمام الأوروبيين ملبسه المصقوفة وسيرته الحميدة في المعية^(١). وقد استعد الأمير عبد الحميد لهذه الرحلة بمطالعات واسعة، وقد سقت تلك الرحلة ريارته مع والده إلى مصر ، وأبسه أثناء وجوده في مصر إلى الريف الكاذب للبريق الأوروبي والأخذ هناك بالشكليات الأوروبية، وأما رحلته إلى أوروبا فقد استغرقت من ٢١ يونيو إلى ٧ أغسطس من عام ١٨٦٧م، رار الوفد العثماني خلالها كل من فرنسا وإيطاليا، وبلجيكا والدولة النمساوية المجرية.

وفي هذه الرحلة الأوروبية ، تمتع ذهن عبد الحميد إلى أمور كثيرة، انعكست على فترة حكمه كلها بعد ذلك، وهذه الأمور هي :

- ١- الحجة الأوروبية بكل ما فيها من طرق معيشية غريبة وأخلاقيات مختلفة وشكليات .
- ٢- التطور الصناعي والعسكري وبخاصة في القوات السرية الفرنسية والألمانية وفي القوات البحرية البريطانية.
- ٣- الألعاب السيالة العالمية.

٤- تأثير القوى الأوروبية على سياسة الدولة العثمانية. اقتنع الأمير عبد الحميد في هذه الرحلة : أن فرنسا دولة لهو، وإنجلترا دولة ثروة وزراعة وصناعة، أما ألمانيا فهي دولة نظام وعسكرية وإدارة وكان إعجابه بألمانيا كثيراً . وتأثر الأمير عبد الحميد بهذه الرحلة ودفعه ذلك التأثير إلى الاهتمام بعد توليه السلطة بإدخال المحترعات الحديثة وفي دولته في مختلف نواحي الحياة : تعليمية وصناعية ووسائل اتصالات وعسكرية، ومن ذلك أنه قام بشراء غواصتين، زود بها سلاح الغواصات لحديد لديه، وأدخل لتدريب إلى بلاده ، وأنشأ المدارس الحديثة، وزودها بالعلوم المعاصرة . التي لا تتعارض مع تشيخ الإسلام وأدخل إلى البلاد أول سيارة وأول دراجة ، فانتشرت بعد ذلك السيارات والمخاطرات ووسائل النقل والاتصالات الحديثة، وأخذ بنظام العيس شترى، لكنه وقف بحره ضد سريان تفكر الغربي في البلاد^(٢١). ولقد أثرت رحلة عبد حميد إلى أوروبا أيضاً في إتباعه سياسة استقلالية تجاه أوروبا، ولم يعرف عن عبد الحميد تأثير أي حاكم أوروبي عليه، مهما كانت صداقته ، ومهما كانت درجة التقارب بينهما.

ولغت انشياء عبد الحميد أثناء هذه الرحلة الحوار الذي كان يحرمه مؤد باشا الصدر الأعظم العثماني مع بعض الزعماء الأوروبيين.

فتعلم عبد الحميد من هذا الحوار القادرة على إسكات القوى التي تود تحطيم الدولة العثمانية. فأدرك بذلك قيمة الحوار السياسي وأهدافه وتأثيراته السعيدة ، وهو ما برع فيه بعد ذلك، وكان عمر عبد الحميد آنذاك ٢٥ عاماً^(٢٢).

برع بالحلاقة بعد أخيه مراد، يوم الخميس ١١ شعبان ١٢٩٣هـ / الموافق ٣١ أغسطس ١٨٧٦م، وكان عمره آنذاك أربعاً وثلاثين سنة، وحضر لمبايعته الوزراء والأعيان وكبار الموظفين من مدنيين وعسكريين في سراي طوبقو، وكان أول عمل قام به وضع دستور جديد للدولة العثمانية . وضعه الصدر الأعظم مدحت باشا .

وكان هذا الدستور يمس على أن البرلمان يتكون من مجلسين : مجلس النواب أو المبعوثات ثم مجلس الأعيان أو الشيوخ^(٤٥).

كما كان الدستور يمس على فصل السلطات من حيث الشكل لا المضمون ، كما أن التجبيرات التي طرأت على نظام الحكم طبقاً لهذا الدستور كانت من قبيل التوطر ، فلم يمس أحد في تقليص حق السلطان في السيادة ، كما نص الدستور على أن شخص السلطان مصور لايمس ، وأنه لايسأل أمام أحد من أعماله ، ومن ثم كان الدستور مرتهاً بشخصه^(٤٦) ، فله وحده حق تعيين وإقالة الوزراء ، كما أنه هو الذي يعقد المعاهدات ، وعلى الحرب ويعقد معاهدات الصلح ، وهو القائد العام للقوات المسلحة ، ومن حقه إصدار كافة القوانين في شتى المجالات دون الرجوع إلى البرلمان .

وبمس الدستور أيضاً على حرية أعضاء البرلمان في إبداء آرائهم وفي التصويت ، كما أنه لايمكن محاكمتهم إلا إذا حاربوا حدود قواصم المجلس ، وحدد الدستور اللغة التركية العثمانية باعتبارها اللغة الرسمية للدولة التي يحرى بها الحديث في كل الخسبات ، كما نص أن يكون التصويت سرياً أو علياً بحسب الظروف ، وعلى أن يقر مجلس النواب الميزانية دون تدخل من جانب السلطان يعكس الحال فيما يتعلق بالقوانين العادية.

وأما بالنسبة لحقوق الأفراد فقد أعلن الدستور أن العثمانية هي السياسة الرسمية للدولة في إطار مبدأ المساواة الذي نصت عليه التنظيمات .

وقد أمر السلطان عبد الحميد بأن يوضع الدستور موضع التعبد ، وأن تجرى انتخابات عامة ، كانت الأولى من نوعها في التاريخ العثماني^(٤٧) . وبعد إعلان الدستور والعمل به لمدة عشرة شهور وعشرين يوماً أعلن السلطان عبد الحميد تعطيل الدستور وذلك بعد أن تعرض إلى استماتاد الوزراء برعمة مدحت باشا ورعتهم تغريب الدولة ، وظهور جسمية العثمانيين الجدد التي كانت تضم ناحية من المنقعيين العثمانيين المترشرين سريق النظم والحضارة الأوربية . كما أن انعقاد مجلس الوزراء توقف ، ولم يدع هذا المجلس للاجتماع ثانية لمدة ثلاثين عاماً ، ولم تفتح خلالها قاعة المجلس ولا مرة واحدة .

لقد كان السلطان عبد الحميد مضطراً لإعلان انه دستور بسبب الصفرط التي مارسها عليه مدحت باشا ، ولذلك عندما أتتحت له الفرصة قام بتعطيل الدستور وعدم عقد المجلس .

إن السلطان عبد الحميد الثاني كان صد أن تكون هناك شروط تحدد سلطته على اعتبار أن هذا أمر وارد من العرب ، ولذلك كان صد سياسة رئيس وزرائه مدحت باشا ولذلك 'نتقد وزيره هذا بقوله : (لم ير تغيير فرائد الحكم المشروطى فى أوروبا ، لكنه لم يدرس أسباب هذه المشروطة ولا تأثيراتها الأخرى. أقراص السلطات لاتصلح لكل مرض ولكل بنية ، وأظن أن أصول المشروطة لاتصلح لكل شعب ولكل سنة قومية . كنت أظن أنها مفيدة أما الآن . فإس مقتنع بضررها) (٩٧).

كان للسلطان حجة فى هذا ، منها سوء تصرف الماديس بالدستور فى أول استحابة للسلطان لأفكارهم ، من ذلك:

- أن طلعت الحكومة من السلطان فى وقت إعلان السلطان للدستور ، أن يوقع على بعض قرارات منها تعيين ولاد نصارى فى ولايات أغلب سكان فيها من المسلمين ، وعلى قرار يقبول طلبية من الصارى فى الكسة الحربية العثمانية التى هى عند الجيش العثمانى ، فرفض السلطان التوقيع فما كان من مدحت باشا - وهو نصير الأعظم - إلا أن قال للسلطان . (إن مقصدا من إعلان الدستور أن ينهى استبداد القصر. ويحجب على جلالكم أن تعرف واجباتكم) (٩٨).

- ومن الأسباب التى يسموها السلطان عبد الحميد فى رفضه لتبني الدستورى قوله : (إن الدولة العثمانية دولة تجمع شعوباً شتى ، والمشروطة فى دولة كهذه موت العصر الأسمى فى البلاد ، وهل فى البرلمان الإنكليزى نائب هدى واحد ؟ وهل فى البرلمان الفرنسى نائب جرترى واحد ؟) (٩٩).

وسين السلطان عبد الحميد بأن مرقعه هذا ليس دائماً تحه الحكم الدستورى ، فالظروف التى كان يحكم فيها ، إذا اختلفت ، فستختلف وجهة نظره فى الحكم الدستورى .

وفى هذا يقول . « يسعى ألا يظن أن فكرى واقتناعى دائماً صد الحكم الذى يعتمد على أصول المشروطة) (١٠٠).

إن السلطان عبد الحميد مر عصره بظروف عصيبة ، وأزمات شديدة ، وتأمر عالمى على الدولة العثمانية من الداخل والخارج ، فشرع فى إصلاح الدولة وفق الأسس الإسلامية لمع التدخل الأوروبى فى شؤون الدولة ، وحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية ، وقام بإبعاد

الكتاب والصحفيين المتأثرين بال فكر العربي عن العاصمة، وقاوم كافة الاتجاهات العربية المتحالفة للحصانة الإسلامية المحيطة في ولايات الدولة، واستطاع أن يشكل جهازاً استخبارياً قوياً لحماية الدولة من الداخل وجمع معلومات عن أعدائه في الخارج، واهتم بفكرة الجامعة الإسلامية وحقق بها نتائج عظيمة، واهتز الأوروبيون من هذا التفكير الاستراتيجي العميق وعملوا على تفكيكها .

لقد تكلم السلطان عبد الحميد عن جهاز مخابراته وبين الغرض منه فقال : (حسب العرق العثماني يتعرف السلطان على تمكك الرعية وشكواها عن طريق جهاز الحكم، ومن ولاته وقصاته من جانب ، وعن طريق التكايا المنتشرة في ربوع البلاد عشائرها ودرايشها من جانب آخر ، فيجمع كل هذه الأخبار ويدبر الساء عليها) .

لقد شهد عصر السلطان عبد الحميد عدة ثورات الهدف منها السرد والعصيان والخروج عن طاعة ولي الأمر . فلقد قام سكان الجبل الأسود والنصرت بتحريض بلاد الهرسك للخروج عن الدولة العثمانية وكان ذلك في عام ١٢٩٣ هـ ، ١٨٧٦ م واستطاع العثمانيون إخضاع هذا التحرك ، ورعب السلطان عبد الحميد في جميع الدول الأوروبية من التدخل ، فأصدر قراراً بفصل القضاء عن السلطة التنفيذية ، وتعيين انقضاء بالانتخاب عن طريق الأهالي ، والمساواة في الضرائب بين المسلمين والنصارى ... ولم يرض ذلك بعض السكان في الأقاليم الأوروبية ، فعدوا إلى الثورة التي قمعت أيضاً ، ولكن الساسة التي كانت وراء إشعال الثورة في الدولة العثمانية ، فعلت المسا مع روسيا وألمانيا وفرنسا وإنكثرت على الطلب من السلطان بالقيام بإصلاحات فوافق عليها السلطان، ولكن نصارى الموسسة لم يتقبلوا ذلك، وهنا بدل على أن المطالبة بالإصلاحات ليست سوى مسرات وأهية، وحقيقة الأمر أنهم يريدون التدخل في شؤون الدولة بشكل مباشر وغير مباشر لإضعافها والإطاحة بها^(١١).

كما قامت ثورة البلغار في الوقت نفسه بدعم من نصارى الموسسة والهرسك ويتأيد من النمسا وروسيا، فقد تأسست جمعيات في بلاد البلغار لشر النفوذ الروسي بين النصارى الأرثوذكسي والصغانية ، وكانت تدعمها روسيا وغدها بالسلاح ، لإثارة سكان الغرب والموسسة والهرسك من النصارى، وتحريضهم على الثورة ضد العثمانيين، ومساعدتهم بالمال والسلاح، فتمكنت الدولة العثمانية من القضاء على تلك الثورة ، فأخذت الدول الأوروبية تشير الشائعات عن المحازير التي ارتكها العثمانيون ضد النصارى، والعكس هو الصحيح .

وبهذه الشانعات أثير الرأي العام الأوروبي ضد الدولة العثمانية ، وطالت الحكومات الأوروبية باتخاذ إجراءات صارمة ضد العثمانيين ومنها حصول بلغاريا على استقلال ذاتي وتعيين حاكم نصراني لهم (١٢).

وقام الروس والألمان والسماويون بدفع الصرب والحمل الأسود للقيام بحرب ضد العثمانيين ، وتمكنت الدولة العثمانية من الانتصار على الصرب وحلعتهم ، فتدخلت الدول الأوروبية وطلبت وقف القتال وإلا فالحرب سوف يتسع نطاقها (١٣).

لقد كان السلطان عبد الحميد الثاني على يقين من أن هدف الدول الغربية هو السعي لسقوط الدولة العثمانية ، حيث قال في مذكراته : « رأيت أننا مؤتمر الدول الكبرى الذي عقد في إسطنبول ما عرمت عليه هذه الدول ، وهي ليست كما يقولون تأمين حقوق الرعايا المسيحيين بل تأمين الاستقلال الباتى لهؤلاء الرعايا . ثم لعمل على استقلالهم التام ، وبذلك يتم تقسيم الدولة العثمانية . حسب مخططاتهم العدائية »

فكانوا يعملوا على تقسيم الدولة العثمانية بفرق عديدة منها .

أولاً : إثارة الأهالي المسيحيين بمسببات خاصة بهم ، وهذا تشديد هذه الدول لحماية مطالبهم بهدف تعكير الخو " الساسى فى الدولة العثمانية

ثانياً : المطالبة بالمشروطة ، لإحداث الفقرة بين المواطنين فى الدولة العثمانية.

كانت روسيا ترغب فى الوصول إلى المياه الدافئة بسبب عوامل ديمية واقتصادية وجغرافية ، وقد سجل (بطرس الأكبر) ١٦٢٧-١٧٢٥م فى وصيته للروس (فى العقرات التاسعة والحادية عشرة والثالثة عشرة) منها على ضرورة إثارة ممدأ الصراع الحصارى ضد العثمانيين إلى أن تنتهى الدولة العثمانية من الوجود .

وقد اهتمت روسيا بهذه القضية ، وفى عصر السلطان عبد الحميد كثرت الثورات فى المناطق المحاذية لروسيا بدعم من روسيا والدول الأوروبية وخاصة فى مناطق البلقان واليونان وغيرهما من الأقاليم العثمانية ، وأدت هذه الثورات إلى قيام دول بصرائية مستقلة مثل رومانيا وبلغاريا والصرب ولبونان فتصدت قوات الدولة العثمانية لهذه الثورات وحقق انتصارات رائعة فى البلقان ، فقام السلطان عبد الحميد بعمل تغيير كبير فى قيادات الجيوش العثمانية للتصدي لدعوى الروسى ، وقد حاول الروس الاستيلاء على مدينة (بلغته) التى تقع

في بلغاريا حالياً وهي من أهم المعابر إلى البلقان ، ولكن القائد العثماني الشجاع العاري (عثمان باشا) تصدى لهم بكل شجاعة ، فردهم على أعقابهم مهزمين ، فأعادوا الهجوم مرة أخرى بقوات أكثر كثافة ، ومع ذلك نجح القائد العثماني العبد في التصدي للروس مرة أخرى ، مما جعل السلطان العثماني يصدر مرسوماً خاصاً في الشاء على ذلك القائد (١٤٤).

وأمام هذا الصمود حاول الروس التضييق من سياستهم في الاستيلاء على هذه المدينة واتباعوا سياسة الحصار لها ، وحاولوا مع الإمدادات من الوصول إلى الجيوب العثمانية فيها ، وعززوا قواتهم ، ومع هذا صمد العثمانيون بقيادة عثمان باشا صمود الأبطال ، وأعدوا خطة رائعة لهجوم معاكس على خطوط العدو المحاصر لهم ، فتمكّنوا من اختراق الخط الأول للمحاصرين والخط الثاني واستولوا على المدافع فيه ، وأصيب القائد عثمان باشا ببعض الجراح عند الخط الثالث ، فسرّت إشاعة قوية من حده باستشهاده فهدى ذلك إلى استسلام الجنود العثمانيين للقوات الروسية . وكان ذلك في عام ١٢٩٤هـ وأواخر سنة ١٨٧٧م ، وقد شععت تلك الانتصارات الروسية "نصرت في" لبلقان على التحرك ضد العثمانيين ، وقامت جيوشهم بالهجوم على المواقع العثمانية هناك ، فاشتغلتهم عن الروس ، ونجى الروس من الاستيلاء على صوفيا (عاصمة بلغارب حاليًا) وتوجهوا جنوب ناحية العاصمة العثمانية ، ووصلوا إلى مواقع لا تبعد سوى خمسين كيلو متراً عن إسطنبول ، وأصبح لموقف داخل الدولة العثمانية سبباً إلى أبعد الحدود .

وفي الوقت نفسه كانت تجري العديد من المعارك بين العثمانيين والروس في الجانب الآسيوي ، حيث وصل الروس إلى الأناضول ، ومع ذلك تمكّن العثمانيون من هزيمتهم ومطاردتهم داخل الأراضي الروسية ، واستصر العثمانيون بقيادة أحمد مختار باشا على الروس في أكثر من سب معارك ، مما جعل السلطان عبد الحميد يصدر مرسوماً في الشاء عليه ، وقد عاد الروس إلى الهجوم في تلك المناطق مرة أخرى ، وتمكّنوا سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م من إنزال الهزائم بالقوات العثمانية والاستيلاء على بعض المناطق المهمة في الأناضول نفسها (١٤٥).

وأمام تلك الهزائم العثمانية في أوروبا وفي آسيا اضطرت الدولة العثمانية للدخول في هدنة مع الروس وقبول المفاوضات معهم ، حيث وقعت بين الطرفين معاهدة سان ستيفانو عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م . وعقدت هذه المعاهدة في ٣ مارس عام ١٨٧٨م ، ووقعها «صورت باشا»

عن الدولة العثمانية وهو يهكى، وكان لابد بالضرورة أن تحتوى هذه المعاهدة على شروط محففة بالدولة العثمانية^(١٦).

معاهدة سان ستفانو (١٢٩٥هـ / ١٥ فبراير ١٨٧٨م)

عد التوقيع على هذه المعاهدة قدم المدوب الروسى شروطاً مسبقة ، وطلب التوقيع عليها مباشرة ، وإلا تتقدم الجيوش الروسية وتحتل إسطنبول ، ولم يكن للعثمانيين من خيار سوى التوقيع على المعاهدة.

كما استأنت بريطانيا لزيادة النفوذ الروسى فى البلقان، واستعدت لمحاربة روسيا وحصلت من الدولة العثمانية على حق احتلال جزيرة قبرص (يونيو ١٨٧٨م) وإدارتها على أن تبقى تابعة للدولة العثمانية ، ولم يكن السلطان عبد الحميد الثانى راضياً فى الأصل بدخول هذه الحرب ، لذلك لم يصدق على المعاهدة وقد سبب سببية ودبلوماسية مكثفة ، حتى أقنع بريطانيا بالتوقف إلى حصة ، وبذلك ضمن عقد مؤتمر آخر (مؤتمر برلين) لتخفيف آثار معاهدة سان ستفانو من ناحية ، وإخانة روسيا لثانيتها بريطانيا ، كى تصرف روسيا النظر عن الحرب من ناحية أخرى ، واستطاع بذلك تخفيف حكايا سداسة بالدولة العثمانية.

ودلت هذه الأحداث على رغبة لستبان عبد الحميد الثانى صرب الخصم بالخصم، والتي تمثلت فى إحداث التفور بين دولة روسيا ودولة ألمانيا أيضاً^(١٧).

مؤتمر برلين (١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م) :

حضر ذلك المؤتمر الدول الكبرى (إنكلترا ، فرنسا ، ألمانيا، والنمسا)، وجرى البحث فى هذا المؤتمر لتعديل معاهدة سان ستفانو التى عقدت بين روسيا والدولة العثمانية، وذلك لمعارضة الدول المعنية لهذه المعاهدة لأنها لا تتفق مع مصالحها الاستراتيجية ... واتفق المؤتمر على تعديل معاهدة سان ستفانو وعقدت معاهدة برلين والتي تناولت الشروط التالية:

١- استقلال بلغاريا وتعديل فى حدودها.

٢- ضم البوسنة والهرسك للنمسا .

٣- ضم بيسارابيا إلى روسيا بعد اقتلاعها من رومانيا.

٤- استقلال الصرب والحبلى الأسود.

٥- صم مدن قارص ووردهان وباطوم لروسيا .

٦- قرر المؤتمر الإبقاء على العراصة الحربية التي قررتها معاهدة سان ستيفانو على الدولة العثمانية ومقدارها ٢,٥ مليار ليرة ذهبية.

٧- الموافقة على تحسين أوضاع الصغارى فى جزيرة كريت^(١٨).

وهكذا فإن مؤتمر برلين من المعالم البارزة لتدهور الإمبراطورية العثمانية التى أرغمت على التنازل عن مساحات واسعة من أملاكها.

وهكذا كانت النتيجة من الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا، ولمواجهة هذه الأوضاع المتردية كن على السلطان أن يتخذ لقب الخلافة لمواجهة التحديات الجديدة، وعمل على إنشاء الجامعة الإسلامية لكى يعمل على تكتل كافة المسلمين من حوله فى الداخل والخارج .

ARCHIVE

المبحث الثاني

الجامعة الإسلامية والعمل على توحيد الدولة

لم تظهر فكرة الجامعة الإسلامية، في معترك الدولية إلا في عهد السلطان عبد الحميد، وبالسط بعد ارتقاء السلطان عبد الحميد عرش الدولة العثمانية عام ١٨٧٦م.

وعرب عبد الحميد الثاني عن ثقته في وحدة العالم الإسلامي بقوله : (يحب تقوية روابط سقية المسلمين في كل مكان ، يحب أن يقترب من بعضا البعض أكثر وأكثر ، فلا أهل في المستقبل، إلا بهذه الوحدة ، ووقتها لم يحس بعد لكنه سيأتي اليوم الذي يتحد فيه كل المؤمنين ويهضون فيه نهضة واحدة ويقومون قومة رجل واحد وفيه يحفظون أهنأ منها :

- ١- مواجهة أعداء الإسلام من المثقفين بالثقافة الغربية
- ٢- محاولة إيقاظ الدولة الاستعمارية لأورسه وروسيا عند حدها .
- ٣- إثبات أن المسلمين يمكن أن يكونوا قوة سياسية عالمية
- ٤- تأخذ الوحدة الإسلامية الجديدة دورها في التأثير على لسياسة العالمية^(١٩).
- ٥- تستعيد الدولة العثمانية بوصفها دولة الخلافة قوتها

يقول : (إن العمل على تقوية الكيان السياسي والاجتماعي الإسلامي، أنصل من إلقائه أرضاً ، وتكوين كيان غريب فكرياً واجتماعياً على نفس الأرض)^(٢٠).

السلطان عبد الحميد الثاني أيد الدعوة إلى تحقيق الجامعة الإسلامية التي روح لها كل من السيد جمال الدين الأفغاني والشهيد محمد عبده وقدم مشروعات أكثر بكثير من ضموح السلطان، ولم يكن السلطان يأمل في أكثر من وحدة هدف بين الشعوب الإسلامية، لكن الأفغاني عرض على السلطان مشروعاً يرمي إلى توحيد أهل السنة مع الشيعة، واستبد السلطان عبد الحميد كثيراً من الأفغاني في الدعاية إلى الجامعة الإسلامية، رغم الاختلاف بين فكر السلطان وفكر الأفغاني ، ومن أسباب الاختلاف :

- ١- إيمان الأفغاني بقضية وحدة المسلمين .
- ٢- دعوة الأفغاني لوحدة الشعوب الإسلامية.
- ٣- تهديد جمال الدين بالاستعمار الإنكليزي.

٤- الخلاف العقائدي الذي ظهر بين العلماء في إسطنبول وبين جمال الدين الأفغاني وظهر كتاب الشيخ (خليل فوري الغيلباوي) المعنون (السيوف القواطع) للرد على عقيدة الأفغاني وسكوت الأفغاني عن هذا وعدم دفاعه عن نفسه.

أما رأي جمال الدين الأفغاني في السلطان عبد الحميد فإنه يقول : (إن السلطان عبد الحميد لو ورث مع أربعة من نواح رجال العصر لرحلهم ذكاً ودهاً وسياسة، خصوصاً في تسخير حليسه، ولا عجب إذ رأياه بذلك ما يقام للملكه من الصعاب من دول الغرب، ويخرج المادى له من حصرت راصياً عنه وعن سيرته وسيره، ومقتضياً بحجته سواء من ذلك الملك والأمير والوزير والسفير....) (٢١١).

وقال : (ورأيته يعلم دقائق الأمور السياسية ومرامى الدول الغربية، وهو معد لكل هوة تطرأ على الملك، مخترع ومبتدع وأعظم ما ذهبت، ما أعده من خفى الوسائل وأقصى العوامل، كي لا تنفق أوروبا على عمل خطر في أملاكك العثمانية، وبهذه عياناً محسوساً أن مخترعة السلطنة العثمانية لا يمكن إلا بحراب يعم شياطين الأوربية بأسرها) (٢١٢).

ويقول : (أما ما رأيته من بحسه السلطان ورشدته وحذره، وإعادة العدة اللازمة لإبطال مكائد أوروبا وحسن نواياه واستعداداته للشهر من بالدولة لدى فيه بهمة المسلمين عموماً، فقد دفعني إلى مد يدي له فساهمته بالخلافة والملك، عمالي علم اليقين أن أملاك الإسلامية في الشرق لا تسلم من شراك أوروبا، ولا من السعي وراء إضعافها وتجزئتها، وفي الأخير أردتها واحدة بعد أخرى، إلا ببقطة وانتهاء عومى واتصوا، تحت راية الخليفة الأعظم....) (٢١٣).

لقد استهدف السلطان عبد الحميد الطرق الصوفية في كسب ولايتها للدولة العثمانية، والدعوة إلى فكرة الجامعة الإسلامية، واستطاع أن يكون رابطة بين مقر الخلافة - إسطنبول - وبين تكايا ومراكز تجمع الطرق الصوفية في كل أنحاء العالم الإسلامي، واتخذ من حركة التصوف في العالم الإسلامي وسيلة للدعاية للجامعة الإسلامية، وتكررت في عاصمة الخلافة لجنة مركزية، مكونة من العلماء وشيوخ الطرق الصوفية حيث عملوا مستشارين للسلطان في شؤون الجامعة الإسلامية : الشيخ (أحمد أسعد) وكيل الفراشة الشريفة في الحجاز، والشيخ (أبو الهدى الصيادي) شيخ الطريقة الرفاعية، والشيخ (محمد ظاهر الطرابلسي) شيخ الطريقة المدينية، والشيخ رحمة الله عليه أحد علماء الحرم المكي، كانوا أبرز أعضاء هذه اللجنة للجامعة الإسلامية، وكان معهم غيرهم، وكانت الدولة العثمانية تنشر فيها هيئات فرعية في

في كافة الأقاليم حاصصة لهذه اللحنة، ومن أهمها التي كانت في مكة تحت إشراف شريف مكة ومهمتها نشر مفهوم الجامعة الإسلامية في موسم الحج بين الحجاج، وأخرى في بغداد، وتقوم بالمهمة نفسها بين تناع الطريقة القادرية، الذين يأتون بكثرة من الشمال الإفريقي لزيارة الشيخ عبد القادر الكيلاني مؤسس الطريقة، وقد قدرت أعداد هؤلاء في إحدى السنوات بحوالي (٢٥٠٠٠) نسمة، وكانت لجنة بغداد تقوم بتهيئة القادمين لحمل فكرة الجامعة الإسلامية، ولقاومة الاستعمار العرسي في شمال إفريقيا، ووصعت المخابرات العرسية ما قام به هؤلاء القادمون من أهل الشمال الإفريقي من بغداد، من أعمال ضد العرسيين، وصد الاستعمار العرسي بأنها: (استمرارات بعض رجال الدين التابعين للطريقة القادرية) (٢٤).

ولم تستطع المخابرات العرسية أن تكشف وسائل التنظيم للطرق الصوفية التابعة للخلافة الإسلامية في شمال إفريقيا وكل ما استطاعت عمله، هو محاولة إضعاف هبة السلطان عبد الحميد في نفوس مسلمي شمال إفريقيا، ومحاولة هذه السلطات صرب سياسة الجامعة الإسلامية، وذلك باتتباع سياسة فرنسية تقوم على:

١- اعراء بعض شيوخ الطرق الصوفية بالمال والمكر، للوقوف مع فرنسا وسياساتها في شمال إفريقيا.

٢- مع الحجاج من الحج، واتخاذ أساس صحيحة لتحريف الناس منه، مثل نشر أخبار وجود الكوليرا (٢٥).

وأرسل السلطان عبد الحميد مجموعة من الرهاد والمتصوفة إلى الهند، لتعمل على القصاص على المحاولات الإنكليزية الداعية إلى سلب الخلافة من العثمانيين، لإعطائها إلى العرب، وتصلت هذه القافلة أيضاً ببعض حكام الجزيرة العربية لاسيما المحاز (٢٦).

لقد نجح السلطان عبد الحميد الثاني في جمع الطرق الصوفية إلا أنه فصل السكوت عن كثير من إنجازاتها العقدية بحيث أن الطرق الصوفية في تلك المرحلة انحرفت عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما رحم الله، ولذلك أضعفت الأمة وأسهمت في سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية السنية، وسبب ذلك بإذن الله تعالى في أساس السقوط.

كان السلطان عبد الحميد يرى- منذ أن تولى الحكم- ضرورة اتحاذ اللغة العربية لغة رسمية للدولة العثمانية، وفي هذا يقول: (اللغة العربية لغة حميلة، لبتما كما اتخذها لغة

رسمية للدولة من قبل، لقد اقترحت على (حيدر الدين باشا - التونسي - عندما كان صدراً أعظم أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية ، لكن سعيد باشا كبير أمراء القصر اعترض على اقتراحه هذا ، وقال : (إذا عرّبا الدولة فس يبقى - للعصر التركي - شيء بعد ذلك) .
 إن من الأخطاء التي وقعت فيها الدولة العثمانية عدم تعريب الدولة وشعبها بلغة القرآن الكريم والشرع الحكيم.

عندما تولى السلطان عبد الحميد السلطة رأى أن المدارس ، ونظام التعليم أصبح متأثرًا بالعكر الغربي ، وأن التيار القومي . هو التيار السائد في هذه المدارس ، فتدخل في شؤونها ووجهها - من خلال نظراته السياسية - إلى الدراسات الإسلامية ، فأمر بالآتي:

- استبعاد مادة الأدب والتاريخ لعام من البرامج الدراسية لكونها وسيلة من وسائل الأدب الغربي ، والتاريخ القومي لشعوب الأخرى مما يؤثر على أجيال المسلمين سلبيًا -
 - وضع دروس الفقه ، تفسير ، أخلاق في برامج الدراسة

- الاكتفاء فقط على تدريس تاريخ الإسلام في مادة عثمانية

وجعل السلطان عبد الحميد مدارس تدور تحت رتبته الشخصية ووجهها لخدمة الجامعة الإسلامية^(٢٧٦).

واهتم بالمرأة وجعل للمفتيات دارًا للمعلّمات ومنع اختلاطهن بالرجال ، وفي هذا يذكر السلطان في معرض الدفاع عن نفسه أمام اتهام جمعية الاتحاد والترقي له بأنه عبد العقل والعلم بأنه . (لو كنت عدوًا للعقل والعلم فهل كنت أفتح الجامعة ؟ لو كنت هكذا عدوًا للعلم ، فهل كنت أشقّ لعبائنا النواتي لا يختلط بالرجال ، دارًا للمعلّمات ؟)^(٢٧٨).

وقام بمحاربة سفور المرأة في الدولة العثمانية ، وهاجم تسرب أخلاق الغرب إلى بعض النساء العثمانيات .

وكان السلطان عبد الحميد يرى : (إن المرأة لا تتساوى مع الرجل من حيث القوامة) ، ويقول : (ما دام القرآن يقول بهذا ، فانسأنة مشهية ولا داعي للتحدث عن مساواة المرأة بالرجل) .

ويرى : (أن فكرة هذه المساواة إنما جاءت من الغرب)^(٢٧٩).

كما كان يدافع عن تعدد الزوجات ، في وقت كان الإعلام العثماني يشير هذه القضية معترضاً عليها، ويؤكد السلطان أن مبدأ تعدد الزوجات متاح في الإسلام فعاداً يعني الاعتراض عليه ؟

لقد كان السلطان عبد الحميد مع تعليم المرأة، ولذلك أنشأ داراً للمعلمات لتخريج معلمات للنساء كما كان ضد الاحتلاط بين الرجل والمرأة وحسد سفور المرأة، ولم يكن في عهده للمرأة رأى في شئون الدولة مهما كانت هذه الشؤون وإنما دور المرأة في البيت وتربية الأجيال ، وكان يعامل المرأة معاملة كريمة.

أنشأ السلطان عبد الحميد في إسطنبول ، باعتباره مقر الخلافة ومركز السلطة (مدرسة العناتر العربية) من أجل تعليم وإعداد أولاد العناتر العربية، من ولايات حلب، وسورية ، وبغداد، والبصرة ، الموصل، ودير بكر، وطرابلس العرب واليمن، والحجاز، وبغاري، والقدم، ودير الزور.

وكانت مدة الدراسة في مدرسة العناتر العربية في إسطنبول خمس سنوات ، وهي داخلية تشكل الدولة العثمانية بكل مصارف الطلاب ، وتكل طالب «إحارة صلة الرحم» وهي إجازة مرة كل سنتين، وسفر الطالب بها على نفقة الدولة.

وبرنامج الدراسة في هذه المدرسة خمس سنوات في تعليم القرآن الكريم والتوحيد والأبجدية والعلوم الدينية والقراءة التركية والإملاء والتدرب العسكري والحساب واللغة الفارسية والسحو التركي والجغرافيا والتاريخ العثماني والقواعد العثمانية والمعلومات المتنوعة ... الخ.

كما أنشأ السلطان عبد الحميد (معهد تدريب الوعاظ والمرشدين) أقيم لإعداد الدعاة للدعوة الإسلامية، وللجامعة الإسلامية ثم يتخرجون فينتقلون إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامي يدعون للإسلام ، ويدعون للخلافة، ويدعون للجامعة الإسلامية (٣٠).

تأسست في بكن - عاصمة الصين- جامعة أطلق عليها المسلمون الصينيون اسم (دار العلوم الحميدية) نسبة إلى السلطان الخليفة عبد الحميد الثاني، وقد حضر افتتاح هذه الجامعة الآلاف من المسلمين الصينيين ، وحضره أيضاً مفتى المسلمين في بكن، والكثير من علماء المسلمين هناك . وفي مراسم الافتتاح ، ألقى الخطبة باللغة العربية، وإن إيراد الخطبة باللغة العربية لغة المسلمين الدينية، ورفع علم الدولة لعثمانية على باب هذه الجامعة.

لقد اهتم السلطان عبد الحميد بمشروع سكة حديد الحجاز الممتدة من دمشق إلى المدينة المنورة واعتنوه وسيلة من الوسائل التي أدت إلى إعلاء شأن الخلافة وبشر فكرة الجامعة الإسلامية. وأبدى السلطان عبد الحميد اهتماماً بالغاً بإنشاء الخطوط الحديدية في مختلف أنحاء الدولة العثمانية مستهدفاً من وراءها تحقيق ثلاثة أغراض هي:

١- ربط أحرار الدولة المتباعدة مما ساعد على محام فكرة الوحدة العثمانية والجامعة الإسلامية والسيطرة الكاملة على الولايات التي تتطلب ترقية قصة الدولة عليها .

٢- إحياء تلك الولايات على الاندماج في الدولة والخضوع للقوانين العسكرية التي تنص على وجوب الاشتراك في الدفاع عن الخلافة بتقديم المال والرجال.

٣- تسهيل مهمة الدفاع عن الدولة في أية جهة من الجهات التي تتعرض للعدوان، لأن مد الخطوط الحديدية ساعد على سرعة توريق القوات لعثمانية وإرسالها إلى الجهات (٢٠).

وكانت سكك حديد حجاز من أهم الخطوط الحديدية التي نشئت في عهد السلطان عبد الحميد. ففي سنة ١٣١٨ هـ . ١٩٠٠ م بدأ تشييد خط حديدي من دمشق إلى المدينة، ولم يكن العرض من إنشاء هذا الخط مجرد خدمة حجاج بيت الله الحرام وتسهيل وصولهم إلى مكة والمدينة ، وإنما كان السلطان عبد الحميد يرمى من وراءه أيضاً إلى أهداف سياسية وعسكرية.

وكان أول قطار قد وصل إلى محطة سكة الحديد في المدينة المنورة من دمشق الشام يوم الموافق ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٠٨ م، وكان بمثابة تحقيق حلم من الأحلام بالنسبة لمئات الملايين من المسلمين في أنحاء العالم كافة، فقد اختصر القطار في رحلته التي استغرقت ثلاثة أيام وقطع فيها ٨١٤ ميلاً مشقات رحلة كانت تستغرق في السابق أكثر من خمسة أسابيع، كما خففت في ذلك اليوم التاريخي قلوب أولئك الذين كانوا مشتاقين إلى القيام بأداء فريضة الحج المقدسة (٢١).

كانت سياسة عبد الحميد إسلامية محضة ، فأراد أن يجمع قلوب المسلمين حوله باعتباره خليفة المسلمين جميعاً فكان مد خط السكة الحديدي بين الشام والحجاز من الوسائل المحمّلة في تحقيق هدفه المنشود (٢٢).

شرع بريطانيا منذ الربع الأول من القرن العشرين الميلادي في تحريض الأكراد ضد الدولة العثمانية، بهدف إحياء عداء عثماني كردي من ناحية، وإعصال الأكراد بدولة تفتطع من الدولة العثمانية من ناحية أخرى.

وضع السلطان عبد الحميد خطة مضادة للعمل التدميري الإنكليزي فقام بالتالي:

- قامت الدولة العثمانية بحماية المواطنين الأكراد من هجمات الأرمن الدموية صدهم.

- أرسل إلى عشائر الأكراد وفوداً من المسلمين للصح والإرشاد والدعوة إلى الانسجام تحت دعوة الجامعة الإسلامية، وأدت هذه الوفود دورها في إيقاظ الأكراد تجاه الأطماع الغربية.

- اتحد السلطان عبد الحميد إجراءات يخصص بها ارتباط أمراء الأكراد به وبالدولة.

- أسس الوحدات العسكرية الحميدية في شرق الأناضول من الأكراد، للوقوف أمام الاعتداءات الأرمنية.

- كان موقف الدولة قوياً ضد أضاع الأرمن في إقامة دولة تقطع عن أراضيها، وبذلك شعر الأكراد المقيعون في نفس المنطقة بالأمان^(٣٤).

- عملت الدولة على كشف محسّنات الإنكسار الهدافة إلى تعثيث الدولة العثمانية تحت مسمى حرية القوميات في تأسيس كل قومية دولة مختصة بها.

استطاع السلطان عبد الحميد أن يضيق على النفوذ البريطاني في اليمن ويحقق نجاحاً طاهراً في صراعه مع الإنكليز في تلك المنطقة، فقد أسس فرقة عسكرية في اليمن قوامها ثمانية آلاف جندي، لإعادة اليمن إلى الدولة العثمانية مرة أخرى، وقد حاول الإنكليز إذكاء نيران التمرد في اليمن، ضد الدولة العثمانية ولكن السياسة الحكيمة التي سار عليها السلطان عبد الحميد كفلت له النجاح في اليمن^(٣٥).

كانت إيطاليا تحلم بضم شمال إفريقيا، لأنها تراه مبرأناً لإيطاليا، هكذا صرح رئيس ودراتها (مترسي)^(٣٦)، لكن فرنسا احتلت تونس وإنكلترا احتلت مصر، ولم يبق أمام إيطاليا إلا ليبيا.

وسعت إيطاليا سياستها في ليبيا على ثلاث مراحل:

الأولى: الحلول السلمية، بيش المدارس والنسك وغيرها من «مؤسسات خدمية».

الثانية: العلم على أن تعترف الدول بأطماع إيطاليا في احتلال ليبيا، بالطرق الدبلوماسية.

الثالثة : إعلان الحرب على الدولة العثمانية والاحتلال الفعلي

وكان السلطان عبد الحميد متبعاً لذلك الأطماع الإيطالية، وطلب معلومات من مصادر مختلفة عن نشاط الإيطاليين في «ليبيا» وأهدافهم، فحادثته المعلومات تقول : إن الإيطاليين يمدّونهم وسرّوهم ومؤسّساتهم الخيرية التي يقيمونها في الولايات العثمانية، سواء في ليبيا في أنابا، هدف آخر هو تحقيق أطماع إيطاليين في الاستيلاء على كل من:

١- طرابلس الغرب.

٢- ألبانيا.

٣- مناطق الأماضول الواقعة على الساحر الأبيض المتوسط: أرمير - الإسكندرية - أنطاكية).

لما شعر السلطان عبد الحميد لاسي أنه سواجه سداً إيطاليّ مسلحاً على ليبيا، قام بإمداد القوات العثمانية في ليبيا (١٩٠٥) حتى استقرت وطل يقطاً حساساً تجاه التحركات الإيطالية، وشاعها شخصياً، دفعه، ويطّلع كل ما يتعلّق بالشؤون الليبية بنفسه بواسطة سفير الدولة العثمانية في روما، وفي طرابلس جعل الإيطاليين يصطرون إلى تأجيل احتلال ليبيا، وتم لهم ذلك في عهد جمعية لاه - والترقي^{٣٧}.

المبحث الثالث

السلطان عبد الحميد واليهود

إن حقيقة الصراع بين السلطان عبد الحميد الناسى واليهود من أهم الأحداث في تاريخ السلطان المسلم الغيور عبد الحميد الثاني.

إن أمر اليهود وعيادهم للإسلام يعود جذوره إلى ظهور الإسلام منذ أن انتصر الإسلام وأحلامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المندية المورة لحياتهم المتكررة وعداوتهم الدائمة ومن ثم عن سائر الجريرة العربية في عهد الحليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهم يكيدون له، وقد تظاهر بعضهم بالإسلام وبث السموم في جسم الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، وما عبدالله بن سبأ والقرامطة والحشاشون والراوذية والدعوات الهدامة التي ظهرت في تاريخ المسلمين عنهم بعيد.

إن اليهود قتموا بكافة الامتيازات والخصومات بموجب قوانين رعاية الدولة (٢٨)، ووجدوا السلم والأمان وحرية ارجود الكامل في بطنه العثمانية (٢٩).

وبالنسبة ليهود الدولة هناك عددهم عديدة كنيسة تربية. إذ أن الكلمة من الناحية اللغوية مشتقة من الكلمة التركية (دوش) التي تعنى لرجوع أو العودة أو الارتداد. أما المفهوم الاجتماعي لهذه الكلمة فإنه يعنى المرتد أو المتذبذب، بينما تعنى هذه الكلمة من الناحية الدينية مذهباً دينياً حديثاً، دعا إليه الخادم سابان رضى. أما المفهوم السياسى لهذه الكلمة فإنه يعنى اليهود المسلمين الذين لهم كيانهم الخاص (٣٠). وقد أطلق المعنى الخاص بالدعوة منذ القرن السابع عشر على اليهود الذى يعيشون في المدن الإسلامية وخاصة في ولاية سلاطيك، وأطلق العثمانيون اسم الدعوة على اليهود لعرض بيان وتوصيح العودة من اليهودية إلى الإسلام، ثم أصبح علماً على فئة من يهود الأندلس الذين لجؤوا إلى الدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق العقيدة الإسلامية (٣١).

إن مؤسس فرقة الدعوة هو شينى رضى الذى ادعى بأنه المسيح المنتظر في القرن السابع عشر، حيث انتشرت في تلك الأيام شائعة تقول: إن المسيح سيظهر في عام ١٦٤٨م، كى يفرد اليهود في صورة المسيح، وإنه سوف يحكم العالم في فلسطين، ويحل القدس عاصمة الدولة اليهودية المرعومة (٣٢).

قام بجهود الدومجة بدور فعال في بصرة القوى المعادية للسلطان عبد الحميد والتي تحركت من سلاتيك لعرله ، وهم الذين سمعوا أفكار الصبسط الشباب ، وفي الصحف ودور النشر وتعللوا في الاقتصاد العثماني وكل مباحي الحياة في الدولة العثمانية ^(٤٤٣).

وفي حقيقة الأمر اهتم عبد الحميد بإبقاء 'الدومجة' في ولاية سالونيك وعدم وصولهم إلى الأستانة . بغية عدم السيطرة عليها والتجنب من تحركاتهم ، وبثيعة للموقف الحاد من عبد الحميد إزاء 'فرقة الدومجة' اشعوا استراتيجياتهم مصادرة له ، حيث تحركوا صده على مستوى الرأي العام العثماني والجيش ^(٤٤٤).

وبثيعة لموقف عبد الحميد من الدومجة ^(٤٤٥) ، قام بجهود الدومجة بالتعاون مع المحافل الماسونية للإضاحه به ، وقد استخدم هؤلاء شعارات معيبة كالحركة الديمقراطية وراحة المستبد عبد الحميد ، وعلى هذا الأساس قاموا بنشر 'شفتار' والسرد في الدولة العثمانية بين صفوف الجيش ، وكانت الغاية من هذا هي تحقيق المشروع 'الاستيطاني' الصهيوني باستيطان فلسطين ، وكان جهود الدومجة يشككون نسبة 'ذولي' تنفيذ 'الحشيشات' اليهودية العالمية ^(٤٤٦).

استطاع زعيم الحركة اليهودية الصهيونية العنصرية 'نوردر هرتزل' أن يتحصل على تأييد 'أوروبي' للمسألة اليهودية من بعض الدول الأوروبية وهي (ألمانيا ، وبريطانيا ، وفرنسا) وجعل من هذه الدول قوة ضغط على الدولة العثمانية مهيئاً لقبوله السلطان عبد الحميد وطلب فلسطين منه ، وكانت الدولة العثمانية تعاني من مشاكل مالية متعددة ، إذ كانت الأحوال الاقتصادية في البلاد على درجة من السوء بحيث فرصت الدول الأوروبية الدائنة وجود بعثة مالية أوروبية في تركيا العثمانية للإشراف على أوضاعها الاقتصادية صمناً لسداد ديونها ، الأمر الذي دفع السلطان عبد الحميد الثاني أن يحد حلاً لهذه المعضلة.

كانت هذه الشعرة هي السبيل الوحيد أمام هرتزل ، كي يؤثر على سياسة السلطان عبد الحميد الثاني تجاه اليهود ، وفي هذا الصدد يقول هرتزل في مذكراته : (علينا أن نسق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا ، مليونان منها ثلثاً لفلسطين والباقي لتحرير تركيا العثمانية بتسديد ديونها تمهيداً للتخلص من العنصرية الأوروبية ، ومن ثم تقوم بتمويل السلطان بعد ذلك بأي قروض جديدة بطلبها ^(٤٤٧)).

كان السلطان عبد الحميد من خلال مقابلاته مع هرتزل مستمعاً أكثر منه منكلفاً وكان يرضى

لهرتزل في الكلام كي بدفعه أن يتحدث بكل ما يحظر في مخيلته من أفكار ومشروعات ومطالب، وقد أدى هذا الأمر إلى أن يعتقد هرتزل بأنه محج في مهمته هذه، ولكنه أدرك في نهاية الأمر بأنه قد أخفق في اقناع السلطان وأن أحداثاته أخذت تمير في طريق مسدود معه (٤٧).

ونتيجة لذلك، تحدث هرتزل قائلاً: (في حالة مع السلطان فلسطين لليهود، سأحد على عاتقنا تنظيم الأوضاع المالية، أما في القارة الأوروبية فبسا نقوم بإبحار حصص مع صد أسبيا، وسوف نسي حضارة صد التحلف، كما سنسقى في جميع أنحاء أوروبا بغية صمد وعودنا) (٤٨).

وفي الحقيقة كان السلطان عبد الحميد الثاني يرى أنه من الضروري عدم توطي اليهود في فلسطين، كي يحتفظ العصر العرس بتفوه النضيم. وفي هذا الصدد يقول: (... ولكن لدينا عدد كاف من اليهود، إذا كنا نريد أن يبقى العصر العرس متفوقاً، علينا أن نصرف النظرة عن فكرة توطي اليهود في فلسطين وإلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضاً فملكوا كافة قدراتها خلال وقت قصير، ولذا نكون قد حكمنا على إحيائها في نديس بالموت المحتم) (٤٩).

وعن القلم يقول السلطان عبد الحميد في استماعه إلى (تودور هرتزل) معرفة الآن:

١- حقيقة الخطط اليهودية.

٢- معرفة قوة اليهود العالمية ومدى قوتها.

٣- إنقاذ الدولة العثمانية من مخاطر اليهود (٥٠).

ولقد اتخذ السلطان عبد الحميد الثاني كل التدابير اللازمة في سبيل عدم بيع الأراضي إلى اليهود في فلسطين، وعدم إعطاء أي امتياز لليهود، ويعزز هذا القول هرتز عندما قال: (إنني أفقد الأمل في تحقيق آماني اليهود في فلسطين، وإن اليهود لن يستطيعوا دخول الأرض الموعودة، ما دام السلطان عبد الحميد قائماً في الحكم، مستمر فيه) (٥١).

وتحرك الصهيونية العالمية، لتندم أعداء السلطان عبد الحميد الثاني، وهم المتمردون الأرض، والقوميون في اللقان، وحركة حرب الاتحاد والترقي، والوقوف مع كل حركة انفصالية عن الدولة العثمانية (٥٢) ولجحت محطاتهم في عزل السلطان عبد الحميد الثاني عن الحكم.

المبحث الرابع

السلطان عبد الحميد وجمعية الاتحاد والترقي

كان الشباب العثماني المثقف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد تأثر بأفكار الثورة الفرنسية، التي حققت حكمًا ديمقراطيًا في فرنسا وأتت بأفكار القومية والعلمانية والتحرر من حكم الفرد، وكذلك تأثر بالحركة القومية الايطالية التي قادها (مترسي) بظنها وحلاياها، وكانت الدولة العثمانية قد تعرضت لحمولات عسكرية وإعلامية، غرضها إصعاب الدولة ومن ثم العمل على تفتيتها، وكانت الدول الأوروبية تتخذ من أوضاع الصناري في الدولة حجة للتدخل، وفي هذه الظروف وبالوسط في عام ١٨٦٥م، كان ستة من الشباب العثمانيين المثقفين يسبغون في حديقة في صواحي إسطنبول تسمى (غابة بلغراد)، تحدث هؤلاء الشباب في موضوعات سياسية، وحرصوا على ذكره تكريس جمعية سرية، على نطق جمعية (إيطالية الفتاة) التي أسسها لرغم (إيطالي مترسي) عام ١٨٣١م، بهدف الوحدة الإيطالية تحت راية الجمهورية، أطلق هؤلاء الشباب على جمعيتهم هذه اسم (اتحاد الحميدية)، ومن صمم هؤلاء الشباب الشاعر نوري أحمق كتب بعد أربع أشهره «ماثق كمال»، وأرأوا أن انعمل لابد أن يكون في تعريف الشعب بحقوقه السياسية، وحصوله عليها، وبالتالي فإن رغبة الشعوب المصرية في الاستقلال بماظفها عن الدولة، أعلن لها ما يسرها من تدخل أحسن صحة مساندة الأقليات الدينية، وكانوا يرون أن إبقاء الدولة في حالة التردى التي وصلت إليها يكون بإيجاد نظام سياسي ديمقراطي، وكان في فرنسا في تلك الفترة مصطفى باشا الأمير المصري الذي برع فيؤاد باشا اترعية في تولي عرش مصر، وفي فرنسا أعلن الأمير أنه صمم النصارى الهادى بالدستور في الدولة العثمانية، وقدم نفسه بعارة ممثل حرب تركية الفتاة وأعجب هذا الاسم المجتمعات الأوروبية المعنية بشاع اسم «حرب تركية الفتاة» في أوروبا.

ويذكر مؤسس جمعية الاتحاد - وهو إبراهيم تيمو - أنه كان يوصى أوقاتة في الخارج - حتى عام ١٨٩٥م - بمحاولة كسب أعضاء جدد لمنظمتهم، لتقريبهم تربية ثورية وبمقدد الاجتماعات السرية، وقراءة الأعمال الأدبية التي أنفها أعضاء جمعية العثمانيين الجدد، مثل ماثق كمال وصبيح باشا، وقراءة منشورات على شعثى بك - عضو كلاتنى الماسونية - وكان قارًا في أوروبا.

كان اسم الجمعية في الأوساط العسكرية هو (الاتحاد العثماني) ، وكان أحمد رضا بك - ممثل الحياح المقدس - مثبِّتاً برديكار أنغليسوف (أوعسطن كانت) وكان دستور هنا الفيلسوف هو «النظام والترقي» ، فأخذ أحمد رضا كلمة (الترقي) استلهاً من دستور «كانت» ، واحتفظ العسكريون باسم (الاتحاد) وانعز الجميع أن تكون جمعيتهم باسم (الاتحاد والترقي) (٥٥).

لقد قامت جمعية الاتحاد والترقي على إثارة المشاعر القومية عند الأتراك ، تحت حلم الطوراسة ، (الطورانية تسمية تشير إلى وطن الأتراك الأصلي، ونسبته إلى جبل توران الواقع في المنطقة الشمالية الشرقية في إيران) (٥٦). وقد نادى بمذهب جديدة مثل الوطن والمستور والحرة ، وكانت هذه المذهب عريضة على العثمانيين، وقد صمدت في صفوفها مجموعة من الشباب المشغول الأتراك. بالإضافة إلى جهود تدعيمه وكانت العناية بها الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد الثاني (٥٧).

ARCHIVE

المبحث الخامس

الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد الثاني

كان السلطان عبد الحميد الثاني شديد الخدر من جمعية الاتحاد والترقي المدعومة من اليهود والمحدث المسيحية والنول العربية ، واستطاع جهاز محبرات السلطان عبد الحميد أن يتعرف على الحركة ويجمع المعلومات عنها ، إلا أن هذه الحركة كانت قوية ، وقد جاءت مراقبة عبد الحميد لأعضاء هذه الحركة في وقت متأخر ، حيث دعوا الأهالي إلى مظاهرات صاخبة في سلاطيك ومباستر وأسكلوب وسوس مطالبين بإعادة الدستور ، بالإصاحة إلى أن المتظاهرين هددوا بالتحرف إلى إسطنبول ، الأمر الذي أدى بالسلطان إلى الرضوخ لمطالب المتظاهرين حيث قام بإعلان الدستور وإحياء البرلمان ، وذلك في ٢٤ محرم ١٩٠٨م ، وكانت هناك عدة أسباب جعلت من جمعية الاتحاد والترقي أن تسمى السلطان عبد الحميد الثاني في تلك الفترة على العرض منها :

- ١- لم تكن في حوزة الاتحاد والترقي القوة الكافية بعزلهم في عام ١٩٠٨م.
- ٢- انداع السلطان عبد الحميد إلى سياسة لمرته معهم ، وذلك بتفويض رغباتهم بإعادة الدستور .
- ٣- ولاء الشعبين لشخص السلطان عبد الحميد ، وهذه النقطة واضحة ، حيث أن لجنة الاتحاد والترقي لم تكن لها الخبرة الكافية على نشر دعايتها ضد السلطان عبد الحميد الثاني بن الجنود ، لأن هؤلاء يحملون السلطان (٤٨) .
- إن الصهيونية العالمية لم تقتصر على الانقلاب الدستوري لعام ١٩٠٨م ، بل تعاربت مع جمعية الاتحاد والترقي لتحقيق مكاسب أخرى في فلسطين ، وعليها كان لابد من التخلص من السلطان عبد الحميد الثاني نهائياً ، ولذلك دبرت أحداث ٣١ أبريل ١٩٠٩م في إسطنبول وترتب على إثره ، اضطراب كبير قتل فيه بعض عسكري جمعية الاتحاد والترقي ، عرف الحادث في التاريخ باسم حادث ٣١ مارس .

وقد حدث هذا الاضطراب انكسر في العاصمة بتحريض أوروبي يهودي ، مع رجال الاتحاد والترقي ، وتحرك على إثره عسكري الاتحاد والترقي من سلاطيك ودخلوا إسطنبول ، وسعدا تم عزل جليقة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني من كل سلطاته المدنية والدينية ، ثم وجهت إليه جمعية الاتحاد والترقي الاتهام التالية :

١- تدبير حادث ٢١ مارت (مارس).

٢- إهراق المصاحف (وهنا غير صحيح) .

٣- الإسراف.

٤- الظلم وسفك الدماء (١٩١).

وكلها تهم باطلة لا أساس لها من الصحة.

لقد كان الفكر الحاكم في اتجاهات جمعية الاتحاد والترقي هو : الماسونية وهي لا تعترف بالأديان ، بل بالعلسة الوصعية (العقلانية وهي تنفي الدين) والعلمانية (وهي تنعد الدين عن الحياة) ، ومع ذلك استخدم النوار الاتحاديون الدين لمحاربة السلطان عبد الحميد الثاني واقتروا عليه باسم الدين (١٩٠).

إن التهم التي وجهت لسلطان عبد الحميد الثاني لاشت أمام البحث العلمي والحيث ، والبراهين الدالة على برائه لكسبة هي بسبب إيمه، فقد أثبتت لأدلة على عدم علم السلطان عبد الحميد بحادث ٣١ مارت (مارس) ، كما أنه (س الجدل إهراق السلطان عبد الحميد للمصحف ، فهو سلطان معروف بتقواه، وله يعرف عنه ركة للفلاة وهماله للتعبد، كما أنه معروف بعدم إسرافه ، ولأنه لا يعرف الإسراف فقد كان حال يتوفر معه دائماً، ولذلك فقد أزعج من على كاهل الدولة أعف ، كثيرة من ماله الخاص). وعن ظلمه وسفكه للدماء فلم يعرف عن السلطان عبد الحميد هذا ، سفك الدماء لأن ذلك لم يكن أبداً ضمن سياسته (١٩١).

ويتكليف من جمعية الاتحاد والترقي تم تكريس لجنة لإبلاغ خليفة المسلمين وسلطان الدولة العثمانية عبد الحميد الثاني بقرار جلعه ، وكانت هذه اللجنة تتألف من :

١- إيمانويل قراصو : وهو يهودي أساسي، كان من أوائل المشتركين في حركة تركيا الفتاة، وكان مسئولاً أمام جمعية الاتحاد والترقي عن إثارة الشغب وتحريض المتظاهرين ضد السلطان عبد الحميد الثاني وتأميم التحارب بين سلاتيك واسطسول فيما يتعلق بالانتخابات الحركية.

٢- آرام. وهو أرمي عضو في مجلس الأعيان العثماني.

٣- أسعد طوبطاني: وهو ألباني، نائب في مجلس المبعوثات عن منطقة دراج.

٤- غازي حكمت . وهو فريق بحري وعضو مجلس الأعيان، وهو كرسي العراق (١٩٢).

يرى السلطان عبد الحميد في مذكراته تفاصيل هذه الحالة فيقول : (إن ما يحرسى ليس الإبعاد عن السلطة ، ولكنها المعاملة عبر المحترمة التي ألغياها بعد كلمات أسعد باشا والتي خرجت عن كل حدود الأدب ، حيث قلت لهم : إيسى أنحى للشرعية ولقرار مجلس المسعودين ذلك تقدير العربر العليم، سوى أنى أؤكد بأنه لم يكن لى أدنى علاقة لا من بعيد ولا من قريب بالأحداث التي تفجرت في ٣١ مارت ثم أردف قائلاً : (إن المسؤولية التي تحملتموها ثقيلة جداً) . ثم أشار عبد الحميد إلى قرصو قائلاً : (م هو عمل هذا اليهودى في مقام الخلافة ؟) وبأى قصد حثتم بهذا الرجل أمامى؟ (١٦١).

لكن هذا اليهودى الحاقد كانت له أهداف يرغب في تحقيقها وقف السلطان عبد الحميد الضائى ضدها بكل ما يملك من قوة وهي :

(مع السلطان عبد الحميد تحدى هدف إنشاء دولة يهودية في فلسطين وكلف هذا المع السلطان عبد الحميد عذبت وأدى عرشه، وأدى هذا فيم بعد إلى انهيار الدولة العثمانية كلها) ، ورغم أنه كان يردد : كتب من طهم الذين لم يسي أوتغو - في دراسته عن دور اليهود في هدم الدولة العثمانية أن : (اليهود يمشكون قوى كثيرة تستطيع النجاح في العمل المضم، فمال كان عدهم والعلاقات السحابة الدولية كانت في أيديهم، كما كانوا يمثلون الصحافة الأوروبية والمحافل الماسونية) (١٦٢).

وبعد إبعاد عبد الحميد الثاني من السلطة، عثرت الصحف اليهودية في سلاتيك عن غبظتها في الخلاص من (مصطهد إسرائيل) كما وصغته هذه الصحف اليهودية وفي هذا الصدد يقول لوتر : (وبعد إبعاد عبد الحميد من السلطة، عثرت الصحف اليهودية في سلاتيك عن غبظتها، وأخذت ترف المشتتر بالخلاص من (مصطهد إسرائيل) الذي رفض استجابة طلب هرتزل لمرتين، والذي وصع حوار السمر الأحمر الذي يقابل عسنا قانون الأجانب) (١٦٣).

واستمرت الحملات الإعلامية المنظمة شهر تشهيراً عميقاً بالسلطان عبد الحميد الثاني استهدف أعناء الإسلام، من تلك الحملات إظهار الحواب التالية :

١- الدفاع عن أعضاء الاتحاد والترقى.

٢- تعطية فشل الاتحاد والترقى في حكم الدولة.

- ٣- إبراز صورة مشرقة لعهد مصطفى كمال أتاتورك وأعوانه، وتحرير تصرفات عملاء اليهود والإكلير والدول العربية في إلغاء الخلافة وإعلان الجمهورية التركية
- ٤- رغبة النصهاية في تدعيم سيرة السلطان عبد الحميد الثاني انتقاماً منه لسياسته المعادية لأهدافهم في فلسطين^(١٦٧).

وحقيقة الأمر أنه لولا أصالة الدولة العثمانية وعراقتها وشموخها لأصبحت هباءً منثوراً، وطويت صفحاتها منذ مطلع العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، ولكنها ظلت تقارم عمادى الرمس كثر من قريين ، وتبجحة للرحب الاستعماري، والكيد اليهودي، والمخر 'المأسوس'، والضعف الشديد الذي ابتاب الدولة ، وهو ضعف لم يكن السلطان عبد الحميد مسؤولاً عنه عدت مملكتات الدولة بهذا بين الدولة الأوربية الاستعمارية التي كانت تحفظ مد زمن بعهد للقضاء على الدولة^(١٦٨).



المبحث السادس

حكم الاتحاديين ونهية الدولة العثمانية

تولى السلطنة والخلافة بعد السلطان عبد الحميد الثاني أخوه محمد رشاد إلا أنه في الحقيقة لا يملك أي سلطة فعلية ، وإنما السلطة أصبحت بيد جمعية الاتحاد والترقي ، وغدت الحكومة العثمانية تركية في مضمونها ، قومية في عصبيتها ، بينما كانت من قبل عثمانية في مضمونها وإسلامية في رابطتها ، فقد تأثرت هذه الجمعية بقوة الأفكار القومية الطورانية التي تدعو إلى تحرير كافة الأتراك ، مدعين أن الشعوب الإسلامية في الأناسول وآسيا الوسطى تشكل أمة واحدة ، وهي الأفكار التي تطورت أخيراً بمجهودات بعض كتّاب الجمعية وعلى رأسها مؤثر كوهي اليهودي ، والكاتب التركي الشهير صيا كوك آل؛ فانعت سياسة التريك ، وذلك بحل اللغة التركية في لغة الرسمية لوجده بعد أن كانت تقف اللغة العربية إلى جاسها ، فتأججت حركة الدعوة إلى لغوية لغرية ، في مواجهة حركة التريك .

كون العرب حزباً مركزية ، كونهم جمعية سرية مثل جمعية القحطانية برئاسة عبد الكريم خليل والصابغ عمر من دمشق ، والجمعية العربية الفتاة ، وتكونت الجمعية الاصطلاحية في بيروت عام ١٩٣١هـ / ١٩١٢م وتعدت مع جمعية النهضة اللبنانية في المهجر قدموا رسالة مشتركة إلى حكومة فرنسا في العام نفسه التماس فيها منها احتلال سوريا ولسان ، بينما اتجه بعض مثقفي العراق نحو الإنكليز وأيد بعضهم إقامة إشراف بريطاني على برامج الإصلاح ، بل وحتى إلى سطر الحماية البريطانية على البلاد^(٦٩).

ولم يطق الاتحاديون بأعضاء الجمعيات العربية ، قدمت العربية الفتاة بمقر مؤتمري عرس في باريس سنة ١٩٣٢هـ / ١٩١٣م ، وقد هبّ العربسيون المكان المناسب لعقد الاجتماع وقرر المؤتمرون :

- ١- ضرورة تنفيذ الإصلاح بسرعة.
- ٢- إشراك العرب بالإدارة المركزية :
- ٣- جعل اللغة العربية لغة رسمية في كافة الولايات العربية.
- ٤- جعل الخدمة العسكرية محلية بالنسبة للعرب إلى حين الضرورة.
- ٥- التعاطف مع مطالب الأرمن .

وأكد الأعضاء بأن حركتهم لا ديمية وتعادل عدد البصاري مع عدد المسلمين في المؤتمر، وكان برئاسة عبد الحميد الزهراوي^(٧٠).

ول قامت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣-١٣٣٧هـ / ١٩١٤-١٩١٨م) دخلت تركيا الحرب إلى جانب دول الوسط (ألمانيا والممسا) في حين تمكن الإنكليز (مراسلة الحسين مكماهون) من حر العرب إلى جانب الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) فسادت فكرة القومية العربية ووقع الصدام بين العرب والترك^(٧١).

وسقطت تركيا بعد هزتها في الحرب واحتل الحلفاء واليونان أجزاء منها، ووقعت الأمم المتحدة تحت سيطرة الإنكليز وأصبح الخليفة كالأسير فيها.

إن حلع السلطان عبد الحميد وقيام جمعية الاتحاد والترقي في الحكم كانت خطوة أساسية نحو تحقيق المخطط الذي تم أثناء الحرب وبعد الحرب في مراحل بعضها فيما يلي:

١- اتفاق الحلفاء على تقسيم العالم الإسلامي الخاص لسلطنة العثمانية بين الحلفاء.

٢- وعد بلعور الذي أصدرته بريطانيا للصهيونية في ٢ / ١١ / ١٩١٧ م الموافق (محرم ١٣٢٦هـ) بإعطاء اليهود وطنًا قوميًا في فلسطين.

٣- إخصاع تركيا لأشجع حركة تعريب وتدعيم لتفهم الإسلامية بقلها من دولة ذات طابع إسلامي إلى دولة عربية الطابع، وتوجيهها وجهة قومية.

لقد تجلّت سياسة مصطفى أتاتورك العلمانية في برنامج حزبه (حزب الشعب الجمهوري) لعام ١٣٤٩هـ وعام ١٣٥٥هـ والتي نص عليها الدستور التركي وهي المبادئ التسعة التي رسمت بشكل سنة أسهم على علم الحزب وهي: القومي، الجمهورية الشعبية، العلمانية، الثورة، سلطة الدولة^(٧٢).

توفي أتاتورك عام ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م بعد أن حقق علمانية تركيا رغم أنف المسلمين.

المبحث السابع

أسباب سقوط الدولة العثمانية

إن أساس سقوط الدولة العثمانية كثيرة أهمها هو الانحدار عن تحكيم شرع الله تعالى الذي جلب للأفراد والأمة تعاسقوصك في الدنيا وإن الانحدار عن شرع الله له أثره البالغ على الحياة في السواحي الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ويظهر تأثير ذلك في أن اندن تظل تنوالى وتترى على الناس حتى تمس جميع شؤون حياتهم .

قال تعالى : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النورة : ٦٣) .

فإن أى أمة لاتعظم شرع الله أمراً وبهت تسقط كما سقط هو إسرائيل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كلاً من نهى الناس عن معروف ومنكر ولتأخذ على يد الظالم ولتأطرنه على الحق ضراً ، ولتفسره على الحق قصراً ، أو ليصرن الله يقلوب بعضكم بعضاً ، ثم ليلعنكم كما لعنهم) (١٧٣) .

لقد تحققت في الدولة العثمانية سنة الله في تغيير الناس من الطاعة والانقياد إلى المعارضة والتمرد على أحكام الله . حيث بأن الله لم يث معبر بركة أنعمه على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الأنفال : ٥٣) .

إن الدوب التي يهلك الله بها الدول ، ويهدب بها الأمم قسمان :

١- معاندة الرسل والكفر بما جاءوا به .

٢- كفر العم بالنظر والأشر ، وعطف الحق وحقار الناس وظلم الصعد ، ومجاناة الأقرباء والإسراف في العسق والمحور ، والغرور بالعنى والثروة فهذا كله من الكفر بمعمة الله ، واستعماؤها في غير ما يرضيه من نفع الناس والعدل العام ، والنوع الثانى من الدوب هو الذى مدرسه أواخر سلاطين الدولة العثمانية وأمرأهم (١٧٤) .

إن الدولة العثمانية في بداية أمرها كانت تمير على شرع الله في كل صغيرة وكبيرة ، ملتزمة بمعهم أهل السنة في مسيرتها الدعوية والجهادية ، أحده بشروط التمكين وأنسابه كما جاءت في القرآن الكريم والسنة الشريعة . أما في أواخر عهدها فقد اصرفت عن شروط

السكنى ، واستعدت عن أساسه المادية والمعوية . قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمَّا يَعِدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الطور: ٥٦، ٥٥)

فكانت الدولة العثمانية في بداية أمرها مستوعبة لتلك الشروط أما في أواخر عهدها فقد أصاب تلك الشروط انحرافاً عن معانيها الأصلية فمثلاً :

- ١- من لوازم الإيمان الصحيح الولاء والبراء .
- ٢- انحصار مفهوم العبادة .
- ٣- انتشار مظاهر الشرك والبدع والانحرافات .
- ٤- الصوفية المحرفة .
- ٥- نشاط الفرق كالدرر ، والنصيرية ، والإسماعيلية ، والنفابانية ، والبهائية وغيرها من الفرق الضالة المحسوبة على الإسلام.
- ٦- غياب القيادة الربانية .
- ٧- رفض فتح باب الاجتهاد .
- ٨- انتشار الظلم في الدولة.
- ٩- الترف والترفاس في الشهوات .
- ١٠- الاختلاف والفرقة .

نتائج البحث

١- تولى حكم الدولة العثمانية بعد مراد الخامس السلطان عبد الحميد الثانى فى عام ١٢٩٣هـ / وصُغت عليه من قِبل مدحت باشا فأعلن الدستور ، ومارس الوزراء استبدادهم واشتدت سياستهم التعريبية بقيادة جمعية العثمانيين الجدد والتي كانت تصمم النخبة المثقفة التي تأثرت بالغرب وعندما حانت الفرصة للسلطان عبد الحميد ألغى الدستور وشرذ زعماء التعريب وعمل على إضعاف سلطانهم ، وشرع فى إصلاح الدولة وفق التعاليم الإسلامية وحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية.

٢- عمل السلطان عبد الحميد الثانى على تشكيل جهاز استخباراتى قوى لحماية الدولة من الداخل وجمع معلومات عن أعدائه من الخارج ، وأخمد ثورات فى البلقان وتمردات داخلية وكان جهاز الاستخبارات من الوسائل المهمة عند السلطان فى القضاء على التمردات الداخلية فى حينها .

٣- دخلت الدولة العثمانية فى حرب ضروس مع روسيا واهربت أمامها واضطرت لعقد معاهدة سان ستيفانو معها ثم بعد ذلك كان مؤتمر برلين فى ألمانيا .

٤- ظهرت فكرة الأخاء الإسلامية فى معترك السياسة فى زمن السلطان عبد الحميد الثانى الذى اهتم بهذه الفكرة من دعم أواصر الأخوة بين المسلمين فى كل مكان حتى تستطيع الأمة أن تقف صد الأطماع الصليبية الاستعمارية .

٥- شرع السلطان عبد الحميد فى تنفيذ مخططة للوصول إلى الجامعة الإسلامية بواسطة وسائل متعددة منها : الاتصال بالدعاة وتنظيم الطرق الصوفية ، والعمل على تعريب الدولة، وإقامة مدرسة العشائر ، وإقامة خط سكة حديد الحجاز، وإبطال مخططات الأعداء .

٦- حاول السلطان عبد الحميد الثانى التصديق على جهود الدولة عندما علم قوته ومؤامراتهم ضد الإسلام .

٧- كان السلطان عبد الحميد الثانى العائق القوي أمام «مخططات حكماء صهيون» فعملوا على ترغيبه بالمال فلم يستطيعوا ، وكان يتخذ التدابير اللازمة فى سبيل عدم بيع الأراضي إلى اليهود فى فلسطين ولم يعط اليهود أى امتياز من شأنه أن يؤدى إلى تغلب اليهود على أراضي فلسطين.

٨- تحركت الصهيونية العالمية لتدعيم أعداء السلطان عبد الحميد الثاني، وهم المتمردون الأرمن، والقوميون البلقان، وحركة حرب الاتحاد والترقي، والوقوف مع كل حركة انفصالية عن الدولة العثمانية.

٩- استطاعت جمعية الاتحاد والترقي أن تعزل السلطان عبد الحميد الثاني عن الحكم وقد حصلت على دعم من الدول الأوروبية، واليهود والمحالل الماسونية للوصول إلى هذا الهدف.

١٠- كانت جمعية الاتحاد والترقي لا تستطيع مقاومة الخلفاء بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، واضطر زعمائها إلى الفرار إلى ألمانيا وروسيا.

١١- إن أسباب سقوط الدولة العثمانية كثيرة جامعها هو الابتعاد عن تحكيم شرع الله تعالى، وهذا الابتعاد عن تحكيم شرع الله تعالى جلب للأفراد والأمة تعاسة وصعكا في الدنيا، وإن آثار الابتعاد عن شرع الله ظهرت في وجهتها المادية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية.

١٢- إن انحراف ملائكة الدولة العثمانية لتفكيرهم عن شرع الله وتعريض الشعوب الإسلامية المحاصصة لهم في الأعراق والعقود والجنس، أثر في تلك الشعوب، وكثرت الاعتقادات المذمومة من الجنس، تعرضت النفوس للهلاك، وشنت حروب وفتن، وبلايا تولدت على إثرها عداوة وبغضاء لم تزل عنهم حتى بعد روائهم.

١٣- إن من سن الله تعالى المستخرجة من حقائق التاريخ أنه إذا عصى الله تعالى عن يعرفونه سلط الله عليهم من لا يعرفه.

١٤- لقد أصيبت الأمة بانحراف شديد في مفاهيم دينها، كعقيدة الولاة والبراء، ومفهوم العبادة، واشترت مظاهر الشرك والدع والحرافات.

١٥- انتشار الظلم في الدولة العثمانية.

١٦- لقد ترتب على ابتعاد الأمة عن شرع ربها آثار خطيرة، كالضعف السياسي، والحرس، والاقتصاد، والعلم، والأخلاقي، والاجتماعي وفقدت الأمة قدرتها على المقاومة، والقضاء على أعدائها، فاستعمرت، وعربت فكرياً، تبيحة لعقدها لشروط التمكين وابتعادها عن أساسه المادية والمعنوية وجهلها بسل الله في يهوى الأمم وسقوطها. قال تعالى: (وَكَوْنُوا أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنفُسًا وَاتَّقُوا لَعْنَتَنَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ تَكُونُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأعراف: ٩٦).

الهوامش

- ١- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دمشق، ص ٣١-٣٣.
- ٢- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دمشق، ص ٥٦.
- ٣- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق، ص ٥٨.
- ٤- نفس المرجع، ص ١٧٨.
- ٥- أحمد عبد الرحمن مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٦- د. إسماعيل باغلي الدولة العثمانية في تاريخ إسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ١٨.
- ٧- د. محمد حرب، مذكرات جنيد عبد الحميد الثاني، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص ٨٠.
- ٨- د. محمد حرب، مذكرات سلطان عبد الحميد الثاني، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص ٩٥.
- ٩- نفسه، ص ٦٥.
- ١٠- نفسه، ص ٩٦.
- ١١- د. إسماعيل أحمد باغلي الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ١٨٩.
- ١٢- د. إسماعيل باغلي الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ١٨٩.
- ١٣- نفسه، ص ١٩٠.
- ١٤- انظر النجدة، المجلدة في تاريخ الدولة العثمانية، إبراهيم حليم بك، ص ٢٤١.
- ١٥- د. عبد العزيز العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار إشبيلية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص ٤١٨.

- ١٦- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١هـ - ١٩٩٩م، دمشق، ص ١٤٤ .
- ١٧- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، دار العلم، الطبعة الأولى، ١٤١هـ - ١٩٩٠م، دمشق، ص ١٤٥ .
- ١٨- إسماعيل أحمد ياعنى الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة الصيكن - الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ١٩٥ .
- ١٩- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١هـ - ١٩٩٩م، دمشق، ص ١٦٨ .
- ٢٠- المرجع السابق نفسه، ص ١٦٩ .
- ٢١- د. محسن عبد الحميد حماد، بين دأبغاني أصبح يعترى عيه، مؤسسه الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، بيروت، ص ١٣٧ .
- ٢٢- المرجع السابق نفسه .
- ٢٣- المرجع السابق نفسه .
- ٢٤- د. محمد حرب، سلطان عبد الحميد - س، د. عبد، الطبعة الأولى، ١٤١هـ - ١٩٩٩م، دمشق، ص ١٩٦ .
- ٢٥- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١هـ - ١٩٩٩م، دمشق، ص ١٩٨ .
- ٢٦- المرجع السابق نفسه .
- ٢٧- د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١هـ - ١٩٩٩م، دمشق، ص ٢٠١ .
- ٢٨- المرجع السابق، نفسه، ص ٩٩ .
- ٢٩- نفسه، ص ١٠٠ .
- ٣٠- مصطفى طوران، الانقلاب العثماني، ص ٢٧ .
- ٣١- د. موفق بنى مرحة، صحوة الرجل المريض، دار البيقار، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٨م، ص ١١٣ .

- ٣٢- د. موفق بن مرحه . صحوة الرجل المريض ، دار المشرق ، الطبعة الثامنة ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ١١٤ .
- ٣٣- المصدر السابق نفسه .
- ٣٤- د. محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثاني ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٩ م ، دمشق ، ص ١٣٩ ، ١٣٢ .
- ٣٥- المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .
- ٣٦- المرجع السابق ، ص ١٣٨ .
- ٣٧- د. محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثاني ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٩ م ، دمشق ، ص ١٣٩ .
- ٣٨- د. أحمد نوري العيسى ، جهود الدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة ، دار البشير ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٣٧ .
- ٣٩- المرجع السابق نفسه .
- ٤٠- د. أحمد نوري العيسى ، جهود الدولة العثمانية ، دراسة في الأصول والعقائد والمواقف ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٨ .
- ٤١- د. موفق بن مرحه ، صحوة الرجل المريض ، دار المشرق ، الطبعة الثامنة ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٢٤٢ .
- ٤٢- د. أحمد نوري العيسى ، جهود الدولة العثمانية ، دراسة في الأصول والعقائد والمواقف ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ١٦ .
- ٤٣- د. علي حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثامنة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ، ص ٤٦ .
- ٤٤- د. أحمد نوري العيسى ، جهود الدولة العثمانية ، دراسة في الأصول والعقائد والمواقف ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٨١ .
- ٤٥- د. أحمد نوري العيسى ، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ، دار البشير ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ، ص ٦٨ - ٦٩ .
- ٤٦- د. أحمد نوري العيسى ، الدولة العثمانية ، مؤسسة ، دار البشير ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ /

١٩٩٧م، ص ١١٦ .

٤٧- المرجع السابق ، نفسه، ص ١٤١ .

٤٨- المرجع السابق ، نفسه، ص ١٤٣ .

٤٩- المرجع السابق، ص ١٤١ .

٥٠- د محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ /

١٩٩٧م، ص ٥٧ .

٥١- المرجع السابق، نفسه، ص ٥٦ .

٥٢- د. أحمد نوري النعيمي ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة، دار البشير ، الطبعة الأولى،

١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١٥٨ .

٥٣- د. محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثاني، دار البشير، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م .

دمشق ، ص ٢٢٤ .

٥٤- انظر : مذكرات إبراهيم تيسر/ ص ٩ .

٥٥- د. محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثاني ، دار البشير، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م .

دمشق ، ص ٢٨٥ - ٢٨ .

٥٦- د. أحمد نوري النعيمي ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة، دار البشير ، الطبعة الأولى،

١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١٦٣ .

٥٧- المرجع السابق نفسه، ص ١٦٨ .

٥٨- د. أحمد نوري النعيمي ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة، دار البشير ، الطبعة الأولى،

١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١٦٨ .

٥٩- د. محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ /

١٩٨٩م، ص ٥٠ .

٦٠- د. محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثاني، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٩م .

دمشق ، ص ٢٨٥-٢٨٣ .

٦١- د محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ /

١٩٨٩م، ص ٥٠ .

- ٦٢- المرجع السابق نفسه، ص ٥٩ .
- ٦٣- د. أحمد نوري العميس ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة ، دار النشر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ٢١٩ .
- ٦٤- المرجع السابق نفسه ، ص- ٢٢ .
- ٦٥- د. محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثاني، دار الفلم ، لطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، دمشق ، ص ٢٨٥- ٨٨ .
- ٦٦- د. أحمد نوري العميس ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة ، دار النشر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ٢٢٠ .
- ٦٧- د. عبد العزيز الشاوي ، الدولة العثمانية ، دولة إسلامية معترى عيبها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطابع جامعة القاهرة ، عام ١٩٩٨م - ٢ / ١٠١٨- ١٠٢٣ .
- ٦٨- المرجع السابق نفسه : ٢ / ١٠٦٦ .
- ٦٩- د. علي حسون ، تاريخ سورية العثمانية ، مكتب الإسلامي ، نسخة الثالثة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ص ٢٤٩ .
- ٧٠- د. جميل عبدالله محمد افصري ، حاصر العالم الإسلامي ، جامعة المدينة المنورة ١ / ١٠٩ .
- ٧١- المرجع السابق نفسه : ١ / ١٩٠ .
- ٧٢- د. جميل عبدالله محمد افصري ، حاصر العالم الإسلامي ، جامعة المدينة المنورة ١ / ١٢٢ .
- ٧٣- أبو داود ، كتاب الملاحم ، باب الأمر بالمعروف ونقم المحدث ، ٦٤٧٠
- ٧٤- علي محمد الصلاي ، دولة الموحدين ، دار السباق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م ، عمان -الأردن .
- ص ١٧٠ .

المصادر والمراجع

- ١- أبحار الأمراء والملوك لسلحوقية ، د. محمد نور الدين .
- ٢- أبجد التاريخ نفسه ، محمد العبد، المئذنى الإسلامى، طعة ١٤١١هـ.
- ٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام ابن القيم، مراجعة وتعليق عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت .
- ٤- أوروبا فى العصور الوسطى، سعيد عشور ، الطبعة السادسة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.
- ٥- اقتصاديات الحرب فى الإسلام د. غارى التمام، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٦- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لاس تنمية، تحقيق : محمد حامد النقى، الطبعة الثانية عام ١٣٦٩هـ، مطبعة السنة المحمدية .
- ٧- البداية والنهاية، أبو عبد الله الخطاطب كشر الممشقى، دار الريان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٨- المطولة والغناء عند الصوفية - أسعد الخطيب، دار الفكر ، دمشق.
- ٩- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، محمد بن أحمد بن إياس، القاهرة، مطابع الشعب، ١٩٩٠م.
- ١٠- السرق اليماني فى الفتح العثماني، دار البمامة، الرياض، قطب الدين محمد بن أحمد المكي، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- ١١- البلاد العربية والدولة العثمانية، ساطع الحصرى، بيروت ١٩٦٠م.
- ١٢- تاريخ الشرق فى آسيا الوسطى، بارتولد ترجمة أحمد السعيد، القاهرة، مطبعة الأنجلو المصرية ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.
- ١٣- تاريخ الدولة العثمانية ، محمد فريد بك، تحقيق الدكتور إحسان حقى، دار الفانس ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ١٤- تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق باسم الحنبى، تأليف يوسف اصاف ، دار الصائر ، الطبعة الثالثة ١٤٩٥هـ / ١٩٨٥م.

- ١٥- تاريخ الدولة العثمانية، د. على حسون، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ١٦- تركيا والسياسة العربية، أمين شاکر وسعيد العربات ومحمد عطا .
- ١٧- تاريخ الدولة العثمانية، بلمار أوزمتوبا، ترجمة إلى العربية عدنان محمود سلمان، د. محمود الأنصاري، المجلد الأول - مشورات مؤسسة فيصل للتعبول، اسطنبول ١٩٨٨م.
- ١٨- التصوف في مصر إبى العصر العثمانى، د. توفيق الطويل، مطبعة الاعتماد، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م القاهرة.
- ١٩- حواش مصيصة في تاريخ العثمانيين زيادة أوعيمية، دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٣م.
- ٢٠- جمال الدين الأدهى انصحيح المفترى عنه، د. محسن عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، بيروت .
- ٢١- جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس في مطلع العصر الحديث، د. نبيل عبد الحى رصوان، مكتبة الطائف للجمعى، الطبعة الأولى ٨ / ١٤٠٥هـ / ١٩٨٨م.
- ٢٢- حاصر العالم الإسلامى، د. جميل عبدالله محمد المصرى، جامعة المدينة المنورة.
- ٢٣- حروب الملقان والحركة العربية في المشرق العربى العثمانى، د. عايض بن خرام الرزقى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ٢٤- الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، د. أحمد العيسى، دار الشبر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، عمان - الأردن .
- ٢٥- حركة الجامعة الإسلامية، أحمد فهد بركت، مكتبة المار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، الأردن .
- ٢٦- خلاصة تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة، شكيب أرسلان، بيروت .
- ٢٧- الدولة العثمانية والشرق العربى، محمد أبيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .
- ٢٨- الدولة العثمانية، دولة إسلامية معتزى عليها، د. عبد العزيز الشاوى، مكتبة الأنجلو المصرية، مطابع جامعة القاهرة، عام ١٩٨٠م.

- ٢٢- الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، د. إسماعيل أحمد ياعى ، مكتبة العيكان ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ٢٣- الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط ، تيس جواد العراوى، مركز دراسات الإسلام والعالم ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٤م.
- ٢٤- السلاطين في المشرق العربي د. عصام محمد شياو، طبعة ١٩٩٤م، دار النهضة العربية، بيروت .
- ٢٥- السلطان عبد الحميد الثاني: د. محمد حرب، دار القلم ، الطبعة الأولى - ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، دمشق .
- ٢٦- السلاطين العثمانيون ، كتاب مصور ، طبع في تونس.
- ٢٧- الشعوب الإسلامية . لأتراك العثمانيون ، الرئيس ، مسلمو الهدى د. عبد العزيز سليمان نوار، دار النهضة العربية، طبعة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٢٨- صحوة الرجل المريض د. ممدوح يس مرجه ، دار السيارق ، الطبعة الثامنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- ٢٩- صراع الفكر بين أجيال العصور الوسطى والعصر الحديث كـ صورته الجبرتي، د. أحمد العدوي، أبحاث ندوة جبرتي، ١٩٧٦م، القاهرة.
- ٣٠- العثمانيون في التاريخ والحضارة ، د. محمد حرب ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ٣١- العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، سفر عبد الرحمن الحوالي، طبعة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- ٣٢- العثمانيون والروس ، د. علي حصون ، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ٣٣- الفتوح الإسلامية عبر العصور، د. عبد العزيز العمري، دار إشبيلية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، الرياض- المملكة العربية السعودية.
- ٣٤- في أصول التاريخ لعثماني ، أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار الشروق ، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- ٤٢- فتح العثمانيي عدن وانتقال التوازن من البحر إلى البحر، محمد عبد اللطيف السحراوى، دار التراث، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، القاهرة.
- ٤٣- فلسفة التاريخ العثماني : محمد جميل بيهم.
- ٤٤- قيام الدولة العثمانية ، د. عبد اللطيف بن دهبش ، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية .
- ٤٥- ليجيا منذ الفتح العثماني، أتورى، روسى، تعريب خليفة التليسى، دار الثقافة ، الطبعة الأولى ١٩٧٤م.
- ٤٦- مذكرات السلطان عبد الحميد ، تقديم د. محمد حرب، دار القلم، الطبعة، الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- ٤٧- موقوف أوروبا من الدولة العثمانية، د يوسف على الشقلى، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٤٨- المغرب في عهد الدولة لسمعة ، عبد الكريم كريم، شركة الطبع والنشر ، ١٩٧٧م، الدار البيضاء المغربية.
- ٤٩- من أخبار الحجر وعهد في تاريخ جبرين، محمد أديب عالى، دار اليمامة ، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، السعودية.
- ٥٠- المعالم الرئيسية للأسس التاريخية والعكرية لحرب السلامة، محمد عبد الحميد حرب، ندوة المحاضرات الفكر الإسلامى المعاصر، البحرين .
- ٥١- مفاهيم يجب أن تصحح ، لمحمد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السابعة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، القاهرة.
- ٥٢- النظام السياسى فى الإسلام، د. محمد أبو فارس دار العرقان ، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- ٥٣- الغزو البرتغالى فى الخليج العربى، بوان صبرى، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، ١٤٩٣هـ - ١٩٨٣م، الرياض ، المملكة العربية السعودية.
- ٥٤- واقعنا المعاصر، الشيخ محمد قطب، الطبعة لثانية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، مؤسسة المدينة المنورة.

- ٥٥- الولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد الفحطاسي ، دار طسة الطبعة السادسة، ١٤١٣هـ ، مكة- الرياض.
- ٥٦- والدي السلطان عبد الحميد، مذكرات الأميرة عائشة ، دار المشير، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٥٧- اليهودية والماسونية، عبد الرحمن الدوسري، دار السنة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، السعودية.
- ٥٨- اليهود والدولة العثمانية ، د. أحمد نوري المعيسى، مؤسسة لرسالة دار المشير، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ٥٩- يهودي الدوغة ، دراسة في الأصول والعقائد والمواقف د. أحمد نوري المعيسى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

مؤتمر طنجة المغاربي ومسألة الوحدة والتضامن مع الثورة الجزائرية

لقد مثل مؤتمر طنجة المنعقد في أبريل ١٩٥٨ حدثاً مهماً في تاريخ الثورة الجزائرية، ومحطة حاسمة في مشروع وحدة المغرب العربي. وقد أقرت خلاله الأحزاب المغاربية الرئيسية خطة مشتركة للتضامن مع الحركتين وضاء وحدة مغاربية، لما اندي تغير وحمل الأحزاب المغاربية تفكير في ربط مصيرها في مواقف موحدة، وهل كان التصميم حازماً نحو إشادة وحدة حقيقية، ولماذا فشل الحكوميون في تنفيذ ما تعاهدت عليه الأحزاب السياسية، وما وقع المشروع وإخفاقه على الثورة الجزائرية وعلى العلاقات المغاربية؟.

أولاً - ظروف ودوافع عقد المؤتمر :

يخس المغاربة في مواجهة الأخطار الكبرى بوحدة المصير والتضامن المشترك، وهذا الحكم صدقته الأحداث والمواقف في العصر الحديث، إذ تسامت الحركات الوطنية وتضامنت لمواجهة القوة الاستعمارية، وهبت لإعلان نكاتها خلال مرحلة المقاومة المسلحة، وقد ظلت الشعوب تنوق إلى تجربة الكفاح المشترك التي خيمت عامي ١٩٥٥ - ١٩٥٦ وأجهضها المستعمر بمح تونس والمغرب استقلالهما، ولم يكن تردد الاستعمار الفرنسي بالجزائر يعني حياداً تونسياً ومغربياً

إزاء المشكلة الجزائرية، فقد أثارت حرب الجزائر تصامعا مغاربيا فريدا من نوعه، وعندما تأكد أن الحرب تهدد تونس والمغرب تعالت الأصوات بالدعوة إلى التضامن والوحدة المغاربية^(١).

وعلى الرغم من مرور نصف قرن تقريبا على انعقاد مؤتمر طجة إلا أن كثيرا من الظروف الخيطية بالحدث والوقائع الحقيقية ما تزال ملتصقة^(٢)، لقد كانت تتناول آنذاك فكرة حلسف متوسطي، فقبل إن مؤتمر طجة هدف إلى علاج المشكلة في إطار التعاون الفرنسي - المعاري، وفسر أنه محاولة احتواء مغربية توسية للثورة الجزائرية وردا على الوحدة المصرية - السورية وعندما بعد قراءة الحدث نجد أنفسا أمام قضايا مهمة تساعد على فهم ظروف انعقاد المؤتمر.

— المجمة الفرنسية الشرسة على الجزائر وإفلاس السياسة الفرنسية في علاج مشاكلها.

— التحالف الفرنسي الإسباني ضد ذراع حرب الاستقلال جيش تحرير المغرب في الصحراء.

— الاعتداءات الفرنسية المتكررة على الحدود وحادثه سابقة سيدي يوسف بالخصوص

إن الثورة الجزائرية استطاعت أن تواجه السياسة الفرنسية التي هدفت إلى عزلها مغاربيا، وأن تحدث تحولات كبرى في المغرب العربي، بد كانت تونس والمغرب معنية دائما بالمشكلة الجزائرية وواقعة تحت تهديد بغايا النظام الاستعماري، ودعوة التضامن الشعبية إلى موازنة الكفاح الجزائري، وقد أدت اعتداءات عسكري الجزائر المتكررة إلى إفلاس سياسة الجمهورية الفرنسية الرابعة.

لقد بلغت ذروة الاعتداءات الفرنسية على التراب التونسي والمغربي عام ١٩٥٨، وكانت سابقة سيدي يوسف إحدى قصوها الخامسة، كان الهدف من تلك الاعتداءات إزهاق التونسيين والمغربيين المتضامنين مع الجزائر، وتجهيد إقامة الأسلاك الشائكة بهجير سكان الحدود، هذا التهجير القسري كان محل تنديد وإدانة شعبية و رسمية^(٣) في حين اعتبره عسكريو الجزائر الحبل الناجع لمنع تسرب المساعدات التونسية والمغربية ومحاصرة التلوي^(٤)

لقد حظط هؤلاء العسكريون لمعركة بالقرب من الحدود التونسية، وفي ١١ جانفي ١٩٥٨ وقعت معركة جبل الكوشة داخل التراب الجزائري، قتل فيها جيش التحرير الجزائري ١١

جدياً وأسر أربعة فكانت غبطة القادة العسكريين كبيرة ، وبدعوا في التحطيط لعمل عسكري ضد تونس متهمين إياها بمساعدة الثوار وإيواء الأسرى وفي ٨ فيفري ١٩٥٨ وقع الاعتداء على الساقية فكان حدثاً مهولاً دمرت الطائرات الفرنسية القوية القوية التونسية الآتية وقتلت تسعة وسبعون مدنياً ، وقد أبرزت الحادثة ترابط القضايا المغاربية ، وأكدت فشل السياسة الفرنسية في شمال إفريقيا ، وكان من انعكاساتها تدويل القضية الجزائرية ، وحلق تصامن مغاربي معادي لفرنسا وللمعسكر العربي الذي يدعم فرنسا في إطار الحلف الأطلسي^(١٥).

وسب التدخل الأمريكي البريطاني في الخلاف التونسي -الفرنسي بداية تصدع هز الجمهورية الرابعة إلى أن انفارت بتدخل عسكري ومعمرى الجزائر ، وتغيهزم لمررد ١٣ ماي ١٩٥٨ الذي جاء بديقول إلى السلطة.

وعلى الجبهة المغربية ظل العسكريون الفرنسيون يقومون على الموقف المغربي ، ويتخوفون من حصول تحالف جديد بين ثوار الجزائر وحش التحرير المغربي في الصحراء ، وقد وحه هذا الأخير ضربات قوية للقوات الفرنسية والإنسانية في شرف والصحراء العربية وموريطانيا ، وقد أفادت التقارير العسكرية بوجود تسرب بين ثوار الجزائر والمغرب وتوافؤ إساني في السماح لجيش التحرير المغربي بالمرور إلى موريطانيا^(١٦) ، وأدى ذلك إلى تحالف مع إسبانيا ومواجهة الخطر المشترك قبل استغفاله ، ورسم محطت عسكريّة تنقص على جيش التحرير المغربي ، وهكذا مضت خطة " المنكسة " العسكرية لتفصي على وحدات جيش التحرير المغربي وثشت فلولة ، فكانت ضربة موجعة تأثر لها حزب الاستقلال وعلال الفاسي خصوصا الذي كان يطمح إلى استعادة المغرب للأراضي الصحراوية الخاصة للاستعمار وإنشاء المغرب التاريخي ، والذي يضم أقاليم السائرة وتلوف في الجزائر ، والصحراء الغربية الخاضعة للإسبان وموريطانيا المحتلة من قبل الفرنسيين^(١٧) ، وكانت معركة موريطانيا قد شغلت الفاسي كثيرا وأبعده عن القضية الجزائرية ، وثألم كثيرا لعدم تحقيق جيش التحرير المغربي لأحلامه ، وشدد على أن هذا السب وكذا فشل الحرب في أداء مهامه الحكومية وعدم قدرته على تطبيق برنامج دفعه لتعويض هذه الخسارات في المجال الإقليمي بالدعوة إلى وحدة المغرب العربي وترغم المشروع.

وقد مهد الفاسي هذا الخيار الاستراتيجي مقال في جريدته "صحراء المغرب" ذكر فيه بماضي النضال المشترك ، ويعبرني الوحدة المشرقية محاطا الحب السياسية بالقول: " فكيف يمكننا أن

نشغل الآن بتدعيم المرحلة الأولى من استقلالنا وسمى هذه الغاية التي هي في مقدمة مبادلتنا؟ وإن استمرار الحرب التحريرية في الجزائر وفي الصحراء لا ينبغي أن يكون عائقا في وسائل تحقيق هدف الاتحاد المغربي الذي يسهل علينا حل كثير من المشاكل التي حلتها الاستعمار في بلادنا^(١٨)، وعلى الرغم من أن القاضي طرح مشروع الوحدة على الرأي العام المغربي لما قبلته وإبداء الرأي حوله إلا أنه سرعان ما دعا اللجنة التنفيذية للحزب للاجتماع بتاريخ ٢ مارس ١٩٥٨، وذلك لتدارس وصعوبة البلاد والظروف التي تمر بها المنطقة المغربية، وأصدرت اللجنة بلاغا جاء فيه أنها قامت "بتحليل الحالة في مجموع الشمال الإفريقي على إثر حوادث جنوب المغرب وساقية سيدي يوسف، وأمام استمرار الحرب بالجزائر والتطورات التي طرأت على الحالة الدولية". ولما تعلن تضامنها مع الكفاح الجزائري وتبديدها بإنشاء المنطقة المحرمة والأسلاك الشائكة، ونساند مجهود تونس في "شدة النضال"، وأوضحت اللجنة التنفيذية أنها درست الوسائل التي من شأن أن تعوي تصدع الشعب المغربي مع شعبي الجزائر وتونس في الظروف الحاضرة التي تعبر حاسمة في مصر شمال إفريقيا وعلاقتها المستقبلية مع فرنسا والغرب. وتؤكد اللجنة استغنية ضرورة المشروع منذ الآن في دراسة الخطط التي تؤدي إلى تعزيز مظاهر التآزر والاتحاد معها وراء إنشاء وحدة حقيقية، سمي "نضال المصادقة لشعوب المغرب العربي الثلاثة"^(١٩) ووجدت هذه الدعوة صداها في تونس، إذ استجاب حزب الدستور التونسي مباشرة وبحماسة لبدء حرب الاستقلال المغربي وأصدر بلاغا وحب فيه بالفكرة والترح مؤثرا في تونس أو الرباط "تسبط الخطط والوسائل الكفيلة بتحقيق جلاء القواات الأجنبية وتحرير الجزائر وبعث المغرب العربي الكبير"^(٢٠)، وإثر ذلك عقدت اللجنة السياسية لحزب الاستقلال اجتماعا درست فيه الموضوع وعهدت إلى لجنة مصغرة^(٢١) وضع تصور لمشروع الوحدة المقترح بحيث عن ثلاث أسئلة رئيسية هي: لماذا نريد وحدة المغرب العربي؟، وماذا تعني هذه الوحدة؟ وكيف يمكن تحقيقها؟، وكلفت اللجنة السياسية لمحبوب بن الصديق وعبد الرحمن يوسف بمهمة الاتصال بمسؤولي جبهة التحرير الوطني في القاهرة وبحث الموضوع معهم. وأرسلت أبو بكر القادري والدكتور باني إلى تونس لمذاكرة مسؤولي الحزب الحر الدستوري في سبيل إبراز فكرة الوحدة للوجود^(٢٢)، وحصل اتفاق بين الوفدين المغربي والتونسي على ضرورة تمسيد وحدة المغرب العربي والنظر في المشاكل القائمة في شمال إفريقيا وعلى رأسها قضية الجزائر، وعلى عقد اجتماع في طحة تحصره جبهة التحرير الجزائرية^(٢٣).

كانت هذه حيثيات مبادرة حرب الاستقلال المغربي، وقد رأينا بسرعة تجاوب الموقف التونسي معها، فما هو ما ترى موقف جبهة التحرير الوطني ؟

لقد كانت أهداف ودوافع حرب الاستقلال ملتزمة كثيرا، وتقف وراءها الإنخفاقات الوطنية وتحمش دور الحزب والالتزام في معركة تحرير الصحراء، في حين كانت أهداف تونس براغماتية إلى أبعد الحدود، وهي تستهزئ لفرصة اعتداء الساقية وانقطاع العلاقات مع فرنسا لتحقيق رزمة أهداف داخلية وخارجية، وقد جاء الاحتضان الرسمي لفكرة الوحدة المغاربية نرولا عند مطمح الأحزاب السياسية والجماعات الشعبية وحريا وراء احتواء جبهة التحرير والتي كانت بتحاليفها مع الناصرية تنشر المخاوف، وإلزامها جاس الحرب الجزائرية التي تعدد كامل الشمال الإفريقي .

في ظل استفعال المخاطر المهددة لشمال إفريقيا والرغبة في إنشاء وحدة مغاربية وأسما طهور المشاريع القومية هل سيجتاز جبهة التحرير الوطني الحيد لإصاء لمشروع الناصري أم الاندماج في المشروع المغاربي ؟

لقد نبذت جبهة التحرير الوطني مشروع الوحدة شمال إفريقيا متعاونة مع فرنسا والعرب عام ١٩٥٧ وذلك بتشجيع من مصر، وأعانت تونس والمغرب تحويفا من استمرارية التدخل الناصري في شؤون المغرب العربي. وأدى نجاح مشروع الوحدة المصرية - السورية إلى ازدياد المخاوف من انتقال عدوى الأفكار القومية الناصرية إلى المغرب العربي، كما فهمت مصر أن الدعوة إلى وحدة مغاربية بعد معاكسة لمشروعها، واحتواء جبهة التحرير الوطني، خاصة إذا علمنا أن الخلافات المصرية البورقسية بلغت أوجها، وأن حساسية القاسي والنظام المغربي من مصر تأكدت في مباركتها للوحدة العراقية - الأردنية، وأن مصر لم تكن مطلعة على حقائق وحدة المغرب العربي^(١)، وأمام ذلك كانت جبهة التحرير الوطني محرجة في حضور مؤتمر طنجة، إذ لم يكن من السهل عليها الارتقاء في مشروع مشوه وإعصاب مصر القومية، وهي القاعدة السياسية واللوحيستكية الدعمة للعودة الجزائرية، ولكن رغم ذلك قبلت جبهة التحرير الوطني بعد نقاش مستفيض حضور مؤتمر طنجة لاعتبارات كثيرة كانت تفيد في تحقيق مكاسب لها نذكر منها:

— سلامة المشروع من أي توجه انفصالي أو معادي للقاهرة، ذلك أن فكرة الوحدة المغربية مشروع عريق ركنه الأحزاب المغربية ضد كانت لاجئة في القاهرة عام ١٩٤٧، كما أنها تؤكد على البعد المغربي الذي يؤمن به ماضوها أشد الإيمان .

— ترايد أهمية تونس والمغرب بدءاً من عام ١٩٥٧ بفعل التطورات السياسية والعسكرية للثورة، خاصة وأنها تقدمان تسهيلات مهمة لنشاط جبهة وجيش التحرير، وتعتمدان قاعدته للإمداد والتمركز قريبة من جبهة الكفاح، وميداناً للتضامن الشعبي بحكم الجوار والنصان المشترك، وحتى أهمية المعركة الإعلامية المعلنة ضد الغرب كان من المفيد حوضها انطلاقاً من تونس والمغرب المرتبطتين بأوروبا الغربية وإفريقيا .

— إن حضور المؤتمر يتيح الفرصة لتوجيه لصالح الكفاح المسلح في الجزائر، خاصة في هذه المرحلة الحساسة التي تسمح بتحقيق مكاسب مهمة منها خضعة لثورة القوات الأجنبية، وبدعم الثورة الجزائرية، وحشد تضامن الشعبي الذي يمثل ضماناً مهمه قد تدفع إلى وحدة المعركة الملحة^(١٥).

وهكذا اجتهدت جبهة التحرير الوطني في الخروج بأكثر الفوائد الممكنة من هذا المؤتمر، وفق خطة مدروسة وموجهة، صاغها عبد الحميد مهري لعازف بالشؤون المغربية، إذ أوقع جلسة التنسيق والتفويض بضرورة استغلال هذه اللحظة التاريخية وانهاز فرصة عدم إعداد جدول أعمال للمؤتمر لتوجيه لصالح المعركة ضد الاستعمار في الجزائر ومخلفاته وقواعده العسكرية في تونس والمغرب، واعتمدت جبهة التحرير الوطني خطة محكمة تهدف إلى تجريد المغرب العسكري للتضامن مع الثورة الجزائرية وتجاوز خيار العمل العسكري المشترك الذي كان مطروحاً في عام ١٩٥٥، ذلك لأنه لم يعد يتلاءم مع واقع البلدين المستقلين، ولا يتكسّر للأنظمة السياسية نجسده، أما مسألة تقديم المساعدات وتوحيد المواقف مع الثورة الجزائرية في القضايا المشتركة فيمكن التناوب معها، خاصة وأن جبهة التحرير الوطني كانت تحاور أحزاب سياسية لا حكومات تفتيدة بيدها سلطة القرار، وبحاجة إلى التنسيق العملي للتناوب مع مطالبها وإلى التضامن الشعبي^(١٦)، وهكذا يمكننا التأكيد أن الوفد الجزائري كان واقعياً في مقاييسه، ومساهراً في دبلوماسيته واستراتيجيته، اجتهد في إدراج القضايا المهمة على المؤتمرات ومحت الوسائل الكفيلة بتحسين المقررات .

ثانياً — مقررات المؤتمر وأهميتها:

اجتمعت وفود الأحزاب المعاربية الثلاث (حزب الاستقلال، الحزب الدستوري الحر، جبهة التحرير الوطني) في طجة يوم ٢٧ أفريل ١٩٥٨، وتدارست خلال أربع أيام كاملة قضايا استكمال تحرير المغرب العربي وتوحيده، وقد ركزت الخطب الافتتاحية لرؤساء الوفود على حتمية التصام مع الجزائر في كفاحها التحرري وإشادة وحدة المغرب العربي^(١٧)، وشدد رئيس وفد جبهة التحرير الوطني على التأكيد أن "تحرير المغرب العربي وتحقيق وحدته هي مثلنا السامية"^(١٨)، وكان حدثاً مدوياً وحاسماً ذلك المؤتمر الذي سمي "مؤتمر الوحدة" لأنه أقر مفهومها وأصبح لفكرة المغرب العربي التي لم تعد تعني مجرد التسيق المشترك بل العمل من أجل قيام وحدة فيدرالية بين الأقطار المغاربية، وقد عكس جدول أعمال المؤتمر محاور اهتمام الفسادات المغاربية، إذ حدد المؤتمر بعد حنسن تمهيدتين في الرباط: محور "لاتية

— حرب الاستقلال الدائرة وحماها بالجزائر .

— تصفية قواعد الاستعمار بالمغرب العربي .

— وحدة المغرب العربي شكلها ولواعده ومرحلة الاستغنية هذه الوحدة

— إنشاء منظمة دائمة لتفيل قرارات المؤتمر^(١٩) .

وقد ساعد تجاوب الأنظمة الرسمية وحضور عدد كبير من المسؤولين الرسميين على إثراء النقاش واتحاد مواقف شجاعة، وأعلن المؤتمر عن قرارات تاريخية يمكن أن نجلها في ثلاث محاور رئيسية: دعم الثورة الجزائرية، تصفية بقايا الاستعمار، الموقف من الدعم الغربي لفرنسا، ووحدة المغرب العربي .

٢-١ — دعم ثورة الجزائر :

أحدث هذه المسألة الصعب الأوفر من الماشات باعتبارها قصة المغرب العربي الأساسية، واستطاعت جبهة التحرير الوطني أن تكسب مواقف دعم ومساندة لكفاحها، فأعلن المؤتمر مبدأ "حق الشعب الجزائري المخلص في السيادة والاستقلال الشرط الوحيد لحل النزاع الفرنسي الجزائري"، وفي هذا تأكيد على مواقف جبهة التحرير الوطني في مبدأ السيادة والاستقلال

الناس، وأقر المؤتمر بعد تشريحه لطبيعة الحرب الاستعمارية " أن تقدم الأحزاب السياسية للشعب الجزائري المكافح من أجل استقلاله كامل مساندة شعوبها وتأييد حكوماتها "، ونظرا لما تحظى به القضية الجزائرية من تأييد دولي، وشرعية تمثيل جبهة التحرير الوطني لكفاح الشعب الجزائري " فإن المؤتمر يوصي بتكوين حكومة جزائرية بعد استشارة حكومتَي المغرب وتونس^(١٠٠)، وقد نالت المسألة الأخيرة نقاشا مستفيضا وتخوف البعض من توجه وشكل الحكومة، واشترطوا موافقة مسبقة من تونس والمغرب لإعلانها، لكن جبهة التحرير الوطني أصرت على سيادة قرارها وقررت أخيرا باستشارة تونس والمغرب فقط في الأمر^(١٠١)

٢-٢ - التنديد بالموقف العربي وتصفية بقايا الاستعمار:

نظرا للإعانة التي تتلقاها فرنسا من الحلف الأطلسي والدول العربية استكر المؤتمر هذا الموقف، وطالب بوضع حد لكل إعانة مسببة وعازية ترمي إلى تغذية الحرب الاستعمارية في المغرب العربي، ونظرا لما تقوم به القوات الأحبية المتواجدة في تونس والمغرب من انتهاك للسيادة ومشاركة في حرب الجزائر سجل السلاخ القرارات الآتية:

" - يستكر استمرار وجود القوات الأحبية فوق أراضي الأمر الذي يتناقض مع سيادة بلاد مستقلة . "

- يطالب بكل إلحاح أن تكف القوات الفرنسية حالا عن استعمال التراب المغربي والتونسي كقاعدة للعنوان ضد الشعب الجزائري .

- يوصي الحكومات والأحزاب السياسية بتسقي جهودها من أجل اتخاذ الإجراءات اللازمة لتصفية جميع بقايا السيطرة الاستعمارية^(١٠٢).

وهذه القرارات البالغة الأهمية اقترحت من قبل جبهة التحرير الوطني لإحراج الموقف العربي والفرنسي خصوصا، وقد تقدمت للمؤتمرين غرائط معصلة عن مواقع القواعد الفرنسية العاملة في تونس والمغرب، موضحة عملها المنسق مع الجيوش الفرنسية في الجزائر، وسلبات ذلك على نشاط المهادنين الجزائريين، ولقيت حجة التحرير الوطني تجاوبا مع مطالبها هذه، وقد كانت تحظى بإجماع شعبي وتعبئة جماهيرية كبيرة، وجاء التأكيد عليه كذلك بهدف تحيد هذه الجماهير الواسعة وراء مطالب المؤتمر^(١٠٣)، كما أن قرار التنديد بالدعم العربي المقدم لفرنسا كان قرارا

جزائريا، تم تبيينه رغم أن حزب الاستقلال والحزب الدستوري اقترحا صياغة هذا الصلبد على لسان شعوب المغرب العربي. وأما مطلب دعم نضال شعب موريطانيا فقد عسر المؤتمر عسن تصاممه مع هذا المطلب، غير أن حزب الاستقلال دعا إلى ربط هذا الصال في إطار وحدة التراب المغربي، في حين أصر الطوفان النوسي والحرثري على إبراله في إطار لنضال التحرر المغاري، والتأكد أن هذه المقاومة التحريرية "هي جزء من المعركة التي تقوم بها أقطار المغرب العربي من أجل تحريرها ووحدها" (١٧٤).

وهكذا لم يجمع حزب الاستقلال في الحصول على دعم المؤتمر لما كان يسمه حقوقه الترابية في موريطانيا، وقد تجلت خلاله المطامع القطرية واضحة بالشكل الذي يؤكد أن الإحلاص لباء الوحدة لم يكن سيذا .

٢ — ٣ — وحدة المغرب العربي :

أكد المؤتمر على توحيد مصر وشعوب المغرب العربي في إطار مؤسسات مشتركة، وأقر "أن يعمل على تحقيق الوحدة"، واعتبر أن "بشكل نصوري أكثر ملاءمة للواقع في البلاد المشتركة في هذا المؤتمر"، ومن أجل ذلك اقترح المؤتمر "أن بشكل في المرحلة الانتقالية مجلس استشاري للمغرب العربي يستق عن المجالس الوطنية في تونس والمغرب، وعن المجلس الوطني للثورة الجزائرية"، على أن تكون مهمته "دراس القضايا ذات المصلحة المشتركة وتقديم التوصيات للسلطات التنفيذية المحلية"، ومن أجل المتابعة وتنفيذ التوصيات التي يصدرها المجلس الاستشاري يوصي المؤتمر "بضرورة الاتصالات الدورية وكلما اقتضت الظروف ذلك بين المسؤولين المحليين للأقطار الثلاثة"، وقرر المؤتمر كذلك إنشاء أمانة دائمة للمؤتمر من ستة أعضاء، عضوان عن كل طرف، على أن يكون هذه الأمانة مكتباً أحدهما بالرباط والآخر بتونس، وأن تجتمع دوريا في إحدى العاصمتين بالتناوب. وفي إطار توحيد السياسات الخارجية والدفاع أوصى المؤتمر "حكومات أقطار المغرب العربي بأن لا تربط مفردة مصر شمال إفريقيا في ميدان العلاقات الخارجية والدفاع إلى أن تتم إقامة المؤسسات القيدالية" (١٧٥).

ولم يحظى قرار الوحدة بقااشات مستعصبة، مما يؤكد أن الرغبة لتجسيم الوحدة لم تكن صادقة، ويرجع ذلك إلى تحوف السحب السياسية على ضماح الامتيازات القطرية، وعلى مشاركة الحرائر غير المستقلة بعد في هذه الوحدة. ويرى محمد عابذ الجابري أن مفهوم الوحدة

في طمحة أخذ صبغة وحدة العمل وليس وحدة الهوية، وأن القرارات لم تكن موجهة إلى الوحدة بلغدر ما كانت قددف إلى مواجعة الاستعمار الفرنسي^(٢٦)، ويبدو من كل ذلك أن استراتيجية جهة التحرير الوطني نجحت في تحويل مؤتمر الوحدة إلى مؤتمر للتصامن مع الثورة الجزائرية، وتحققت بعض آمأافا في حين لم يحض مشروع الوحدة بعيدا، وأرجع عبد الحميد مهري سبب ذلك إلى أن "هذه القضية لم يوها المؤتمر عأاية كافية عد بحثها"^(٢٧)، وهو الرأي الذي رجحه مصطفى العيلالي عندما اعتبر مؤتمر طمحة "خربي مجرد "ذريعة ظرفية موقوتة"، لا تقوم على إرادة حقيقية ولا تسعى إلى أهداف محددة"^(٢٨)، وقد كانت جهة التحرير الوطني شبه متأكدة من كل هذا، الأمر الذي دعاها لعدم تركيز النقش على مشروع الوحدة، والتأكد أن هذا المشروع لا يولد بقرارات فوقية ولكن بإمكان تضامن الشعوب أن يخلقه بشكل عملي^(٢٩).

ونخلص للتأكد أن مؤتمر طمحة لم يوح نعت الوحدة المغاربية فقدر ما كرس لدعم القضية الجزائرية، وأن الثورة الجزائرية استطاعت أن تخرج مه تمكسب مهمة وأن نشق من حلاله آأافا مغاربية واسعة للتضامن.

ثالفا - آمال مؤتمر طمحة وأخفاأاته:

لقد تحققت نظريا في مؤتمر طمحة آمال وسعة، كانت نشأها لأحارب والجماهر الشعبية وزاد في حماسة قراراته م باركة السلطة الرسمية لقراراته بما في ذلك ملك ليبيا الذي أكد موافقة بلاده على قرارات المؤتمر^(٣٠)، وقد جدت الصحف ووسائل الإعلام للسفني بهذا الإنجاز التاريخي وتفاعلت مختلف القوى الجماهيرية مع مشروع الوحدة .

وقد استقل الوفد الجزائري استقبالا رسميا وشعبيا في الرباط، وعمر في بلاغ له عن ارتباطه لنتائج التي تمحص عنها المؤتمر، مشرا إلى أن قصة الجزائر مالت كامل اهتمام المؤتمر، وأن الشعب الجزائري الذي حظي بتأييد شعبي تونس والمغرب يأمل "مانضمام حكومتها إليهما في التأييد والتعضيد"، وعمر عن اهتمامه بمهمة بناء مؤسسات المغرب العربي وبقبه " بأن هذا الصرح سيكون متينا وعصريا لأنه سباني في وقت واحد ولهد إيمان وإرادة شعوبنا"^(٣١)، وصرح ممثل لجنة التسبق والتفيل بأن نتائج مؤتمر طمحة كانت حاسمة في تأكيد مكانة الشعب الجزائري ضمن المجموعة المغاربية وأن هذه الوحدة جسمت رغائب شعوب شمال إفريقيا في

النضامن. "وأن المغرب العربي بأجمعه من أغادير إلى السلوم يهض اليوم بكامل قواه ويوجه إلى فرنسا الاستعمارية إنذاراً نهائياً وقع تأجيله في الماضي وهو إما أن تحترف للجزائر باستقلالها وإما أن تمنح الحروب المغرب العربي بأجمعه.. على الفرنسيين أن يفتسموا أن النضامن المغربي ليس كلمة جوفاء، ولكنها حقيقة سيكون لها تأثير قوي على سير الحرب"^(٣٢)، وكانت هذه الكلمات التي تخاطب الضمير المغربي وتزيد في تأججه وتثير مخاوف الفرنسيين والعرب وحقن نظامي تونس والمغرب، ذلك أن تجنيد المد الشعبي لماصرة هذه الأهداف الثورية قد يمثل ضغطاً حقيقياً على توجهاتها وقراراتها، وقد أرادت جبهة التحرير الوطني لمؤتمر طنجة أن يجند القوى الحريية والقاعدة الشعبية لدعم الجزائر دون الاستخدام بالأنظمة السياسية، وظلت تلحح على تجنيد شعوب المغرب العربي لمواجهة سياسة مهادنة الاستعمار التي قد تجرف إليها الساسة ودعوتهم للوقوف بكل قواهم في المعركة ضد الإمبريالية حامية للمصالح العليا"^(٣٣)، وهكذا حصلت جبهة التحرير الوطني من المؤتمر على مكاسب مهمة، فقد رسمت اعتراف الأطراف المغربية بصفتها التمثيلية وقراراتها بمقاربة قضية الجزائر، ودعوتها إلى دعم النضال التحرري الجزائري مادياً ومعنوياً، وأكدت ضمناً على سلامة التوجه الإيديولوجي للحجبة من خلال تهديد المؤتمر "بالقوى الغربية التي تدعم فرنسا غالباً وعسكرياً"

وعلى الرغم من أن الملك محمد الخامس والرئيس بورقيبة أعربا عن قبولهما لقرارات طنجة، إلا أنهما أدركا أن جبهة التحرير التي يراودها أن تحتضن من قبل نظامهما سجلت أهدافاً كثيرة في طنجة، منتهزة الظرف السائد والتجاوب الشعبي لحيار مغربة الحروب، فأوقعت تونس والمغرب في تعهدات مكيلة لسيادتهما مثل الدعوة لإلغاء القواعد الأجنبية ومعاداة المعسكر الغربي وشعر القصر المغربي أن جبهة التحرير الوطني أوجدت لها تحالفاً متيناً مع القوى الثورية داخل حزب الاستقلال، وقد عبر الفاسي عن الصدى الواسع الذي خلفه المؤتمر لدى الشعب المغربي وعن رغبته بشأن حرب الاستقلال"^(٣٤) الذي سيتولى إنشاء الحكومة الاستقلالية، وكان تصميم القيادة الثورية للحزب حارماً إزاء تفهيز برنامج الإصلاح ومحاربة الإمبريالية، وقد أكد المهدي بن بركة بعد مؤتمر طنجة بفترة قصيرة إلى أن المشروع السياسي للمغرب العربي يمتد إلى إنشاء قوة اقتصادية اعتمداً على "الموارد الطاقوية التي تحتلها الصحراء المغربية، التي من شأنها إتاحة تنمية اقتصادية حقيقية يمكن مقارنتها بتلك التي عرفتها أوروبا أثناء ثورتها الصناعية"^(٣٥)، وأكد على ضرورة "بلورة مخطط شامل للأقطار الثلاثة، وحقن الأربعة إذا وافقت ليبسا على

المشاركة، من أجل ضمان تقدم في إلغاء الدخل الوطني ومستوى حياة الشعوب المغاربية. وأضاف ابن بركة أن إنشاء سوق داخلي وقاعدة تصنيع حقيقية للمغرب العربي أمر مفيد للغاية "يمكننا ترويق انتعاش ثقافي وتقي واجتماعي لهذه المجموعة يقوم على معطيات عقلانية..."^(٣٦)، ويبدو أن القصر وبعض القيادات المعتدلة لم تكن مستعدة لكل هذا التعبير الحزبي، فمثل هذا بداية انقسام ساهم القصر في تحذيره للفضاء على نفوذ الحزب

وقد هزل الشعب التونسي بقرارات طجة واعتبرتها الصحافة والمظاهرات الجماهيرية نصرا للمغرب العربي، وعزم بورقيبة على استغلال الظرف لحسم المواجهة مع فرنسا التي تأتي إجملاء قواها عن تونس^(٣٧)

وقد الرعجت الإدارة الفرنسية لصدور مثل هذه القرارات، وعدت المؤتمر صرية موجهة للحكومة الفرنسية التي عثرت على حل مشكل الشمال الإفريقي، واستندت الصحف الفرنسية الموقف التونسي والعربي الذي تورط في قضية الجزائر، وأبدت تحفظا من تلك التوصيات التي تدعو إلى مساعدة جهة التحرير الوطني على إنشاء حكومة مؤقتة ترمد في سسلطة الجهة دوليا^(٣٨)، ويمكن أن نورد نعتقا خريفة "توفوس" مثيرا عن جو الشعور العام في فرنسا: "هكذا تتحقق وحدة المغرب العربي في خرب. وصندا وكل ما هو اليوم توصيات ستجسم غدا في مؤسسات سياسية وثقافية واقتصادية ستقوم بتمثيل ٢٣ مليونا من المسلمين"^(٣٩)

وقد شنت في المشرق حملة تشكيك في نوايا المغرب وتونس من الدعوة إلى الوحدة، وكان صدى مؤتمر طجة بالغا في الصحافة الغربية والدولية عدته ثورة ضد السياسة الفرنسية في شمال إفريقيا، واعتبرت أن ردود الفعل هذه جعلت القاسي يوضح أن "مقررات المؤتمر ليست ضد فرنسا ولكنها في مصلحتها أيضا" فما عليها إلا أن تقر باستقلال الجزائر، مؤكدا "أنه لا يعقل أن تختار تونس والمغرب الاستعمار على الحرية في القطر الشقيق، ولا ينبغي أن يحتر ذلك رغبة من الدولتين في قطع العلاقات الطيبة مع فرنسا، بل الأمر بالعكس، أنه إنذار للفرنسيين ليعترفوا أن ربع الساعة الأخير قد دق في قضية الجزائر، ولكن هذا الدق نغمات غير السني يعيها "لاكوست"، ألما نعمة الحرية التي يجب أن تنصت إليها فرنسا وتعترف أن لا بد منها ولا مندوحة عنها"^(٤٠).

لقد ظلت التصريحات الحربية والرسمية تتاعم مع حماسة النصارى الشعبي إلى أن جاء ديغول بسياسته التقسيمية وفشل مؤتمر المهدبة في تركية مقررات طحمة، فما الذي تعبر؟ وما هي أسباب فشل مشروع طحمة؟.

قبل الكثير في أسباب إخفاق مؤتمر طحمة والمؤكد أن إستراتيجية ديغول المدروسة مثلت تحدياً أساسياً لمقررات طحمة، ولم تجد الأنظمة القبطية المساعدة الكافية للصمود وراء مشروع الوحدة، بل أن خلافات عميقة انفجرت في وجه العلاقات المغاربية، وتصلت الحكومات من التزامات طحمة.

لقد أصعبت حرب الجزائر الجمهورية الفرنسية الرابعة، ورد العسكريون وأوروبيو الجزائر نجاحات الثورة الجزائرية بتنظيم انقلاب ١٣ ماي ١٩٥٨، الذي جاء بديغول إلى السلطة وأدخلت عودة ديغول إلى السلطة معتبت جديدة. بد مح في تهيئة القوى السياسية الداخلية ورائه، وتحطيم العزلة الدولية لفرنسا، وأولى مسألة عظمى تُدعى طحمة الاهتمام الأكبر، معتمداً على إستراتيجية بتوقيع آثار صرحه وصوب وحدة شمال إفريقيا على حبهتين الموقف من المشكل الجزائري، والعلاقة الجديدة مع حكومي تونس و حرب ^{١١١}

لقد أعلن ديغول أن الإدماج هو سياسة رسمية في الجزائر ^{١١٢}، واستطاع بذلك كسب الرأي العام الفرنسي لفكرة "الجزائر فرنسية"، وأحرز على ولاء القيادات العسكرية، كما وضع حداً لأمل تونس والمغرب في إمكانية استقلال الجزائر على المدى القريب، واندماجها معها في إطار قرارات طحمة.

ومخصوص السياسة الجديدة المنتهجة مع تونس والمغرب فقد وازحت بين التشدد والإغراء:

— فلقد تبين أولاً أن مسألة إدماج الجزائر بهذا التشدد تعني التهديد بتوسيع رقعة الحرب إلى تونس والمغرب، إذا أصرت حكومة كل منهما على تطبيق قرارات طحمة، خاصة وأن عسكري الجزائر بادروا لتعريض بأراضيها ^{١١٣}، وأنه بإمكان ديغول أن يطلق أيديهما في ظل حكمه القوي، وأن التهديد بتوسيع رقعة الحرب سيأخذ حذبة أكبر تختلف عن تهديدات الجمهورية الرابعة المنتهية.

وحق يأخذ هذا التهديد صبغة التخويف لا تحدير الموقف باتجاه التضامن مع الجزائر بسادر الجبرال ديفول إلى تطمين تونس والمغرب بإعلانه احترام استقلالهما، وذلك بهدف دفع نظام البلدين للامتنان على مكاسبهما والتزام الحياد وعدم تجسيم قرارات مؤعز طمعة، ولم يكسف عبد هذا بل سعى ليدو الخلاف بين تونس والمغرب ومع تعاهيهما على حطة مشتركة، فلقد وجه ديفول إلى كل من بورقية ومحمد الخامس رسالتين مختلفتين، الأولى توحى بوجود رغبة لديه في التفاهم والتعاون، والأخرى كانت لمحتها تم عن التعالي والتشدد، والمهدف من هجة الرسالتين هو محو التفارب بين تونس والمغرب حتى لا تنسق سياستهما بشكل متشدد إزاء فرنسا^(١١).

— بعد إعلان السياسة السابقة طرح ديفول كذلك سياسة الإغراء لضرب مقررات طمعة معتمدا في ذلك على جزوة البترول، فلقد لوح ديفول بمشروع استثمار صحراء الجزائر على الراسمال الغربي وعلى الخيران، وحطط لجعل الصحراء مطقة فرسية مستقلة تساهم في بناء "العظمة الفرنسية" اقتصاديا وعسكريا، ولاعماج مشروع استعمال بترول الجزائر الذي تعيقه عدة مصاعب لجأت فرنسا إلى مفاوضة الحكومات المغاربية بشأن المساهمة في استثمار البترول والقول بمرور أنابيب البترول عبر أراضيها، وأقام رفض الحكومة المغربية مروو بترول إجملي عبر أراضيها لجأت فرنسا إلى إغراء الحكومة التونسية بقبول العرض، وكانت تصبو إلى تحقيق أهداف سياسية على المستوى المغاربي والدوي. منها إظهار عجاج مشروع استثمار البترول، وخلق خلاف بين الحكومة التونسية وجهة التحرير الوطني من شأنه أن يقضي علسى لقرارات طمعة^(١٢).

وهكذا نجحت الإغراءات الفرنسية في إسالة لعاب المسؤولين التونسيين والمغربيين، خاصة وأن مشروع استثمار الصحراء يتقدم مطالبهم القطرية في تعديل الحدود مستقبلا، إذ أصبح الحديث عن مجموعة فرنسية شمال إفريقيا للتعاون يزاحم مشروع وحدة المغرب العربي، وطسال محال الإغراء مسألة جلاء القوات الفرنسية الجرئي عن تونس والمغرب، وإن كانت مجرد لظاهرة شكلية إلا أنها أرضت بعض المطامح القطرية، وساعدت على تشجيع حكومي تونس والمغرب للتوصل من التزاماتهما القطرية، حتى أن تونس جعلت من انعقاد مؤتمر المهدية عرسا للاحتفال بالجلاء وكان إصرارها على النصيحة بقرارات طمعة واضحا. وهكذا تمكنت المحفظات الديوغية من قلب مشروع طمعة من أساسه لصالح فرنسا، وكادت أن تعزل بذلك جبهة التحرير الوطني

وقد أوضح غيوط هذه الاستراتيجية أحد صحفي "المجاهد"^(٤٦٦)، وتطلعت لها جبهة التحرير الوطني في وقتها، واجتهدت في مواجعتها، حتى أنها لوحت بالعودة من جديد إلى مغربة الحرب وتجذير الموقف عندما نشرت في المجاهد مقالا عنوانه "امتحان المغرب العربي. أكدت فيه أن المغرب العربي في حالة حرب، ولكي تتوفر في هذه الحرب شروط الانتصار يجب أن نخوضها ونتمثلها جميعا في آن واحد من قابس إلى أغادير"^(٤٦٧).

وهددت جبهة التحرير الوطني بأنها ستخوض المعركة العسكرية اعتمادا على تضامن شعوب المغرب العربي. ولكن العلاقات المكرمة مع حكومي تونس والمغرب كان من الصعب هدمها دفعة واحدة، فاجتهدت في الماوراة والمراوغة الدبلوماسية عازفة على وتر التضامن الشعبي والوحدة المرسخة في طنجة، ومشجعة على مزيد من النلاحم في وجه الاستعمار المحتضر، وداعية للإسراع في تحقيق قرارات طنجة^(٤٦٨)، وطالبت جبهة التحرير من تونس والمغرب توحيد المعركة سياسيا دون إظهار الدعم المباشر، واقترحت عليهما مشاركة الحرير المستقلة في استثمار ثروات الصحراء بدل التفكير في الفصائل التي يعرضها ديفول مقدس سرعة استعمار الجزائر، أو أن يعرض المغرب العربي كمة على فرنسا التماول من أجل استثمار ثروات الصحراء، بما يقدم مصالح شعوب المغرب العربي^(٤٦٩)؛ قبل تمكن جبهة التحرير لوضي من إقناع شركائها والحفاظ على تعهدات طنجة. أم أن تونس والمغرب سيتحلبن عن هذه التعهدات في مؤتمر المهديّة بتونس.

رابعا — مؤتمر المهديّة والتراجع عن قرارات طنجة:

النّام شمل الأقطار المغاربية الثلاث على مستوى الهيئات التنفيذية بعد تلك التغيرات العميقة التي عرفتها فرنسا والمنطقة المغاربية في أقل من شهرين من انعقاد مؤتمر طنجة، وكان يبدو أن عقد هذه الدورة بحضور حكومي تونس والمغرب ولجنة التنسيق والتنفيذ هو مغربي للغاية، ويضمن الخروج بقرارات عملية، غير أن نقل النقاش من الإطار الحزبي إلى الإطار الرسمي كان يعني أشياء كثيرة، منها أن النقاش سيسري في إطار صيق، وتوجيه حكومي صارم يمكنه أن يحدس قرارات طنجة، ويعطيها صبغة تضامنية غير إلزامية. وقد سجل ولجنة التنسيق والتنفيذ كامل احتياطاته لمواجهة "مؤامرة اغتيال قرارات طنجة"، والتصدي لحكومي تونس والمغرب المتأثرين بأخطبوط السياسة الدبلوماسية.

انعقد الاجتماع في المهديّة أيام ١٧-٢٠ جوان ١٩٥٨، وذلك للظر في تطبيق قرارات طلبة وترسيمها، وقد تقرر أن يشتمل جدول أعماله على النقاط الآتية:

١- تطبيق مقررات طلبة (مساعدة الجزائر، جلاء قوات الاحتلال، إدانة سياسة الجزائر ديفول، الموقف المشترك في الأمم المتحدة، الحكومة الجزائرية).

٢- دراسة مسألة إقامة الهيئات التي تنص عليها قرارات طلبة (الأمانة الدائمة، المجلس الاستشاري).

وإن كانت التصريحات الرسمية والصحافة الحزبية نفتت آنذاك بما تم ترسيمه من قرارات إلا أن الحقائق نخرجت صحيفة المجاهد من إعلانها^(٥١)، وظلت مغبية، وبكشف عنها تقرير سري نشره محمد حري عن مناقشات المؤتمر، ويوضح معنى ممثلي الحكومة التونسية والمغربية للتوصل من التزامات طلبة، وعمق الخلافات التي أثارها قدش المؤرخين.

خلال الجلسة الأولى تم بحث مسألة إعادة الجزائر، واستعصم الوفد الجزائري عن الإجراءات المتحدة لتقديم أشكال المساعدات خض عنها في طلبة، وتبين أن الحكومتين لم تدروا المسألة بجدية، وقد اقتصرنا الأمر على مساعدة اللاجئين. وبرز الباهي الأدغم ذلك بالقول أن موارد تونس المالية قليلة ولا تسمح لها بمساهمة في المبرية التي تتطلبها الثورة الجزائرية، وأنها تقوم بمساعي لدى هيئات الدولة لإغذية اللاجئين^(٥٢). وهكذا لم تسرق المساعدة المالية للحكومتين إلى مستوى مساهمة الدول العربية في إطار جامعة الدول العربية، وانتقل النقاش لدراسة قضية جلاء القوات الأجنبية، فأشاد الباهي لدغم بما حققته تونس بعقدها اتفاقية الجلاء مع الحكومة الفرنسية، وأوضح بوعبيد أن الوضع لم يتقدم في المغرب رغم الجلاء عن بعض مناطق شرق المغرب، وتدخل بوصوف ليوضح أن معركة الجلاء لم تنه، وأنه يتوجب الحذر والمضي في متابعتها حتى النهاية والنص اطلاع المجتمعين على نص الاتفاقية التونسية- الفرنسية الأخيرة، فرد الباهي لدغم بانفعال واقفا كشف الوثيقة، وأكد لفرحات عباس شرعية مطلب بوصوف باعتباره يستند إلى مقررات طلبة التي أقرت عدم ربط مصر أي قطر في مجال السياسة الخارجية دون إعلام الأعضاء الآخرين، لقد أرادت لجنة التنسيق والتنفيذ الاطلاع على نص الاتفاقية بتفاصيلها، ورغبت في أن تعامل كطرف مثلها مثل المغرب لكن الحكومة التونسية أثبت عليها ذلك، مما جعل الشكوك تحوم حول بوابها التونسيين ومدى تمسكهم بمقررات وحدة المغرب العربي^(٥٣)، وانتقل النقاش في اليوم التالي

للطبر في موضوع إدانة سياسة ديغول في الجزائر، فطالب الوفد الجزائري بإدانة صريحة وتأييد وجهة نظره في مطلب الاستقلال التام، فرد بوعبيد على ذلك قائلا: "نحن هنا كمسؤولين سياسيين مطالبين بالنظر إلى الأبعد، وعلى صعيد السياسة يجب دائما ترك هامش انطباع وليس من الضروري أن يكون المرء بالغ الوضوح والدقة. زيادة على ذلك وبعد تأكيد المبادئ المتفق عليها يجب أن نختار الوقت المناسب وأن لا تكون دائما ملتصقين بالأحداث ويكون مفيدا أن نتحرر قليلا من الاتحاد الشمال الإفريقي، إن محي، ديغول حدث عالمي. ينبغي إذا التفكير والرؤية بوضوح"⁽⁵³¹⁾. ورد عباس على هذا الصبح قائلا بأن وصية الشعب الجزائري هي التي تحدد منطق السياسة فالجزائر في حرب ولا يمكن لها مواجهة سياسة ديغول إلا بالحرب "لأن موقف ديغول يعني الحرب، وذلك مهما يكن الدعم الذي قد يتلقاه ديغول من الأمريكيين والروس أو حتى من المصريين إن كسبه الإدماج تعني الحرب"⁽⁵³²⁾، وفي محاولة لتلخيص مواقف جبهة التحرير الوطني السياسية فبحر وقد احكموس عماد خطاب بورقيبة كمخرج لقضية الجزائر، وكان بورقيبة الفرح من جديد لنحو في مفاوضات من أجل استقلال مرحلي⁽⁵³³⁾، ورد فرحات عباس ويوصف بديغول أن هذا لن لا يصلح للمشكلة الجزائرية، وهكذا حصل الاختلاف في المبادئ لأسباب عدة، أن تونس والجزيرة غير مقتنعين بالخط الذي تسلكه جبهة التحرير الوطني وتضمنات في أن بعض من مبادئها تسعى للتفاوض بدل التركيز على المعركة العسكرية، وهذا ما أوضحه مشروع البيان الذي ساهم بوعبيد في إعداده وكان محلي نقد فرحات عباس ويوصف وكرم باعتياره يتحدث عن موقفين موقف جبهة التحرير الوطني المتشدد وموقف الحكومتين التونسية والجزيرية الذي يشد بإيجاد حمل سلمي لنقصية ويدعو إلى وساطة الحكومتين لإجراء مفاوضات عادلة.⁽⁵³⁴⁾

وبعد انقطاع متوالي جلسة النقاش بسبب إثارة الفقرة الرابعة من البيان لمسألة تشجيع الوساطة التونسية والمغربية اتفقت الوفود الثلاث على إدراج الفقرة الرابعة ضمن بند توحيد الموقف في الأمم المتحدة، وشددت على درس الوسائل الكفيلة بتبني موقف مشترك في الأمم المتحدة وتسبق العمل الدبلوماسي لصالح القضية الجزائرية، وأوضح الباهي لندعم أن الظروف توجّه الأحداث، وأنه يمكن تجاوز موقف موحد في الأمم المتحدة والاتفاق على مبادئ مشتركة تركز على البحث عن حلول سلمية، وفي هذا قرب من الارتباط بمواقف جبهة التحرير الوطني ومبادئها التي ستعرضها في الأمم المتحدة⁽⁵³⁵⁾

وخصص اليوم الأخير لإتمام دراسة جدول الأعمال، الشتمن ثلاث مسائل رئيسية مسألة إقامة مؤسسات الوحدة التي أمرها مؤتمر طنجة وقضية إنشاء حكومة جزائرية مؤقتة وكذا المصادقة على البيان الختامي، ويتبين أن مسألة إنشاء مؤسسات الوحدة لم تأخذ مآخذها بالوقت الكافي رغم أنها تمثل القسم الثاني من جدول الأعمال ويبدو أنها لم تحصى بالخدمة المطلوبة، وأن الخلاف حول مسائل القسم الأول استغرقت أيام المؤتمر الأربعة .

وعموما اتفقت الأطراف الثلاثة على تسمية أعضاء الأمانة الدائمة، فميت تونسي أحمد التليي وعبد المجيد شاكرو وعنت جبة التنسيق أحمد فرنسيس وأحمد بومجل في حين ذكر بوعبيد أن المغرب لم يحسم اختياره بعد، مما يعني أن اجتماعات الأمانة العامة ستبقى معلقة، رغم الاتفاق كذلك على تشكيل أعضاء المجلس الاستشاري مؤقتا من ثلاثين عضوا عشرة أعضاء عن كل بلد على أن يعقد اجتماعه الأول في تونس⁽⁵¹⁾

وبخصوص إنشاء حكومة جزائرية مؤقتة اهتم المؤلفين التونسي والمغربي بمناقشة كثير من القضايا التي طرحها كسمة لاستشارة الواردة في مقررات طنجة، لمس وجهة نظر بوعبيد هي نعي . دراسة مشتركة لبعض الظروف قبل الإعلان - الملائمة السياسية للإعلان (الطرف) - اختيار اسم - نتائج سر الآراء الذي أحرز لدى مختلف الحكومات - اختيار الرجال الذين يشكلون هذه الحكومة لا يعبأ، لكن تحديد تاريخ الإعلان يجب أن يناقش لأن الاستشارة لا تعني فقط الإعلام المسبق بتاريخ الإعلان، بل يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أننا لسنا ها بي وي وي " وأما وجهة النظر التونسية فكانت الاستشارة تأخذ معنى أبعد تصل حتى لتشكيلة الحكومة كما أوضح الباهي الادغم : " .. علينا أن نسه لجنة التنسيق والتنفيذ حول مسألة تشكيلة الحكومة لأننا نعرف أن الدول الأجنبية تعلق أهمية كبيرة حول هذه التشكيلة والتي هي في الغالب مؤشرا للتوجه الإيديولوجي، إن الأشخاص يكون الكثير بالنسبة للخارج، وفي كل ما بقي أزيد وادعم السيد بوعبيد، " ورد كريم بانفعال محملا الحكومتين عواقب مسؤولية عدم اعتبارهما بالحكومة الجزائرية التي مستولد بقرار جزائري، وحاول فرحات عباس لتلطيف الأحواء بوعد الحكومتين بتقديم مسلف كامل عن الاستشارات التي تلتزمها لجنة التنسيق والتنفيذ، وتمت المصادقة على البيان الختامي⁽⁵²⁾ في أحواء من الارتباب وعدم الاطمئنان لمواقف الحكومتين التونسية والمغربية، لقد بدأ تراجعهما عن قرارات طنجة واضحا، ودلت التسيوفات والمراوغات أن مسألة دعم الجزائر ووحيدة المغرب العربي ستظل مجرد شعارات، ولم يكن بمقدور لجنة التنسيق والتنفيذ فضح هذه المواقف

فأنت أن تحافظ على علاقتنا السياسية لإظهار وحدة النكتل المغربي في وجه فرنسا وعدم صدم التضامن الشعبي الذي عبر عن آمال واسعة

وأمام هذه الحقائق كانت صحافة جبهة التحرير الوطني محرقة بين أن تعلن الحقيقة فصطدم بالحكومة التونسية وبين أن تحفي الحقيقة وتساهم في مغالطة القواعد الضالية، ورات أن تأخذ بوسطة لجنة التنسيق والتفذية، وتحدثت عن أحواء المؤثر بصورة مهذبة، ونسبت إلى بعض المخاطر التي قد تد المغرب العربي.⁽⁶⁰⁾

وهكذا يمكن القول أن قرارات مؤتمر طجة قريت في المهديفة، وأن السياسة الدبلوماسية التي ذكرنا خطوطها كان لها دور رئيسي في عدم تجسيد تلك القرارات، كما أن نظامي تونس والمغرب اجتهدا في تأويل مقررات طجة، وتأجيل موضوع الوحدة إلى أجل مسمى، مما يؤكد على تغليب الاهتمامات الوطنية على حساب مطمح الوحدة، وكان هذا سببا مهما في فشل مشروع الوحدة⁽⁶¹⁾ وإجمالا يمكن أن نخصر العوامل التي ساهمت في فشل مقررات طجة في النقاط الآتية :

— اختلاف الأطراف، ثلاث حول مفهوم الوحدة المغربية. ففي حين كانت جبهة التحرير الوطني تفسر هذه الوحدة بوحدة تعمل بوحدة الشعوب، نشارك. كانت تونس والمغرب تعتقد أنه من المستحيل إقامة مؤسسات الوحدة قبل بيل الجزائر لاستقلالها، هذا فضلا عن الاحتلالات السياسية والإيديولوجية للأنظمة السياسية في الدول الثلاث .

— الانقسامات والمشاكل التي اعترضت الأحزاب المغربية الثلاث، خاصة الانقسام الذي عرفه حزب الاستقلال واشغال قذته باهم الوطني، كما أن الخلاف استشرى في مؤسسات جبهة التحرير الوطني خلال عام ١٩٥٩ .

— استفحال الخلافات بين الأطراف الثلاث قبل جوان ١٩٥٨ دخلت جبهة التحرير الوطني في خلافات حادة مع تونس التي عرفت مقررات طجة وأمضت اتفاقية "ببلمسي" مع فرنسا، وواجهتها كثير من المشاكل مع المغرب ترجع إلى مسألة الحدود ونشاط الثورة في المغرب، وتعرضت العلاقات المغربية التونسية لأزمة حادة بسبب الموقف التونسي من المشكلة الموريطانية.

— عدم وفاء تونس والمغرب بالتزاماتها إزاء مقترحات دعم الثورة الجزائرية مما جعل القادة الجزائريين يشعرون بتخلي نظامي البلدين عن الثورة الجزائرية في هذه المرحلة الحاسمة ويرفعون

شعاراً بديلاً للوحدة أساسه الوحدة الشعبية العملية، الأمر الذي كان يشو تخوف الطامنين من تحشد شعوب المغرب العربي وراء أيديولوجية جبهة التحرير الجزائرية، التي أصبحت غرباً وليس حليفاً.

هذا وقد احتكر كل طرف تفسير عوامل إحقاق مشروع وحدة طجة، فارجع علال الفاسي ذلك إلى "...الانحراف الذي أصاب الحكومة في أيام عبد الله إبراهيم فيما يخص المغرب، والاختلاف الذي جرى بينا وبين تونس حول قضية موريطانيا، والاتجاه في السياسة الخارجية"⁽⁶²⁾، وفي صاسبة أخرى أضاف إليها أسباب عديدة منها حملة بعض الأقطار العربية ضد مؤتمر طجة، والحركة الانفصالية داخل حزب الاستقلال، والخلافات داخل جبهة التحرير الوطني، وعدم نجاح التجربة النهائية في المغرب والجزائر⁽⁶³⁾، أما الحرب الدسوري الحاكم في تونس فإنه ربط مسألة الوحدة بمسألة استقلال الجزائر، وأعطى لها الرئيس بورقيبة تصورات ضمنية وغير واضحة بما يؤكد أن الوحدة المغاربية أصبحت في نظره مجرد شعارات لخدمة الأهداف القبطرية⁽⁶⁴⁾، في حين أن جبهة التحرير الوطني أنشئت منذ ظهور السياسة الديبغولية، وانقلاب حكومتها تونس وسعرب عن قرارات طجة في الهندية، أن مؤتمر طجة كان مجرد مبادرة ظرفية صعدت حقبة جديدة، وأن الأرساد الرسمية لا يمكنها أن تخلص اهتماماتها لخدمة الكفاح الجزائري فضلاً عن تمسيد الوحدة، وظهور ذلك مكمراً عندما أنضمت تونس للعاقبة الإجملي وطالب المغرب بتحديد الحدود، إذ لم يعد هناك حديث عن الوحدة بقدر ما أصبح التركيز مقتصرًا على علاج المشكلات القبطرية، وعليه لم يعد هناك من خيار سوى تجنيد القوى الشعبية وراء هذا الطموح الجمعي، وهذه السياسة حافظت الثورة الجزائرية على تفاعل التضامن الشعبي وراء أهداف طجة الوحدوية .

وهكذا يبدو لنا أن الظروف المحلية والإقليمية هي التي أملت قرارات مؤتمر طجة، وأن هذه المبادئ والقرارات التاريخية انتشرت لفترة زمنية معينة وكانت تحمّل الوجهة السوري جبهة التحرير الوطني، وقد أدت السياسة الديبغولية إلى التراجع عن تلك القرارات تحت طائلة التهديد والإغراء، فأصبحت المظالم القبطرية سيدة الموقف في تحديد العلاقات المغاربية، وعلى الرغم من أن قرارات طجة لم تعرف التنفيذ إلا أنها أثرت البعد المغاربي لثورة الجزائرية، واصطلبت سياسة تضامنية جديدة مع الجزائر، كما أن جبهة التحرير الوطني لم تفقد الأمل في تكريس التضامن المغاربي وخدمة كفاحها التحرري بعد فشل مؤتمر الهندية، ونجحت في مواجهة التراجع المسجل في توجهات السلطين التونسية والمغربية، وذلك بالاعتماد أساساً على قوة التضامن الشعبية .

الهوامش

- (١) انظر الجديدي خليفة وآخرون - حول حول الثورة - طبع المركز الوطني للتوثيق والصحافة والاعلام، الجزائر ١٩٨٦، ج ٣، ص - ص ٣٨٨-٣٨٩
- (٢) انظر بعض الدراسات التي أرعنت لمؤتمر طجة تحليليا ونقدا، أحمد مالكي إشكالية وحدة المغرب العربي، دبلوم دراسات عليا، كلية الحقوق، جامعة الزاوية، ١٩٨٩ - ومحمد التليي المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، ط ١، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٣.
- (٣) انظر علا برفية رئيس الحكومة المغربية الموجهة إلى حلة المسبق والتشديد، أحمد توفيق المدي حبال كعاج مذكرات، الجزء الثالث، ط ٢، م و ك، الجزائر، ١٩٨٨، ص ٣٨٠
- (٤) DLASMAS (G) Evolution general des barrages frontiers en algerie REVUE INTERNATIONALE D HISTOIRE MILITAIRE N°76 (1997)
- (٥) انظر المصباح - لسان حال جهة التحرير التونسي، عدد ١٦، ١٨ فيفري ١٩٥٨، ص ٢
- (٦) انظر تقرير حول السياسة الفرنسية في الجزائر - لأرشيف استراتيجي فرنسي، عدده وزارة الخارجية الفرنسية A.Q.O. sene Algeria 1953 1959 DOS B-5-2
- (٧) انظر بخصوص الصحافة الفرنسية الإخبارية محمد بن محمد بيت يمز - صحفيات من ملحمة جيش التحرير بالحبوب الغربي، ط ١، مطبعة صومكروم، الجزائر، ص ٣٠٠١ - ص ١٥٩-١٦٨ وعبد الإله بلفريز وآخرون الحركة الوطنية المغربية وأسسها ١٩٤٨-١٩٨٦ محروسة في المديح، ط ١، م و ك - بيروت، ١٩٩٢، ص ١٥٥
- (٨) انظر صحراء المغرب، جريدة اسبوعية مغربية، عدد ٤٩، (٢٧ فيفري ١٩٥٨)
- (٩) انظر نص البلاغ، جريدة العلم، لسان حال حرب الاستقلال المغربي، عدد ٠٣ مارس ١٩٥٨
- (١٠) انظر نص الرسالة، جريدة العمل، لسان حال الحرب الدستوري التونسي، عدد ٠٥ مارس ١٩٥٨
- (١١) جنم علال القاسي وعبد الرحيم بوعبد ومحمد بوسنة
- (١٢) تعمد رواية أبو بكر القادري، وهو عضو اللجنة السياسية لحرب الاستقلال ومطلع على حياتها المؤثر انظر شهادته، أبو بكر القادري مؤخر طجة لوحدة المغرب العربي، العلم السياسي، المغرب، العدد ٤ (نوفمبر ١٩٨٢) ص - ص ٤ - ٥
- (١٣) انظر نص البلاغ المشترك للفرنسي، العمل، عدد ٢٣ مارس ١٩٥٨ - وقد حوت لذكره خلال الفترة ما بين ١٩٥٩ - ٢٢ مارس ١٩٥٨
- (١٤) انظر مصطفى التليل - مفهوم المغرب العربي نظوره تصوروا وممارسة وعلاقته بالوعي القومي تطور السوي القومي في المغرب العربي، ط ١، م و ك - بيروت، ١٩٨٦، ص ١٣

(١٥) انظر محمد المهدي، المغرب العربي بين حركات الدول ومطامح الشعوب، مرجع سابق، ص ٥١-٥١.

(١٦) انظر شهادة عبد الحميد مهري، مقابلة مع الباحث، الجزائر، ٧ أوت ٢٠٠٥.

(١٧) انظر العمل، عدد (٢٨) أبريل ١٩٥٨.

(١٨) انظر المصاحف، ع ٢٣ (٧ ماي ١٩٥٨).

(١٩) انظر العمل، عدد ٢٧ أبريل ١٩٥٨.

(٢٠) انظر نص بيان مؤتمر طنجة، المصاحف، ع ٢٣ (٧ ماي ١٩٥٨) والمعلم السياسي ع ١٠ (أفريل ١٩٨٣)، والتلخيص رقم ٨.

(٢١) انظر محمد المهدي، مؤلف جزائرية، ط ١، م و ك، الجزائر، ١٩٨٤، ص ٧٩-٨٠.

(٢٢) انظر نص البيان المصاحف، ع ٢٣ (٧ ماي ١٩٥٨).

(٢٣) انظر محمد المهدي، مؤلف جزائرية، المرجع السابق، ص ٧٢-٧٣، ٨١.

(٢٤) انظر نص البيان المصاحف، ع ٢٣ (٧ ماي ١٩٥٨)، ونسب أن أول علم سرب الاستقلال تمهد في البيان ذكر إطلاق سكين موريطانيا، سرب الحري في حين أن حركته تمهد و عمل في كذا كذا، لا يوافق حصل على أن التفسير بالوطن المغربي هو الوطن المغربي، قبل هذا كتاب، فيه تم توجيه كذا كذا، طنجة خدمة أهداف نظرية صيغة انظر، المصاحف، عدد ٢٣ (٧ ماي ١٩٥٨)، العمل، عدد ٣٠ أبريل ١٩٥٨، والمعلم السياسي ع ١٠ (أفريل ١٩٨٣).

(٢٥) انظر بيان مؤتمر طنجة، المصاحف، عدد ٢٣ (٧ ماي ١٩٥٨) ص ١١.

(٢٦) انظر الجابري محمد عابد، فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الاستقلال، وحدة المغرب العربي، انشغال الدولة عقدت باريس، عام ١٩٨٩، ط ١، م و ك، بيروت، ص ٢٢-٢٣.

(٢٧) انظر حوار عبد الحميد مهري في الدولة الأولى لاستقلال مؤتمر طنجة، المصاحف، ع (٢٢ جوان ١٩٥٩).

(٢٨) مصطفى الفيلالي، المغرب العربي الكبير، لسان المستقبل، ط ٢، م و ك، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٦-١٩.

(٢٩) انظر شهادة مهري عبد الحميد، مقابلة مع الباحث.

(٣٠) انظر تأكيدات المصاحف، صحراء المغرب، ع ٦٠ (٢١ ماي ١٩٥٨).

(٣١) انظر نص البلاغ، المعلم السياسي، ع ١٠ (أفريل ١٩٨٣).

(٣٢) المصاحف، ع ٢٣ (٧ ماي ١٩٥٨).

(٣٣) انظر المجاهد ، ع ٤٦٩ ، (١ ماي ١٩٥٩)

(٣٤) صحراء المغرب ع ٥٨٨ (٧ ماي ١٩٥٨)

³⁵ El Mahdi BEN BARARKA „Problèmes édification du Maroc et Maghreb, quatre entretiens avec el mahdi ben barka recueillis par raymond guan, Plon, Paris, 1959, P 42

³⁶ Ibid ,p.43

(٣٧) انظر بعض هذه الأصدقاء في جريدة العمل ، عدد ٣٠ يوم افريل ١٩٥٨

(٣٨) انظر تقرير كتابة الدولة للشؤون الخارجية لتقديم لوزير الخارجية الفرنسي حول قرايات مؤخر طبعة ،

ماي ١٩٥٨ A .Q O : Serie Algerie 1953-1959., B 47., DOS A G 5-8

³⁹ LE MONDE ,du 5 Mai 1958

(٤٠) انظر ، صحراء المغرب ع ٥٨٨ (٧ ماي ١٩٥٨)

Henri ALLEG et autres : La Guerre d'Algerie ,ed Temps actuels , Paris, T2, p-p, 588- 591

(٤٢) لإدماج مصطلح يعني حق الحرار في ليبيا وإندونيسيا ،والدء احواس التي ألقاها المعمرين في الجزائر لتخليهم وفتح المجال أمام الاستعمار برسمية خاصة في الصحراء

(٤٣) تحدث القوات الفرنسية على مستوى قمصة ورمادة في تونس، وتحتفي ورزازات وبواحي تافيلالت انظر صحراء المغرب ع ٦٦ (٢٨ ماي ١٩٥٨)

(٤٤) انظر محمد البلي : مؤلف جزائرية ، مرجع سابق، ص ٩٤ ، و Jean LACOUTURE: Carq homme et la France, édition du seuil , Paris, 1961, p-p, 176- 177, 198

(٤٥) انظر محمد البلي :المرجع السابق ص - ص ٩٥-٩٧

(٤٦) بقصد المناهض محمد البلي ،الذي حرر مقالات المجاهد بخصوص هذا الموضوع، وأعاد طرق الموضوع فيما بعد في كتابين هامين، انظر تحليلاته لهذه السياسة ،محمد البلي مؤلف جزائرية ،مرجع سابق، ص - ص ٩٣-٩٧، ومحمد البلي :المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، مرجع سابق، ص - ص ٦٢ - ٦٩

(٤٧) انظر المجاهد ، ع ٢٩ (١٣ جوان ١٩٥٨) .

(٤٨) انظر "الاستعمار المختصر" لمحمد مريتا من العرض لتعليق الوحدة المغربية" المجاهد، ع ٢٤ (٢٩ ماي ١٩٥٨)

(٤٩) انظر محمد البلي : مؤلف جزائرية ، مرجع سابق، ص ٩٩

(٥٠) انظر المجاهد، ع ٢٩ (٢ جويلية ١٩٥٨)، ص - ص ٨١

(٥١) انظر محضر مسدولات مؤتمر تونس Mohammed HARB) Les Archives de la revolution A gerienne, ed Jeune Afrique ,Paris, p- p,414- 427

(52) Ibid . P-P. 417 - 418 .

(53) Ibid . P. 419.

(54) Mohammed HARBI : Ibid: P-P 419- 423.

(٥٥) انظر خطاب مورقبة في المهتمة يوم ١٧ جوان ١٩٥٨ ، العمل . عدد يوم ١٧ جوان ١٩٥٨

(٥٦) نصمت الفقرة الرابعة من البيان بعد التعديل مابيلي " قرر المؤتمر بعد دراسة الوضعية الدولية القيام بعمل مشترك على المستوى الدبلوماسي من أجل الوصول إلى حل سلمي للمسألة الجزائرية وهو يشيد بالاستعدادات الجيدة للحكومتين التونسية والمغربية في بحثها عن الوسائل الممكنة لوضع حد لحرب الجزائر " انظر Mohammed HARBI : Ibid, P 425

(57) Ibid . P-P. 424- 425.

(58) Mohammed HARBI : Ibid P 425

(٥٩) لم نوصول إلى نص البيان المشترك فهل كان سرية للغاية أم أن الاطراف الثلاث تعمدت التكميم عليه خاصة وأنه لم يكن في صالح الوحدة والشعب المغربي. وقد عرض "نصر" الذي أوردته جري وصحيفة "المجاهد" عخطوطه العامة، انظر "المجاهد" ج ٢٦ (٢٦ جوانية ١٩٥٨)

(٦٠) محمد الميلي : مواقف جزائرية، مرجع سابق ، ص ١٠٦

(٦١) انظر، "المجاهد" ج ٤١ (١٩٥٨) - ص ١ - ٢ ومحمد مالكي : إشكالية وحدة المغرب العربي، مرجع سابق ، ص ٢٩٥

(٦٢) علال الفاسي : صبح لاستقلالية . من التطوير للنهي ، الذي قدمه رئيس حرب الاستقلال للمؤتمر السادس المنعقد في الدار البيضاء، جانفي ١٩٦٢ ، للكتبة الاستقلالية ، الرباط، ١٩٦٣، ص ١٤٨ .

(٦٣) علال الفاسي : دائما مع الشعب . التطوير للنهي الذي قدمه الرئيس علال الفاسي للمؤتمر الخامس لحرب الاستقلال ، الدار البيضاء نوفمبر ١٩٦٧ ، مطبعة الرسالة، الرباط، ١٩٦٧، ص - ص ٥٤ - ٥٥

(٦٤) انظر عبد القادر لعربي : تونس وعلاقتها مع بلدان المغرب العربي ١٩٤٧ - ١٩٨٠ ، رسالة دكتوراه ، بالمسم التاريخ . كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ص - ص ٢٦٣ - ٢٦٤

سباق التسلح البحري بين ألمانيا وبريطانيا قبيل الحرب العالمية الأولى

شهد العقد الأخير من القرن التاسع عشر والأعوام الأولى من نقر العشرين ذروة تعاظم سياسات القوة في أوروبا، حيث شجعت هذه الأمم لوقها العسكرية بصورة مزعجة ، وتكاثرت على المستعمرات والغرد في أعالي البحار. ودخلت بذلك العلاقات لدولة منعطفًا جديدًا، حيث قدمت التطورات في مجال التقنية الحربية هذه الدول القادرة على استغلالها أداة جديدة ومرة للقوة .

إن السفن الحربية الحديثة بنراعتها المتحركة الطويلة نسبيًا والتسلحات الثقيلة يمكن أن تحصل قوة القرار الوطني إلى أبعد أركان العالم. كما أن المقدرة على بناء واستخدام أساطيل ضخمة أصبحت سمة وطابع الاحترام الدولي، وعلى ذلك فقد وسعت الأساطيل الجديدة المجال، وبدلت مقاييس وقواعد لعبة القوة، وظهر لاعون جدد مثل اليابان والولايات المتحدة، بعد أن كان النظام مقصورًا من قبل على القوى الأوربية. فأدرك القيصر "فلهلم الثاني" Wilhelm II أهمية هذه التغييرات وعزم على إنشاء أسطول قوى، وراحت ألمانيا تعلن عن كونها إمبراطورية

عالية تسعى إلى الحصول على احترامها كقوة عظمى، وأسطول تحمي به تجارتها المتنامية. أما بريطانيا سيدة الأمواج فقد أصبحت تنظر بعين القلق لمثل هذه التطورات وقسورت أن تفسد متاورات ألمانيا.

وفي طيات هذه التوترات بدأنا نلمح غيوط عصر أساسي وهو السباق البحري الإنجليزي - الألماني الذي أصبح السمة الرئيسية للعلاقات بين الدولتين، فقد واجهت بريطانيا على مدى تاريخها سلسلة من التحديات كان أغلبها نتيجة اشتراكها في سباق التسلح، حيث كانت فرنسا وروسيا، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، هما أكبر منافسين لبريطانيا، وصعدت للتفوق عليهما، وبنهاية القرن التاسع احتلقت الأمور، ففي الوقت الذي تناقصت فيه قوة التهديد الفرنسي - الروسي، تعاظم التهديد الألماني وأضحت بريطانيا تؤكد غريزة صيانة الذات لديها، وأصبح عزمها على الحفاظ على سيادتها البحرية صلبًا لا يلين من أجل حماية جلب الطعام والمواد الخام لشعبها.

ونحاول هذه الدراسة إنشاء الصور، على أسباب هذه الشائسة، والعوامل السياسية والاستراتيجية والاقتصادية التي أدت إلى ظهور هذا السباق وتضاعفه من جانب الدولتين، والأسباب التي دفعت صانع القرار في الدولتين للدخول في مفاوضات للحد من سباق التسلح، ودور العوامل الداخلية وتأثيرها على سير المفاوضات، وكيف راوغت كل من ألمانيا وبريطانيا للتهرب من القيود التي كان من المفترض أن تنص عليها الاتفاقيات المقترحة أثناء المفاوضات؟ ولماذا لم تترجم المفاوضات الرسمية وشبه الرسمية إلى وقف سباق التسلح أو حتى تحسن في العلاقات الثنائية بين البلدين والوضع الدولي؟ وهل كان للدول الأوربية الأخرى تأثير في ذلك؟

أولاً : توتر العلاقات الألمانية - البريطانية في أوائل القرن العشرين .

في البداية يجب الإشارة إلى إنه لم تكن هناك ثمة أسباب متأصلة للكرهية بين ألمانيا وبريطانيا بل كان هناك على العكس من ذلك أسباب تدفع إلى التقريب بينهما، فبعد كساد الألمان والانجليز يتمون إلى فرع واحد من الفروع الجنس النيو توي، ويتكلمون لغة مستمدة من أصل مشترك وكثيراً ما حاربوا جنباً إلى جنب في معارك حامية، وآثر الانجليز حكم أسرة مالكة ألمانية الأصل على أن يحكمهم ملك إنجليزي كاثوليكي، وأصبحت ألمانيا بتقديم الأسماء الفصل عميل أسبني للبيضاغ الإنجليزية^(١).

ولكن أخذ العداء الألماني - الإنجليزي يظهر ويتعاطف، لا بسبب أزمات مفاجئة ولكنه كان كسُم يسرى ببطء، وكان السبب الرئيس لهذا العداء الرضا البريطاني وعدم الرضا الألماني بالتوزيع الموجود لقوى العالمية عندما قررت ألمانيا إقامة أسطول لأعالي البحار يماثل في حجمه وكفاءته الجيش الألماني، وهو التطور الذي بدأ لبريطانيا كما لو كان معيها ألمانيا للهزيمة زمن السلم على كل أوروبا وطرقها ومداخلها البحرية، ومن أجل الحفاظ على حالة التفوق البريطاني طورت بريطانيا أسطولها وأقامت ولاقات مع كل من فرنسا وروسيا، وردت ألمانيا بتقوية أسطولها والنصقت بالمشا، وحاولت فصم عرى الولاقات، وأخذت كل منهما تنقى السوم في هذه المسألة على الأخرى .

ونظراً لكون بريطانيا دولة حرة فقد ظلت دائماً تعتمد على الأسطول كعامل حماية و ضمان لسيادة أراضيها . وكان ذلك بمثابة عامل يحد بريطانيا من هامش الدبلوماسية الأوروبية إلى مركزها إذا ما تهدد السورن الأوروبي . وعنى الرغبة في تحقيقه بريطانيا في مجال الصناعة من تقدم خطير، حيث كانت أولى دول العالم في هذا الشأن، فقد ضمت أمامها مشكلة كبرى أخذت تقلق بالها، خاصة مع نهاية القرن التاسع عشر، إذ أنها كانت تعتمد اعتماداً كبيراً على الخارج في تدبير السلع الغذائية، وحرصت بريطانيا على أن تصنع هذه السلع إلى لغورها بسلامة، وهذه السلامة لا تضمنها إلا قوة بحرية كبرى لإلزام سكتها ونسج حجة تصانع الدائمة إلى المواد الخام، وتصدير المصنوعات إلى أقصى الأرض، فلا عجب إذ رأينا بريطانيا تمتلك نصف ما يمتلكه العالم من القاطع البحرية^(١٢) .

وإذا اختلف الإنجليز أحراراً ومحافظين واتحاديين ونفعيين واشتراكيين فإن الأسطول فوق الأحزاب فهو صمام الأمان ولا درع غيره، للحفاظ على السيادة البحرية إحدى أسس السياسة البريطانية خاصة في ظل ضعف الجيش البريطاني^(١٣) . ولا أدل على ذلك من تحرك الأسطول الإنجليزي ضد نظيره الهولندي في القرن السابع عشر للسيطرة على التجارة الأوروبية، وكذلك الحروب الفرنسية - الإنجليزية في القرن الثامن عشر من أجل السيادة البحرية، وحرب الأسطول الإنجليزي لكونها من عام ١٨٠٧ والاستيلاء على الأسطول الإسباني كهيبة حرب^(١٤)، ذلك هو حال بريطانيا للأسطول بالساسة لها حياة أو موت، ولكن ما هي الأسباب التي أدت إلى تحرك ألمانيا منذ أواخر القرن التاسع عشر لتقوية أسطولها الحربي؟

ثانيًا : الأسباب التي دفعت ألمانيا إلى تقوية أسطولها الحربي :

لم يكن الألمان مغرمين بركوب البحر وصناعة السفن ، ولم ينعب الأسطول دورًا ملحوظًا خلال حروب الوحدة الألمانية، حيث اشترك في مهام برية وفي نقل القوات العسكرية. وخلال فترة مستشارية "بسمارك" ظل الأسطول الرفيق الدائم للجيش ، ويبدو أن السبب في ذلك كان زهد بسمارك في التوسع الاستعماري، بينما كان هدفه الأسمى عدم تغيير الحالة الراهنة في أوروبا والحفاظ على حدود ألمانيا بعد الوحدة^(١).

كذلك فقد كانت الطبقة الأرستقراطية البروسية من ملاك الأراضي ، "اليومكرز" Junkers تنظر للأسطول على أنه مجرد أداة تستدرف الأموال، حيث كان الأسطول مرتبطاً بالطبقة الوسطى الليبرالية الأخيلة في النمو، والتي كانت موضع كراهية طبقة اليومكرز، كل ذلك كان في غير صالح قضية الأسطول^(٢) ولكن تغيرت الأمور مع نوب القيصر "فلهم الثاني" ، آخسر أباطرة الموهبرلرن وحفيد الملكة "فيكتوريا"، عشق الأسطول مد بعزيمة أطفاله حيث اصططحبه جدته لمشاهدة الأسطول الإمبري عده مرات فسمى مد ذلك حين أن يكون لألمانيا أسطولاً في أعالي البحار^(٣) مماثل الجيش في الحجم واشوة والكماءة

ولكن كثيراً ما وضع "الريزنسح" العراقي أمام طموحات القيصر البحرية ورفض التصويت على الأموال اللازمة للتوسع في الإنشاءات البحرية مؤكداً أن ألمانيا ، بحكم العادة، قوة برية وليست في حاجة إلى الأسطول وهنا اختار القيصر "الفريد فون تريتسز" Alfred Von Tirpitz ليكون وزيراً للبحرية في يونيو ١٨٩٧ لإنجاز هذه المهمة وإنشاء أسطول ألماني لأعالي البحار على مدى سبعة عشر عاماً يصل إلى مستوى عالمي^(٤) . مما أصاب العلاقات الألمانية الإنجليزية في مقتل .

ولكن لماذا فكر القيصر في إقامة مثل هذا الأسطول؟

أولاً : كان القيصر "فلهم الثاني" يتوق قل كل شيء، إلى أن يحقق لألمانيا مشروع القوة العظمى في العالم لكي تتمكن من إعادة توزيع المستعمرات وتعال نصيبها هي الأخرى وتحقق بها على حد قوله مكاناً يليق بها تحت الشمس^(٥)

ثانيًا : تأثر "فلهم الثاني" بأفكار "ماهان" Mahan عن القوة البحرية حيث رأى الأخير أن امتلاك الأساطيل الحربية الصالحة ومركز القوة البحرية هما قوام السيطرة على المحيطات، ولا

يمكن لأي أمة اليهود دون امتلاك قوة بحرية، وقد أمر "فيلهلم" بوضع نسخ من كتب "ماهان" على متن كل سفينة، كما تأثر "ترنر" في وضع خططه البحرية بأفكار "ماهان"^(١١)

ثالثاً : رأت الحكومة الألمانية منذ عام ١٨٩٧ التعامل مع السخط الداخلي بعمارة سياسة خارجية قوية كخيار للخروج من مشكلاتها الداخلية لكبح جماح دعاة الإصلاح والنوريين، واستخدمت الأسطول كعمد قوي ضد الديمقراطيين والاشتراكيين، بمعنى آخر كان السبب وراء تطوير الأسطول تحويل الانتباه عن المشكلات الداخلية، كما رأت أن تشيد السفن سوف يؤدي إلى رخاء اقتصادي وإلى تطوير الصناعة الألمانية، مما يدعم وضع العاصم الحاكمة ويهدئ المطالبة بزيادة من الديمقراطية من جانب الأحرار والديمقراطيين الاشتراكيين^(١٢).

رابعاً : مرت ألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر بتحولات اقتصادية غير عادية، فقد ازدهرت الصناعة وأصبحت في حجة متزايدة لأسواق جديدة ومواد خام لصناعتها، فلما أن تكون دولة لها أسطول قوي أو ترعى بدور دولة رعية فترة^(١٣)، كذلك قرص عليها ذلك رغبتها في حماية تجارتها فقد كانت كل الطرق البحرية الألمانية التي تستخدمها التجارة الخارجية تصب في بحر الشمال و بحر البلطيق، وتقع بورتها هناك، وإذا ما انتشرت السفن المعادية في بحر الشمال و بحر البلطيق فإن أي حصار هدين البحريين سوف يعرقل التجارة الألمانية، كما أن سيطرة بريطانيا على جبل طارق ومصر وعدن وحوب أفريقيا وغيرها جعلها تسيطر على طرق التجارة العالمية، لذلك رأت ألمانيا أن إبعاد بريطانيا وحدها بالسيادة البحرية لا يتناسب مع عصر تتطلب فيه المصالح التجارية لكل القوى العظمى الإبقاء على البحار مفتوحة^(١٤).

خامساً : إذا نظرنا لألمانيا مجدها أكثر القوى الأوروبية الكبرى في ذلك الوقت فاعلمنا ونشاطاً وتقدماً ولكنها كانت أكثرها في الوقت ذاته تقديراً بموقعها الجغرافي في وسط أوروبا مما جعلها تحت رحمة التفوق العددي الروسي والتهديد العسكري الواضح الذي خلقه تحالف روسيا وفرنسا^(١٥). كل ذلك جعل ألمانيا تشعر في كل المسائل الخارجية بالعجز بسبب ضعف قوتها البحرية، وهو الأمر الذي يجد "القيصر" يؤكد عليه في تعليقاته على الرسائل الألمانية^(١٦) فقوتها البرية تعصدها في القارة الأوروبية، أما في المحيطات فانقوة البحرية هي الكفيلة بحصل القوى الأخرى لهاها .

سادساً : استكر الألمان صلف بريطانيا ورفضها معاملتهم على قدم المساواة في الأمور السياسية، فضلاً عن الأزمات التي حدثت بين ألمانيا وبريطانيا كاختلافات الاستعمارية بين عامي (١٨٩٣-١٨٩٤) بشأن البحر والسمو والكونغو، وكذلك مسألة بركة "كروجر" الشهيرة في يناير عام ١٨٩٦^(١١)، ثم استيلاء الرواق الحربية البريطانية على البوادر الألمانية التي تحمل البريد على ساحل شرق أفريقيا، أثناء حرب البوير بين عامي (١٨٩٩ - ١٩٠٢)، أوضح كل ذلك عجز ألمانيا عن التدخل لصالح البوير الذين عطفوا على كمحاهم، كما فشلت في تكوين عصبة أوروبية ضد بريطانيا فأدركت أن ذلك درس عملي يوضح أن عجز العالم عن ردع بريطانيا يعود إلى تفوقها البحري^(١٢).

وعلى هذا قامت "نظرية المخاطرة" Risk Theory التي على أساسها أقام "تريسنز" خططه لتطوير الأسطول ، وتمثل في أن الأسطول سوف يمثل رادعاً لأي هجوم بريطاني وسيجبر بريطانيا على تحسين علاقاتها مع ألمانيا على أساس من التكافؤ . وأبعد الفترة بين عامي (١٩٠٤ - ١٩١٢) منطقة خطر لا نلبث أن تنتهي عندما يصبح الأسطول الألماني لعداً للأسطول البريطاني^(١٣). ولذلك جاء في مشروع القانون البحري لعام ١٩٠٠ أن الغرض من إنشاء الأسطول أن تستطيع أنلب في حالة لا شريك مع أعظم قوة بحرية إنخرق الضرر بمخاطرها في العالم وسيادتها^(١٤). ومن الواضح أن بريطا كانت هي المقصودة ، حيث سعى الألمان إلى إقصاء بريطانيا عن وضعها المتفوق القائم على الأسطول ، واعتبروا أن تلك السيادة هي العقبة التي تقف في سبيل إقامة نظام دولي جديد على أساس التكافؤ، وإحداث تغيير في علاقات القوى لصالح ألمانيا وتأسيس توازن دولي في البحار كما على اليابس . وتخلص من ذلك أن ألمانيا رأت أن التهديد الذي يمكن أن يفرضه الأسطول الحربي الألماني على صناعات القرار في بريطانيا سيضطر الأخيرة إلى تخفيف معارضتها للسياسات الألمانية عندما ترى ألمانيا قوة على المياه كما هي على اليابس، وكذلك لتحقيق أهداف ألمانيا الاستعمارية والسياسية والتجارية ونقل التوسع الألماني المشروع، ولكن اعتبرت بريطانيا أن إقامة ألمانيا لأسطول قوي يمكنها من المهمة من السهم على أوروبا برمتها بطرقها ومداحلها البحرية هو عمل موجه ضدها، وهكذا فإن بريطانيا التي حاولت على مدى ما يقرب من ثلاثين عاماً بعد موقعة الطرف الأغر Trafalgar عام ١٨٠٥ على أن تكون لها فقط السيادة البحرية، وامتلكت خلال تلك الفترة عدداً من السفن يفوق أساطيل القوى الأوروبية مجتمعة، وطبقت "مقياس القوتين" "Two-Power Standard" ، أي أن

تكون قوة بريطانيا مساوية لقوة كل من فرنسا وروسيا مجتمعين^(٢٠). وهما القوتان اللتان تليها مباشرة في المقدرة البحرية، بدأت تواجه منافسة حامية مع ألمانيا.

اتضح معالم هذا السباق البحري عام ١٩٠٠ عندما وضعت ألمانيا أول حطة متكاملة لبناء قوتها البحرية مما أقلق بريطانيا، ثم أخذ هذا التوتر يتحول إلى أزمة دبلوماسية مع عقد الحلف الإنجليزي - الياباني عام ١٩٠٢، والوفاق الودي عام ١٩٠٤، وهزيمة روسيا على يد اليابان عام ١٩٠٥ كل هذا قوى من جانب بريطانيا وأضعف موقف ألمانيا، خاصة مع التحول الذي لحق عن انتصار اليابان في الحرب الروسية - اليابانية وتأكيد أمن المصالح البريطانية في آسيا مما سمح بإعادة توزيع الأسطول البريطاني في البحر المتوسط وتركيزه في بحر الشمال^(٢١). ولقد علق "جون فيشر" Fisher وزير البحرية البريطاني على ذلك بقوله "من المثلث أن نقوى تواجدنا في مسرح ثانوي، بينما نأخذ أنفسنا من الدرجة الثانية على مسرح أساسي"^(٢٢)، وإذا أضفنا إلى ذلك فشل مقابلة "بحور كوك" عام ١٩٠٥ بين القصرين الروسي والألماني في إقامة تحالف بين البلدين^(٢٣)، ثم تحول هذا التوتر إلى أزمة دبلوماسية حادة عام ١٩٠٦ تحت تأثير الأزمة المغربية التي هددت باندلاع حرب أوروبية كبرى^(٢٤)، فقد أبدت بريطانيا خوفاً في مؤتمر الجزيرة وشعرت ألمانيا بأنها أصبحت معزولة، بل شعرت بأن بريطانيا استخفت بها وكانت النتيجة زيادة الإنشاءات البحرية لتصبح قوة عظمى يحترمها الجميع خاصة بريطانيا^(٢٥).

واعترفت ألمانيا أن تعزيز بريطانيا لقوتها في بحر الشمال يُعد استعداداً من جانب بريطانيا للحرب ضدها، ورد الألمان بمزيد من الإنشاءات البحرية الجديدة وأضحى السباق آنذاك بشأن التسلح البحري سافراً، خاصة مع إدراك ألمانيا أن بريطانيا قد أقدمت على بناء طراز جديد من السفن المدرعة الثقيلة والتي عرفت باسم "الدردنوت" Dreadnought^(٢٦)، لا يقصد استخدامها في جهات نائية بل المناضلة غريم قوى في بحر الشمال، بل وسرعان ما أعلنت الصحافة البريطانية إن سفينة "الدردنوت" تلك قادرة على إغراق الأسطول الألماني بأسره، مما استفز الحكومة الألمانية وأجبرها على البدء في بناء سفن من نفس الطراز لتهدئة مخاوف الرأي العام^(٢٧).

وعلى الفور استطاع "تريتر" تمرير القانون البحري الثالث عام ١٩٠٦ وحصل على تفويض لبناء ست مدرعات من طراز "الدردنوت"^(٢٨) كل ذلك زاد من الصعوبات أمام

بريطانيا ، وهدد بتحطيم تفوقها. فقد أصبح الأسطول الألماني الثاني على مستوى العالم بعد البريطاني مما أدى إلى شعور بريطانيا بعدم الأمان^(٣٩).

وفي تلك الفترة تولت حكومة الأحرار مقاليد الحكم عام ١٩٠٦. برئاسة "هنري كامبل بانرمان" H.Campbell-Bannerman ، بناء على وعد قطعه للساخين بحفص النفقات المخصصة للتمسح من أجل التوسع في الإفاق على الإصلاحات الاجتماعية والصحية والتعليمية^(٤٠)، كما وحد "إدوارد جراي" Edward Grey ، وزير الخارجية البريطاني، أن جيش بلاده ضعيف وأن هناك عدداً كبيراً من أعضاء مجلس العموم من دعاة السلم الراديكاليين يعتبرون زيادة التسلح أمر غير حكيم ويفرض ضغوطاً مالية على البلاد مما يؤدي إلى حفص إيقاع الإصلاح الاجتماعي . كما رأيت معظم قطاعات الرأي العام في بريطانيا أن وضع بلادهم سيظل عظيمًا بقدر هزيل من الإمداد على زيادة التسلح أو حتى بدون نفقات على الإطلاق^(٤١).

وإذا لمحضصا الأمر نجد أن التسلح البحري لم يكن في مصلحة بريطانيا ذلك أن ألمانيا تستطيع الاستمرار في عمية التسابق ولتفوق فيها نظراً بقدرة العسا الألمانية العائقة في الميدان التكنولوجي ولا تخفاض أحوالهم نسبياً بمقارنتها بأحوال العمال البريطانيين^(٤٢). وبناء على كسل هذه الحقائق قامت خطة "بانرمان" خلال العامين الأولين من فترة تولي وزارة الأحرار عام ١٩٠٦ - ١٩٠٧ على أساس تقليل السرعة المحددة لتشييد قطع الأسطول الجديدة على أمل أن تعمل ألمانيا المثل^(٤٣) فأعلنت عام ١٩٠٧ تشييد ثلاث سفن دردنوت بدلاً من أربعة خلال السنة المالية الجديدة، أما الرايكتساج الألماني فقد وافق على إنشاء سفينة واحدة من طراز الدردنوت أيضاً بدلاً من ثلاث، ولكن السب لم يكن تهدئة التوتر بل كانت رغبة (جريتز) في البدء بسفينة واحدة حتى يستطيع دراسة المشكلات التقنية الخاصة بتشييد هذا الطراز من السفن^(٤٤).

شجع ذلك بريطانيا على أن تعرب خلال مؤتمر "لاهاي" الثاني للسلام (يومييه - أكتوبر ١٩٠٧)^(٤٥) عن استعدادها لتبادل تقديراتها الخاصة بالإشاءات البحرية مع أي دولة أخرى، شريطة ان توافق الدول الأخرى على إجراء مماثل^(٤٦)، على أمل أن يؤدي هذا التبادل إلى تحقيق مشترك في التسلح، وقيل نهاية المؤتمر عرضت بريطانيا بقاء التسلح البحري على

مسواه آنذاك ووعدت بألا تني أية سفن حربية بعد ذلك إذا وافقت سائر الدول على ذلك ولكن ألمانيا عارضت المشروع بشدة ونجحت في ذلك^(٣٧).

وإذا نظرنا لظروف كل دولة نجد أن "ليشر" قد أعاد تنظيم وتوزيع الأسطول البريطاني بينما كان لا يزال الأسطول الألماني في مرحلة النمو، وقد اعتبرت ألمانيا تلك محاولة لتسيط عزمها ووقف التشييد البحري، خاصة أن المشاكل الداخلية كانت قد أصغت حليفها المساء، رد على ذلك خشيتها من خطر القتال في ميدانين متي أفاق روسيا من حربها مع اليابان واستأنفت نشاطها في البلقان ولذلك أصررت ألمانيا على ألا يكون تحديد التسليح من ضمن الموضوعات التي تضمنتها الدعوة إلى المؤتمر^(٣٨).

واعتبرت ألمانيا مؤتمر "لاهاي" مجرد محاولة ريالية زائفة لتأمين الهيمنة البحرية البريطانية بدون نفقات إضافية على دافعي الضرائب البريطانيين، فضلاً عن ذلك لم تكن الفينة والصدد لم يكن الموقف في صالح ألمانيا بشكل كبير خاصة مع عزم الأسطول البريطاني في بحر الشمال أوضح أن ألمانيا هي المقصود^(٣٩).

أما "جرأي" فقد أراد بخاف الحربي بأناب فتكون هي السبب في فشل المؤتمر أمام الدول الأخرى فقد قال "جرأي" - به - يعي الإمبراطور - سيجربنا إذ أقصر الراكستاح الألماني الميزانية، على إضافة من ١٠ إلى ١٢ مليون جنيه لميزانية البحرية في السنوات القليلة القادمة، ولكن في حالة حدوث ذلك ما أريد أن يعرفه الناس هنا وفي ألمانيا، إننا اضطررنا إلى إعاق المال على الرغم من رغبتنا في تقليل الاتفاق على الإنشاءات البحرية^(٤٠).

ويبدو أن تلك المبادرة البريطانية قامت على شرط مسبق ألا وهو قبول ألمانيا التعايش مع التفوق البحري البريطاني، فضلاً عن تعزيز بريطانيا لتواجدها في بحر الشمال وتحسن علاقاتها مع فرنسا وروسيا، ثم جاء فوز الحزب الإمبراطوري في الانتخابات الألمانية عام ١٩٠٧ ليكون بمثابة انتصار للجناح العسكري الذي يؤيد التشييد البحري^(٤١)، ولكون الرد الألماني على مبادرة بريطانيا في "لاهاي" حيث وحد هذا الحزب مع القائص في الميزانية، أن الوقت مناسب لزيادة الإنفاق على السفن الحربية، فقرر إنشاء أربع سفن سوياً ابتداء من عام ١٩٠٨ حتى عام ١٩١١. كما تقرر في نوفمبر عام ١٩٠٧ خفض فترة إحلال السفن الجديدة محل القديمة من ٢٥ إلى ٢٠ عاماً لزيادة كفاءة السفن نظراً للتطورات التقنية. وقد جاء توقيع هذه

الخطوة ليكون صلعة لبريطانيا لأنه جاء في ختام زيارة "فلهم الثاني" لبريطانيا في الفترة ما بين (١٩-١٨ نوفمبر)^(١١)، مما أدى إلى احتدام المنافسة لتأخذ طبيعة ثائرة خاصة مع قيام عمليات التجسس بين الجانبين^(١٢).

ثالثاً : بدء مفاوضات الحد من سباق التسلح البحري عام ١٩٠٨ :

استقال "هانرمان" نظراً لاعتلال صحته في فبراير عام ١٩٠٨ وحل محله "هرسرت أسكويت" Herbert Asquith وكان زعيماً للجناح الإمبريالي لحزب الأحرار، فكان ذلك بمثابة ضربة للراديكاليين الأحرار، خاصة مع كونه أقل ميلاً واهتماماً من أسلافه بالسياسة الخارجية، فقد ركز على الوراثة الدستوري مع مجلس اللوردات^(١٣). ولكن عادت المسألة البحرية إلى بؤرة الاهتمام مع إصدار ألمانيا قوانين بحرية جديدة، وفي ضوء قوة الجيش الألماني، طالبت البحرية البريطانية بزيادة الإنفاق البحري لضمان استمرارية التفوق البريطاني وهو المطلوب الذي أدى إلى نزاعات داخل الحكومة كادت أن تعصف بوحدة^(١٤).

لكذلك بدأ أمر تخمين العلاقات مع ألمانيا أمراً ملحاً أهده "كنغتون" وعلى رأسهم "جسراي" اعتقاداً منهم أنه يضمن التفوق البريطاني دون أن يسلم ذلك صفقات إصافية ضخمة، وآموا بضرورة بذل الجهود لتحسين العلاقات وأن حلاً لمشكلة قد يتوفر في هذا التحسن، كما أن "لويد جورج" Lloyd George وزير المالية قاد حملة لتقليص الميزانية البحرية عن طريق التوصل إلى اتفاقية بحرية مع ألمانيا شريطة أن تكون هذه الاتفاقية لصالح السيادة البحرية البريطانية على أمل أن يؤدي ذلك إلى إنهاء الجدل الذي كان يثار سنوياً بشأن التقديرات المالية الخاصة بالبحرية والتي تعد من الخطورة بمكان على وحدة حزب الأحرار^(١٥).

وفي ألمانيا ذاتها، وطبقاً للوثائق البريطانية، اعتبر المستشار الألماني "بولوف" Bulow أنه من الضروري تقليل سرعة الإنشاء البحري لأسباب داخلية وخارجية على رأسها العبء المالي الذي فرضه التسلح في الوقت الذي كانت فيه الوزارة تحاول إصلاح المالية^(١٦). وردد "بولوف" مراراً أن ألمانيا لا تتحمل الإنفاق على جيش عظيم وأسطول ضخم وسياسة اشتراكية مكلفة، فأراد تقليل النفقات البحرية وأصر على إعطاء الأولوية في الإنفاق للجيش، وأكد أن الأسطول أثار عداة بريطانيا وزاد من خطر اشتعال حرب، وأنه من الضروري الحصول على قروض لتمويله مما سلب ألمانيا الوسائل التي تمكنها من توسيع نفوذها سلمياً^(١٧).

وقد حاولت بريطانيا جس نبض الألمان للتوصل إلى اتفاق للحد من الصلح بعد أن أضحت بريطانيا، من جراء ترقية الألمان لأسطولهم، محصورة بين خيارين هل تعزز وجودها في بحر الشمال، وتقلص تواجدتها في أعالي البحار، وتعتمد على حلفائها أم تتوصل إلى تفاهم مع ألمانيا مستغلة تحرج موقفها المالي والسياسي بعد تكوين الوفاق الثلاثي عام ١٩٠٧ فاحتارت الحسل الثاني وتولعت أن تتلفف ألمانيا أي مبادرة بريطانية للتفاهم، لذا فاتح "جرأي" الألمان مرتين في هذا الشأن خلال عام ١٩٠٨ حينما توجه في يوليو بصحبة "لويد جورج" لمقابلة السفير الألماني في لندن "مترنيخ" Metternich واقترح تخفيضاً مشتركاً ليرامح تشيد السفن في البلدين، وتكرر ذلك مرة أخرى عبر وساطة "شارلر هاردنج C.Hardinge"، وكيل وزارة الخارجية البريطانية، أثناء زيارة الأخير لألمانيا، برفقة الملك "إدوارد السابع Edward VI"، وفي "كرونبرج Cronberg" وخلال مقابلة للإمبراطور في ١١ أغسطس عام ١٩٠٨ اشتد الخلاف بين "هاردنج" والإمبراطور حينما أصر "هاردنج" على وحوب تكف عن المنافسة في الإنشاء البحري فرد الإمبراطور بأنه يفصل الحرب على قول أن يبنى عليه أحد الحد من تسليحاته البحرية^(٤٩).

وناء على ذلك قرر "جرأي" تكف عن المحاولات الترابية إلى خلق تفاهم بين البلدين حينما التصح أنها تؤدي إلى مزيد من التوتر في العلاقات الألمانية - الإنجليزية واستشعر أيضاً إمكانية إثارة ذلك لشكوك فرنسا واعتقادها أن بريطانيا تعترم عقد صفقه مع ألمانيا على حساب المصالح الفرنسية^(٥٠). وبذلك شهد عام ١٩٠٨ فشل أولئك الوزراء البريطانيين الذين آمنوا بإمكانية استمالة ألمانيا .

أخذت العلاقات الألمانية- البريطانية تزداد تدهوراً بعد ذلك من جراء ما نشرته جريدة "ديلي تلغراف" Daily Telegraph من مقابلة مع الإمبراطور الألماني في ٢٨ أكتوبر عام ١٩٠٨، أكد فيها أن حكومات روسيا وفرنسا طالبت أثناء حرب البوير بتكوين عصبة ضد بريطانيا لا لإنقاذ جمهوريات البوير فحسب بل لإذلال بريطانيا مما أثار البريطانيين^(٥١).

ولعل أشد ما أثار الألمان في المبادرات البريطانية إفراد بريطانيا بالسيادة وإنكارها حق أية دولة أخرى، بما في ذلك ألمانيا، أن تمارس هذا الحق الطبيعي، ويؤكد ذلك ما كتبه القيصر على هامش تقرير أرسله إليه "مترنيخ" في صيف عام ١٩٠٨ "إن ما تريده بريطانيا هو أن تقدم يدها

إلينا مع تحذير بوجوب تحديد أسطولنا إن تلك وقاحة صريحة". وأضاف "ومن هذا المطلق يمكن
فرنسا وروسيا أن تطالبا أيضاً بتحديد قواتنا البحرية، إن مشروع القانون البحري سوف
يمضي إلى آخر حرف سواء شاءت بريطانيا لم آت". وعلى هذا الأساس صدرت تعليمات
القصر إلى حكومته إزاء الكيفية التي يتم التعامل بها مع المبادرات البريطانية^(٥٢).

ولذلك كان طبعها أن تصل المفاوضات إلى طريق مسدود، لقد أراد الألمان اعترافاً
بريطانياً بحقيقة وجودهم كقوة عظمى في أوروبا، لذلك لم يشاركوا حكومة الأحرار البريطانية في
وجهة نظرها بأن تقليل عدد السفن سيؤدي بالضرورة إلى خلق نوع من التعاون فيما بينهم
ورأوا أن هذا التعاون لن يتأتى طالما أن بريطانيا تتفوق عليهم في قدراتها البحرية. وإذا كان
هناك ثمة تعاون بين البلدين فإنه لن يحدث إلا حينما تتساوى القوتان عسكرياً، وأن السفن وهن
الإنشاء آنذاك ستكون ذات أهمية عظمى في الحصول على امتيازات سياسية من بريطانيا.

هنا أعاد صناع القرار الألمان النظر في مسألة رفض العروض البريطانية، حيث أدركوا أن
رفض التفاوض سيكون له نتائج عكسية استراتيجياً وسياسياً، فقد ردت بحاروف ألمانيا في ربيع
عام ١٩٠٩م عندما أهدت حكومة الأحرار تقرير المشروع في مجلس البرلمانيين وخاصة
الرايخسباتين المعارضين لزيادة النفقات على الإنشاءات البحرية وتعرض صورة قائمة للخطر
الألماني، وتؤكد أن ألمانيا ستستعيد عدداً أكبر من السفن المعلن عنها في برنامجها البحري الرسمي،
وعلى الرغم من نفى "تريتر" لذلك إلا أن الحكومة البريطانية أكدت ضرورة إنشاء ثنائي
سفن حربية عام ١٩٠٩ بدلاً من أربعة^(٥٣).

واستطاعت حكومة الأحرار بزعامة "اسكويت" أن تخلف موجة من الرعب لكسي تضمن
موافقة الرايخسباتين على النفقات الكبيرة على الإنشاءات البحرية، مؤكدة أن ما أعلنته الحكومة
الألمانية من تقديرات بحرية لا يعبر عن الواقع وإن هناك مزيداً من الدردنوت بحري إنشائها
سراً^(٥٤). وبهذه التصريحات حرك "اسكويت"، رئيس الوزراء، المسألة البحرية إلى معترك
السياسات الحربية، وشجع ذلك المخالفين والصحافة وشركات السلاح وبناء السفن، وأصبح
الجميع يتحدثون عن فحوة الدردنوت وضرورة إنقاذ البلاد من هذا الخطر بزيادة مس تشيد
السفن، واستغل "الغوري" الرعب البحري لأغراض حزبية بعد أن عجزوا عن الوصول إلى
السلطة عن طريق إصلاح التعريف الجمركية^(٥٥).

هنا شعر صناع القرار في ألمانيا وعلى رأسهم المستشار ووزير الخارجية "كيدرلن - واختر" Kiderlen - Wachter^(٥٦) أنه من الأفضل لألمانيا تلبية دعوة بريطانيا للدخول في مفاوضات جديدة فقد يؤدي ذلك إلى عدة فوائد منها

أولاً : تقليل التوتر الذي حيم على العلاقات البريطانية - الألمانية

ثانياً : خوف الألمان من أن تؤدي الضغوط على حكومة الأحرار إلى سقوطها، حيث كان من مصلحة ألمانيا أن يظل الأحرار في الحكم، فلو سقطت تلك الحكومة يمكن أن تحمل عليها حكومة للمحافظين المعروفين ببرامجهم الدفاعية القوية ورغبتهم في تحويل العلاقات مع فرنسا وروسيا إلى تحالفات تامة موجهة ضد ألمانيا، فكان هناك اتفاق عام داخل الحكومة الألمانية بضرورة الحفاظ على وجود الأحرار في الحكم لمنع مزيد من التدهور في العلاقات^(٥٧).

ثالثاً : من الممكن عن طريق التعاون في التحكم في التسليح تقوية العلاقات مع بريطانيا من جهة والفساد العلاقات بين بريطانيا وفرنسا وروسيا من جهة أخرى

رابعاً : يمكن لألمانيا عن طريق الحد من التسليح عرقلة برامج الإنشاء البحري البريطاني مع إمكانية الاتفاق على تحديد إنشاء السفن بين الدولتين بسعة معينة لا تستطيع بريطانيا تجاوزها^(٥٨).

لقد تزامن إدراك الحكومة الألمانية لكل هذه المزايا من استئناف المحادثات مع الحكومة البريطانية مع الذعر غير المسبوق الذي انتشر في بريطانيا، الذي أشرنا إليه، والمناقشات الحامية في مجلس العموم وبذلك أصبحت مسألة الدردنوت مسألة حزبية مائة بالمائة بسبب الأحصار والمخالفين، كل هذا جعل الرأي العام يطالب بالحد من التسليح للوقاية من المحوم^(٥٩).

دفعت هذه الظروف "جراي" إلى أن يرحب ترحيباً حاراً بالدخول في المفاوضات مع الألمان عام ١٩٠٩، فقد عُقدت اتفاقية تعاون اقتصادي مشترك بين فرنسا وألمانيا في المغرب في ٩ فبراير عام ١٩٠٩، وهو ما اعتبرته الخارجية البريطانية عيانة فرنسية^(٦٠). أضف إلى ذلك إعلان حكومة النمسا والمجر عزمها على تشييد أربع سفن من طراز الدردنوت في أبريل عام ١٩٠٩. وغنى عن البيان أن ذلك يمثل دعماً لألمانيا في حالة قيام صدام في بحر الشمال، لأن وجود أسطول متساوي ضخيم في البحر المتوسط سيجعل من الصعوبة يمكن تركز القوات

البريطانية في بحر الشمال^(٦٦)، في ضوء وجود التحالف الألماني - المساوي لما زاد من مخاوف بريطانيا وجعلها تعيد النظر في مسألة التفاوض مع ألمانيا .

وإثر ذلك وفي ٢١ أغسطس عام ١٩٠٩ أبلغ المستشار الألماني "بتمان هولفيج" Bethman Hollweg السفير البريطاني في برلين بأنه "رداً على التصريحات المتكررة لحكومة صاحب الجلالة والحاجة بعقد اتفاقية للحد من الإنفاق البحري فإنه يقدم مقترحاته من أجل إجراء ترتيب بحري مع بريطانيا على أن تكون جزءاً من خطة أكبر لإجراء اتفاق سياسي عام له طيبة تحسول دون قيام حرب بين الدولتين"^(٦٧). تلا ذلك عامان من المفاوضات غير المثمرة لقطعها الانتخابات الإنجليزية في يناير ثم في ديسمبر من عام ١٩١٠^(٦٨)

وقد رحب "جراي" بمبادرة "هولفيج" ترحيباً يشوبه الحذر حيث رأى أن أي تصريح سياسي لن يكون مؤثراً في الرأي العام إلا إذا سبقه أو عني لأقل صاحبه اتفاق بحري^(٦٩). وأن اتفاقية بحرية لا تحمل حفصاً محدداً، **للدول مع البحري الألماني** ستعمرها حكومة بريطانيا بلا قيمة من الناحية العملية^(٧٠).

وقد رد "هولفيج" بأن الرماح البحري الألماني أصبح قسواً ولا يمكن إجراء أي تعديل عليه إلا بموافقة "الرائداتج"، ولكن يمكن عن طريق اتفاقيات تنظيم إنفاق التسييد وتخفيف العبء المفروض على دافعي الضرائب وقدمة الشكوك^(٧١). وفي مقابل ذلك طالب بالتزام بريطانيا باتفاقية تنص على أنه في حالة تعرض أي من الدولتين - بريطانيا أو ألمانيا - لهجوم من جانب دولة ثالثة أو مجموعة من الدول الأخرى تقف الثانية التي لم تتعرض للهجوم على الحياد^(٧٢). وعندما سمع الإنجليز بمطلب الحياد الكريم، تأكدت شكوكهم في أن هدف ألمانيا هو إيقاف الانقسام بين دول الوفاق، فضلاً عن ذلك كانت بريطانيا تعلم أن أقصى ما يمكن "هولفيج" تقديمه، مع إصرار "تربتز" والإمبراطور، هو إعطاء معدل سرعة تشييد السفن، ولكن هذا العرض لم يكن جذاباً بالنسبة لبريطانيا، وكذلك لم يكن "جراي" على استعداد للوقوف على الحياد في حالة اشتباك ألمانيا في حرب حد فرنسا أو روسيا فقد اتفق ساسة بريطانيا على أن يتحركوا لأنفسهم دائماً حرية التحرك فارة يلتزمون ويدخلون وثارة يرفضون ويتعتلون بعيداً حسبما يتخدم مصالحهم .

كما لم تكن هناك ثمة فائدة لبريطانيا من وراء ذلك، فقد ارتبطت بوفافات مع فرنسا وروسيا وتحالفاً مع اليابان، ولم تكن معرضة لهجوم من جانب هذه القوى ولكن الفائدة كانت بلا شك لألمانيا إذا ما هاجمتها روسيا أو فرنسا فضمن بذلك حياد بريطانيا في مثل هذه الحرب، وكذلك تحييدها إزاء مخططات ألمانيا المستقبلية، وأن تقدم ألمانيا للاتفاق البحري كان بمصرح رغبة بريطانيا. كما أن ما عطلت ألمانيا ليله من التزامات وضمائم لم تجز بريطانيا على العهد بما لفرنسا وروسيا، وحتى لو استطاعت بريطانيا التوصل إلى اتفاق مع ألمانيا على أساس قبول ألمانيا للنفوق البريطاني كان من الممكن أن تُشيد إيطاليا أو النمسا وانجر مريداً من اللردنوت وتحقق بذلك سيادة التحالف الثلاثي على البحر المتوسط، كل ذلك جعل بريطانيا تنظر للعرض الألماني على أنه عرض ضئيل القيمة

وعلى هذا لم يقدم "جراي" خطوة واحدة على طريق التفاوض مع ألمانيا على مدى ثلاث سنوات^(١٨) وساعده على ذلك النزاع في داري نزلان على الأمور المالية ومرور البلاد بمحلتين للاتخابات العامة^(١٩) وفي ١٠ أبريل سحب "هولفنج" عرصه اتخذ وافرغ بدلاً منه ميثاق حياذ وعدم اعتداء، وأدعى أنه صبحى علاقات بين الدولتين، وسبجعل من عقد اتفاقية بحرية أمراً غير ضروري. وقد أحرز "جراي" الحكومة في ٢٠ يوليو عام ١٩١٠ أن بريطانيا لس تستطيع الاشتراك في مثل هذا حياذ الذي سيمضي حتماً إلى فقدان الصداقة الفرنسية والروسية^(٢٠)، لسوف تعتبر فرنسا تصريح بريطانيا بالحفاظ على الحالة الراضة في أوربا على أنه إقرار بريطاني بفقدان فرنسا للأكراس واللورين.

استطاع "جراي" إقناع حكومته بالموافقة على مذكرة بريطانية مضادة تقر بأن الانساق البحري هو السبل الوحيد إلى تقليل التوتر بين البلدين، ولكن "بتمان هولفنج" واصل إصراره على المعاهدة السياسية. وقد رأى الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية "أرثر نيكلسون A.Nicolson" أن الأمل ضئيل في الوصول إلى اتفاق بشأن المسألة البحرية، أما "لويد جورج" فقد نفذ صيره^(٢١) من بطة مير المفاوضات واستطاع إقناع المسئولين في الحكومة في يناير عام ١٩١١ بتشكيل لجنة للشئون الخارجية ضمت كلاً من "أسكويت" و"جراي"، و"ايركرو Eyre Crowe"، و"مورلي Morley"، و"لسويد جورج"، و"والتر رنسمان Walter Runciman"، وتشكلت هذه اللجنة للسيطرة على "جراي" أكثر من كونها أداة لدعمه، وللانتخابه^(٢٢).

لشكاوى "لويد جورج" بشأن اعتماد البيانات عن سياسة بريطانيا الخارجية، ولتحفيز تقديم المفاوضات للوصول إلى اتفاق مع ألمانيا، كذلك جاءت تعبيراً عن الغضب من زيادة التقييدات المالية البحرية للاميين (١٩١١ - ١٩١٢) والتي عجز المسؤولون عن إيقافها، وأيضاً ساندتها حملة للأحرار والراديكاليين في الصحافة والبرلمان ضد ما وُصف بأنه سياسة بريطانية معادية لألمانيا^(٧٣). وكذلك مع التحسن المؤقت الذي طرأ على العلاقات الألمانية - الفرنسية الذي اعتبره الكثيرون أمراً مقيتاً خاصة للمصالح الفرنسية في الشرق الأوسط، فضلاً عن وجود تيار قوى يفضل المصالحة والتعاون مع ألمانيا ويضم الكراهية لروسيا المرحية^(٧٤).

وقد خشيت الخارجية البريطانية من أن تتمكن هذه اللجنة من إحراج "جراي" على قبول الاتفاق مع ألمانيا مما يزعج أصدقاء بريطانيا، ولكن في النهاية حار "جراي" في ٨ مارس عام ١٩١١ على مسودة مذكرة حوت اقتراحات جديدة تُقدم للألمان فحواها أن تكون الاتفاقية البحرية جزءاً من اتفاقية سياسية^(٧٥).

وفي يوليو ١٩١١ حدث أزمة أعدير التي عنت ألمانيا خلالها هزيمة دبلوماسية، عندما أثارَت مواجهة مع فرنسا بشأن المغرب ثم تراجعت تحت الضغط البريطاني، وقد أمطر "جسراي" بحلال الأزمة بوابل من المذكرات التي حثت على التوفيق بينات إلى حاسب فرنسا لمقاومة الادعاءات الألمانية في أعدير اعتقاداً منهم أن فرنسا ستضعف أمام المطالب الألمانية إذا لم تتق في مساندة بريطانيا. وبعد مفاوضات طويلة داخل الحكومة البريطانية اتفق على إرجاء أي اتصال مع ألمانيا حتى اجتماعهم التالي مما أدى إلى قطع المفاوضات^(٧٦).

وقد تم لفرنسا ما أرادت في المغرب وخرجت من الأزمة منتصرة بمساعدة بريطانيا فرأى "تريز" استغلال هذا الاستياء العام وإظهار أن ألمانيا تحتاج إلى زيادة تسليحتها البحرية للتعليق على الهزيمة الدبلوماسية التي لحقت بها، وكذلك اقتناعاً منه بأن ألمانيا خسرت قدرًا كبيراً من مكانتها الدولية، فشرع أن أفضل طريق لاستعادة هذه المكانة إصدار قانون بحري إحصائي عُرف باسم "Novelle" ترداد بمقتضاه أعداد السفن الحربية المرمع إشاقها قبالاً من إنشاء سفينتين كل عام يسير معدل الإنشاء على النحو التالي (٣ - ٢ - ٣ - ٢ - ٢ - ٣ - ٢) بمعنى تشييد ثلاث سفن في العام الأول ثم سفينتين في العام الثاني، وهكذا على مدى ست سنوات. وبالفعل أمر القيصر "هولفريخ" في ١٤ نوفمبر عام ١٩١١ بأن يلحق القانون الإحصائي بمنزلة عام

١٩١٢^(٧٧). كل ذلك أدى إلى تصعيد المنافسة وإرهاق حكومة الأحرار وجعلها أكثر استعدادًا لاستئناف المفاوضات .

وقد اقتضت بريطانيا ، بعد خروج فرنسا مستصرة من أزمة أعادير يفضل مساعدات بريطانية أنه من الأفضل إنهاء القضية مع ألمانيا ، فإذا ما اكتمل هذا الجرح الذي طل يدور منذ سنوات فرما يصبح باستطاعة بريطانيا حينئذ أن تدير طهرها للقارة وتكرس طاقاتها وأموالها لإمبراطوريتها ولبرنامج الإصلاح الاجتماعي^(٧٨) . كما أن العودة إلى العزلة يمكن أن تؤدي إلى اتلاف معاد لبريطانيا ، أما إعادة بناء الأسطول البريطاني على نطاق واسع فهو أمر لم يتحمله الرأي العام في الداخل ، وتستغله ألمانيا كدليل على العدوان وربما تلجأ إلى الحرب الممانعة من جانبها قبل أن تتمكن بريطانيا من الاستعداد لها ، فحاولت حكومة الأحرار التوصل إلى تساهم مع ألمانيا بمائل ما تم التوصل إليه مع اليابان وفرنسا وروسيا^(٧٩) ، وإلقاء ألمانيا بتحديد قواتها البحرية نظير منحها تعويضات في الميدان الاستعماري^(٨٠) .

وقد علمت الحكومة البريطانية ، في أعقاب أزمة أعادير من خلال "ألبرت بالين" Albert Ballin ، أحد كبار أصحاب السفر في "همبرج" ولصديق الشخصي للقيصر الألماني ، وكذلك المصري "ارنست كاسيل Ernest Cassell" ، لصديق الجميع لملك "إدوارد السابع" وكان من أصل ألماني واكتسب الجنسية البريطانية ، أن برلين سوف ترحب بتبادل وجهات النظر مع لندن^(٨١) .

ومع يناير من عام ١٩١٢ تحول "كاسيل" السلطة لمقابلة القيصر والمستشار ولي معيته مذكرة تحوى آراء "جراي" ، و"نشرشل" ، وتؤكد وجوب اعتراف ألمانيا بالسيادة البريطانية على البحار واستعداد بريطانيا ، في مقابل تعليق أو إرجاء تنفيذ البرنامج البحري التكميلي ، مناقشة الأمانى الاستعمارية الألمانية ، وتأكيد الدولتين على عدم مشاركة أي منهما في مخططات عدوانية ضد الأخرى . وقد عاد "كاسيل" إلى لندن يحمل ردًا ودعًا على المبادرة فيما عدا التمسك بالبرنامج البحري ، وقد أشار الرد إلى إمكانية تخفيفه إذا ما ظهرت الدلائل على توجه ودي للسياسة البريطانية ، وقد عاد "كاسيل" كذلك بدعوة ألمانية "نشرشل" و"جراي" لمباراة برلين . وقد تزامنت عودة "كاسيل" أيضًا إلى لندن مع إعلان "هولفيج" في اليناختاح في ٧ فبراير عام ١٩١٢ عن القانون البحري الجديد التكميلي لاستبد القلق "بشرشل" ورأى وحوب اتخاذ

إجراءات عاجلة لإقناع الألمان بمخضه إن لم يكن الغاؤه^(٨٦). فرأى إرسال "لورد هالدين Haldane"^(٨٧). وزير الحربية، إلى برلين على وجه السرعة.

جاءت مهمة "هالدين" في وقت حرج للغاية فألمانيا شاعرة بالإذلال، والنصر قد وصل إلى ذروته بين "هولفيج" و"تريز" والأجواء متوترة من حواء خطاب وزير البحرية البريطاني "تشرشل" في "غلاسجو Glasgow" في ٩ فبراير، الذي أكد فيه أن "الأسطول ضرورة لبريطانيا ومجود رهاية بالنسبة لألمانيا."^(٨٨) وعلى الرغم من ذلك التوتّر فقد اشتدت المعارضة في ألمانيا لتشييد مزيد من السفن، فدعاة السلام ورجال الصناعة والمال والحيش هاجموا "تريز" وأكدوا أن ألمانيا تبني السفن منذ عشرة أعوام حلت ولا زالت بريطانيا متفوقة وأمة، وأصبحت ألمانيا معزولة في خطر، وحتى إيطاليا والمسا لم يقدم أي دعم لألمانيا خلال أزمة المشرق، ودون استشارة ألمانيا شرعت نفسها في القيام بسياسات خطيرة في البلقان، كما أن إيطاليا هاجمت ممتلكات الدولة العثمانية، وربما يقومون، نتيجة إدراكها أن ألمانيا باتت معزولة ومعصدة عليهما، بجر ألمانيا إلى الحرب. وعنى حسي ألمانيا لنزع كل من فرنسا وروسيا بتسليحا قهما المنظورة^(٨٩) كما أن ألمانيا أعتت أن الذي كبت تحججه لتطوير الجيش على الأسطول ولم تكن إلا ازدياد عداء بريطانيا^(٩٠). وها كان الوقت للاستماع إلى المعارضة وفتح باب التفاوض مع بريطانيا.

وعندما بادر القصر بدعوة تشرشل لزيارة برلين^(٩١)، اعتبر "تشرشل" أن زيارته ستكون شيئاً سابقاً لأوانه، وخشي من أن يترتّب تواجده في برلين ارتباب فرنسا، ولذلك قرر إرسال "لورد هالدين" في مهمة وصفت بالسرية^(٩٢) ليستعلم عما إذا كان هناك أمل يشر بالوصول بالعلاقات بين البلدين لوضع أفضل^(٩٣).

امتلى "لورد هالدين" بالحماسة والرغبة في تصعيد الجراح بين البلدين، وقد مكث في برلين من ٨ إلى ١١ فبراير^(٩٤). وخلال هذه الفترة تحدث حديثاً قفضاً مع المستوين الألمان ولم يتعامل معهم كدبلوماسي محنك، تلا ذلك ارتباك حيث فشل "هالدين" في إلصاع "هولفيج" بقبول تخفيض البرنامج البحري الألماني، بل زوده الأخير بنسخة من القانون البحري الجديد الذي فدق في ضغامة كل التوقعات^(٩٥). وكل ما حصل عليه هو مجرد وعد غير صريح بإبقاء تنفيذ البرنامج نظير وعد بعدم الاعتداء وتمهد بالخياد في حالة حرب قارية إذا لم تكن ألمانيا هي المعتدية، وقد قبلت بريطانيا التعهد بعدم الاعتداء ولكنها رفضت التعهد بالخياد والذي يهدد

بهدم الصداقة الفرنسية، كما نوقشت الامتيازات الاستعمارية الألمانية المقترحة في إيران وسكة حديد بغداد^(٩٦)

في الوقت ذاته تصرف "جراي" بحكمة، حيث اهتم بأن تكون باريس ومساو بطرسبرج على علم بما يجري، وأوضح أن الهدف من وراء المفاوضات تحييد العلاقات بين لندن وبرلين مع ولاء بريطانيا للوفقات المعقودة مع التولن^(٩٧)

وقد عاد "هالدين" إلى لندن سعيداً بنتائج مهمته وفي معيته صيغة لاتفاقية الحياد المقترحة^(٩٨) أما "جراي" فقد اعتبر مباحثات "هالدين" كارثة، واتهمه بقلّة الخبرة وعدم إتقان فن التفاوض، بل وإنشاء الأسرار للألمان دون الحصول على مقابل، وأكد عدد من مستوفي وزارة الخارجية البريطانية^(٩٩) أن مثل هذا الاتفاق، طبقاً لتصور "هالدين"، سيؤدي إلى نهاية الوفقات مع فرنسا وروسيا، وأن ألمانيا لن تقبل أبداً تخمس حقيقي لبرنامجها البحري وحاولوا من موافقة حكومتهم على مسودة الاتفاق المقترح، وأكد "كرو" أن الألمان يطمحون وعودهم وأن الإذعان لهم سيكون عظماً كبيراً، وإذا كنت أثار حربية عنى إقامة صداقة مع بريطانيا فعليها إثبات ذلك بدليل ملموس وهو وقف الصعيد البحري^(١٠٠)

ويسهل على المطلع مسودة اتفاقية الحياد أن يتوقع أمراً ما وهو أنه في ظل نظام التحالفات إذا ما نشبت حرب بين النمسا وروسيا وهبت ألمانيا لمساعدة الأتري سوف تساند فرنسا الثانية وهنا ماذا سيكون موقف بريطانيا ؟ لم تكن بريطانيا على استعداد للوقوف على الحياد ووضع نفسها في مازق كهذا .

وقد أكدت الحكومة البريطانية أن مشروع القانون البحري الألماني التكميلي هو العقبة الوحيدة واستمراره سيجعل من المستحيل التوصل إلى اتفاق، وأخذت تحول المفاوضات مرة أخرى من الاتفاقية السياسية إلى الاتفاقية البحرية فاعتبر "فلهم الثاني" ذلك تصلاً مما قاله "هالدين" وتدخلاً صافراً في عصر أمة عظمى^(١٠١)، خاصة مع تأكيد الحكومة البريطانية على أن تمسك ألمانيا بمشروع القانون التكميلي سيؤدي إلى تقديم تقديرات بريطانية مماثلة^(١٠٢)، وتحويل جزء من أسطول البحر المتوسط إلى المياه الداخلية، فاستشاط "فلهم الثاني" غضباً ورأى أن مثل هذا الأمر يعد بمثابة تهديد بالحرب، وقرر إنهاء المفاوضات والعودة إلى مشروع القانون البحري التكميلي بشكله القديم بلا إبطاء بل والتعينة . وهذا هدد "هولفيج" بالاستقالة إذا ما تم تقديم

المشروع "للمحاكاة" وهدد "تريز" بالاستقالة إذا ما رُفص المشروع^(١١٩) . وها أصبح قرار القيصر هو الفصل .

أما في لندن فقد جرت مناقشات داخل أروقة الوزارة في ١٤ مارس ١٩١٢ بمجلسها قدم "حراي" القرار إلى السفير الألماني "مريبخ" بأن بريطانيا لن تنضم إلى أي هجوم غير ناتج عن استغراز يقع على ألمانيا^(١٢٠) ، وكان ذلك أقل مما قدمه "هالدين" فقد أسقطت تماماً كلمة الحبياد ووصلت المفاوضات إلى طريق مسدود^(١٢١) . وهنا أيد "فلهم الثاني" "تريز" فقام بقطع المفاوضات في ١٠ أبريل وأعلنت الحكومة التصويت على القانون البحري الذي سعى على زيادة كبيرة في حجم الأسطول^(١٢٢) . ليستأنف المساق بشكل أكثر ضراوة

وبذلك يمكن القول أن مهمة "هالدين" فشلت عنها نتائج عكسية، فقد تعهد تشرشل بالتصديق للقانون البحري لأشفي في الحال والرحب، وفي ١٨ مارس ١٩١٢ قدم "تشرشل" التقديرات البحرية لعامي (١٩١٢ - ١٩١٣) غشس العموم، وكنت تلك المرة الأولى التي يعلن فيها وزير بحرية بريطاني صراحة "تحلي عن" مقياس "تقنين" وعن عزم بلاده منذ ذلك الحين فصاعداً على تشييد سفب من ألبا وحدها، وأنها ستحافظ على نسبة (١٠:١٦) بين بريطانيا وألمانيا طالما أن أدات ستواصل بردها لأكبر^(١٢٣) . وبدأ لاستعداد لاستعداد أسطول المحيط الأطلسي لعودة إلى الوطن وتحرك أسطول البحر المتوسط من مائطه إلى جبل طارق^(١٢٤) . وانتهى بذلك آخر جهد الضح فيه تصميم الدولتين بشكل بارز على الوصول إلى حل للمشكلة، حتى لا يتم اللجوء إلى القوة. ورغم استئناف المفاوضات بعد ذلك إلا أنها تطرقت لسوية مشكلات استعمارية محددة ولم تحس حذور المشكلة

ومع تدعيم بريطانيا لسيادتها في بحر الشمال، ترك البحر المتوسط، الرابطة الحيوية في شبكة مواصلات الإمبراطورية البريطانية، بلا حماية، فكان من الممكن إذا ما قامت الحرب آنذاك أن تغلق المساءل الطريق القصر المؤدي إلى الهند، فرأت بريطانيا أن يقوم أسطول فرنسا الحربي في المحيط الأطلسي بالتحرك إلى البحر المتوسط وأصبح أمر الدفاع عن هذا البحر منوطاً بالفرنسيين^(١٢٥) . أدى ذلك إلى قيام محادثات بين بريطانيا وفرنسا في يونيو عام ١٩١٢ أوضح "حراي" الهدف منها حين قال "لقد كانت غايي من هذه المحادثات لفت نظر الألمان إلى حشر الموقف وإشعار الفرنسيين بالعطف عليهم مع احتباب إعطاء الوعود"^(١٢٦) . والتصر الأمر

على تبادل الخطابات بين "جرأي"، و"كامبون" وزير خارجية فرنسا في (٢١/٢٢ نوفمبر) فخصص عليها تأكيد الحكومتين على قيام الهيئات البحرية والعسكرية للبلدين بتبادل وجهات النظر مع إعلان أن هذه الخطط التقنية لا تتضمن تورطاً بالتعاون في حالة الحرب، كما تم الاتفاق على أنه في حالة التهديد بالحرب على الحكومتين عمل تقييم فوري وشامل للموقف ووجوب البدء في دراسة خطط هتني الأركان المشتركة في البلدين لمواجهة التهديد^(١٠٦)

وبذلك أحجم "جرأي" عن عقد أي تحالف رسمي مع فرنسا لأسباب معروفة أولها سبب تقليدي وهو أن مثل هذا التحالف سوف يريد من احتمالية تورط بريطانيا والتزامها بالمشاركة في حرب أوربية، أما السبب الآخر فهو إجماع "جرأي" عن إعطاء الألمان انطباعاً بأن بريطانيا قد اصطفت مع القوى المعادية بدون أمل في التسوية. إن غياب مثل هذا التحالف مع فرنسا أعطى "جرأي" الحرية لمزاورة ألمانيا ولكن هذه المزاورة لم تؤد إلى عقد أي اتفاقية بحرية مع ألمانيا^(١٠٧).

وعلى الرغم من أن هذه المذكرات لم تعط لفرنسا أية ضمانات بالتدخل البريطاني في حالة وقوع حرب فرنسية - ألمانية فمن الواضح أن الحكومة البريطانية أصبحت تحت وطأة التزام معنوي أخلاقي، حيث حافظت على حرية القرار بين يديها، ولم تسرم رسمياً. وبذلك لم تستمع بالتقريب من ماهية الموقف البريطاني ولكن ما حدث أكد أن بريطانيا وفرنسا قضية مشتركة، وعدواً واحداً هو ألمانيا وبذلك فإن تصاعد التحدي البحري الألماني جعل بريطانيا أكثر ميلاً للالتزام الأحلافي تجاه فرنسا، ودفع بريطانيا نحو الوفاق أكثر وقد استمرت المشكلة البحرية قائمة بلا حل حتى بعدما اقترح "شيرل" في ٢٠ مارس ١٩١٣ مشروع "العطلة البحرية Naval Holiday"، أي وقف التشديد البحري في ألمانيا وبريطانيا لمدة عام، حيث قابها الألمان بعبور لأفغا تعني تعطيم القانون البحري، كما رأي القيصر الألماني أن مثل هذه العطلة المقترحة لا يمكن تنفيذها إلا بين حليفين^(١٠٨).

على أية حال تراجع التركيز البريطاني - الألماني على المسألة البحرية كقضية صدام بين الدولتين بعد أن التضح طيلة هذه السنوات أن التفاوض في هذا السبيل أصبح هباءً مشوراً، ساعد على ذلك الوجهات الداخلية، فقد قوبلت الإضافات الجديدة للقانون البحري في ألمانيا بمعارضة شديدة في داخل الحكومة حيث دعت المعارضة إلى إعطاء الأولوية في برامج التطوير

العسكري لتطوير الجيش، نظراً خشية الألمان من أن تؤدي التوسعات المتزايدة في الجيشين الفرنسي والرومي إلى ضياع تفوقهم العسكري البري، وكان على بريطانيا هي الأخرى أن تقلص إنفاقها على الأسطول بسبب وجود صراعات داخل الحكومة على الإنفاق البحري بين "نشرشل" و "لويد جورج"، حيث دعا الأخير إلى تقليص الإنفاق على التسليح البحري وساعده على ذلك حدوث امعرجة في العلاقات بين بريطانيا وألمانيا بعد عام ١٩١٢ نتيجة تعارضهما في حل النزاعات التي نجمت عن الحروب البلقانية^(١٠٠)، كما رأت بريطانيا أن السماح لألمانيا بالتوسع الاستعماري، ربما يؤدي إلى إضعاء نوع من الهدوء على الموقف العام وربما يؤدي ذلك اللين أيضاً إلى استئناف الحكومة الألمانية للمعادنات البحرية . وبالفعل تم التوصل إلى اتفاق بين البلدين في ٢٠ أكتوبر ١٩١٣ قُسمت بموجبه المستعمرات البريطانية إلى مجالات مفوض ألمانية وبريطانية^(١٠١) . ومنذ ذلك الحين بدأ الهدوء يشوب العلاقات، وتوقفت المفاوضات الخاصة بالحد من التسليح وانتهت بالنشل ولكن ظلت مشكلة مشتعلة خفت الستار

رابعا : أسباب فشل المفاوضات :

لقد كان من الصعب تحمل نتيجة أخرى سوى فشل هذه المفاوضات، لأنه على مدى هذه الأعوام لم تلمس المسألة اخوهرية للحلاف ألا وهي كيمية التوفيق بين مصالح دولتين قويتين، تمسكت كل منهما بمواقفها المشددة، إحداها ترغب في مع التغيير، والأخرى تميل إلى تعبير نظام القوى الأوربية الذي انتظم بشكل ما على مدى سنوات طويلة، والذي تشعر بأنه غير منصف، فقد رغبت ألمانيا في إضعاف الوفاق الثلاثي وكان ذلك أمراً منطقياً لتعاشي وقوع هجوم مشترك، وبدت الجهود البريطانية لتعظيم جهود الألمان لتقوية أسطولهم نابعة من رغبة بريطانيا في إبقاء ألمانيا بلا معين بحرية على طاعة بريطانيا، ككلها كانت له حجب مقعة ، وكلاهما له أسباب للخوف من الآخر، فالإنجليز اعتبروا أنفسهم الحامي التقليدي لتوازن القوى الأوربية ، عندما وحدوا القارة ضد هيمنة لويس الرابع عشر ومن بعده نابليون بونابرت، ورأوا أن الألمان يريدون الهيمنة على أوروبا والشئ الوحيد الذي يحول دون تحقيقهم لذلك هو القوة البحرية البريطانية، وأن القوى المعادية فقط هي التي تعارض سيادة بريطانيا البحرية^(١٠٢) ، كما رأوا أن ألمانيا أخرج إلى زيادة قوتها البرية منها إلى زيادة قوتها البحرية نظراً لوقوعها في قلب أوروبا، وأن ألمانيا تضرر الشر لبريطانيا ، ورفضوا قبول حجة ألمانيا بأن الأسطول الألماني قد

أنشئ بمرضى حماية التجارة الألمانية وكانوا محقين في ذلك، لأن التجارة بحميتها أسطول متحرك لا أسطول يقع دائما في قواعد في بحر الشمال بالقرب من الجزر البريطانية

وعلى الجانب الآخر عظمت الظروف الدولية المنغرة آنذاك حجاج بريطانيا وتمسكها بانفرادها بالسيادة البحرية، فقد أصبحت هناك مستعمرات وتجارة للدول الأوربية عبر اشيطات والبحار، وطالما كانت بريطانيا سيدة على البحار بلا مازع فإنها وضعت بذلك التجارة والمستعمرات التابعة للدول الأخرى تحت رحمتها، وصراع ما أدرك الألمان المؤلف وأدركوا أنه في كل نزاع مع بريطانيا ستصبح المستعمرات والتجارة الألمانية، كما قال "جسري" بمثابة هيتينين تحتجزهما بريطانيا^(١١٢)، كما استاءت ألمانيا من إنكار بريطانيا عليها الحق في تقيوة أسطولها مع كون ألمانيا واقعة تحت رحمة التفوق العددي الساحق للقوة الروسية، خاصة بعد تحالف روسيا مع فرنسا مد عام ١٨٩٣، وكذلك شعور ألمانيا بانظم ليهي دولة متعوقة في مجال صاعات الحديد والكيمويات وذات قوة ديموغرافية هائلة، فثمادا يطل الألمان قابعين داخل أراضيهم ولا يمتلكون أسطولاً يطفون به إلى قضاء لا غنى؟ كذلك شعرت ألمانيا بتعامل بريطانيا عليها فلماذا التركيز فقط على الأسطول الألمان؟ بينما كانت كل القوى العظمى تقريباً حينذاك تتوسع في بناء أساطيلها مثل فرنسا والنولابات المتحدة وروسيا وإيطاليا وحق البرازيل^(١١٣).

وبلغ التعامل والعداء بريطانيا إلى حد التفكير في إغراق الأسطول الألماني^(١١٤)، على غرار ما فعلته بريطانيا بالأسطول الدانمركي، ويبدو أن ذلك لم يكن أمراً منطقيًا ومجديًا آنذاك حيث كانت ألمانيا قوة لا يستهان بها فضلاً عن التحالفات التي كانت تربطها بالنمسا وإيطاليا مما جعل مسألة ضرب الأسطول الألماني ليست بالأمر الهين. ووسط كل ذلك اعتقدت ألمانيا أن الأسطول هو الشيء الذي بإمكانه تحقيق نوع من التكافؤ النسبي بين البلدين، وأن التهديد الذي يفرحه الأسطول الألماني هو الذي سيقود بريطانيا إلى التوقيع على اتفاقية سياسية بشروط ألمانيا، وأن أي تناقض في تشيد هذا الأسطول سيقلل من الضغط على بريطانيا مما يدفعها لأخذ مسألة المفاوضات بلا جدية.

كل هذا يقودنا إلى أهم سبب من أسباب فشل مفاوضات الحد من التسليح البحري ألا وهو سوء الظن المتبادل، فكلاهما يشك في الآخر ويريد أن يستفيد على حساب الآخر، فبينما رأت

ألمانيا في المفاوضات وسيلة لا يتراز بريطانيا والضغط عليها، رأت بريطانيا أن اتفاقية ألمانية - بريطانية تضمن حياد بريطانيا في أي حرب مستقبلية ستؤدي إلى سيطرة ألمانيا على القارة ولن تستمر طويلاً بعد أن تحقق هدفها^(١١٦). كما آمن الألمان بأن بريطانيا تحطط لسطوهم^(١١٧) وبالتالي تنضم في النهاية لروسيا وفرنسا في حرب ضدهم. وقد استلزم نجاح المفاوضات أن يُعدل الجانبان مطالبيهما الأمنية، فكان على بريطانيا أن تقبل بأقل من الهزيمة الكاملة لألمانيا في سبيلها البحري، كما كان على ألمانيا أن تُخفف من برنامجها البحري وتتحلى عن فكرة إفساد معاهدات بريطانيا مع كل من فرنسا وروسيا، وبسبب عدم قبول ألمانيا وبريطانيا هذه القيود فشلت المحاولة.

لقد أدار كل طرف المفاوضات من منطلق مصالحه، فقد أراد "مربتر" التوصل إلى اتفاق دون أن تغير ألمانيا خططها لبدء الأسطول ورتب الأحداث على النحو التالي حدوث انفراجة للأزمة، ثم معاهدة سياسية للحياد، ثم اتفاقية لحد من السلاح. أما بريطانيا فقد أرادت ترتيباً معاكساً لذلك حيث أرادت أن تبدأ المفاوضات بالتركيز على اتفاقية لحد من التسليح^(١١٨). ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن هذه المفاوضات كان من الممكن أن يكتب لها النجاح في حالة إذا ما كانت هناك درجة ما من التهديد تستشعره كل دولة تجاه الأخرى وإلا فلما الحاجة إلى التفاوض، وهذا ما حدث فيبدو أن تهديد ألمانيا لبريطانيا لم يكن خطيراً لحق عام ١٩١٤ لم تكن ألمانيا قد استكملت مشروع قناة كييل Kiel، الممر المائي الحيوي الذي يربط بحر البلطيق ببحر الشمال، حتى تتمكن من نقل سفن الدردنوت عبرها إلى بحر الشمال، كما شعرت بريطانيا بالأمان لتطبيقها مقياس القوتين، ويؤكد ذلك ما تذكره وثائق وزارة الخارجية البريطانية أن كون بريطانيا على عداوة مع فرنسا أو روسيا هو الأمر الأشد خطورة على بريطانيا من العداء الألماني خاصة في ظل التحالف الفرنسي - الروسي وقوة أساطيل الدولتين، فصحيح أن ألمانيا سببت لهم بعض المضايقات، ولكنها لم تكن تستطيع تهديد المصالح الحيوية، فروسيا كانت تستطيع مثلاً تهديد مصالح بريطانيا في الشرق الأوسط والوجود البريطاني في الهند^(١١٩).

ولا يمكن تجاهل الدور الفرنسي في الأتجاه النهائي الذي أصاب المفاوضات، حيث أكد "إرفولسكي" Isvoiski، وزير خارجية روسيا، أثناء محادثاته مع "بوابكاريه" وزير خارجية فرنسا، أن الغرض من دعوة هالدين إلى برلين أن تتعهد حكومة لندن تعهداً مكتوباً بالبقاء على الحياد

في حالة تورط ألمانيا في حرب لا تنهها ألمانيا، وعندما أحيثت حكومة لندن "بوانكاريه" بذلك ،
أعلى أنه لو حدث ذلك لُحِلَّ نهاية فورية للعلاقات الفرنسية - البريطانية. وكان لذلك
الاعتراض الأثر المطلوب فرفضت حكومة لندن الاقتراح الألماني^(١١٩)، وفضلت بريطانيا
الاحتفاظ بصداقة روسيا وفرنسا، كما عارض سفير بريطانيا لدى فرنسا "فرنسيس بيثي F. Bertie"
و سفير بريطانيا في برلين "إدوارد جوشن E. Goschen" مفاوضات الحذر من السلاح
ورأوا أن بريطانيا مهددة بمضي ألمانيا الحثيث للهيمنة على البحار وعلى أوروبا مما يتطلب تفوية
وفائق بريطانيا مع كل من فرنسا وروسيا^(١٢٠)، وبالفعل تعززت الروابط بين دول الوفاق
نتيجة الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩١٢ على استراتيجية بحرية مشتركة لتقسيم المهام
الدفاعية في البحار في حالة الحرب، كما شجعت بريطانيا روسيا على تعزيز قواتها المسلحة على
الجهة الشرقية لألمانيا ويمكن القول أن استمرار ألمانيا في عملية التسابق على السلاح أدى إلى
زيادة قوة الوفاق وليس إلى تخطيمه^(١٢١).

لا شك أن التسابق على السلاح أدى إلى نتائج عكسية وانعكسات دولية خطيرة، فقد
طلبت بريطانيا من استراليا ونيوزيلندا إنشاء قوات بحرية حديثة^(١٢٢) لتعمل مع أسطولها في
المحيط الهادي وتم سحب جزء كبير من سفنها من بحر الشمال، كما حثت من كندا أن يتولى
أسطولها مهمة الدفاع عن مضيق جبل طارق مما انعكس على العلاقات بين بريطانيا ودول
الكومنولث ، فبدأت تلك الدول تطالب بأن يكون لها رأي في توجيه السياسة
البريطانية^(١٢٣).

وفي النهاية إذا قمنا هذا السباق البحري نجد أنه يمثل خطأ من أخطاء الصراعات المسلحة بين
القوى الكبرى تكرر كثيراً، ولكنه اعتُبر النموذج الأول لفشل القوى الكبرى في التوصل إلى
تخفيف التسليح عن طريق التفاوض. ونستطيع أن نستشف من كل ما سبق أنه إذا كانت بريطانيا
قد كسبت السباق في النهاية فإن حدة التنافس والعداء واستمرارهما كل هذه القسرة أفسد
العلاقات بين البلدين، وأكد انقسام القارة إلى كتلتين متصارعتين مما أسهم بدوره في إشعال
الحرب العالمية الأولى، وقد عبر "جراي" عن ذلك بقوله: "إن النمو الهائل للتسلح في أوروبا، وما
تسبب فيه من الشعور بعدم الأمان والخوف جعل من قيام الحرب أمراً محتوماً"^(١٢٤).

هوامش البحث

(١) هـ آل بشر، تاريخ أوروبا الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠)، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الصنيع، القاهرة ١٩٨٦، ص ٤٠٣.

(٢) عبد الحميد الطريقي، التيارات السياسية المعاصرة (١٨٧٠ - ١٩٩٠)، القاهرة د ت، ص ٧٦-٧٧.

Bülow, Bernard. Voe, Imperial Germany, Translated by Marie Lewenzama, London 1914, pp 20 - 24; Smith, Munroe and Scott James. Brown, The disclosures from Germany, New York 1918, p.72; Parry, Jones, "British Foreign policy in the Nineteenth Century," (History, vol XX III, march 1939), p 323.

(٣) الأهرام، العدد ٩٤٦٥، ١٨ مارس عام ١٩٠٩، ص ١٩.

endix V, Extract from minutes of the Committee of Imperial Defense at a meeting of May, 1911, in British Documents in the origins of the first world war (1898 - 1914), ed by G.P., Gooch and Harold Temperley, Vol VI, Anglo-German Tension: Aments and Negotiations 1907-1912, H.M.S.O 1930, P.782, (Henceforth cited as

- Schmitt, Bernadotte Every, Eng and Germany, (1790 - 1914), Oxford 1919, p 198.

- Lee, Stephen, Imperial Germany (1871-1918), New York 1999, p 15.

- Wilhelm II (ex-Kaiser), My Memoirs (1888-1918), Translated by Thomas R. Ybarra, London 1921, p 23; Herwig, J. Feiger H, "Luxury Fleet" the Imperial German Navy (1888-1918), London 1966, p 3.

- Wyckoff, Richard Lane, The Anglo-German Naval Race, Florida Atlantic University, M.A. 1972, p 3.

- Tirpitz, Von, My memoirs, vol. I New York 1919, PP 119-120, Gooch, G.P., Germany, London 1925, p.51, Woodward A.W., Great Britain and German navy, Oxford 1936, p.23.

- Bülow, op. cit, p.19; Lambi, Ivo Nikolai, The Navy and German Power Politics (1862-1914), Boston 1984, p.32;

عبد كمال المصري، تاريخ ليبيا، دار المعارف، ١٩٦٩، ص ١٠٢.

(١٠) محمد محمود إبراهيم النقيب، التطورات السياسية من منظور معاصر، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٦١٢، ٦١٣.

Kennedy, Paul, Strategy and Diplomacy (1870 - 1945), London 1983, p.43

- Herwig, op. cit, p 35; Kaiser, David E., "Germany and the Origins of the First world war", (Journal of modern History, Sept. 1983), p 442.

- Padfield, Peter, The Great Naval Race: The Anglo-German Rivalry (1900-1914), London 1974, P 41

(١٣) الجولاب، العدد ١٩ من السنة السادسة، ٢٥ يناير ١٩٠٨، ص ١١.

Schmitt, op. cit, p.197.

- Seaman, L C B, Post-Victorian Britain (1902-1931), London 1966, p 52

- Bülow, op. cit, p 93; Dickinson, G Lowes, The International Anarchy (1904 -

- 1914). London 1926, p. 382; Maldane, (lord), Before The war, London 1920, p. 139. Mr. Cartwright to Sir Edward Grey, August 17, 1907, B. D., Vol. VI, p. 42.
- (١٩) قام د. جيمسون مدير شركة جنوب إفريقيا البريطانية عام ١٨٩٥ بمحاولة الإغارة على أراضي الترسفال فقام فهدر أنابا بإرسال برقية لفتة لرئيس الترسفال يهينه على حد الهجوم في يناير ١٨٩٦ مما ألقب مشاعر الرئي العام البريطاني أنظر . عملة حسن محمد السيد، بريطانيا وساسة العرلة الفيلة (١٨٧٩-١٩٠٧) ، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس ١٩٩٩، ص ١٤٤-١٤٥
- Kennedy, Paul M. , "The Development of German Naval operations against England (1896-1914)" (English Historical Review , Vol . LXXXIV, No. 350, Jan. 1974) , pp. 49- 55
- Moll, Kenneth L., " politics, power and panic: Britain's 1909 Dreadnought Gap", (Military affairs, vol 29, No.3, Autumn 1985) , pp.133 ; Woodward, op. cit. pp23,24.
- (١٧)
- Wyckoff, op. cit, p.296.
- (١٨)
- Extracts from Memorandum appended to the German Navy Bill 1900, in Snyder, Louis(ed), Documents of German History, New Jersey 1958, p. 282, Ludwig, Dehio, Germany and world Politics in the Twentieth Century, London 1959, p.79.
- (١٩)
- Marder, Arthur J. , British Naval policy (1850-1905): The Anatomy of British sea power, London W.D, p. ١٤5 Stoll, Richard., "Steaming in the dark? Rules, Rivals, and the British Navy (1860-1913)," The Journal: Resolutions, Vol.36, No 2, Jun. 1992, p.266
- (٢٠)
- Enclosure in No.1, Captain Damas to Sir F. Lascelles, Jan.9, 1902, B.D., Vol. VI, p.1; Ensor, P.C.K., England (1870-19 4), oxford 19٠0, pp 263 264 , Howell-smith, Simon (ed.), Edwardian England (1901-1914), London 1٩٥4, p 510
- (٢١)
- Kennedy, P.M, The Rise and Fall of British Naval Mastery, New York 1976, p.217.
- (٢٢)
- Vagts . Alfred, "Hopes and Fears of American - German war (1870-1915)," (political science quarterly, Vol.54, No.4, Dec.1939) p.521.
- (٢٣)
- صمان بطرس فرج الله ، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين ، الجزء الأول (١٨٩٠ - ١٩١٨) الطبعة الأولى ، الأنجلو المصرية ١٩٧٤ ، ص ٢٩٢
- (٢٤)
- Morrow, Ian. F., "The Foreign Policy of Prince von Bülow (1898-1909)," (Cambridge Historical Journal, Vol .4, No.1, 1939) p.85.
- Enclosure in No. 81, Captain Dumas to sir F. Lascelles, British Embassy (Berlin), (٢٥)Feb. 12, 1908, B.D., Vol. VI, p.118; Grey, Edward, Twenty Five years (1892-1916), Vol.1, New York 1925, p.46.
- (٢٥)
- عزيز من الطافصيل أنظر .
- (٢٦)
- Sumida John Testuro, "British Capital ship design and Fire Control in the Dreadnought Era", (The Journal of modern History, Vol 51, No.2, Jun.1979), pp 205-230; Massie, Robert J., Dreadnought: Britain, Germany and the Coming of the Great war, London 1992, p. 172.
- (٢٧)
- فهدر ، المرجع نفسه، ص ١٤٣٥
- Yerusalinsky, Arkady. German Imperialism: its past and present, Moscow 1969, p.68.

- (٢٨) سيدني براشولي، أسباب الحرب العالمية قبل فاجعة سراييفو، ترجمة محمد إبراهيم الدصوقي، الجزء الأول (الأسباب الخفية للحرب)، القاهرة ١٩٣٤، ص ١٥٦.
- (٢٩) -Enclosure in No 6, Captain Dumas to sir F. Lascelles, Mar 21, 1907, p 19; Lowe, C.J. and Dockrill. M.L., The Mirage of Power, vol I (the British Foreign policy 1902-1914), London 1972, p.30.
- (٣٠) صمان بطرس، المراجع نفسه، ج ١، ص ٢٦٤.
- Members of Oxford Faculty of Modern History, Why we are at War; Great Britain's Case, Oxford 1914, p. 49.
- (٣١) -Seaman, op.cit, p.48, Weinroth, Howard, "Left-wing opposition to Naval Armaments in Britain Before 1914," (Journal of Contemporary History, Vol 6, No.4, 1971), p.94.
- (٣٢) صمان بطرس، المراجع نفسه، ج ١، ص ٢٦٤.
- (٣٣) Trevelyan, G.M. British History In the Nineteenth Century and after (1782-1919), London 1948, P.464.
- (٣٤) -Sontag, Raymond James, European Diplomatic History (1871-1952), New York 1933, P.128.
- (٣٥) الخريطة العدد ١١٧، ٢٥ يوليو ١٩٠٧، ص ١.
- (٣٦) المخطط، العدد ٥٤٣٤، ١٣ فبراير ١٩٠٧، ص ١. و العدد ٥٥٧٣، ٢٦ يوليو ١٩٠٧، ص ١.
- (٣٧) أ.ح. حرات وهارولد غوش. أوروبا في السنين التسع عشر والعشرين (١٧٨٩-١٩٥٠) ترجمة محمد فهدى، مراجعة محمد عبد الكريم، ج ٢، مؤسسة سحر العرب، د.ب، ص ١٣٠.
- (٣٨) سيدني براشولي، المراجع نفسه، ص ١٥٤.
- (٣٩) -Woodward, op.cit, p.151.
- (٤٠) -Lowe and Dockrill, op. cit, pp30, 31.
- (٤١) المخطط، العدد ٥٤٣٤، ١٣ فبراير، ص ١.
- (٤٢) - Count de Salis to sir Grey, Berlin D., Nov. 19, 1907, B.D.Vol. VI, p.68- Gooch G.P., Before the war: Studies in Diplomacy, Vol. I: The Grouping of the power, Longman 1936, p.266.
- (٤٣) -Hiley, Nicholas p. "The Failure of British Espionage against Germany (1907-1914)", (The Historical Journal, Vol.26, No.4, Dec.1983), pp.867- 889.
- (٤٤) - Seton- Watson, R.W., Britain in Europe (1789-1914): A survey of foreign policy, Cambridge University press, ١945, p.619.
- (٤٥) - Lowe and Dockrill, op. cit, vol.I, p.31.
- (٤٦) -Ibid, p.33; Hale, Oren James, Publicity and Diplomacy, with special Reference to England and Germany (1890-1914), London 1940, p.264.
- (٤٧) -Captain Dumas to sir F. Lascelles, Berlin, oct. 23, 1907, B.D, Vol VI, p.63.

-Kaiser, op. cit, pp. 454-455.

(٤٨)

(٤٩) سبندي براندنولي، المرجع نفسه، ص ١١٥٩

Kennedy, P.M., *The Anglo - German Antagonism (1860-1914)*, London 1980, p.444; Maurors, André, *King Edward and his times*, translated by Hamish Miles, London 1949, pp.249, 250.

-Lowe and Dockrill, op. cit, pp.33,34.

(٥٠)

(٥١) عن نص للقبالة انظر :

Bülow, Bernard Von, *The Memoirs of Prince Bülow*, Vol III, *The world war and Germany's Collapse (1909-1919)*, Boston 1932, pp 59- 60 ; Rich, Norman, *Friedrich Von Ho stein: Politics and Diplomacy in The Era of Bismarck and Wilhelm II*, Cambridge University Press 1965, p.819.

-Yerusalinsky, op. cit, pp.68-69.

(٥٢)

-Parliamentary Debates, 5th Series, Vol.2, March 17, 18, 22, 1909, Cols.930-939, 1075-1146, 1235-1342, 1483-1562 ; Enclosure in No 160, Translation of Admiral Von Tirpitz's Speech in the Budget Committee of The Reichstag on March 17, 1909, B.D, Vol. VI, p.250.

(٥٣)

-Enclosure in No 44, Extract from *The Deutsche Tageszeitung*, B.D, Vol. VI, p.591, Churchill, Winston S.S, *The World crisis 1911-1918*, vol.1 London, 1938, pp.32-33.

(٥٤)

-Trevelyan, G. M., Grey of Ila. Odon, *The life of sir Edward Grey*, Longmans (٥٥) (٥٥) 1940, pp.212, 213.

(٥٦) لزود من التفاصيل عنه انظر :

Gooch, G.p., "Kinder en-Wahter", (*Cambridge Historical Journal*, Vol 5, No.2, 1930), pp.178-192.

-Lambi, op. cit, pp. 295-301.

(٥٧)

-Maurer, John. H., "Arms Control and Anglo-German Naval Race Before World War I Lessons for today", (*political science Quarterly*, Vol.112, No.2, summer 1997), p.295.

(٥٨)

-Nowell - Smith, op. cit, P 513 ; Papayioanou, Paul, "Interdependence, institutions and the Balance of Power : Britain, Germany and World War I", (*international security*, Vol 20, No. 4, Spring 1996), PP. 57-58.

(٥٩)

-Lowe and Dockrill, op. cit, Vol.1, p.38.

(٦٠)

(٦١) جريدة الصحافة، العدد ١٢٨، ١٤ أبريل عام ١٩٠٩، ص ١٤٤

Sir E. Goschen to sir Edward Grey, April 11, 1909, B.D, Vol. VI, p 262

-Enclosure in No. 468, Memorandum respecting Agreement With Germany, B.D, Vol VI, p.626, sir E.Goschen to Grey, Aug 21, 1909, Ibid, p.284.

(٦٢)

-Lowe and Dockrill, op. cit, Vol 1, p.35.

(٦٣)

-Notes by Grey, Aug.31, 1909, B.D. Vol.VI, p.288

(٦٤)

-Enclosure in No. 468, Ibid, p.632.

(٦٥)

- Sir E.Goschen to sir Grey, oct.15. 1909, *Ibid.* p.293. (٦٦)

حرانت وميرني، المرجع نفسه، ص٢٠٠، ص ١٢٢، فرانسوا جورج ديغوليس ورولان ماركس وريسون
برادفان، موسوعة تاريخ أوروبا العام، أوروبا من عام ١٧٨٩ حتى أيامنا، ص٢٠٠، ترجمة حسين حيدر،
ومراجعة أنطوان هاشم بيروت ١٩٩٥ ص٣٧٢. (٦٧)

-Gooch,G.P, "European Diplomacy before the war in the light of archives",
(*international Affairs*, vol 18, No.1, Jan & Feb 1939),p 88. (٦٨)

-Sontag ,op. cit, p.141. (٦٩)

- Lowe and Dockrill, op.cit ,vol.1,pp35-36. (٧٠)

-Teed, peter and Clark, Michael, *Later Nineteenth century (1868-1919)*, London
1967, p.158; (٧١)

وليزيد من التفاصيل عن لويد جورج وموقفه من ألمانيا أنظر:

Morgan, Kenneth.o., "Lloyd George and Germany", (*The Historical Journal*, vol. 39,
No.3, sept. 1996), pp.755-766.

-Sir A.Nicolson to Lord Hardinge to Penhurst, F.O, Mar 2, 1911, B.D, vol. VI,
p.590. (٧٢)

-Dickinson, op. cit, p.388 Lowe and Dockrill, op. cit, p 36 (٧٣)

-Taylor, A.J.P., *The Struggle For Mastery in Europe 1848-1918*, Oxford 1954,
p.465. (٧٤)

-Lowe and dockrill, op. cit, Vol. 3, p.37. (٧٥)

- *Ibid.*, pp.40-41; Thomson, (ed.) *The new Cambridge - Modern History*, vol
XII: *The era of violence (1898-1945)*, Cambridge University press 1960, pp 329-
330. (٧٦)

-Wyckoff, op. cit, pp. 82-83. (٧٧)

-Sontag, op. cit, p. 168. (٧٨)

-Seton-watson, op. cit, p. 627; Haldane, op. cit, p.6. (٧٩)

ميرتولان، تاريخ العلاقات الدولية (١٨١٥-١٩١٤) ترجمة جلال يحيى، دار للنسارف ١٩٦٨، ص
٧٤٧ (٨٠)

فرانسوا جورج ديغوليس وآخرين، المرجع نفسه، ص٢٠٠، ص ١٣٥٢ (٨١)

Stieve, Friedrich, *Deutschland und Europa (1890-1914)*, Berlin 1926, p.105.

-Dickinson, op. cit, p.389; Seton-watson, op. cit, p.627. (٨٢)

اسيو لورد هالدين هذه المهمة نظراً لإحاطته اللغة الألمانية، حيث درس وتخرج من جامعة هومبولت
Göttingen الألمانية، واعتماده البالغ بالفلسفة الألمانية أنظر (٨٣)

Lowe and Dockrill, op. cit, vol. 1, p.48; Langhorne, Richard, "The Naval Question in
Anglo-German Relations (1912-1914)," (*The Historical Journal*, vol. XIV,2,
1971),p.360.

-Churchill,op. cit, vol 1,p.101, Wyckoff,op. cit, p.85. (٨٤)

- Sontag, op. cit., pp 166-167. (٨٥)
- Rich, op. cit, p 801. (٨٦)
- Grey to Goschen, Feb 12, 1912, B D, vol VI, p 689; Maurer, John H. "The Anglo-German Naval Rivalry and Informal Arms control (1912-1914)". (The Journal of conflict Resolution, Vol. 36, No. 2, Jun. 1992), p. 293. (٨٧)
- The parliamentary Debates, 5th series, vol XXXIV, H C. 1912, Col. 20. (٨٨)
- Grey to Buchanan, Feb 7, 1912, B D, vol VI, P 667; Kennedy, A L., Old Diplomacy and New (1876-1922). From Salisbury to Lloyd George. London 1922, p. 198. (٨٩)
- Stieve, op. cit, p. 106. (٩٠)
- Langhorne, op. cit, p. 359. (٩١)
- Diary of lord Haldane's visit to Berlin, Feb. 10, 1912, B D, vol. VI, P. 506; Murray, Gilbert, Foreign policy of sir Edward Grey (1906-1915), Oxford 1915, p. 119. (٩٢)
- B.D, Vol. VI, pp. 498-499; Haldane, op. cit, p. 63. (٩٣)
- Appendix, f, sketch of A conceivable Formula, B.D, Vol VI, p. 682 (٩٤)
- Notes by sir Nicolson on the sketch of A conceivable Formula, Appendix I to lord Haldane's diary and sir Bertie to sir A. Nicolson Feb 11, 1912 B D, vol VI, pp. 686-687. (٩٥)
- Minute (3), E.A C., Feb. 12, 1912 B D, Vol VI, p. 684, Lowe and dockrill, op. cit, vol I, p. 49. (٩٦)
- Sontag, op. cit, p. 170; Seton - Watson, op. cit, p. 628 (٩٧)
- Hansard parliamentary Debates, 5th. Series, vol. XXIV, 1912, cols 1340-1341. (٩٨)
- Sontag, op. cit, p. 170; Seton-watson, op. cit, p. 628. (٩٩)
- Sontag, op. cit, p. 171. (١٠٠)
- Enclosure in No. 524, Memorandum communicated to count Metternich, B D, Vol, p. 698; Fay, Sidney, the origins of the world war, New York 1928, p. 311. (١٠١)
- Wyckoff, op. cit, p 92, Churchill, op. cit, Vol. I, p. 107. (١٠٢)
- الشعب، العدد ١٤٤، ٩ يونيو ١٩١٢، ص ١١ الأهرام، العدد ٤٣٨، ١٠-٢٩ يونيو ١٩١٢، ص ١ (١٠٣)
- Goodlad, Graham. D., British Foreign and Imperial Policy (1865 - 1919), London 2000, p 79. (١٠٤)
- ادوارد غراي، مذكرات لورد غراي وبعده الحرب العالمية الكبرى، بقلم وزير خارجية بريطانيا سابقا من سنة ١٨٩٢ إلى ١٩١٦، تعريب علي أحمد شكري، القاهرة ١٩٢٩، ص ٢٩٩ (١٠٥)
- Rennavin, Pierre, "Britain and the continent: the Lessons of History", (Foreign affairs, Vol. 17, No. 2, Oct. 1938), pp. 119-120; Yerusalinsky, op. cit, p. 73. (١٠٦)
- Seaman, op. cit, p. 54. (١٠٧)

-Lynn, Jones Sean, "Detente and Deterrence Anglo-German Relations 1911-1914", (International Security, Vol 11, No.2, Autumn 1986), p.133, Members of Oxford Faculty, op. cit, p.51. (١٠٨)

-Dickinson, op. cit, p. 398, Lowe and Dockrill , op. cit , pp. 292- 294. (١٠٩)

-Renouvin, op. cit, pp.122-123. (١١٠)

-Sir Goschen to Nicolson , Oct. 22, 1910, B.D. Vol VI . P. 536 , Sontag, op. cit, pp. 143- 144. (١١١)

-Sontag, op. cit, p. 147. (١١٢)

-Lascelles to Grey, Jan. 30, 1908, B.D. Vol VI, p. 111, Kaiser, op. cit, p.102. (١١٣)

-Memorandum by Sir Charles Hardinge, August 16, 1908, B.D. Vol. VI, p.186, Pribram, Alfred Francis, England and the international Policy of the European powers (1871 - 1914) Oxford 1931, p. 110. (١١٤)

-Minute by Grey on Goschen to Grey, 16 April 1909, Ibid, p. 174. (١١٥)

زيد من التفاصيل انظر : (١١٦)

Kantorowicz, Herman, the Spirit of British policy and the Myth of the Encirclement, London W.D. Soreau, Charles, the Anglo-German problem, London 1912, p. 281.

-Kruszel, Joseph , " From Rusp -Bugot to start : the lessons of the arms control " . (orbis : Journal of world affairs, Vol 30, No 1, Spring 1986), p.210. (١١٧)

-Sir Nicolson to Sir Goschen - April 25, 1912, B.D. Vol VI, P. 747, Grey , op. cit, p. 47. (١١٨)

-Dickinson, op. cit, pp. 395- 396. (١١٩)

-Maurer , The Anglo-German Naval Rivalry , pp.295-296. (١٢٠)

سمان بطرس ، نفس المرجع ، ص ٢٦٨ (١٢١)

Kennedy, the Rise and Fall of the British Naval Mastery, pp.224; Keefer, Scott, A., Reassessing the Anglo-German Naval Arms Race . Ph.D., University of Trento 2006, p.18.

-The parliamentary Debates, 5th series , H.C, 1911, XXV, Col.411. (١٢٢)

سمان بطرس ، نفس المرجع ، ص ٢٦٩. (١٢٣)

-Keefer, op. cit, p. 1. (١٢٤)

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

١ - الوثائق المشورة

- Gooch, G.P. and Temperley, Harold (eds.), British Documents On The Origins of The First World War (1898 - 1914), Vol. VI (The Anglo-German Tension - Armaments and Negotiations 1907-1912), H.M.S.O. 1930.
- Members of Oxford Faculty of Modern History, Why we are at War: Great Britain's Case, Oxford 1914.
- Snyder, Louis (ed.), Documents of German History, New Jersey 1958.
- Teed, Peter and Clark, Michael, Later Nineteenth century (1868-1919) London 1967.
- The parliamentary Debates, 5th series H.C., vol-2 1909.
- 5th series H.C., Vol XXV 1911.
- 5th series H.C., Vol XXXIV, 1912.

ب - المذكرات والسجلات الثانية

١ - المراجعة :

- إدوارد غراي . مذكرات بورد غراي وسنة حرب العالمية الكبرى ، ملحق وزير خارجيه بريطانيا سبيلها من سنة ١٨٩٢ إلى ١٩١٩ ، تحرير علي أحمد الحكري ، القاهرة ١٩٤٩.

٢ - الأجيال

- Bülow, Bernard Von, Imperial Germany, Translated by Marie Lewenzima, London 1914.
- The Memoirs of Prince Bülow, Vol III, The world war and Germany's Collapse (1909-1919), Translated by Geoffrey Dunlop, Boston 1932.
- Church II, Winston S., The World crisis, (1911-1918), Vol I, London 1938.
- Grey, Edward, Twenty Five years (1892-1916), Vol I, New York 1925.
- Haldane, (lord), Before The war, London 1920.
- Maurois, André, King Edward and his times, translated by Hamish Miles, London 1949.
- Murray, Gilbert, Foreign policy of sir Edward Grey (1906-1915), Oxford 1915.
- Rich, Norman, Friedrich Von Holstein Politics and Diplomacy in The Era of Bismarck and Wilhelm II, Vol II, Cambridge University Press 1965.
- Tirpitz, von, My memoirs, Vol I, New York 1919.
- Trevelyan G. M., Grey of Fallodon: The life of sir Edward Grey, afterwards Viscount Grey of Fallodon, Longmans 1940.
- Trevelyan G. M., Grey of Fallodon. The life of sir Edward Grey, Longmans 1940.
- Wilhelm II (ex-Kaiser), My Memoirs (1888-1918), Translated by Thomas R. Ybarra, London 1922.

ج - الصحف والمجلات :

- الأهرام ، العدد ٩٤٢٥ ، ١٨ مارس ١٩٠٩ ، العدد ١٠٤٣٨ ، ٢٩ يونيو ١٩١٢
- الجريدة ، العدد ١١٧ ، ٢٥ يوليو ١٩٠٧ .
- الجوائب ، العدد ١٩ من السنة السادسة ، ٢٥ يناير ١٩٠٨ .
- الشعب ، العدد ١٤٤ ، ٦ يونيو ١٩١٢ .
- الصحافة ، العدد ١٢٨ ، ١٤ إبريل ١٩٠٩ .
- القلم ، العدد ٥٤٣٤ ، ١٣ فبراير ١٩٠٧ ، العدد ٥٥٧٢ ، ٢٦ يوليو ١٩٠٧

ثانياً : المقالات

- Gooch, G.P., "European Diplomacy before the war in the light of archives", (international affairs, vol.18, No.1, Jan. Feb.1939), PP.77-102.
- -----, "Kiderlen-Wachter", (Cambridge Historical Journal, Vol.5, No.2, 1936), PP.178-192.
- Hiley, Nicholas p., "The Failure of British Espionage against Germany (1907-1914)", (The Historical Journal, Vol.26, No.4 Dec.1983), PP.867- 889.
- Kaiser, David. E., "Germany and the Origins of the First world-war", (Journal of modern History, Sept. 1983), PP.442-474.
- Kennedy, P.M., "The Development of German Naval operations Plans against England (1896-1914)" (English Historical Review, Vol. LXXXIV, No. 350, Jan. 1974) , PP.48-76.
- Kruzel, Joseph , " From Rush – Bagot to start : the lessons of the arms control " , (orbis; The Journal of world affairs, Vol.30 , No.1 , spring 1986.
- Langhorne, Richard, " The Naval Question in Anglo-German Relations. 1912-1914", (Historical Journal, vol. XIV,2 (1971), PP.359-370.
- Lynn-Jones, Sean, M. "Détente and Deterrence: Anglo – German Relations (1911-1914)", (International of Security, Vol. II, No.2, Autumn 1986) , PP.121-150.
- Maurer, John. H., "Arms Control and the Anglo-German Naval Race before World War I: Lessons for Today, (political science Quarterly, Vol.112, No.2, summer 1997), PP.285-306.
- -----, "Anglo-German Naval Rivalry and Informal Arms control (1912-1914), (The Journal of conflict Resolution, Vol.36, No.2, Jun.1992), PP.284-308.
- Moll, Kenneth.L., " politics, power and panic : Britain's 1909 Dreadnought Gap", (Military affairs, vol.29, No.3, Autumn 1985) .pp.133-144.
- Morgan, Kenneth .o. "Lloyd George and Germany", The Historical Journal, vol. 39, No.3, Sept. 1996, PP.755-766.
- Morrow, Ian. F.d., "The Foreign Policy of Prince von Bülow (1898-1909)", (Cambridge Historical Journal, Vol .4, No.1, 1932) PP.63-93.
- Papayoyanou, Paul, " Interdependence, Institutions and the Balance of Power: Britain.

Germany and World war I", (International security, Vol.20, No.4, Spring 1996), PP.42-76.

- Parry, Jones, "British Foreign policy in the Nineteenth Century," (History, vol. XX III, march 1939), PP.322-330.

- Renouvin, Pierre, "Britain and the Lessons of History", (Foreign affairs, Vol. 17, No. 2, Oct 1938), pp.101-120.

- Scoff, James Brown, "Lord Haldane's Diary of Negotiations between Germany and England 1912," (The American Historical Journal of International Law, Vol.12, No.3, Jul.1918), PP.589-596.

- Sumida, John Testuro, "British Capitalship design and Fire Control in the Dreadnought Era: Sir John Fisher, Arthur Hungerford Pollen and the Battle Cruiser," (The Journal of modern History, Vol.51, No.2, Jun 1979), pp.205-230.

- Vagts, Alfred, "Hopes and Fears of American - German war (1870-1915)," Vol.1 (political science quarterly, Vol.54, No.4, Dec.1939) PP.514-535.

- Weinroth, Howard, "Left-wing opposition to Naval Armaments in Britain Before 1914," (Journal of Contemporary History, Vol.6, No.4, 1971), PP.93-120.

ثالثاً : المراجع

أ - المراجع العربية والمترجمة :

- أ.ج جرات وهارولد تمبلي ، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩-١٩٥٠)، ترجمة : هاء فهمي، مراجعة أحمد عتات عبد الكريم ، ج٢، مؤسسة سجل العرب د. ت.

- سمعان بطرس فرج الله ، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين ، الجزء الأول (١٨٩٠ - ١٩١٨) الطبعة الأولى ، الأنجلو المصرية ١٩٧٤ .

- سيدني برادشوي، أسباب الحرب العالمية قبل فاجعة سراييفو ، الجزء الأول (الأسباب الخفية للحرب) ، ترجمة محمد إبراهيم الدسوقي ، القاهرة ١٩٣٤ .

- عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة (١٨٧٠ - ١٩٦٠) ، القاهرة د. ت .

- فرانسوا جورج دريفوس وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا العام: أوروبا من عام ١٧٨٩ حتى أيامنا، ج٣ ترجمة حسين حيدر، ومراجعة أنطوان هاشم، بيروت ١٩٩٥ .

- محمد كمال الدسوقي، تاريخ ألمانيا ، دار المعارف ١٩٦٩ .

- محمد محمود إبراهيم الديب، الجغرافيا السياسية من منظور معاصر، القاهرة ١٩٩٠ .

- هـ .أ.ل. فشر، تاريخ أوروبا الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠)، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، القاهرة ١٩٤٦ .

ب - المراجع الأجنبية:

- Dickinson, G. Lowes, The International Anarchy (1904-1914), London 1926.
- Ensor, P.C.K., England (1870-1914), oxford 1930.
- Fay, Sidney, the origins of the world war, New york 1928.
- Gooch, G.P., Before the war: Studies in Diplomacy, Vol. 1: The Grouping of the power, Longman 1936.
- Gooch, G.P., Germany, London 1925.
- Goodlad, Graham D., British Foreign and Imperial Policy (1865 - 1919), London 2000.
- Hale, Oron James, Publicity and Diplomacy: with special Reference to England and Germany (1890-1914), London 1940.
- Herwig, Holger H., "Luxury Fleet": the Imperial German Navy (1888-1918), London 1980.
- Kantorowicz , Herman , the Spirit of British policy and the Myth of the Encirclement , London W.D.
- Kennedy, A.L., Old Diplomacy and New (1876-1922); From Salisbury to Lloyd George, London 1922.
- Kennedy, Paul, Strategy and Diplomacy (1870 - 1945), London 1983.
- ————, The Rise and Fall of British Naval Mastery, New York 1976.
- ————, The Anglo-German Antagonism (1860-1914), London 1980
- Lambi, Ivo Nikolai, The Navy and German Power Politics (1862-1914), Boston 1984.
- Lee, Stephen. J. , Imperial Germany (1871-1918), New york 1999.
- Lowe, C.J. and Dockrill, M.L., The Mirage of Power, vol.1 (the British Foreign policy (1902-1914), London 1972.
- Ludwig, Dehio, Germany and world Politics in the Twentieth Century, London 1959.
- Marder, Arthur J. , British naval policy (1880-1905) The Anatomy of British sea power, London W.D.
- Massie, Robert .k., Dreadnought: Britain, Germany and the Coming of the Great war, London 1992.
- Nowell-smith, Simon (ed.), Edwardian England (1901-1914), Landon 1964.
- Padfield, Peter. The Great Naval Race: The Anglo-German Rivalry (1900-1914), London 1974.
- Pribram, Alfred Francis , England and the international Policy of the European powers (1871 - 1914), Oxford 1931.
- Schmidt, Bernadotte Everly, England and Germany (1790 - 1914), Oxford 1919.
- Seaman, L.C.B., Post -Victorian Britain (1902-1951), London 1966.
- Seton-Watson, R.W., Britain in Europe (1789-1914): A survey of -Foreign policy, Cambridge University press 1945.
- Smith, Munroe and Scoll, James Brown, The disclosures from Germany, New York

1918.

- Sontag, Raymond James, European Diplomatic History (1871-1932), New York 1933.
- Sorolea, Charles, the Anglo-German problem, London 1912.
- Stieve, Friedrich, Deutschland und Europa(1890-1914), Berlin 1926.
- Taylor, A.J.P., The Struggle For Mastery in Europe (1842-1918), Oxford 1954.
- Thomson, David (ed.), The new Cambridge – Modern History, vol. XII: The era of violence (1898-1945), Cambridge University press 1960.
- Trevelyan, G.M, British History in the Nineteenth Century and after (1782-1919), London 1948.
- Woodward A.W., Great Britain and German navy, oxford 1936.
- Yerusalinsky, Arkady, German Imperialism: its past and present, Moscow 1969.

رابعاً : الرسائل العلمية

أ – العربية:

- نعمه حسن محمد السيد، بريطانيا وسياسة العزلة الجديدة (١٨٧٩-١٩٠٧)، رسالة ماجستير

جامعة عين شمس ١٩٩٩

ARCHIVE

ب – الأجنبية:

-Keefer, Scott, A., Reassessing the Anglo-German Naval Arms Race, Ph D., University of Trento 2006.

-Wyckoff, Richard Lane, The Anglo-German Naval Race, M.A., Florida Atlantic University 1972.